
الشيخ إبراهيم انياس السنغالي
حياته وآراؤه وتعاليمه
تأليف
محمد الطاهر ميغري
جامعة بايرو بكنو - نيجيريا
١٩٧٩م - ١٣٩٩هـ
دار العربية
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الشيخ إبراهيم أنياس السنغالي

حياته وآراؤه وتعاليمه

كاشف الإلباس وتحقيق السر الأكبر
دراسة وتعليق

تأليف
محمد الطاهر ميغري

رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير
قسم الدراسات الإسلامية

جامعة بايرو بكنو - نيجيريا
١٩٧٩م - ١٣٩٩هـ

دار العربية
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله وبعد :

فقد كان عمري اثنتي عشرة سنة عندما سمعت لأول مرة بالطريقة التجانية وكان ذلك عام ١٩٤٠ عندما انتسبت إلى معهد العلوم الشرعية بدمشق والذي أسسته الجمعية الغراء بدمشق لمؤسسها الشيخ علي الدقر رحمه الله ويديره الشيخ أحمد الدقرعليه رحمه الله وكانت الدراسة في تكية السلطان سليمان يتوزع الطلاب بعدها للمبيت في البناء الملحق بجامع تنكز بشارع النصر والبناء الملحق بجامع العداس في حي القنوات ومدرسة السميساتية الملاصقة للجامع الأموي أما أنا فكنت أبيت في جامع تنكز ، وكان على الطلاب جميعاً واجب حضور الوظيفة التجانية بعد صلاة فجر كل يوم – والوظيفة هي قراءة الورد التجاني وكان يقود هذه الوظيفة ويرتلها أمامنا بصوت عال ونتبعه بنفس الصوت ونفس الأداء ناظر الطلاب الشيخ محمد الحريري رحمه الله حيث نجلس في غرفته لأداء هذه الوظيفة عدداً من المرات يعدها بواسطة سحبته ثم تختم الوظيفة بدعاء موتر من قبل الناظر ونؤمن عليه وكنا مضطرين لحضور الوظيفة خشية العقوبة التي نتعرض لها إذا لم نحضر بدون عذر ، والعقوبة كانت الحرمان من طعام الغذاء – حيث

كان الطلاب يتناولون طعامهم في المدرسة وعلى حساب الجمعية المشرفة فيرفع الناظر لائحة بأسماء الطلاب المتخلفين عن حضور الوظيفة بدون عذر مشروع إلى مدير المطعم فيمنعون من دخوله وهي عقوبة قاسية وشديدة بالنسبة إلينا ، ثم استبدل الطعام بتعويض شهري فكانت العقوبة حسم مبلغ من هذا التعويض يتفق وعدد المرات التي تغيب عنها الطالب وكانت هناك تسعيرة محددة لهذه المخالفة وغيرها من المخالفات

وبعد مدة بدأنا نسمع عن نقد شديد لهذه الطريقة من قبل تيار كثير من العلماء بدمشق واتسع نطاق هذا النقد بحيث انقسم علماء دمشق ومشايخها وجمعياتها الدينية إلى فريقين ، فريق يحمل لواء هذه الطريقة ويتمثل بالجمعية الغراء ومن يدور في فلكها وكانت تشكل قوة كبرى ولها تأثير كبير في سوريا والأردن ولبنان بسبب الأعداد الكثيرة من الطلاب الذين تخرّجوا من المعهد وانتشروا مبشرين ودعاة في هذه البلاد وكان لسان الجمعية وخطيبها والمدافع المنافح عنها الشيخ أحمد الصابوني رحمه الله وكان خطيباً جماهيرياً مؤثراً وكان يقف في الطرف المناهض جمعية العلماء بدمشق ممثلة بالشيخ كامل القصاب والشيخ هاشم الخطيب والكلية الشرعية وكنا نسمع ونحس بهذه المعركة ونسمع رأي الطرفين وكانت عواطفنا ومشاعرنا مع مشايخنا وأساتذتنا وكنا نقدر رأي الفريق الناقد وخاصة بالنسبة لتفسير كلمة « الأسقم » الواردة في الورد – صراطك التام الأسقم – فقد كان المؤيدون يفسرونها على أنها الأقوم بينما الفريق الناقد يفسرها الأمرض وذلك حسب مقتضى اللغة العربية فمعنى سقيم هو مريض ولذلك فإن حضورنا كان خشية العقوبة لا قناعة بهذه الوظيفة ولذلك فبمجرد انتهاء دراستي لم أذكر أنني رددتها أو قرأتها مرة واحدة .

ومضت الأيام من عام ١٩٤٩ عام انتهاء دراستي في معهد العلوم الشرعية حتى عام ٧١ حيث التقيت الشيخ ابراهيم انياس في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة وكان عضواً في المجلس التأسيسي للرابطة وكان رجلاً مهيباً ورأيت البعض يغمز من قناته فاستجليت الأمر فعرفت أنه شيخ الطريقة التجانية في أفريقيا ومعروف أن العلماء السعوديين يستنكرون الطرق الصوفية ويحاربونها لأسباب عقائدية إسلامية وجيهة ثم عرفته عندما جاء بيروت واتصل بي هاتفياً من فندق كونتننتال واعلمني أنه يحمل

لي رسالة من الدكتور محمد ناصر رئيس وزراء أندونيسيا السابق ورئيس حزب نشومي الإسلامي في أندونيسيا وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي فأسرعت إليه في الفندق وأخذت الرسالة التي كانت تطلب مني مساعدة الشيخ ابراهيم انياس ولما استطلعت نوع المساعدة التي يرغبها أعلمني أنه يريد جمع تبرعات مالية وغذائية وكسائية للفقراء في السنكال فقلت له إنني أستطيع أن أدلك على الطريق أما أن أباشر أنا هذا العمل فهذا أمر متعذر بالنسبة لي لأنني لست لبنانياً ولأن لي وضعاً دقيقاً في لبنان وهكذا اعتذرت له ولم أعد لرؤيته ثانية وسافر ومن بعدها عرفت أنه فصل من عضوية المجلس التأسيسي للرابطة بعدما اطلعت الرابطة على أقواله واشعاره وعرفت انحرافه ثم بعد ذلك علمت بوفاته .

في عام ١٩٨٠ زرت فضيلة الشيخ أبو بكر محمود جومي قاضي قضاة شمال نيجيريا وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي والذي وضع لي ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة هوسا زرته في بيته في كادونا وعند التقيت بالشيخ طاهر ميجرتي الذي أعلمني أنه وضع رسالة عن حياة الشيخ ابراهيم إنياس استقى معلوماته من أقرب الناس إلى الشيخ ابراهيم ومن مؤلفاته وأقواله وعرضها عرضاً أميناً وناقشها مناقشة موضوعية فطلب مني الشيخ أبو بكر طباعتها خاصة وأنها حازت موافقة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وانها تساهم مساهمة مادية بطباعتها فوافقت على طباعتها وطلبت من المؤلف أن يسلمني المسودة ورأيت أن نصورها فنأخذ نسخة وتبقى عند المؤلف نسخة ليقوم بتصحيح البروفات بموجبها ولدى عودتي إلى بيروت عرفت بتعذر دخولي إلى بيروت لأسباب أمنية وسياسية وكان المفروض أن نبدأ بالطباعة فور وصولي إلى بيروت ولكن هذا المانع أخر الطباعة فترة من الزمن فبدأت بقراءة الأصل فأصلحت بعض الألفاظ وتشكيل بعض الكلمات وتوضيح بعض الجمل وخرجت من قراءة هذا المصنف بحزن وألم شديدين لاضاعة هذا الرجل ذي الامكانات الضخمة حياته وراء دعايات زائفة وسمعة زائلة وأوهام باطلة وكان بمقدوره أن يقدم أعمالاً جبارة للسنكال وللقارة الافريقية التي كان يجوب أقطارها المترامية الأطراف ليدعو إلى مجد شخصي زائل وكان يستقبل استقبال الفاتحين من قبل الملايين الذين كانوا من أتباعه وعلى

طريقته والذين كان يمكن أن ينهض بهم علمياً وثقافياً واجتماعياً وصحياً فيؤسس المعاهد العلمية التي تنير الشعوب ويقيم الجامعات التي تنهض بالشعوب ويدل على طريق العقيدة السليمة التي قام عليها الـدين الاسلامي الحنيف بمحاربة البدع والخرافات والأوهام وعبادة الانسان ولأوثان والقبور ويقود هذه الأمم المسلمة ضد الاستعمار لتحريرها من ربقته السياسية والاقتصادية والتبشيرية ولكان له دور يذكره الله ويقدره المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها .

نسأل الله ان يهيىء لهذه الأمة من ينهض لها بأمر دينها ويقودها إلى الخير والفلاح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

محمد سعيد العبار

القاهرة ١٥ شعبان ١٤٠١

١٧ حزيران (يونيه) ١٩٨١

مقدمة الشيخ أبو بكر محمود جومي

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذي يهدي من يشاء من عباده بفضله ويُضل من يشاء فيخذله بعدله والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين وسيد ولد آدم على الاطلاق المنزل عليه في خير كتاب الله العزيز قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً . وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ الذين هم خير قرون هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعرف وتنهى عن المنكر ويؤمنون بالله . وعلى من سلك سبيلهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين .

وبعد فقد اطلعت على رسالة سعادة الدكتور الطاهر ميجري عن حياة صاحب الفيضة ومجدد الطريقة التجانية في عصره الشيخ ابراهيم الكولخي السنغالي فرأيتها كتاباً قيماً جداً فقد أحسن المؤلف ترتيبه وأجاد في تعقيباته للمسائل وبه العقول للمواضع الحساسة التي ينبغي بل يجب أن يتنبه الناس إليها . فرأيت أنه ينبغي أن يطبع الكتاب وينشر في العالم الإسلامي عامة وفي غرب إفريقية السوداء خاصة ليكون حجة بالغة فعسى الله أن يهدي به من أراد به الخير فيرجع به إلى سبيل الرشاد ويزداد الذين آمنوا إيماناً . وان يجزي المؤلف كل الخير في بحثه هذا فإنه يستحق الشكر من كل مسلم غيور على دينه .

ومما يستحق الذكر أن سعادة الدكتور عبد الله عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وهو من أهل الخير والصلاح وحب العمل في سبيل الله فلما

رأى الكتاب أيام زيارته لنيجيريا سنة ١٤٠٠ هـ أعجب به وشجع في طبعه ووعد وأنجز وعده في إعطاء مساعدة مالية تساهم في نشر الكتاب فالله يجزيه كل خير ويجعلنا وإياه من الذين لا ينقطع أجور أعمالهم إلى يوم يبعثون وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أبو بكر محمود جومي

١٨ ذو القعدة ١٤٠٠ هـ

٢٧ سبتمبر ١٩٨٠ م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد .

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلامضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فإنه لايضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً .

وبعد فقد شهدت أفريقيا الغربية عموماً ونيجيريا خصوصاً — في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين أو التاسع عشر والعشرين الميلاديين — أمواجاً متلاطمة من حركات أصحاب الطرق الصوفية : هذه الحركات التي بلغ تيارها أوج تفاقمه على على يد الشيخ ابراهيم إنياس التجاني السنغالي الذي ظهر كقطب للطريقة التجانية وصاحب فيضتها سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م في مدينة كولخ بجمهورية السنغال ثم بزغ من هنالك بزوغ القمر حتى عم جميع أقطار هذا الصقع الهادىء من إفريقيا الواقع جنوب الصحراء الكبرى ، واتخذ مدينة كنو في نيجيريا قاعدة لنشر دعوته بعد مدينة كولخ .

وهذا الكتاب الذي أقدمه للقراء عبارة عن بحث مستفيض عن معالم حياته وآرائه وتعاليمه . وكان في الأصل رسالة للماجستير قدمتها في يوليه سنة ١٩٧٩ م في (قسم الدراسات الإسلامية جامعة بايرو بكنو نيجيريا) وقد سجلت لهذا العمل في سنة١٩٧٣ م ولكن أهملته اهمالاً لايكاد يكون كلياً لأسباب تتعلق بطبيعة البحث نفسه بالإضافة إلى عدم توفر أمور تعد ضرورية للمضي فيه ، حتى الفت في غضون ذلك كتاباً مستقلابعنوان (إعادة النظر في نظرية المهدي المنتظر) أرجو أن يتهيأ هو الآخر للطبع والنشر عن قريب إن شاء الله تعالى ، وثم أقم بالعمل في الواقع إلا في نهاية سنة ١٩٧٦ م عندما بدأت هذه الجامعة تستقل عن جامعة أحمد بللو في زاريا حينما قامت إدارتها الجديدة برد الأمور إلى نصابها ، وإعادة تنظيمها والهيمنة عليها .

لقد بذلت كما أرجو مجهوداً لا يستهان به وتحملت مشقات عديدة ، وتكاليف باهظة ، في تحقيق نجاح هذا العمل رجاء أن يكون مرجعاً صحيحاً ومعتمداً وثيقاً في هذا الباب يسد فراغاً واسعاً في مكتبة جامعتنا هذه ، ومكتبات جامعات نيجيريا ، والجامعات العالمية الأخرى ، كما أرجو الله تبارك وتعالى أن ينفع به طلاب العلم والباحثين على العموم وجميع المسلمين أينما كانوا في العالم على الخصوص إنه ولي ذلك والقادر عليه .

ولما تكاملت أجزاؤه وتمت أبوابه وفصوله وأخذ شكله النهائي سميته (الشيخ ابراهيم انياس والطريقة التجانية في القرن العشرين) .

وبعد كل هذا فأنا مدين بالشكر أولاً وقبل كل شيء لحضرة استاذي الدكتور أحمد عبد الحميد غراب ، الذي أشرف على البحث من أوله إلى آخره ، ولولا توجيهاته النافعة ، وإرشاداته القيمة ، ونصائحه الغالية ، واهتمامه الشديد بنجاحه ، لما خرج في هذا الشكل الوسيم الجميل ولأستاذي أيضاً الأستاذ الدكتور محمد زكي بدوي ، رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية عبدالله بايرو جامعة أحمد بللو سابقاً، الذي اقترح موضوع البحث ثم ساعدني على جمع المواد اللازمة للبحث ، وكذلك للدكتور محمد الثاني زهر الدين رئيس قسم الدراسات الإسلامية جامعة بايرو بكنو حالياً ، على تشجيعه ومساعداته وتعاونه مع الأستاذ المشرف على البحث .

وأسدي كذلك جزيل الشكر للاستاذ الدكتور محمد الحاج رئيس قسم التاريخ

جامعة بايرو سابقاً ، على إرشاداته ونصائحه وتزويده إياي بالمراجع ، ولفت نظري إلى حقائق تاريخية حساسة قيمة تمس صميم البحث ، وللزميل الدكتور عمر جاه على ما زودني به من المراجع والمعلومات القيمة وتفرغه لقراءة بعض فصول البحث وإبدائه النصائح الحسنة على ما بيننا من خلاف في الرأي أحياناً ، وكذلك للزميل السيد عمر الفاروق الملمفاشي على تعاونه المستمر ، وكذلك للزميل الحاج عبد العالي عبد الحميد ، على حسن تعاونه ومساعداته بالمراجع وغيرها .

وأبذل كذلك جزيل الشكر لمجلس البحوث والشهادات العالية جامعة أحمد بللو بزاريا نيجيريا ، وللجنة البحوث والشهادات العالية جامعة بايرو بكنو نيجيريا ، وكذلك لوزارة المعارف بولاية باوش ولا سيما وزير المعارف هنالك أستاذي الدكتور علي أبو بكر جزاه الله عني خيراً .

وبعد فكم أنا مدين بالشكر لحضرة خليفة الشيخ إبراهيم انياس السيد الحاج علي سِيس ، ولحضرة كبير أبناء الشيخ ابراهيم أيضاً السيد الحاج عبدالله إنياس ، ولحضرة أخيه السيد الحاج أحمد التجاني إنياس ، الذي أنزلني في بيته وحفني بكرمه وعنايته ومكنني من الوصول إلى مراجع ووثائق ضرورية لهذا البحث ، أشكرهم جميعاً على حسن تعاونهم وحفاوتهم بي عندما كنت في كنفهم بحضرة كولخ ، وكذلك السيد إبراهيم جوب والسيد الشريف محمد بن دهاه العلوي على ما زوداني به من المعلومات النافعة بالنسبة لمهمتي .

وأنا كذلك مدين بالشكر للمورتانيين الكرام الشيخ الكبير والعارف العظيم الشيخ من آب (الشيخان) بحاضرة (برين) على حفاوته بي وإسعافه لجميع مطالبي بصدر رحيب مع ولديه النجيبين السيد محمد الحافظ والسيد عبد الرحمن ، على تعاونهم التام في تحقيق نجاح مهمتي . وفي حاضرة (تنبيعل) أنا مدين أيضاً لمرشد مقدمي نيجيريا الشيخ محمد الهادي على ما حفني به من كرمه وعنايته وما زودني به من المعلومات والوثائق اللازمة لهذا البحث ، ولولده أيضاً السيد أحمد الكبير وأخيه السيد محمد سعيد ، وأنا أيضاً مدين بالشكر في حاضرة (معط مولانا) للسيد الحاج عبدالله ابن الشيخ محمد المشري العلوي وأخيه الشيخ ابن الشيخ محمد المشري وجميع من بحضرته

من الإخوان الذين ساعدوني في مهمتي ، وأنا مدين في مدينة نواكشوط العاصمة للسيد محمد ويحيى ابن خير مدير الشؤون الإسلامية للجمهورية الإسلامية الموريتانية الذي نزلت عنده في رحب وسعة ، والسيد محمد الهيبة ابن الطفيل المراقب العام لمدرسة تكوين المعلمين بنواكشوط الذي بذل مجهوداً مشكوراً في تزويدي بالمعلومات الحساسة اللازمة لهذا البحث ، وكثيرين غيرهما من السادات الموريتانيين الذين ساعدوني باخلاص في نجاح سفري جزاهم الله جميعاً خير الجزاء .

وفي الختام أقدم خالص شكري لفضيلة الشيخ المرشد الامام السلفي الحاج أبي بكر محمود جومي الذي زودني بالمراجع والمعلومات التي تمس صميم البحث ، ثم قرأ الرسالة كلها من أولها إلى آخرها وأبدى فيها إقتراحات قيمة ، بل اعتبر قراءته للرسالة من قبيل ما يسمى بحسن الحظ وأمارات القبول عند الله لأنه حبذ العمل أيما تحبيذ وطلب مني الإذن في طبعها فوافقته على ذلك شاكراً وقمت في الحال بتحريره للطبع جزاه الله خيراً .

وأخيراً وليس آخراً أسدي جزيل الشكر لفضيلة أستاذي الحاج محمد الناصر مصطفى رئيس التسجيل في محكمة الاستئناف العليا للشريعة الإسلامية بولاية كنو نيجيريا على تفرغه لقراءة الكتاب وتصحيح بعض الأخطاء النسخية .

محمد الطاهري ميغري الغلاتي البرناوي .

الباب الأول

في الطريقة التجانية
وحياة مؤسسها الشيخ أحمد التجاني

لم يكن لسيرة الشيخ أحمد التجاني مصدر سوى ما دبجه يراع أتباعه ، وأكثر المعلومات من إملائه هو ، حيث إن أخص أصحابه الذين كتبوا عنه مثل السيد علي حرازم بن البراده والسيد محمد بن المشري والسيد محمد الطيب السفياني لم يكونوا ملمين بشيء عن نسبه وأسرته ، ولا بشيء عن نشأته وتطوره في حياته الأولى ، وإنما اتصلوا به وهو مكتمل الرجولة ، وبعيد عن مسقط رأسه إذ أنه قد جاوز الأربعين من عمره حينئذ ، ومن أجل ذلك كان من الصعوبة بمكان أن يصل الباحث إلى الرأي الجازم في هذا المجال ،ولا سيما أن مؤرخين مغربيين عاشا مع الشيخ التجاني في عصر واحد ، وأمكنهما ذلك أن يلما بشيء من تصرفـاته في النصف الثاني من حياته ، وهما محمد بن عبد السلام الناصري ومحمد بن القاسم الزياني فقد أدليا بشيء من المعلومات عنه تناقض بعض ما قرره عنه أصحابه أو صرحا بشيء فيه فسكت عنه أصحابه .

ومهما يكن من شيء فإن الشيخ أحمد التجاني ولد بقرية عين ماضي سنة ١١٥٠ هـ – ١٧٣٧ م من أب عربي وأم تنسب إلى قبيلة بربرية تسمى تجانة تسكن بقرب تلمسان في الجمهورية الجزائرية ، وكان سالم الجد الرابع للشيخ التجاني هو أول من سكن قرية عين ماضي من أجداده ، ثم بعد أن أسس طريقته ادعى أنه شريف يتصل

نسبه بالحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من طريق إدريس بن إدريس مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى ، فمن أجل ذلك أثار الباحثون شكوكاً حول صحة انتسابه لهذا البيت العلوي (١).

توفي أبوا الشيخ التجاني سنة ١١٦٦ هـ - ١٧٥٣ م وهو ابن ست عشرة من عمره ، ولكنة قد تزوج قبل ذلك ثم طلق الزوجة عندما عزم على البحث عن علوم الصوفية والاتصال بمشايخها للفوز بتوجيهاتهم في مجاهداته النفسية ورياضاته القلبية ، ثم اشترى أخيراً جاريتين واعتقهما وتزوج منهما وسمى الواحدة مبروكة ودعا الأخرى مباركة فأنجبت له المبروكة ابنه الذي سماه محمد الكبير وقد قتل سنة ١٨٢٧ م ١٢٤٣ هـ في حرب ثورة أثارها هو ضد الحكومة التركية في الجزائر ، وأنجبت له المباركة ابنه الآخر الذي سماه محمد الحبيب وكان يعرف أيضاً بالصغير ، وهو الذي كان خليفته في رئاسة الطريقة التجانية من سنة ١٨٤٤-١٨٥٣م و ١٢٦٠ - ١٢٧٠هـ(١)

وأما تعلمه ومدى سعة الأشواط التي قطعها فيه ، وما كان يتمتع به جراء ذلك من عمق الغور وبعد الأفق في العلوم التي حصلها في ميدان تعلمه ، فليس من الميسور الوقوف على الرأي القاطع في ذلك كله لأجل ما قدمنا آنفاً من أن تاريخ نشأته وحياته الأولى يكاد يكون غامضاً ولا يعرف منه إلا بعض ما أخبر به عن نفسه ، وزاد الطين بلة أن أسرته ليست مشهورة شهرة تجعلها محل عناية المؤرخين والباحثين .

وعلى أي حال فإن السيد علي حرازم أخبرنا بأن الشيخ التجاني قد حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة جداً وهو ابن سبع سنوات ، عن مؤدب يسمى أبا عبدالله محمد حمو ، ثم اشتغل بعد ذلك بتعليم العلوم الأصولية والفروعية والأدبية حتى رأس فيها على حد قول السيد علي حرازم ، ومن جملة الكتب التي درسها مختصر الشيخ خليل والرسالة ومقدمة ابن رشد ، والأخضري ، ثم بعد ذلك مال إلى التصوف للتعمق في

---

١ - الدكتور جميل أبو النصر :

The Tijjaniya Asufi Order In The Modern Age pp 16 .

نشر في جامعة أوكسفورد سنة ١٩٦٥ م

١ - الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ١٧.

المباحث الإلهية ، والوقوف على الأسرار الربانية ، ثم اشتغل بالعبادة والزهادة (٢) .

لقد استغرق الشيخ التجاني في بداية أمره وقتاً لا يستهان به في الترحال والإنتقال من زاوية إلى أخرى في الديار المغربية والجزائرية للقاء المشايخ الصوفية ، وأول من لقيه منهم هو الشيخ الطيب بن محمد بن عبدالله بن ابراهيم اليملحي العلمي بوزان ، ثم اتصل بالشيخ محمد بن الحسن الوانجلي ، وزار أيضاً الشيخ عبدالله بن السيد العربي ابن أحمد الأندلسي بمدينة فاس (١).

وقد انضم الشيخ التجاني إلى ثلاث طرق في مقامه بالمغرب ، وهي الطريقة القادرية ، والناصرية ، وطريقة الشيخ أبي العباس أحمد الحبيب بن محمد الملقب بالغماري ، وتخلى عنها كلها ، ثم أخذ أيضاً بعض الأذكار عن الشيخ أبي العباس أحمد الطواش التازي ، وتخلى عن ذلك أيضاً (٢) ثم انتقل من المغرب متوجهاً صوب الصحراء بقصد زاوية الشيخ عبد القادر بن محمد الأبيض ، فأقام بها مدة ثم انتقل منها إلى تلمسان ، ثم انتقل من تلمسان قاصداً الحج لبيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام ، وزار في طريقه إلى الحرمين بلدة إزواوي مسكن الشيخ أبي عبدالله محمد بن عبد الرحمن الأزهري ، بالقرب من مدينة الجزائر ، وأخذ عنه الطريقة الخلوتية ، ومر كذلك في طريقه بمدينة تونس سنة ١١٨٦ هـ ١٧٧٢ م،واتصل فيها ببعض المشايخ ، مثل الشيخ عبد الصمد الرحوي ، فأقام بها سنة كاملة يتردد بين مدينة تونس وسوسة ، وزاول مهنة التدريس هنالك ، حيث درس كتاب الحكم العطائية وغيره ، حتى أعجب به الأمير فمنحه داراً وفرض له راتباً . كل ذلك حسب تقرير السيد علي حرازم ، ولما فهم الشيخ التجاني أن الأمير يريد إقامته هنالك بصفة دائمة ، ارتحل تواً إلى مصر القاهرة من دون إعلام ولا وداع ، حيث اتصل بشيخه محمود الكردي ، ثم واصل سفره حتى دخل مكة المكرمة سنة ١١٨٧ هـ ١٧٧٢ م، واتصل في مكة بالشيخ أحمد بن عبد الله الهندي بواسطة تلميذه ، فأرسل

---

٢ - السيد علي حرازم بن البرادة : جواهر المعاني وبلوغ الأماني ١ - ٣٧ .

١ - السيد علي حرازم : نفس المصدر ٤٤ .

إليه ذلك الشيخ يبشره بأنه هو الذي يرث علومه وأسراره ، ولما قضى نسكه بمكة ارتحل إلى المدينة المنورة حيث اتصل بالشيخ محمد بن عبد الكريم السمان ، الذي زوده بأسرار تخص الاسماء (١) ثم رجع من القطر الحجازي إلى مصر حيث قدمه شيخه محمود الكردي السابق ذكره في الطريقة الخلوتية والتربية بها فقبل الشيخ التجاني ذلك بعد لأي على حد قول السيد علي حرازم (٢) ثم قفل من مصر متوجهاً نحو البلاد المغربية ، سالكاً طريقه من تونس حتى ألقى عصا تسياره أخيراً بتلمسان، فاشتغل فيها حسب قول السيد علي حرازم بالاجتهاد في العبادة والدلالة على الله ، ثم رحل إلى مدينة فاس لزيارة قبر مولى إدريس جد الشرفاء العلويين المغاربة سنة ١١٩١ هـ ١٧٧٧ م،وفي هذه الرحلة المغربية التقى مع تلميذه المخلص السيد علي حرازم بمدينة وجدة ، وهو أيضاً في طريقه إلى فاس فتعرف الشيخ التجاني له ثم سافرا معاً إلى فاس فلقنه الطريقة الخلوتية هنالك فتركه الشيخ التجاني بها ورجع إلى تلمسان (٣).

ههنا اختلف السيد علي حرازم مع بعض المؤرخين المغاربة الذين كتبوا عن تحركات الشيخ التجاني أيامئذ . ذهب المؤرخ محمد بن القاسم الزياني إلى أن الشيخ التجاني قد اشتغل عندما كان في تلمسان بصناعة الإكسير – الكيمياء – وتزييف النقود فألقي القبض عليه فحوكم حيث ضربه وسجنه محمد بن عثمان الحاكم التركي في الجزائر الذي حكم من سنة ١٧٦٦ – ١٧٩١ م ١٢٨٠ – ١٣٠٦ هـ ثم طرده من تلمسان ومنعه من الإقامة في جميع الأراضي التي كانت تحت سيطرته ، ومن أجل ذلك انتقل إلى شلالة ثم استقر أخيراً بقرية أبي سمغون في قلب الصحراء ، حيث لا تمتد اليه يد الحكومة (٤).

أما معرفة الشيخ التجاني بالكيمياء وصناعته فلا ينبغي أن يكون محل جدل ومراء لأن إنكار ذلك يكاد يعتبر مكابرة على الحق الثابت لفشو ذلك وذيوعه على ألسنة

١ – السيد علي حرازم : نفس المصدر ٤٩ . ٢ – السيد علي حرازم : نفس المصدر ٥٠ .
٣ – السيد علي حرازم : نفس المصدر ٥٠ . ٤ – الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٩ .

معاصريه ، تلاميذه وغيرهم ، قال : القاضي سكيرج العياشي يدفع عن الشيخ التجاني تهمة تعاطيه لهذه الصناعة : « ان من نسب تعاطي هذا الفن للشيخ التجاني على قسمين :

١ ـ إما مريد جاهل نسب ذلك له على وجه الكرامة وأنه كان يعرف هذا الفن ويتعاطاه ، فأما تعاطيه هو فمن المتقول عليه ، وأما معرفته فهو من العلوم التي يعرفها أربابها ، ولا يبعد معرفة الشيخ لها ؛ ونحن نتحقق بمعرفته لذلك على الوجه الأكمل ، مع حصول الكرامة له بما هو أعلى من هذا الأمر الذي تتطرق اليه الألسنة فيه .

٢ ـ وإما أن يكون الذي نسب ذلك للشيخ التجاني ممن يشيع عليه ما ولع المنتقدون بانتقاده ، ومقصوده بذلك إكثار الانكار عليه بذلك ، مع أن الشيخ منزه الساحة عن تعاطي هذا العلم المعبر عنه في لسان العامة بعلم النار » (١).

وإذا بحثنا في كلام القاضي سكيرج هذا تستنبط منه النقاط التالية :

١ ـ ينسب إلى الشيخ التجاني معرفة الكيمياء وتعاطيه أتباعه وغيرهم .

٢ ـ ان أتباعه في نسبة علم الكيمياء اليه انقسموا إلى قسمين :

أ ـ قسم جاهل في نسبته اليه لظنه أن ذلك مدحاً وكرامة له ولذلك ينسب اليه علمه وتعاطيه معاً .

ب ـ قسم عالم ينسب اليه علمه وينزه ساحته من تعاطيه لأنه ذم ولا يليق بجنابه .

٣ ـ إن الشيخ التجاني من أرباب فن الكيمياء ولذلك لا يبعد معرفته لها بدليل قول الشيخ سكيرج : « وأما معرفته فهو من العلوم التي يعرفها أربابها ولا يبعد معرفة الشيخ لها ». ومعنى ذلك أنه من أربابه ، إذ لو كان سكيرج يعتقد أن الشيخ التجاني ليس من أرباب الكيمياء لكانت الجملة التي تلي جملة (فهو من العلوم التي يعرفها أربابها) (ولذلك نبعد معرفة الشيخ لها) بدلا من قوله (ولا نبعد معرفة الشيخ لها)

---

١ ـ القاضي سكيرج العياشي : جناية المنتسب العاني ٤٤ .

ولا سيما أن الشيخ سكيرج قد أكد كلامه بقوله : « ونحن نتحقق معرفته بذلك على الوجه الأكمل ، مع حصول الكرامة له بما هو أعلى من هذا الأمر ». أي إنه يعرف الكيمياء معرفة دقيقة وزيادة على ذلك إنه يعرف من طريق الكرامة أكثر منها .

٤ – إن انتقاد الشيخ التجاني بتعاطي صناعة الكيمياء أمر شائع قد ولع به منتقدوه، ولذلك إذا نسبه غير التجاني اليه فإنما فعل ذلك ليزيد من تأجج نار الإنكار عليه فقط .

وأما الباحث المتجرد فيعتبر هذه الأمور كلها من جملة الشواهد الدالة على ترجيح ما قرره الزياني عما حدث للشيخ التجاني على يد الباي التركي في الجزائر محمد بن عثمان من جراء تعاطيه لهذه الصناعة الكيميائية للاسباب الآتية .

أولا– إن دقة معرفة الشيخ التجاني لعلم الكيمياء لم يكن قط موضع شك إذ أطبق عليه أتباعه وغيرهم وأنه لمن الصعوبة بمكان أن يكون الشخص عارفاً بصناعة معرفة دقيقة أو على الوجه الأكمل كما قرر الشيخ سكيرج ولا يتعاطاه أو لم يتعاطه من قبل لأن المعرفة الدقيقة والخبرة الواسعة في أي صناعة لا تحصل إلا بالتجربة العملية المتكررة.

ثانياً – إن المؤرخ المغربي محمد بن القاسم الزياني الذي كتب قصة قبض الشيخ التجاني في تلمسان ومحاكمته على أنه يتعاطى الكيمياء وتزييف النقود وإصدار الحكم عليه بالضرب والسجن ثم بالطرد أخيراً كان معاصراً له وعاشا معاً في قطر واحد ، وفي بلد واحد ومات الشيخ التجاني قبله بقرابة ثماني عشرة سنة ، ويبدو أن الزياني كان مهتماً بهذه القضية إهتماماً كبيراً حيث قررها في كتابين من كتبه وهما كتاب (الترجمان الكبرى) وكتاب (الروضة السليمانية في ملوك الدولة الاسماعيلية ومن تقدمهم من الدول الإسلامية) (١).

وقد أكد قصة طرد محمد بن عثمان الباي التركي في الجزائر للشيخ التجاني من تلمسان إلى قرية أبي سمغون المؤرخ المغربي الشيخ أحمد بن خالد الناصري في كتابه (الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى) حيث قال : « وفي هذه السنة –

---

١ – الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق أنظر التعليق ص ١٩ .

١٢١١ هـ - قدم إلى فاس الشيخ المتصوف أبو العباس التجاني فاستوطنها ، وكان الباي محمد بن عثمان صاحب وهران قد أخرجه من تلمسان إلى قرية أبي سمغون فأقام بها وأقبل أهلها عليه ، ثم لما مات الباي المذكور وولي بعده ابنه عثمان بن محمد سُعي عنده بالشيخ التجاني فبعث إلى أهل أبي سمغون وتهددهم ليخرجوه ، ولما سمع بذلك الشيخ المذكور خرج مع بعض تلاميذه وأولاده وسلك طريق الصحراء، حتى احتل فاس ». (١) ولو لم يكن انتقال الشيخ التجاني من تلمسان لأجل أمر صدر من الحاكم العام للبلاد لرجع إلى مسقط رأسه عين ماضي التي كانت قريبة منها أو إلى مدينة أخرى من مدن الجزائر الآهلة بالسكان ، بدلا من أن يتوغل في أعماق الصحراء إلى قرية صغيرة في واحة ملقاة في قلب الصحراء ، ظاهرة البداوة ، وبعيدة عن التمدن والعمران ، وليس من الميسور للباحث أن يقف على سبب طرد الحاكم الأجنبي لأحد الوطنيين من البلاد ، دون أن يكون مرتكباً لجريمة إزعاج أمن البلاد، أو اقتصادها أو ما يماثل ذلك ، من الجرائم التي تهم الحكام وحدهم ، ولم يرو لنا أن الشيخ التجاني ارتكب جريمة تسيء للحكومة غير صناعة الكيمياء وتزييف النقود لا سيما أنه لم يؤسس طريقته حينئذ .

وإن في كلام السيد علي حرازم أيضاً ما يؤيد الزياني حيث كان الأول يتابع تحركات الشيخ التجاني بالتفصيل والتوضيح وعند ما وصل إلى هذا المحل أبهم الكلام فقال : « وأخبرني - الشيخ التجاني - بأنه ينتقل من تلمسان إلى مكان آخر لأن حاله لم تستقم بها وضاقت نفسه » (٢). كما نلمح صدق ما قرره الزياني أيضاً في الكراهية الشديدة التي يضمرها الشيخ التجاني للحكام الأتراك حتى كان يدعو عليهم بسقوط دولتهم من الجزائر في ايدي الكفار وقد جاء في كتاب (البغية المستفيد) : « وذكر أي الشيخ التجاني حكامها - الجزائر - يوماً وقال فيهم إنهم كفار لنبذهم الأحكام الشرعية وتقديمهم القوانين الإفرنجية عليها ، واكتفائهم بذلك ، ثم دعا عليهم بأن يسد الله أبواب الرحمة في وجوههم ، كما سدت في وجوه أهل البلاد الفلانية وذكر بلاداً استولى عليها أعداء الدين والعياذ بالله تعالى ». ثم فطن السيد

---

١ - الشيخ محمد بن خالد الناصري : الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى جـ ٨ - ١٠٥ .

٢ - ١ - السيد علي حوازم : المصدر السابق ٥٠ .

العربي بأن اللوم سوف يكون عالقاً بشيخه حيث دعا على المسلمين بانسداد أبواب الرحمة في وجوههم ، واستيلاء الكفار أعداء الله والإسلام والمسلمين على بلادهم ، فاحترس من ذلك بقوله : « ودعاؤه عليهم بهذا في بساط الشريعة ، وجهة الغيرة الإيمانية ، وفي بساط الحقيقة مجاراة ما كوشف به في سره من نفوذ الأقدار الربانية ». ثم أدرك تهافته في ذلك أيضاً فقال : « ولا يقال على مثل هذا مما يصدر من أمثال هذا الشيخ الكبير لو دعا لهم بالهداية مثلا لكان أولى لأنهم غرقى في بحار المشاهدة وجميع حركاتهم وسكناتهم في جميع أفعالهم وأقوالهم جارية على حكم ما يتجلى الحق به على قلوبهم ، وأيضاً قد روي في بعض الأخبار إذا أراد الله بقوم سوءاً يوحي إلى قلوب أوليائه لا تسألوني في أمر القوم فإني عليهم غضبان فيجيبونه بطلب النجاة لأنفسهم اللهم سلم سلم » (١).

---

١ - ولا شك أن كلام السيد العربي هذا مبني على قواعد سفسطية وحجج شعرية فمن أجل ذلك نشمر بضرورة شرحه وتوضيحه حتى لا يغتر به الدهماء وان كنا الآن لسنا في مركز الهجوم والانتقاد ولا في موقف الرد والدفاع لأننا قائمون في الحال بالبحث المجرد في هذا الموضوع وعلى أي حال فاننا إذا ألقينا نظرة ولو خاطفة على هذا الكلام أمكننا أن نستنتج النقاط التالية :

أولا - إن الشيخ التجاني قد كفر حكام الجزائر في مجلسه بحجة أنهم بدلوا أحكام الشريعة الاسلامية بالقوانين الافرنجية واستغنوا بهذه عن تلك .

ثانياً - إنه دعا الله عليهم بأن يسد أبواب رحمته في وجوههم كما سدها في وجوه إخوانهم المسلمين في البلاد الأخرى حتى استولى الكفار أعداء الدين عليهم .

ثالثاً - إن دعاءه عليهم موافق لحكم شريعة الإسلام .

رابعاً - إنه دعا عليهم لغيرته على الإيمان .

خامساً - إن دعاءه عليهم كان جارياً حسب ما نفذت به المقادير الالهية .

سادساً - إن شيخاً كبيراً مثل الشيخ التجاني إذا دعا على المسلمين بفقدان رحمة الله واستيلاء الكفار أعداء الله والإسلام على بلادهم لا يقال له لماذا لم يدع لهم الله بالهداية والتوفيق ذلك لأن هؤلاء الشيوخ يعملون حسب تجليات الله على قلوبهم .

سابعاً - إن الله إذا غضب على قوم من المسلمين يوحي إلى أمثال الشيخ التجاني بأن لا يسألوه العفو عنهم فعندئذ يطلبون نجاة أنفسهم فقط .

وأما تكفيره حكام الجزائر لتبديلهم الشريعة الإسلامية بالقوانين الافرنجية فموافق لحكم شريعة الإسلام قطعاً إذا كان ذلك صادراً عن رضاهم واختيارهم ولم يكن من أجل إرغام أعدائهم المسيطرين عليهم على فعله.=

. . . .

= وأما دعاؤه عليهم بانسداد أبواب رحمة الله على وجوههم كما انسدت في وجوه غيرهم من المسلمين الذين استولى الكفار أعداء الإسلام عليهم فليس موافقاً لشريعة الإسلام قطعاً . وإذا كان سبب توجيه هذا الدعاء الفظيع عليهم هو رفضهم الحكم بشريعة الإسلام وهم مسلمون يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام ، فالذي يجب عليه في هذا الأمر هو أن يقوم على ساق وقدم ويشمر عن ساعد الجد والاجتهاد في ارشادهم وتوجيه العظاة البليغة التي تزلزل أركان الأهواء والطغيان الراسخة في أعماق نفوسهم وتقلع جذورها من صدورهم ، ثم يؤلف كتاباً يبين فيه الأحكام الشرعية الصحيحة ويطالبهم بتطبيقها في جميع أحكامهم ، إلا أن التاريخ والمشاهدة شاهدان على أنه لم يفعل ذلك ولم يحاوله ، وعلى هذا فهو إذن مشارك لهم في ذلك الإثم ، هو وجميع علماء المسلمين في الجزائر على مقتضى حكم شريعة الإسلام ، فالدعاء إذن منصب عليه أولا وعلى غيره من العلماء الذين سكتوا ووقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذا العمل الفظيع من تبديل شريعة الإسلام بقوانين الأفرنج قبل أن ينصب على جهال الأتراك الحاكمين .

وأما القول بأن دعاءه عليهم جاء حسب حكم شريعة الإسلام ، فليس كذلك للحجج الذي تقدمت آنفاً ولأن شريعة الإسلام لا تسمح حتى لأحد عوام المسلمين بأن يدعو على قطر مسلم بالدخول تحت سيطرة الكفار أعداء الإسلام والمسلمين ، فضلا عن إمام عظيم مثل الشيخ التجاني ولا سيما أن هذا القطر هو وطنه ومسقط رأسه هو وأجداده . .

وأما القول بأنه دعا عليهم للغيرة على الإيمان فليس صحيحاً أيضاً ، بل لا ينبغي أن يصدر من مثل السيد العربي لظهور سقوطه من عين الاعتبار فاذا سلمنا أن الشيخ دعا على هؤلاء الحكام بأن يسد الله أبواب رحمته في وجوههم وأن يسقط ملكهم في أيدي أعداء الإسلام ، لأنه يغار على الإيمان وعلى شريعة الإسلام التي بدلوها بقوانين الافرنج ، فهل معنى هذا أن هؤلاء الكفار إذا استولوا على هذه البلاد سيحكمونها بشريعة الإسلام ؟ أو يحترمون فيها شيئاً من مقدساته ؟ كلا ! بل لو كان الشيخ التجاني يغار حقاً على الاسلام وشريعته ، وهو إمام عظيم من أئمة المسلمين لجمع تلاميذه والمتطوعين المسلمين ، وجاهد هؤلاء الحكام الجائرين وأخرجهم من بلاده ، ورفع راية الإسلام فيها ، وأقام شريعته حتى ينتشر العدل ويعم الأمن والإستقرار جميع البلاد ، كما فعل معاصراه الشيخ عثمان بن فودي في نيجيريا ، والإمام محمد بن علي السنوسي في ليبيا ، وهو يعرف قول الله تعالى : « وان جندنا لهم الغالبون » . الصافات ١٧٣ وقوله : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » الروم ٤٧ وقوله : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » . البقرة ٢٤٩ .

وأما القول بأن دعاءه عليهم جاء حسب ما جرت به المقادار ، فان كان المراد هو أنه يعرف أن المقادر جرت بهلاكهم ولذلك دعا عليهم كما يفهم من كلام السيد العربي فان ذلك ليس بصحيح ، لأن المقادير بيد الله لا يطلع عليها أحد ، بل وحتى إذا سلمنا أنه كوشف له بما تجري به المقادير فدعا عليهم بوفق ذلك فانه لم يفعل شيئاً لأن ما جرت به المقادير واقع لا محالة ، سواء دعا به عليهم أم لم يدع ، ومن ذلك قتل=

. . . .

= هؤلاء الأتراك لابنه محمد الكبير عندما ثار عليهم (أنظر كتاب جميل أبو النصر المذكور في الهوامش ص ١٧(وقد قال السيد العربي إن الشيخ التجاني قد أشار بما يدل على أنه يعرف ما يقع لإبنه هذا (بغية المستفيد ١٨٤)، ولماذا لم يدع الله لينجيه منهم ، أو أوحي اليه بأنه غاضب عليه هو الآخر ، ثم إنه إذا كان احتلال أعداء الله والمسلمين على الجزائر المسلم قد وقع بتأثير دعائه لأن حكامه بدلوا شريعة الإسلام فلماذا احتلوا المغرب أيضاً الدولة التي يحكمها سلطان مسلم بل شريف علوي عادل وهو الذي منحه حق اللجوء السياسي، ثم ظلله بحمايته حتى آخر حياته ، وهل أوحى الله اليه بأنه غاضب عليه وعلى سكان مملكته المسلمين أيضاً ، ولماذا احتل هؤلاء الكفار أيضاً تونس وليبيا ومصر بل وجميع بلاد الإسلام ؟ وهل معنى ذلك أن الله لم يكشف له بأنهم سيحتلون هذه البلاد الإسلامية إلا الجزائر فقط ، أو أوحي اليه بأنه غاضب عليهم جميعاً ، أو كان ذلك كله وقع حسب ما جرت به المقادير الإلهية ؟ .

وأما القول بأن شيخاً عظيماً مثل الشيخ التجاني إذا دعا على المسلمين بانسداد أبواب رحمة الله في وجوههم والخضوع تحت نير حكم أعدائهم فلا يقال له لو دعا لهم بالهداية لكان أولى لهم لأنه كان غارقاً في بحار المشاهدة وأن حركاته وسكناته في أجميع أفعاله وأقواله جارية حسب ما يتجلى الله به على قلبه ، فهو أيضاً كلام لا أساس له من الصحة لأنه لو كانت حركاته وسكناته في جميع أفعاله وأقواله جارية حقيقة حسب مراد الله تعالى لما خالف فعله وقوله فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله في موضوع واحد ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاربته قريش يوم أحد حتى جرحوه بحيث كسرت رباعيته وشج وجهه فصار الدم يسيل على وجهه الشريف ، حتى شق ذلك على أصحابه فقالوا لو دعوت عليهم ، فقال إني لم أبعث لعاناً ولكن بعثت داعياً ورحمة (اللهم اغفر لي لقومي فانهم لا يعلمون) انظر ٢٢٢ أنوار المحمدية (اعتقد أن الكفر بالله ، ومحاربة رسوله ، وإرادة قتله ، ومحو دينه ، وصد دعوته ، شر من تبديل شريعته بغيرها في المحكمة جهلا ، ومع ذلك دعا لهم الرسول بالمغفرة والهداية .

ثم انه إذا جاز للشيخ التجاني أن يعلن للمسلمين جميعاً أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وضح النهار يقظة لا مناماً ، وأخبره بأنه ليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ، ولو عملوا من الذنوب ما عملوا ، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا ، ألا هو أي الشيخ التجاني وحده ، ووراء ذلك مما ذكره له الرسول فيهم ، أي أتباعه وضمنه لهم أمر لا يحل له ذكره ، ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة (جواهر المعاني ج٢ - ١٧٥) هذا كله في أتباعه الخاصة به ألا يستحي أن يراه المسلمون بعد ذلك قام يدعو الله أن يسد أبواب رحمته في وجوه أتباع النبي صلى الله عليه وسلم، ويظهر أعداءهم الكفار عليهم ، لأنهم وقعوا في المعصية التي إذا تابوا وأصلحوا يغفر الله لهم بنص محكم لتنزيله ؟

وأما القول بأن الله يوحي إلى قلوب الأولياء يمنعهم من سؤاله المغفرة والهداية للمسلمين لأنه غاضب عليهم ، فان ما تقدم آنفاً يرده ، ويرده أيضاً قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله=

ثالثاً – إن تاريخ الشيخ التجاني من ولادته ونشأته وتطورات حياته الأولى كله غامض كما سبق لا يعرف منه إلا قدر ما أخبر به هو عن نفسه ، وأما أمر إلقاء القبض على أي شخص ومحاكمته على رؤوس الأشهاد فلا يكون غامضاً فمن السهل تصديق المؤرخ الذي كتب عن ذلك ، إلا إذا خالفه مؤرخ آخر معاصر له ، فعندئذ نوازن بين أدلتها حتى نخرج بحجة نرجح بها أحد الرأيين على الآخر ، فلم يوجد ذلك بل إن المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ المغرب حينئذ يكادون يؤيدون ما ذهب اليه الزياني.

ومهما يكن من رأي فإن الشيخ التجاني قد غادر تلمسان سنة ١١٩٦ هـ متوجهاً نحو الصحراء ، حتى نزل بشلالة ، ثم استقر نهائياً بقرية أبي سمغون ، ثم سافر إلى توات ، حيث اجتمع ببعض المشايخ هنالك وتبادل معهم الأخذ والاستفادة ، ثم رجع مرة ثانية إلى قرية أبي سمغون ، ولم يغادرها حتى أتاه الفتح ، حيث عين له الرسول عليه الصلاة والسلام الورد الذي أذن له في تلقينه للخلق ، وتربيتهم به ، وقد حدث ذلك يقظة لا مناماً ، على حد قول السيد علي حرازم ١١٩٦ هـ وهو الاستغفار والصلاة على رسول الله أولاً ، ولما كملت السنة الهجرية مائتين وألف ١٢٠٠ هـ كمل له النبي صلى الله عليه وسلم الورد بلا إله إلا الله (١) وبقي الشيخ التجاني في قرية أبي سمغون ، فزاره تلاميذه الأقربون إليه هنالك ، مثل السيد علي حرازم والسيد محمد بن المشري ونحوهم سنة ١٢٠٠ هـ ، ثم جعلوا يترددون اليه مرة بعد أخرى ، حتى استقروا عنده نهائياً ، ثم انتقل من أبي سمغون في الجمهورية الجزائرية إلى مدينة فاس في مملكة المغرب الأقصى ، ومعه عشرة من كبار تلاميذه (٢)، فقد سكت السيد علي حرازم الذي شهد الحادثة بعيني رأسه عن سبب انتقال شيخه من أبي سمغون إلى فاس ، وأما السيد العربي ابن السائح الذي جاء بآخرة فقد قال : « ثم لما تشعشع أمر هذه الطريقة المحمدية ، وطار صيتها في البلاد المغربية والمشرقية،

= ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » النساء : ٦٤ هذا كله بالاضافة إلى أن اعتقاد أن الله يوحي إلى أحد غير نبي بأمر يطلب منه أمثاله كفر باجماع المسلمين كما سبق .

١ – السيد علي حوازم : المصدر السابق ٥١ . ٢ – الناصري : المصدر السابق ١٠٥ .

وأمر الشيخ التجاني في غاية الترقي والكمال بدا له ما بدا في الارتحال والإنتقال فانتقل من قصر أبي سمغون متوجهاً إلى حضرة فاس (١) وأما الزياني المؤرخ المغربي السابق ذكره المعاصر للشيخ التجاني فقد قرر أن سبب انتقاله من قرية أبي سمغون إلى فاس هو أنه لما طرده محمد بن عثمان حاكم الجزائر من تلمسان إلى أبي سمغون اجتمع حوله عوام البرابرة والأعراب فجعل عددهم يتزايد ويكثر باطراد ، فأصدراً أمير وهران عثمان بن محمد حاكم الجزائر الذي طرده من تلمسان إلى هنالك أمراً إلى أهل أبي سمغون بطرده من قريتهم وهددهم إن لم يفعلوا ذلك ، فانتقل الشيخ التجاني جراء ذلك متوجهاً نحو المغرب الأقصى مع عشرة من أخص تلاميذه (٢) وأيده على ذلك مؤرخ آخر كما سبق وهو السيد أحمد بن خالد الناصري انظر الفقرة السابقة من هذا الفصل بالذات .

وعلى أي حال فان الشيخ التجاني قد استقر في مدينة فاس حيث رحب به الملك سليمان عاهل المغرب وأعطاه داراً سكن فيها حتى وافته منيته سنة ١٨١٥ م — ١٢٣١ هـ ، وما غادر فاس إلا مرة واحدة في سنة ١٨١٢ م ١٢٢٧ هـ عندما زار مسقط رأسه عين ماضي (٣) .

الواقع أنه لولا حماية الملك للشيخ التجاني لما استقر له القرار بفاس ، لأن الشواهد تدل على أن أهل المدينة من العلماء والدهماء قد أظهروا له عداوة مكشوفة ، فمثلاً عندما استقر به المقام بفاس كان أولاً يصلي في مسجد المولى سليمان ، ثم يرجع إلى بيته لقراءة الوظيفة مع أتباعه ، فأراد أن يبني زاوية خاصة به في مكان يسمى حومة الدردس فقام أهل المدينة في وجهه يحولون دون إقامة البناء ، فلولا تدخل الملك في الأمر لما تم البناء (٤) .

ومما يدل أيضاً على شدة كراهية علماء المدينة الفاسية له ، أن رئيس مجلس العلماء الملكي المغربي الشيخ الطيب بن كيران أحد مشاهير علماء فاس حينئذ هاجم الشيخ

---

١ — السيد العلامي ابن السائح : المصدر السابق ١٣٤ ٢ — الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٩.
٣ — الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ٢٠ .
٤ — الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ٢٠

التجاني الـــذي عينه الملك فور وصوله إلى فـــاس عضواً في هـــذا المجلس - في غضون الجلسة أمام الملك فقال له إن دعواه أنه شيخ صوفي وأنه أخذ طريقته من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة ويقظة كذب وبهتان ، بل قد بلغ عداوة أهل فاس للشيخ التجاني إلى أوج تفاقمها حتى بدأ يفكر في الانتقال من المغرب إلى سوريا (١).

ولكن على رغم عداوة جمهور الفاسيين للشيخ التجاني فقد استطاع أن يعيش فيها في ترف ورفاهية عظيمين ، لأنه وعد دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب لكل من أحسن اليه بخدمة أو غيرها ، ولكل من أطعمه كذلك (٢). فتدفقت اليه الهدايا والتحف جراء ذلك من أتباع طريقته الفاسيين ، فإنهم وإن كانوا قليلين إلا أنهم أغنياء ، وفرض له الملك سليمان راتباً يتقاضاه شهرياً (٣) وبجانب هذا كله تزد عليه الهدايا بكثرة من تلاميذه الذين يسكنون في صحراء الجزائر ، هذا كله ما عدا الأموال الطائلة التي يمتلكها في جنوب الجزائر ، وقيل إنه كان له قطيع من الإبل يرعاها له بعض تلاميذه في قرية أبي سمغون (٤) .

ولكن السيد علي حراز هو خير من ينبغي أن يفصل لنا القول بكل دقة في هذا الموضوع نجده قد سكت سكوتاً يكاد يكون تاماً ، بل إنه قد حاول أن يخفيه إخفاء ، حيث قرر ما يفيد أن الأموال الطائلة التي ينفقها الشيخ التجاني على عياله وأتباعه ، والعطايا الجسيمة التي يجز لها على أصدقائه ، ومن يريد اصطناعهم ، إنما تأتيه من طريق الكرامة وخرق العادة ، حيث إنه لم يكن يدخر شيئاً ولا يأخذ من يد

---

١ - الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ٢٠

٢ - السيد علي حرازم : المصدر السابق ١٢٩ .

قال الشيخ التجاني فلما رأيت ما صدر لي منه من المحبة صلى الله عليه وسلم وصرح لي بها ، تذكرت الأحباب ومن وصلني إحسانهم ومن تعلق بـي بخدمة وأنا أسمع أكثرهم يقولون لي نحاسبك بين الله إن دخلنا النار وأنت ترى فأقول لهم لا أقدر لكم على شيء ، فلما رأيت منه هذه المحبة صلى الله عليه وسلم سألته لكل من أحبني ولم يعادني بعدها ولكل من أحسن لي بشيء من مثقال ذرة فأكثر ولم يعادني بعدها وأوكد ذلك من أطعمني طعامه كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب (جواهر المعاني جـ١ - ص١٣)

٣ - الناصري : الاستقصاء جـ ٨ ص٤ - ١٠٥ ٤ - جميل أبو النصر : المصدر السابق ٢٢

أحد شيئاً (١) .

فالراجح أن الشيخ التجاني كان يعتبر من كبار الأغنياء في ذلك العصر ، لما كان يرد عليه بكثرة من الأموال من كل ناحية ، فكان له رسل لجمع أموال الهدايا من أتباعه المنتشرين على حافة صحراء الجزائر (٢) وهناك أيضاً القائمون على أمواله الخاصة وقد روى السيد العربي في بغية المستفيد : أن الشيخ التجاني قال في معرض كلامه في تحذير المريدين من الخيانة في أمواله حيث مدح تلميذاً له يسمى السيد محمود التونسي : «كل من تصرف لي في شيء من المال ظهرت عليه خيانة أو ريبة إلا السيد محمودا» (٣) .

ولا شك أن هذا يدل بوضوح على أن للشيخ التجاني أموالاً كثيرة وخداماً قائمين عليها ، وأنهم يخونونه فيها خيانة عظيمة، بدرجة أنه لم يستطع السكوت عليها ، مما يدل على ضخامة المال وكثرته ، ويؤيد ذلك ما رواه السيد العربي أيضاً من أن السيد محمودا السابق ذكره الذي كان في مال الشيخ التجاني بالصحراء فكان يأتيه في كل مرة بمال له بال مما يجمعه من أثمان صوف وسمن وأكباش وتمر وغير ذلك» (٤) وقد وصف السيد علي حرازم إنفاق الشيخ التجاني على عياله وضيوفه والضعفاء والمساكين والمنتسبين اليه بشكل لا يطيقه إلا الغني الثري فقال : «وأما شأنه في داره وعياله فإكثار الطعام ، والإطعام والتوسعة والإنعام والإفضال والإكرام ، لا يدع شيئاً إلا متعهم فيه على وجه شرعي من قصد كفايته إياهم وتنعيمهم بأنعم مولاهم لا على الرفاهية والترف» . وقال أيضاً : «وعادته الكريمة إجراء الصدقات على ممر الليالي والأيام ، ففي كل جمعة يفرق القمح على ضعفاء البلد ، كل واحد ما يناسب حاله من الضعفاء والأيتام والأرامل وكل محتاج ، وكذلك في كل يوم عند وقت الضحى يفرق الخبز على الصبيان في باب داره» .

---

١ – السيد علي حرازم : المصدر السابق ٩٥ ٢ – السيد العاربي : المصدر السابق ٩١ .

٣ – السيد العربي : المصدر السابق ٩١ .

٤ – السيد علي حرازم : المصدر السابق ٣ – ٩٤ .

لقد استطاعت الطريقة التجانية أن تتركز في مدينة فاس على رغم قلة أتباعها من سكان المدينة ، كما آن موالاة الملك سليمان للشيخ التجاني قد جذبت أنظار رجال الدولة المغربية العظام وحاشية الملك إلى الطريقة التجانية ، والدخول فيها ، كما تمكن الشيخ التجاني أيضاً في مركزه بفاس أن يرسل دعاة إلى الأقطار المجاورة للدعوة إلى طريقته الجديدة ، فمثلا إنه قد أرسل رجلا يسمى أبا حفص عبد الرحمن للدعاية إلى الطريقة في وهران بالجزائر ، كما أرسل واحداً أيضاً يدعى عبد السلام الودغيري للدعاية لها أيضاً في القسطنطينة جنوب الجزائر ، ومناطق أخرى فيها ، فكان كلما نجح في إدخال بعض العظماء في طريقته جعله مقدماً توا،ويكفيه موئنة دعوة قومه إلى الطريقة ، فبهذه الخطة الحكيمة استطاع أن ينشر طريقته في أقاصي البلاد وأدانيها،حتى انتشرت في الجزائر كما انتشرت في الجريد التونسي بفضل المجهود الذي بذله محمد بن قويدر العبدلاوي ، كما انتشرت أيضاً في مورتانيا على يد الشيخ محمد الحافظ العلوي ، كلاهما التقى بالشيخ التجاني في فاس (١) .

لقد خلف الشيخ التجاني عند موته ولدين هما محمد الكبير ومحمد الحبيب الصغير ما عدا عدداً من البنات ، وقد أوصى قبل موته بأن يتسلم عرش خلافته في رئاسة الطريقة السيد علي التماسيني ، ولكنه أي الشيخ التجاني أراد أن يتفادى ما قد يحدث من التنافس والشقاق بين بيته وبين بيت التماسيني ، فقدم بين يدي ذلك شرطاً وهو أن تكون الخلافة بين أكبر رجل من الأسرتين بالتناوب بعد موت التماسيني ، إلا أن هذا بطبيعة الحال ليس من الشروط التي تلتزم ، فسرعان ما حدث الخلاف بين البيتين مما أدى إلى إنقسام الرئاسة إلى فرعين ، فرع عين ماضي بقيادة أبناء الشيخ التجاني وفرع تماسين بزعامة أولاد السيد علي التماسيني (٢).

لقد استطاع السيد علي التماسيني بعد وفاة الشيخ التجاني أن يقنع ولديه بمغادرة فاس ، والرجوع إلى عين ماضي ثم بعد انتقالها من فاس بستة أشهر رجعا مرة أخرى ، فأخرجا جثة أبيهما لإعادة دفنها بمسقط رأسه ، فحال دون تحقيق ذلك السيد موسى

---

١ – الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ٢٣ ٢ – الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ٢٣.

ابن معاذ مقدم زاوية فاس ، حيث أقنعهما بحجة أن ذلك يفقد المركز الرئيسي للطريقة هيبته ، فأعادا الجثة إلى مكانها ، ولكن رئاسة الطريقة رغم ذلك انتقلت إلى الجزائر حيث لا يدعي مقدم الزاوية الفاسية السيطرة على زوايا الطريقة بأسرها ، كما يدعي ذلك خليفة عين ماضي أو خليفة تماسين ، إلا أن الزاوية الفاسية قد صارت بعد ذلك كعبة لحجيج التجانيين الزائرين لضريح شيخهم الموجود فيها وكفاها بذلك فخراً وشرفاً (١) .

ثم إن انتشار الطريقة التجانية الواسع ، والمنافسة القائمة بين زاوية عين ماضي وبين زاوية تماسين ،وظهور الفروع المهمة للطريقة في الأقطار النائية عن مركز القيادة، خصوصاً في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى تحت زعامة الشيخ عمر طال بن سعيد الغوتي ، والفرع الذي ظهر أخيراً في السنغال برئاسة الحاج السيد مالك سي وأولاده، وكذلك ظهور الفرقة الحملية التجانية في السنغال أيضاً ، كان ذلك كله من جملة العوامل التي ساعدت في لامركزية الطريقة بعد موت مؤسسها ، حيث وزع رؤساء هذه الفروع الرئاسة العامة الموجودة بينهم ، بحيث لا توجد أمور عامة عالية تدار من مركز رئاسة الطريقة بعين ماضي أو بتماسين (٢) .

ومهما يكن من شيء فان الشيخ التجاني مات ولم يخلف رسالة واحدة من تآليفه تتخذ مرجعاً رئيسياً أصلياً لجميع عقائد الطريقة وطقوسها ، إلا أن ثلاثة من أخص أصحابه ألفوا كتباً تتضمن تقريراته وأوامره في المباحث الالهية والأحكام المتعلقة بطريقته ، والأقوال المأثورة عنه ، ومن ثم كانت هذه الكتب الثلاثة مصدراً لجميع عقائد الطريقة التجانية التي استنتجها علماء التجانية وطوروها (٣) .

فأول هذه الكتب هو كتاب (جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني) ألفه السيد علي حرازم بن براده وهو من أصل فاسي التقي مع الشيخ التجاني كما قدمنا في بلدة وجدة في المغرب عندما كان الأخير في طريقه إلى فاس لزيارة المولى

---

١ – جميل أبو النصر : المصدر السابق ٢٤ .

٢ – جميل أبو النصر : نفس المصدر ٢٤ ٣ – جميل أبو النصر : نفش المصدر ٢٤ .

إدريس جد الشرفاء العلويين المغاربة فور رجوعه من الحرمين سنة ١١٩١ هـ ١٧٧٧م واتفق أن الأول أيضاً متوجه نحو فاس فسافرا معاً فعندما وصلا اليها لقنه الشيخ التجاني الطريقة الخلوتية التي قدمه فيها الشيخ محمود الكردي بمصر ، ويعتبر هذا الكتاب قصة حياة الشيخ التجاني التي كتبها بيده ، حيث إنه هو الذي أملى على السيد علي بعض أجزاء الكتاب الذي يناقش تاريخ حياته وما إلى ذلك،إلا أن الكتاب في الواقع ليس كله من تأليف السيد علي حرازم أو من إملاء الشيخ التجاني ، وإنما عمد السيد علي إلى كتابة مخطوط عنوانه (المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبدالله أحمد) الذي ألفه السيد محمد بن عبد السلام القادري في ترجمة شيخه أحمد معن بن عبدالله الأندلسي المتوفى سنة ١٧٠٨م ١١٢٠هـ فانتحله بأكمله تقريباً حيث نقل خطبة الكتاب حرفاً بحرف وأخذ أبواب الكتاب وتقسيمات فصوله وعناوينها كما هي دون أدنى تغيير ثم جعل يمحو إسم الشيخ أحمد معن من كل مكان وصفه تلميذه القادري بوفور العلم وغزارة المعرفة ، ونفوذ البصيرة ، وسمو الأخلاق ، وكمال التقوى ، وما إلى ذلك من التعظيم ، والتبجيل ، ويثبت محله إسم شيخه أحمد التجاني ، بل وحتى القصائد التي استعملها القادري في مدح شيخه وتبجيله ، حولها حرازم كلها إلى شيخه التجاني ، ثم نسب أجوبة الأسئلة التي قدمها القادري إلى شيخه أحمد معن وأجابه عنها إلى شيخه التجاني متظاهراً بأنه أي علي حرازم هو السائل ثم سكت سكوتاً تاماً عن الاعتراف بهذا الانتحال الصادر منه (١).

وعندما انتهى من تأليف الكتاب قرأه كله أمام الشيخ التجاني في صورة مقابلة في اليوم الثامن والعشرين من شعبان سنة ١٢١٦ هـ ١٨٠١ م بمسجد الديوان في مدينة فاس (٢) فأقره على جميع ما أثبته في الكتاب ، وما نسبه إليه ، ومن ثم مضى الشيخ التجاني ينسبه إلى نفسه ، بقوله كتابنا كما سيأتي ثم صرح أخيراً بأن النبي صلى الله عليه وسلم ظهر له يقظة وأخبره بأن الكتاب كتابه هو أي النبي الذي ألفه بيده (٣).

هكذا ظل هذا الانتحال خفياً لم ينتبه إليه أحد ، حتى طبع كتاب جواهر المعاني

---

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ٢٤ .
٢ - السيد علي حرازم : المصدر السابق جـ٢ - ٢٨٥ ٣ - القاضي سكيرج : كشف الحجاب ٧١ .

سنة ١٩٢١ م – ١٣٤٧ هـ فسرعان ما وقف على ذلك بعض علماء المغرب البارزين، مثل المولى العربي العلوي خطيب السلفية المتحمس في المغرب يومئذ، والسيد عبد الحي الكتاني فاتفق الإثنان – على رغم اختلافهما في وجهة النظر حول المسائل الدينية والسياسية – على التشهير بالسيد علي حرازم وشيخه التجاني فطبعا كتاب (المقصد الأحمد) سنة ١٩١٧ م – ١٣٥١ هـ بقصد الحط من قيمة الطريقة التجانية ومؤسسها من قلوب جمهور المسلمين عموماً، وادخال الشقاق في صفوف التجانيين خصوصاً، ولعل من أجل ذلك أيضاً قاما بنشر الإجازة التي كتبها الشيخ التجاني بخط يده لأحد أتباعه في قراءة كتاب جواهر المعاني، مضيفاً الكتاب إلى نفسه بقوله كتابنا كما مر، وفيما يلي نص الإجازة.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال العبد الفقير المضطر لرحمة ربه أحمد بن محمد التجاني قد أجزت حبيبنا سيدي محمد التهام ابن سيدي المكي بن رحمون الشريف الحسني في أورادنا وطريقتنا المحمدية وبما حواه واشتمل عليه كتابنا (جواهر المعاني وبلوغ الأماني) رواية عني وعملا بما فيه من كل شيء وأذنا له بما فيه من الخواص والأسرار أياً كانت، ومن أي فن، كانت إجازة تامة مطلقة عامة خالدة أبدية سرمدية، أذنته فيها أن يجيز من شاء وكيف شاء على قاعدة الإذن والإجازة المعروفة عند أهلها، وكتب أحمد بن محمد التجاني عامله الله بفضله بجاه النبي العدناني وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » (١).

ولما وقف القاضي الحاج أحمد سكيرج العياشي المدافع الوحيد للطريقة التجانية في المغرب حينئذ على هذا الاستكشاف عن السرقة الأدبية التي ارتكبها السيد علي حرازم وأقره عليها شيخهما التجاني لم يستطع أن ينكر ذلك، فكتب ما هذا نصه: « قد طعن الناس الذين يبحثون عن العورات في كتاب جواهر المعاني الذي ألفه الخليفة المعظم السيد الحاج علي حرازم براده بأنه منتحل من كتاب (المقصد الأحمد) تأليف العلامة أبي الطيب القادري الذي ألفه في الولي الصالح أبي العباس سيدي

---

١ – الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٨٩

أحمد بن عبدالله معن ... ولقد عثرت على ثلاث نسخ من هذا المقصد وقابلته مع جواهر المعاني فوجدت خطبته كخطبته ، وجل ترتيب أبوابه على ترتيبه ، وأما مايتعلق بالطريقة والمسائل العلمية الحديثية والفقهية ومقالات الشيخ التجاني ومقاماته فليس شيء منه ، إلا ما كان مماثلا من الموافقات في المشربين في قضية من القضايا اتفقت للشيخين ، حتى كأن هذه عين هذه مما يقع مثله لكثير من الناس فيذكر باللفظ ، وليس هذا بمستنكر في حق كل مؤلف رأى ما يناسبه في موضوع تأليفه فنقله ... وإذا كان العلماء الكبار ينقلون الكتب من أصلها فتنسب لهم مع معرفة مؤلفها الأول فلا بأس بحمد الله في محاذاة جواهر المعاني (المقصد الأحمد) (١).

ومعنى ذلك أن الشيخ سكيرج قد وافق على وقوع هذا الانتحال بعد أن بحث عن ذلك بنفسه ، فقابل بين الكتابين فوجد الأمر كما قيل إلا أنه لم يجد في كتاب (المقصد الأحمد) الكلام المتعلق بالطريقة التجانية ومقالات الشيخ التجاني ، ومقاماته وكراماته الموجود في جواهر المعاني ، إلا ما يكون مماثلاً لما في المقصد من طريق الموافقة التي يخيل للناظر كأن هذه عين هذه فقط ، وأما المسائل العلمية الحديثية والفقهية فليس بمستنكر في حق كل مؤلف رأى ما يناسبه في موضوع تأليفه فنقله لأن العلماء الكبار يفعلون ذلك فتنسب الكتب اليهم مع معرفة مؤلفها الأول ، ولذلك لا بأس بما فعله مؤلف (جواهر المعاني) ولكن للاسف لم يذكر لنا اسم العالم الكبير الذي نقل كتاباً من أصله ونسبه إلى نفسه فوافقه على ذلك العلماء .

الثاني هو كتاب (الجامع للعلوم الفائضة من بحر القطب المكتوم) ألفه السيد محمد بن المشري المتوفي ١٢٢٤ وأصله من تاكرت في الإقليم القسطنطيني بالجزائر ، التقى مع الشيخ التجاني أولا في تلمسان إثر عودة الثاني من الحرمين ، وهو على هذا التقى به في وقت واحد مع السيد علي حرازم تقريباً ، وقد لقنه الشيخ التجاني هو الآخر الطريقة الخلوتية أول لقائهما ، فان الأقوال التي نقلت عن الشيخ التجاني في كتاب الجامع هذا تتفق في كثير من المناسبات مع التي في كتاب جواهر المعاني لقد ظل هذا الكتاب مخطوطاً حتى الآن .

---

١ - القاضي سكيرج : جناية المنتسب ج ٢ — ص ٥٣ .

الثالث هو كتاب (الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية) جمعه السيد محمد الطيب السفياني المتوفي سنة ١٢٥٩ هـ - ١٨٤٢ م كان السفياني من أخص أصحاب الشيخ التجاني الأقربين في فاس ، فكان يكتب كل ما يسمعه منه مباشرة ويرتبه على الحروف الهجائية ثم يعلق على كل قول على حدة .

وهذا الكتاب - على صغر حجمه - هو الذي يحتوي على حقيقة تعاليم الشيخ التجاني التي يلقيها على خواص أصحابه ، ولكن للأسف أن الشيخ محمد الحافظ بن عبد اللطيف الجزائري نزيل مصر الذي تولى مهمة الدفاع عن الطريقة التجانية بعد وفاة سكيرج قد أزال من الكتاب أموراً كثيرة ذات قيمة علمية كبيرة عند الباحث قبل أن ينشره ، ولذلك تخلى الكتاب عن كثير من المعلومات المتضمنة فيه وعلى أي حال فسياتي مزيد الكلام عليه في بعض فصول هذا الكتاب عندما تقتضي ذلك مناسبة.

فكانت هذه الكتب الثلاثة هي أمهات مراجع الطريقة التجانية ومن أجل ذلك انتشرت في أيدي رجال التجانية الكبار في كل قطر (١).

الورد التجاني أو الطريقة التجانية

صرح الشيخ التجاني حسب ما قاله السيد علي حرازم بأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بعيني رأسه يقظة لا مناماً ، وهو يومئذ بقرية أبي سمغون سنة ١١٩٦ هـ - ١٧٨١ م وأخبره بأنه هو مربيه وكافله ، وأنه لا يصل اليه شيء من الله إلا على يديه بواسطته ، وهو ممده ، وقال له لا منة لمخلوق عليك من أشياخ الطريق ، وفتح الله له على يديه صلى الله عليه وسلم فلقنه الورد الذي أذن في تلقينه للخلق ، وتربيتهم به على العموم والاطلاق ، وقال له أترك عنك جميع ما أخذت من جميع الطرق والزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس ، وهذا الورد كان أولا عبارة عن الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فظل الشيخ التجاني على هذا

---

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ٢٥ .

الورد بهذه الكيفية أربع سنوات فعندما تمت السنة الهجرية مائتين وألف ١٢٠٠ هـ جاء الرسول عليه الصلاة والسلام إليه وكمله له (بلا إله إلا الله) فعندئذ أظهر أمره وبدأ يدعو الناس إلى طريقته (١).

والظاهر أن الشيخ التجاني كان منذ رجوعه من الحج يستعد للظهور ، ومما يدل على ذلك قوله لتلميذه السيد علي حرازم وهما بفاس عندما زار قبر المولى إدريس : « الزم العهد والمحبة حتى يأتي الفتح ان شاء الله تعالى » (٢). بل الراجح أن الشيخ التجاني عندما كان في تلمسان أراد أن يظهر أمره فلم يستسغ العلماء والفقهاء بعض دعاويه فتعلقوا بما كان يزاوله من صناعة الكيمياء فسعوا به إلى السلطان فقبض عليه وأصدر عليه الحكم بما تقدم ، ومن ذلك نفيه من تلمسان إلى أبي سمغون سنة ١١٩٦ هـ ١٧٨١ م ، ومما يدل على ذلك أنه قد صرح بأن النبي ﷺ ظهر له ولقنه ورد طريقته في نفس هذه السنة التي نفي فيها ، ومعنى ذلك أنه ما لبث حتى أظهر أمره فور وصوله إلى أبي سمغون ، ثم مكث أربع سنوات يفكر ويقدر ويدبر أموره ، وعندما تم له جميع تدابيره وتنظيماته أظهره وجربه على قبائل البدو الذين أحاطوا به هنالك ، وبعد أن آنس علامة النجاح أرسل إلى تلميذيه اللذين هيأهما وجهزهما لهذا الغرض ، وهما السيد علي حرازم والسيد محمد بن المشرى فإننا قد رأينا أنه أنشأ طريقته في نفس السنة التي انتقل فيها من تلمسان إلى أبي سمغون وشلالة ، فجربها هو وحده وربما مع أهل أهل بيته أربع سنوات من ١١٩٦ هـ إلى ١٢٠٠ هـ حينما أظهره للناس فجربه كذلك في عالم الظهور ثلاث سنوات .

وحتى ذلك الوقت لم يزره أحد من تلميذيه اللذين سبق ذكرهما آنفاً ، وقد أخبرنا السيد علي حرازم بأن زيارتهم له منذ انتقاله إلى أبي سمغون كانت في سنة ١٢٠٣ هـ(٣) ومعنى ذلك أنه مكث سبع سنوات منفرداً عنهما ثم لحقا به بعد ذلك ، فظل عشر سنين يعلمهم مبادئه وتعاليمه الجديدة قبل انتقاله نهائياً إلى فاس ، ومعنى ذلك أيضاً

---

١ - السيد علي حرازم : المصدر السابق ج ١ - ص ٥١ .
٢ - السيد علي حرازم : المصدر السابق ٥٠ ٣ - السيد علي حرازم : نفس المصدر ٥٢ .

أن مبادىء طريقته وتعاليمها قد رسخت في أذهان كبار أصحابه رسوخاً يصعب اقتلاعها وإخراجها لسبب نقد منتقد أو انكار منكر أو تكفير مكفر ، وهم في قلب الصحراء بعيدون عن المدن العامرة بالفقهاء والعلماء الذين من شأنهم أن يتحمسوا للدفاع عن الشريعة الإسلامية وعقيدتها ، والذين لا يعرفون الموادة في إظهار نكيرهم الشديد وانتقادهم اللاذع على كل جديد من شأنه أن يفسد عقيدة العامة ويعقد لهم دينهم السهل الذي ارتضى لهم الله ويضعف وقع الأمور الشرعية في نفوسهم .

ومهما يكن من شيء فإن أوراد الطريقة التجانية انقسمت إلى ثلاثة أقسام :

١ - الورد اللازم وهو الذي أخذه الشيخ التجاني عن النبي ﷺ مباشرة في اليقظة والمشافهة كما قال السيد علي حرازم ، وهو كما سبق عبارة عن الاستغفار مائة مرة والصلاة على النبي ﷺ بأي صيغة كانت مائة مرة ، ثم لا إله إلا الله مائة مرة يقرأ صباحاً ومساء .

وأما وقته فإن ورد الصبح يبتدىء وقته من صلاة الصبح إلى وقت الضحى ، ووقت ورد العصر من صلاة العصر إلى صلاة العشاء ، ومن فاته في هذين الوقتين بعذر فالنهار كله وقت لورد الصبح ، والليل كله وقت لورد الليل ، ومن فاته ورده في اليوم كله فعليه قضاؤه على ممر الدهر .

ومعنى هذا أن للورد التجاني وقتين اختياري وضروري مثل ما للصلاة المكتوبة تماماً بتمام .

ثم إن كل من أخذ هذا الورد وتركه تركاً كلياً أو متهاوناً حلت به العقوبة ويأتيه الهلاك ، وهكذا أخبر النبي ﷺ الشيخ التجاني حسب ما قرره السيد علي حرازم (١).

ولهذا الورد شروط مرتبة في جواهر المعاني ، وفي أكثر رسائل الطريقة التجانية ، وأما الشرط الخاص الذي لا يطلب إلا لمن يقدر عليه ، ولا يقدر عليه إلا أكابر رجال الطريقة ، هو أن يصور صورة الشيخ التجاني في نفسه ، ويعتقد أنه في حال

---

١ - السيد علي حرازم : المصدر السابق ١٢٣ .

ذكره جالس بين يديه ، ويستمد منه من أول الذكر إلى آخره (١).

٢ ـ الوظيفة : وهي التي سماها السيد علي حرازم أوراد الزاوية ، وهي كما قرر عبارة عن الاستغفار بأي صيغة مائة مرة ، وصلاة الفاتح لما أغلق مائة مرة ، أو خمسين مرة والهيللة مائتي مرة أو مائة ، وجوهرة الكمال احدى عشرة مرة .

وحكمها في الطريقة أنها غير لازمة ، ومن أراد أن يذكرها فليذكرها ومن لا فلا، وتكفي في وقت واحد إما في الصباح وإما في المساء وإن تيسر في الوقتين فحسن ، ومن تركه فلا قضاء عليه ، فلا بد من الوضوء في قراءة جوهرة الكمال ، فلا تقرأ بالتيمم ، وسبب ذلك أن النبي ﷺ يحضر عند قراءتها (٢).

٣ ـ ذكر الهيللة يوم الجمعة بعد صلاة العصر مع الجماعة فلا يجزىء قراءتها منفرداً إذا كان في البلد تجانيون ، فلا بد من اجتماعهم لقراءتها ، والواحد الذي لا إخوان له في البلد يقرأ الهيللة وحده وهذا شرط من شروط الطريقة وهذا الذكر ليس له عدد معلوم (٣).

هذا وقد وصف السيد علي حرازم ذكر يوم الجمعة باللزوم وقال : « ومن أوراده اللازمة للطريقة ذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة ، ولكنه ما بين لنا هل الوظيفة وذكر الجمعة أيضاً أخذهما الشيخ التجاني من رسول الله ﷺ يقظة ومشافهة كما أخذ الورد اللازم ؟ أم كانا من اجتهاده واستنباطه ؟ .

٤ ـ الأوراد الخاصة وهي كثيرة جداً فقد جمعت في كُتَيِّبٍ بعنوان أحزاب وأوراد القطب الرباني والعارف الصمداني الشيخ أحمد التجاني .

هذه هي الأوراد التي تشكل العمود الفقري للطريقة التجانية ، والظاهر الذي يبدو للعيان أنه لو أن هذا فقط هو الطريقة التجانية لكان الخلاف بين التجانيين وبين علماء الشرع الإسلامي قليلاً جداً ، بل ربما تلاشى واضمحل على تعاقب الأيام ،

---

١ ـ السيد علي حرازم : المصدر السابق ج١ ـ ص ١٢٣ .

٢ ـ السيد علي حرازم : نفس المصدر ج١ ـ ص١٢٤ ٣ ـ السيد علي حرازم: نفس المصدر ج١ـص ١٢٥.

• لكن للأسف أن هذه الأوراد قائمة على أساس من الدعاوى الجريئة الواسعة المدى ، لا يستطيع كثير من علماء الإسلام استساغتها ولا يمكنهم كذلك التمالك عن إظهار نكيرهم الشديد تجاهها ، وهذه الدعاوى كثيرة جداً بدرجة أنك لو قلت إنها هي الطريقة التجانية ليس إلا لما أخطأت الصواب ، ونذكر على سبيل المثال أخفها وأيسرها وقعاً في النفوس ، لقد جاء في رسالة للشيخ التجاني إلى تلاميذه في الاعواظ ما يلي: يليه اعلامكم أن فضل الله لا حد له وان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء ، وأقول لكم إن مقامنا عند الله في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ، ولا يقاربه لا من صغر ولا من كبر ، وإن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا ولا يقاربه لبعد مرامه عن جميع العقول ، وصعوبة مسلكه على أكابر الفحول ، ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته منه ﷺ تحقيقاً ، وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ماعملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أناوحدي . ووراء ذلك مما ذكر لي فيهم وضمنه صلى الله عليه وسلم لهم لا يحل لي ذكره ولا يعرف إلا في الآخرة» (١).

ثم أخذ خلفاؤه الذين جاءوا بعده هذه الدعاوى فطوروها ووسعوا مداها وأظهروها للمسلمين مفتخرين بها وواثقين من أنفسهم أنهم كانوا على الذروة القصوى من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم والقيام على إحياء سنته وهم الناجون الذين لا يشك اثنان في نجاتهم يوم القيامة ، وأن المسلمين على شفا حفرة من نار جهنم يومئذ ،روي الشيخ إبراهيم انياس عن خليفة الشيخ التجاني السيد علي التماسيني أنه قال : « إن الله ساق الوجود مساق الهلاك لا يسلم منهم أحد إلا من رزقه الله محبة سيدنا أي الشيخ التجاني » (٢) فأورد الشيخ عمر الغوتي دائرة سماها بالدائرة الفضلية وقال في وصفها: « إعلم أن لله سبحانه وتعالى دائرة تسمى الدائرة الفضلية وتلك الدائرة مكنوزة من وراء خطوط الدائرة التي هي دوائر الأمر والنهي والجزاء خير أو شر والاعتبارات واللوازم والمقتضيات فإن هذه الدوائر هي دوائر عموم الخلق وتلك الدائرة هي دائرة اختصاصية واصطفائية سبحانه وتعالى فيضعها لمن يشاء من خلقه وهذه الدائرة جعلها الله

---

١ - السيد علي حرازم : المصدر السابق جـ٢ - ١٧٦ .

٢ - الشيخ ابراهيم اياس : جواهر الرسائل جـ ١ - ٢٣ .

سبحانه وتعالى فيضها فائضاً من بحر الجود والكرم لا يتوقف فيضها على وجود سبب ولا شرط ولا زوال مانع بل الأمر فيها واقع على اختصاص مشيئته فقط ولا يبالي بمن كان فيها ، وفى بالعهود أم لا ، انتهج الصراط المستقيم أم سقط في المعاصي في الطريق الوخيم ، ولا يبالي فيها لمن أعطى ولا على ماذا أعطى ، ومن وقع في هذه الدائرة من خلق الله كملت له السعادة في الآخرة بلا شوب ألم ولا ترويع ، وفيها أوقع الله تعالى هذا الشيخ الأحمدي المحمدي الإبراهيمي ، وجعلها سبحانه دائرة أهل طريقته ، وأوقعهم فيها ، فضلا منه وجوداً وكرماً ، لشدة عنايته بهذا الشيخ العظيم الذي جمع له بين مقام المحبة والخلة الناشئين من هذه الدائرة التي بها اتخذ الله تعالى نبيه محمداً حبيباً وسيدنا إبراهيم خليلاً لوراثته إياه ، ولذلك كانت طريقته طريقة المحبة والشكر (١) .

ومعنى هذا أن الشيخ التجاني لم يفُق جميع الأولياء فحسب ، بل فاق الأنبياء أيضاً ، وهو على هذا يشاطر المقام والمنصب مع النبي صلى الله عليه وسلم وإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، بل والذي يدل عليه فحوى كلام الفوتي أن الشيخ التجاني أفضل من النبي محمد والنبي ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ، لأن الله على حد قول الشيخ عمر جمع للشيخ التجاني بين المحبة والخلة ، بينما انفرد النبي محمد بالمحبة واختص النبي ابراهيم بالخلة ، فحسب. والراجح أن هذا هو مراد الفوتي ، لأن كلامه هذا تفسير لما رواه قبل ذلك قليلاً عن الشيخ التجاني حيث قال أي الشيخ التجاني : « أعطاني الله في السبع المثاني ما لم يعطه للأنبياء ». وقال : « الله أعطاني ما لم يعطه لأحد من الشيوخ أبداً » (٢).

روى لنا الشيخ إبراهيم إنياس عن شيخه الذي يسميه دائماً بالقطب الرباني الحاج عبدالله بن الحاج العلوي المورتاني أنه قال لوالد الشيخ إبراهيم ، وهو أي الشيخ إبراهيم صبي يومئذ : « قل لولدك هذا يدعو لي أن أموت على الطريقة التجانية ». فقال الشيخ إبراهيم : « قلت لـه أنا ضمنت ذلك وقـال ذلك للشيخ ابراهيم أيضاً « لي حاجة أخرى قل لربك يجعل عليّ جميع كبائر أمة محمد صغارها وكبارها وأنا

---

١ - الشيخ عمر الفوتي : الرماح جـ ٢ - ٣٠ بهامش جواهر المعاني .
٢ - الشيخ عمر الفوتي : كتاب الرماح جـ٢ - ٥٣

أتحملها إذا مت في الطريقة التجانية ولا يضرني ذلك » (١) .

وقال الشيخ إبراهيم إنياس في محاضرته لأتباعه بمدينة زاريا في نيجيريا الشمالية : « وإذا اجتمعنا عند الله تبارك وتعالى فأقرب العباد إلى الله رسوله صلى الله عليه وسلم، وأقرب الناس إلى رسول الله أصحابه وأصحاب الشيخ التجاني ، عدهم رسول الله من أصحابه ، وأنا لا أسمح لأي وليّ أن يكون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إلا الشيخ التجاني فقط ، ولا أسمح لأي تجاني أن يكون أقرب إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابي وكأني أنظر إلى ذلك الوقت ، واعلموا أنه آت إن شاء الله وإذا جاء وكان هذا الذي قلت كذباً ترون ذلك » (٢) .

إذا نظرنا إلى هذه الطرق الصوفية ، ندرك أنها عبارة عن مستعمرات روحية باطنية ، يؤسسها هؤلاء الشيوخ على أذهان السذج والبسطاء من دهماء المسلمين ، حيث إن فرداً واحداً من أفراد المسلمين أياً كان لا يحتاج إلى طريقة واحدة أية كانت ، لأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يلتحق بالرفيق الأعلى إلا بعد أن بلّغ كل ما أرسله الله به الينا ، ولم يغادر صغيراً ولا كبيراً إلا قد أداه على أحسن حال وأكمل وجه ، وعلم أصحابه كل شيء من تعاليم الدين ومبادئه ومشاعر العبادات وكيفية أدائها ، بحيث لا يحتاج ذلك كله إلى زيادة شيء فيه ، كيفاً أو كماً ، ثم حذر المسلمين من ابتداع شيء في هذا الدين الذي بلغه بقوله : « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » (٣).وقال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »(٤) ثم احترس مما يأتي به المبتدعون من الشبهات من قولهم إن ما يأتون به لم يخرج من دينه الذي جاء به فقال : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » (٥) إلى غير ذلك من الأحاديث الصحاح التي ترمي إلى هذا الهدف ولا تحيد عن مرماه ، وعرف علماء الإسلام البدعة بأنها إحداث أمر في الدين يشبه أن يكون منه وليس منه » (٦) فثبت

---

١ – الشيخ ابراهيم ايناس : محاضرته في زاريا ١٨ ٢ – الشيخ ابراهيم ايناس : نفس المصدر ١٣ .
٣ – الشيخ عثمان بن فودي : احياء السنة ٢٢ ٤ – النووي : أربعون حديثاً ١٤ .
٥ – النووي : نفس المصدر ١٤ ٦ – الشيخ عثمان بن فودي : المصدر السابق ٢٢ .

بذلك أن هؤلاء الشيوخ هم الذين يحتاجون إلى عامة المسلمين أن يأخذوا طرقهم لينخرطوا في سلك أتباعهم فتتسع بذلك دائرة مملكتهم الروحية ويكثر عدد رعاياهم المساكين المكدوحين .

فإذا كان هذا غرض الشيوخ الصوفية من تأسيس الطرق فالطبيعة الحالية تفرض لكل شيخ أن يعظم نفسه ويرفعها فوق من سبقه من الشيوخ ، حتى يضمن لنفسه ميل العامة اليه ، ويكتسب تعظيمهم البالغ لقدرة ، والقبول الجازم لكل ما يلقي اليهم من التعاليم والمبادىء ، والشيخ التجاني مثل كل شيخ صوفي قد آنس في نفسه قوة تأسيس طريقته الخاصة به ، فلا بد له والحال هذه التي قدمنا من أن يدلي بدلوه في الدلاء ، ويأتي بدعاويه ، ويخترع لنفسه من المقامات والمناقب والفضائل ما يوافق حاله وحال عصره ، وعقول المجتمع الذي يعيش فيه ، ولا سيما أنه جاء متأخراً جداً فوجد أن الرجال قد تقدموا أمامه في جميع الميادين،ولم يجد مجالاً للقول ولا ميداناً للعمل إلا وقد سبقه إليه الأولون ، حتى وكأن زهير بن أبي سلمى المزني بين يديه ينشده قوله :

ما أرانـــا نقول معـــارا أو معادا من لفظنا مكـــرور (١)

ثم رفع بصره نحو قمة هرم التصوف ، فرأى شخصيتين بارزتين في أعلى أعالي تلك القمة ، قد ملكا التقدير العام في العالم الصوفي على اختلاف طبقاتهم ، أحدهما بالمشرق ، وهو أبو محمد محيي الدين عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني المتوفى سنة ٥٦١ هـ والآخر بالمغرب وهو أبو الحسن نور الدين علي بن عبدالله الشاذلي المتوفى ٦٥٦ هـ فثاب إلى نفسه وامتحن ما عنده من المواهب فاستشعر بأنه لا يقل عنهما موهبة، ولكن حكم الزمان قضى عليه أن يتتلمذ لأحدهما أو لكليهما كي يتألق نجمه في أفق التصوف ، ويظهر ما عنده من المواهب حتى يستوفي نصيبه في ذلك كما استوفيا نصيبهما من قبل،ولكن بيئته حينئذ والظروف المحيطة بها لا توفر له فرصة القيام بالعمل الذي قام به ذانك ، ولو حاول،ولعله من أجل ذلك مال إلى مدرسة صوفية أخرى، وهي مدرسة أصحاب وحدة الوجود ، التي تقوم على أساس المبادىء النظرية

---

١ – الشيخ أحمد الاسكندري : الوسيط في الأدب العربي ٥٤ .

الفلسفية ، والتي يتزعمها الشيخ الأكبر محمد بن علي المعروف بابن عربي الحاتمي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ فوجد أنه تكلم بتوسع عن القطب بجميع مراتبه وأحواله وأشكاله ، وتكلم أيضاً بتفصيل عن خاتم الولاية المحمدية ، وصفاته ، وخصائصه ، ومميزاته ، وهلم جرا ، وكان أكثر كلامه مشاعاً ، فقلما ينسبه إلى شخصية معينة ، وكثيراً ما ينسبه إلى شخصية مبهمة ، فكان من السهل للشيخ التجاني وتلاميذه أن ينتحلوا ما يشاءون من ذلك قدر ما يستطيعون لأننا وجدنا أن مدى بعض دعاوى ابن عربي أطول بكثير من تناول التجاني ، لأنه أي الحاتمي قد حاول بكل ما يستطيعه من جد أن يجعل خاتم الأولياء الذي يعني به نفسه ، نظيراً للنبي خاتم الأنبياء تماماً بتمام ، وأن يستقل عنه في كثير من الظروف استقلالاً يكاد يكون تاماً ، بكلام صريح لا يحتمل التأول (١)، وكان اعتماده في كل ذلك على الكشف أو التنزل الذي جعله في مرتبة القرآن (٢) بينما جعل الشيخ التجاني يدور حول بعضها مبهماً كل الابهام، ويسكت عن بعضها سكوتاً يكاد يكون تاماً ، ومستنده في ما يقرره : الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة في اليقظة لا في المنام .

وعلى أي حال فإن مقام الشيخ التجاني الذي يتصف به حسب ما قرره السيد علي حرازم هو التحقيق بالمعرفة ، والتمكن في اليقين ، وكمال التوحيد ، والتفريد ، والتجريد ، وشهود الحب من الله ، وأن العبد محبوب ومجذوب لحضرة ربه ومطلوب ، دأبه الركون إلى مولاه والانفراد له عن كل ما سواه ، وحب أمره ، وبغض ما عنه نهاه ، والوقوف دائماً ببابه ، والعكوف أبداً على جنابه ، إلى آخر ما قال (٣) وليس في هذا كله طبعاً إدعاء ظاهر بمقام معروف من المقامات الصوفية وألقابها التبجيلية ، وقد مر بنا آنفاً أن هذا جله انتحله السيد علي حرازم لشيخه من (المقصد الأحمد) إلا أنه قد جاء في بعض ما يرويه الشيخ التجاني عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على أنه يومىء بأنه قطب الأقطاب ، فقد روى عنه السيد علي حرازم فقال : « وقال

---

١ – ابن عربي الحاتمي : فصوص الحكم الفص الثاني ٦٢ – ٦٣ تحقيق أبي العلا عفيفي .

٢ – ابن عربي الحاتمي : الفتوحات المكية الجزء الثاني ص ٥٠ و٥٠٦ .

٣ – السيد علي حرازم : المصدر السابق ج١ – ص٦٨

الشيخ التجاني هذا الاسم الخاص بسيدنا علي كرم الله وجهه ، لا يعطى إلا لمن سبق عند الله في الازل أنه يصير قطباً ، ثم قال ـ الشيخ التجاني قلت لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم ائذن لي في جمع أسراره وجمع ما احتوى عليه ففعل ، وممـا أخبره به النبي أيضاً عن ثواب الاسم الأعظم الكبير الذي هو مقام قطب الاقطاب ، فقال الشيخ التجاني ـ حاكياً ما أخبره به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإنه يحصل لتاليه في كل مرة سبعون ألف مقام في الجنة في كل مقام سبعون ألفاً من كل شيء في الجنة ، كائن من الحور والقصور والأنهار إلى غاية كل ما هو مخلوق في الجنة ، ما عدا الحور وأنهار العسل فله في كل مقام سبعون حوراء وسبعون نهراً من العسل وكل ما خرج من فمه هبطت عليه أربعة من الملائكة المقربين فكتبوه من فيه وصعدوا به إلى الله تعالى (١).

ويفهم من هذا أن مقام الشيخ التجاني هو قطب الأقطاب ، وهذا هو ثوابه الذي أعده الله له في الجنة ، وجاء أيضاً في كتاب الجامع للسيد محمد بن المشري ، ما يدل على أن الشيخ التجاني هو القطب المكتوم الذي لم يصل إلى مقامه أحد من الرجال ، ما عدا الصحابة رضي الله عنهم ، قال : سمعت شيخنا أي التجاني يقول القطب المكتوم له تجل يضاهي تجليات الأنبياء ، يتجلى له الحق سبحانه في كل لحظة مائة ألف تجل مثلاً كل تجل يعطى فيه ما يعطى لجميع أهل الجنة مائة ألف مرة أو أكثر منها ، ويؤدي وظائف كل واحد منها في تلك اللحظة ، ثم في اللحظة الثانية يتجلى له بتجليات يصير جميع ما تقدم عليها من التجليات جزءاً من مائة ألف جزء من تجل واحد ، وهكذا التي بعدها في اللحظة الثالثة وقس عليها إلى ما لا نهاية له ولا حد .

وقال الشيخ التجاني مرة أخرى : نسبة الأقطاب معه كنسبة العامة مع الأقطاب ، لأن مقامه في غيب الغيب لا علم لهم به لا دنيا ولا أخرى ، لأن له مقاماً في الجنة لا يعلمه أحد حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقال ابن المشري : سمعت سيدنا الشيخ التجاني يقول طلبت من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بلوغ الغاية في أقصى مقام القطبانية التي ما فوقه إلا مقام النبوة وقال لي صلى الله عليه وسلم مقامك هو مقام

---

١ ـ السيد علي حرازم : نفس المصدر ٦٨

الشيخ التجاني هذا الاسم الخاص بسيدنا علي كرم الله وجهه ، لا يعطى إلا لمن سبق عند الله في الازل أنه يصير قطباً ، ثم قال – الشيخ التجاني قلت لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم ائذن لي في جمع أسراره وجمع ما احتوى عليه ففعل ، ومما أخبره به النبي أيضاً عن ثواب الاسم الأعظم الكبير الذي هو مقام قطب الاقطاب ، فقال الشيخ التجاني – حاكياً ما أخبره به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإنه يحصل لتاليه في كل مرة سبعون ألف مقام في الجنة في كل مقام سبعون ألفاً من كل شيء في الجنة ، كائن من الحور والقصور والأنهار إلى غاية كل ما هو مخلوق في الجنة ، ما عدا الحور وأنهار العسل فله في كل مقام سبعون حوراء وسبعون نهراً من العسل وكل ما خرج من فمه هبطت عليه أربعة من الملائكة المقربين فكتبوه من فيه وصعدوا به إلى الله تعالى (١).

ويفهم من هذا أن مقام الشيخ التجاني هو قطب الأقطاب ، وهذا هو ثوابه الذي أعده الله له في الجنة ، وجاء أيضاً في كتاب الجامع للسيد محمد بن المشري ، ما يدل على أن الشيخ التجاني هو القطب المكتوم الذي لم يصل إلى مقامه أحد من الرجال ، ما عدا الصحابة رضي الله عنهم ، قال : سمعت شيخنا أي التجاني يقول القطب المكتوم له تجل يضاهي تجليات الأنبياء ، يتجلى له الحق سبحانه في كل لحظة مائة ألف تجل مثلاً كل تجل يعطى فيه ما يعطى لجميع أهل الجنة مائة ألف مرة أو أكثر منها ، ويؤدي وظائف كل واحد منها في تلك اللحظة ، ثم في اللحظة الثانية يتجلى له بتجليات يصير جميع ما تقدم عليها من التجليات جزءاً من مائة ألف جزء من تجل واحد ، وهكذا التي بعدها في اللحظة الثالثة وقس عليها إلى ما لا نهاية له ولا حد .

وقال الشيخ التجاني مرة أخرى : نسبة الأقطاب معه كنسبة العامة مع الأقطاب ، لأن مقامه في غيب الغيب لا علم لهم به لا دنيا ولا أخرى ، لأن له مقاماً في الجنة لا يعلمه أحد حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقال ابن المشري : سمعت سيدنا الشيخ التجاني يقول طلبت من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بلوغ الغاية في أقصى مقام القطبانية التي ما فوقه إلا مقام النبوة وقال لي صلى الله عليه وسلم مقامك هو مقام

---

١ – السيد علي حرازم : نفس المصدر ٦٨

(ام ع ن ااام ز ت ع ت) وهكذا إلى ما قرره في كتابه (١) .

ويفهم من هذه التصريحات التي جاءت في كتاب جواهر المعاني وكتاب الجامع أن الشيخ التجاني هو قطب الأقطاب ، والقطب المكتوم ، وأن مقامه هو (ام ع ن اااا م ز ت ع ت) الذي كان أعلى من المقام الذي في أقصى مقام القطبانية الذي ما فوقه إلا مقام النبوة ، وكان من أجل ذلك له في الجنة هذه القصور والحور والأنهار كما وصفه في جواهر المعاني ، وأن مقامه لم يصله أحد من الرجال ما عدا الصحابة حسب ماقرره ابن المشري ، هذا وتتلخص خصائص القطب المكتوم كالتالي :

ومن خصائص القطب المكتوم أن له تجلياً يضاهي تجليات الأنبياء ،

ومن خصائصه أن الله يتجلى له في كل لحظة مائة ألف تجل ويعطي في كل تجل مثلما يعطي لجميع أهل الجنة مائة ألف مرة أو أكثر ، ويؤدي وظائف كل واحد منها في تلك اللحظة ، ثم في اللحظة الثانية يتجلى له بتجليات يصير جميع ما تقوم عليها من التجليات جزءاً من مائة ألف جزء من تجل واحد ، وهكذا التي بعدها في اللحظة الثالثة وهكذا إلى ما لانهاية له ولا حد .

ومن خصائصه أن الله أعطاه جميع ما يعطى لجوامع العالم من الفيض ما عدا الأنبياء .

ومن خصائصه أن جميع العوالم تستمد منه .

ومن خصائصه أنه هو الواسطة بين جميع العوالم وبين الحقيقة المحمدية ، ماعدا الأنبياء فإنهم يستمدون منها بغير واسطة ، .

ومن خصائصه أن له وقفة ومقابلة في الحقيقة المحمدية لم تكن لغيره من جميع الأكابر .

ومن خصائصه أن له حقيقة في مقامه الخاص به لم يطلع عليها أحد إلا الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

---

١ – السيد محمد بن المشرى : الجامع جـ١ – الورقة الثالثة .

ومن مناقبه أن نسبة جميع الأقطاب اليه كنسبة العامة مع الأقطاب .

ومن مناقبه أن له مقاماً في غيب الغيب لا علم لأحد من الأقطاب به لا في الدنيا ولا في الآخرة .

ومن مناقبه أن له مقاماً في الجنة لا يعلمه أحد حتى الأنبياء .

هذا وعندما بلغ الشيخ التجاني أن أشخاصاً أنكروا هذه الفضائل والمناقب التي رتبها لنفسه ، قال لأصحابه : « قولوا لهم من آدم إلى النفخ في الصور لم يبلغ أحد مقامنا ما عدا الصحابة بل من قبل آدم إلى النفخ في الصور » (١).

هذا هو مقام الشيخ التجاني ، وثوابه الذي يجده في الجنة جزاء تسلمه لهذا المقام، وأما هو فلم يدّع بنفسه مقام خاتم الأولياء حسب ما كتبه السيد علي حرازم والسيد محمد بن المشري اللذان أمرهما الشيخ التجاني بجمع أقواله وتقريراته ، وأمضى على ما كتبا إثباتاً له ومصادقة على ما تضمنه كتاباهما ، وأما تلاميذه الذين جاءوا بعده أضافوا إليه مقام خاتم الأولياء وأكثرهم حماسة في ذلك السيد محمد العربي بن السائح ، والشيخ عمر طال بن سعيد الفوتي قال السيد العربي : « ان الخاتم الأكبر المحمدي هو شيخنا وسيدنا وأستاذنا وإمامنا الشيخ الكامل والقطب الشامل مولانا أبو العباس التجاني ، فقد ثبت عنه أي الشيخ التجاني من طريق الثقاة الاثبات من ملازميه وخاصته أنه أخبر تصريحاً على الوجه الذي لا يحتمل التأويل أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أخبره يقظة بأنه هو الخاتم المحمدي المعروف عند جميع الاقطاب والصديقين بأن مقامه لا مقام فوقه في بساط المعرفة بالله ، ثم تفطن بأنه سوف يرد عليه بأن ذلك لم يرد في جواهر المعاني ولا في الجامع ، فاستدرك ذلك بقوله : « ولم يطلع صاحب الجامع أي ابن المشري على هذا لأنه لم يفش التحدث به من سيدنا إلا بعد وفاته ، وممن تلقاه من شيخنا الشريف المبجل المنيف صاحبه وملازمه مولانا أحمد الودغير السجلماسي المعروف بالفلالى وكتبه من إملاء سيدنا بخطه حسبما وقفنا عليه . »

---

١ - السيد محمد بن المشرى : نفس المصدر .

ولكن الشواهد والدلائل لا تؤيده في هذا الرأي الذي قرره ، لأن ابن المشري قد نقل عن الشيخ التجاني أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يهبه أقصى مقام في القطبانية الذي ما فوقه إلا مقام النبوة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامك هو مقام (امع ن ااا م زت ع ت) أي إن مقامه أعلى مما سأل ، ثم أن مقام القطب المكتوم حسبما شرحه ابن المشري أيضاً أعلى من مقام خاتم الأولياء ، لأن مقام خاتم الأولياء معلوم ، ادعاه كثيرون من مشايخ الصوفية ، وأما القطب المكتوم فلا يعرفه أحد من الأولياء فيدعيه ، ومعنى هذا أن ابن المشري لم يفارق شيخه حتى انتهى من الارتقاء إلى أرقى نهاية مقام في القطبانية الصوفية الذي لا مقام بعده إلا النبوة ، بل إن الله يتجلى له بمثل ما يتجلى الأنبياء (١) وعلى هذا فإن الشيخ التجاني لا يحتاج إلى النزول إلى مقام ختم الأولياء بل الذي يبدو للناظر هو أن الشيخ التجاني قد قرأ ابن عربي بدقة فبهم أنه لم يترك منفذاً لدخول أحد في مقام خاتم الأولياء غيره،فمن أجل ذلك أغفله، واخترع مقام القطب المكتوم ، وكلله بهذه المناقب العظام والفضائل الجسام ، فلما جاء تلاميذه هؤلاء بآخرة وجدوا أن هذا كان بمثابة فتحة تركها شيخهم، قد يتسلل منها أحد شيوخ الصوفية اللاحقين فيدعي أنه قد حله وبالتالي أن مقامه فوق مقامه ، حيث إن الأمر كله ذهني فقط ولا وجود له في الظاهر واعتبروها من أجل ذلك ذريعة يجب سدها حتى لا تتفاقم فتكون شراً مستطيراً لمقام شيخهم فأضافوا اليه المقام وذهبوا كل مذهب في تحقيقه وإثباته له وتحمسوا للدفاع عنه بكل ما يستطيعون به من قوة .

والراجح أن هؤلاء لما أضافوا مقام خاتم الأولياء إلى الشيخ التجاني أنكر عليهم بعض من أطلع على كتاب جواهر المعاني وكتاب الجامع لخلو هما من ذكره ،فكتب ابن السائح يرد عليهم بهذه الحماسة الشديدة والدليل على ذلك قوله في ختام كلامه على الموضوع : « وبالجملة فقد أجمع على إثبات هذا المقام لشيخنا جميع من لازمه إلى وفاته ولم يختلف منهم اثنان فيه حتى استفاض ذلك على ألسنة الخاص والعام من الأصحاب والاخوان في سائر البلدان ، فلا يلتفت لنفي من نفاه كائناً من كان »(٢) .

---

١ – السيد محمد بن المشرى : نفس المصدر الورقة الثانية .

٢ – السيد العربي بن السائح : المصدر السابق ١٤٤ .

ويرد عليه في هذا : أن السيد الطيب السفياني مؤلف كتاب الإفادة الأحمدية أحد الثلاثة الذين كتبوا ما سمعوه مشافهة من الشيخ التجاني ، وهو أيضاً من الذين لازموه حتى مماته لم يكتب ذلك ، مع أنه لا يكتب ما سمعه بنفسه من الشيخ التجاني مشافهة فحسب بل يكتب ما بلغه على لسان من سمع منه ذلك أيضاً(١) وعلى هذا فإنه لو فشا على لسان العامة والخاصة كما قرره السيد العربي لما فات السفياني لحساسيته وأهميته وجدته، ولا سيما قد ترك السيد محمد ابن المشرى أيضاً الجزء الثاني من كتابه الجامع مفتوحاً وقال : « أترك هذا الجزء الثاني من الكتاب من غير ختم لأن سيدنا يعني الشيخ التجاني ما دام وجوده وبحوره فياضة من العلوم الدينية ظاهراً وباطناً لا تنقطع فينبغي لكل لبيب من محبيه أن يلحق كل ما سمعه في محل من هذا المجموع يناسبه ويراعي ما يلزمه من ذلك ، وهو تمييز كلامه في هذا المجموع من كلام غيره » (٢) ثم ان الرسالة التي كتبها السيد أحمد الفلالي الودغيري من إملاء الشيخ التجاني التي قال السيد العربي إنه وقف عليها قد أوردها القاضي سكيرج برمتها في كتاب كشف الحجاب ابتداء من صفحة ٣٧٠ وليس فيها إلا ما يؤيد اعتراف الشيخ التجاني للشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي بمقام خاتم الأولياء .

كل هذا يدل على أن الشيخ التجاني ما ادعى في حياته أنه هو خاتم الأولياء وإنما لحقه ذلك بعد موته لأنه لو نطق بذلك لبادر أصحابه إلى إلحاقه بالمحل الذي خصصه السيد ابن المشري لمثل هذا الغرض ، والكتاب منتشر في أيدي التجانيين في كل مكان، لأن كتاب جواهر المعاني وكتاب الجامع عند التجانيين بمثابة البخاري ومسلم عند المسلمين .

وأما الشيخ عمر الفوتي فيبدو أنه أكثر حماسة فأفاض في ذلك كثيراً واستخدم ما يتمتع به من غزارة العلم ، ووفور المادة ، وكثرة الاطلاع في تحقيق ذلك ، وحتى أفضى به الأمر إلى أن ينسج كلاماً خيالياً على لسان ابن عربي يتبرأ به من مقام خاتم

---

١ - القاضي سكيرج العياشي : جناية المنتسب ج ٢ - ص ٧٠ .

٢ - السيد محمد بن المشرى : المصدر السابق الورقة الثانية .

الأولياء (١) وقد تنبه لذلك القاضي سكيرج العياشي تحت تأثير ضغط المنتقدين ، فأراد أن يستدركه فقال : « وقد أنشد البيتين المذكورين في الرماح ونسبهما للفتوحات ولعلهما في النسخة التي هي عنده لأن نسخ الفتوحات الغير المطبوعة فيها زيادات كما يرى ذلك من وقف عليها وبالله التوفيق (٢).

فضائل اتباع الشيخ التجاني

وأما فضائل أتباع الشيخ فإنها كثيرة جداً ، قد بلغت حسبما قرره الشيخ عمر الفوتي إلى تسع وأربعين فضيلة منها أربع عشرة فضيلة ينالها من لم يأخذ الطريقة التجانية بشرط أن يسلم من الانتقاد للشيخ التجاني وأن يحبه هو وأهل طريقته ، وأما بقية الخمس والثلاثين فلا ينالها إلا من أخذ الطريقة التجانية وتقيد بعهدها .

ومما ينالها غير التجاني أن يموت على الإيمان والإسلام،وأن يخفف الله عنه سكرات الموت ، وأن لا يرى في قبره إلا ما يسره ، وأن يؤمنه الله تعالى من جميع أنواع عذابه ، وتخويفه وجميع الشرور من الموت إلى المستقر في الجنة وهكذا إلى آخرها.

وأما التي لا يحظى بها إلا من تمسك بالطريقة التجانية وتقيد بعهدها فمنها أن أبوي آخذ ورد الشيخ التجاني وأزواجه وذريته يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب ، مع أن أحداً منهم لم يكن له تعلق به بوجه من وجوه التعلقات ، ومنها أنهم تلاميذ النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنها أنهم يعتبرون من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنها أن من آذاهم فقد آذى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنها أن الإمام المهدي أخ لهم في الطريقة ، ومنها أن كل واحد من أهل طريقته على مرتبة أكابر الأقطاب ، وهكذا إلى آخرها (٣) .

---

١ – الشيخ عمر الفوتي : كتاب الرماح ج ٢ – ص ٤٣ .

٢ – القاضي سكيرج : جناية المنتسب ج ٢ – ص ٦٩ .

٣ – الشيخ عمر الفوتي : المصدر السابق ج ٢ – ٤٣ .

الطريقة التجانية خارج المغرب العربي

الطريقة التجانية في الشرق الأوسط .

كان الحجاج التجانيون هم الذين نشروا الطريقة التجانية في السودان المصري عند مرورهم ، وفي مصر حيث يقيم أكثرهم قبل المرور إلى الأراضي المقدسة ، وفي مكة نفسها التي كانت ملتقى رجال من التجانيين القادمين من الأقطار المتباينة خصوصاً الذين جاءوا من غرب أفريقيا والمغرب .

ويبدو أن الطريقة التجانية قد وصلت إلى الديار المصرية في حياة الشيخ التجاني ولكنها لم تستقر في البلاد إلا بعد موته بحوالي خمس وثلاثين سنة ، عندما أخذها رجل مغربي إسمه القاسم الشرجي سنة ١٢٦٠ هـ ١٨٤٤ م وأحبس لها داراً تستعمل كزاوية ومنزل للضيوف ، وكانت تلك الدار أو تلك الزاوية ملتقى التجانيين الواردين إلى القاهرة من المغرب ، فكان رجل يسمى السيد الجيلاني الزرهوني أول مقدم لها وقد تحمس الزرهوني لنشر الطريقة حيث طاف في البلاد المصرية لأجل الدعاية لها (١) ثم قدم رجل آخر مغربي من أولاد السيد علي القبيلة التي تسكن قرية من مدينة مراقش يسمى أحمد السباعي إلى القاهرة حوالي سنة ١٨٨٠م – ١٢٩٨هـ بعد أن أدى فريضة الحج وزار أماكن متعددة في القطر المصري يدخل الناس في الطريقة التجانية، وكذلك زار مقدم الزاوية الرئيسية في فاس الطيب السفياني حفيد السفياني مؤلف كتاب الإفادة الاحمدية القاهرة سنة ١٩١٢ م – ١٣٣١ هـ فقيل إنه قد أدخل عند مُقامه بها حوالي خمسة آلاف رجل في الطريقة التجانية (٢) .

وقد ساعد في انتشار التجانية وبقائها في القطر المصري كون أتباعها هناك أغنياء يبذلون أموالاً طائلة لبناء الزاوايا لها ونشر كتبها ومنشوراتها كما كان لها كتّاب متحمسون يدافعون عنها نقد المنتقدين (٣) .

---

١ – الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٥٧ .

٢ – الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ١٥٨   ٣ – الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ١٥٨

نقل الدكتور جميل أبو النصر من تاريخ الطريقة التجانية للعطار أن الطريقة قد دخلت السودان المصري في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي على يد مسافر تونسي يدعى السيد البشير بن السيد محمد ، وكان هذا الرجل مع الشيخ عمر الفوتي في الحجاز سنة ١٨٢٨ م – ٣٢ ثم رحل إلى اليمن حيث أدخل أناساً هنالك في الطريقة التجانية وأسس زاوية تجانية ، وعندما بلغه ما يقوم به الشيخ عمر الفوتي من الأعمال الباهرة في نشر التجانية ، ارتحل إلى غرب أفريقيا لزيارته هنالك ، وأقام معه برهة من الزمن ثم رجع مرة أخرى إلى مصر ، ماراً في طريقه بالسودان المصري ، يدخل جماعة من السكان في الطريقة التجانية أينما حل فيها ، وعيّن هناك أربعة مقدمين الذين قاموا بنشر الطريقة في البلاد (١) .

ونقل أيضاً من كتاب طريق الحق للشيخ محمد الحافظ أن الشخص الذي يعتبر العامـل الرئيسي لانتشار الطريقة التجانية في السودان المصري هـو رجل شنجيطي يدعى محمد بن المختار ، وكان يعرف أيضاً بولد العلية مضافاً إلى والدته فاطمة العلية، وهذا الرجل تاجريسير في ركبه عظيم من الخدم المكون من الجواري والغلمان والأعوان فقيل إنه كان مبعوثاً من قبل سلطان دارفور على دينار إلى السلطان عبد الحميد في اسطنبول ومر في طريقه إلى تركيا بمصر حيث أقام قليلاً في أسيوط فأدخل أسرة الخشبة هناك في التجانية (٢) .

ولكن الراجح أن الطريقة التجانية دخلت السودان المصري قبل ذلك التاريخ على يد الشيخ مولود فال الكبير الشنجيطي جد أب الشيخ محمد الهادي (٣) وذلك قبل حج الشيخ عمر الفوتي بسنين كما سيأتي :

---

١ – الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٥٨ ٢ – الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ١٥٩

٣ – الشيخ محمد الهادي شريف مورتاني وهو أول من أدخل التربية الصوفية التجانية الانياسية في نيجيريا وأقدر تلاميذ الشيخ ابراهيم انياس الكبار .

الطريقة التجانية في الحجاز

وأما الحجاز فقد صار ملتقى التجانيين منذ أن كان الشيخ التجاني في قيد الحياة ، كما صار مأوى الكثيرين من شيوخهم بعد وفاته ، ولا سيما أنه أخبر أصحابه بأن الإمام المهدي إذا ظهر يكون أخا لهم في الطريقة ، كما أنبأهم أيضاً أنه سوف يأخذ الطريقة التجانية من أيديهم وقد جاءت الرواية بأن الإمام المهدي سوف يبايع له بالخلافة بين الركن والمقام بعد أن فر من المدينة إلى مكة اتقاء الفتنة (١) وقالت رواية أخرى أنه إذا خرج يسند ظهره إلى الكعبة فأول ما ينطق به هذه الآية « بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » ثم يقول أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم ، فمن ثم يكون سلام الناس عليه (السلام عليك يابقية الله في الأرض) (٢) وقد روى الشيخ عمر الفوتي في كتاب الرماح فقال : « وقد أخبرني السيد محمد الغالي ونحن في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام بأنه جاور الحرمين الشريفين لأمور ، منها أنه يترصد ظهور الامام المهدي وهو حاضر لعل الله يمن عليه بأخذ الإمام هذه الطريقة على يديه ، وقد تركته هناك مجاوراً (٣) وقال الشيخ محمد فتحا النظيفي أحد شيوخ التجانية ودعاتها .

فيأخذها المهدي عند ظهـــــوره لدى من له الإذن الصحيح بطيبة(٤)

ولعل من أجل ذلك هاجر هؤلاء الشيوخ التجانيون من المغرب وإفريقيا الغربية إلى الحرمين وإلى المدينة بالذات ، ولكنهم لم يؤسسوا بها زاوية إلا في سنة ١٣٤٢ هـ ١٩٢٣ م بفضل مساعي الشيخ محمد بن عبد الملك العلمي الجزائري المتوفى سنة ١٣٥٣هـ ١٩٣٤ م وذلك عندما أعوزه الأمر واستعان بالسيد علي خليفة السيد محمد البشير حفيد الشيخ التجاني ، فكتب له رسالة إلى الشيخ الفا هاشم الفوتي وغيره من أكابر التجانيين القاطنين في المدينة يطلب منهم أن يساعدوا العلمي في إقامة زاوية تجانية هناك ،

---

١ – جلال الدين السيوطي : كتاب العرف الوردي انظر الجزء الثاني الحاوي للفتاوى ٥٩ .
٢ – المؤمن الشبنجي : نور الأبصار ١٥٧ ٣ – الشيخ عمر الفوتي : المصدر السابق جـ ٢ – ٤٤ .
٤ – انظر الدرة الخريدة جـ١ – ص١٣٦

فساعفوا طلبه وأسسوا زاوية وداراً لنزول الضيوف التجانيين ومكتباً لتعليم قراءة القرآن (١) .

الطريقة التجانية في تركيا

لعل الطريقة التجانية دخلت أول ما دخلت تركيا على يد السيد محمد بن المختار السابق ذكره ، الذي بعثه سلطان دارفور حوالي سنة ١٨٨٠ م - ١٢٩٨ هـ إلى السلطان عبد الحميد في تركيا . وقيل إن هذا الرجل قد أدخل السلطان نفسه في الطريقة التجانية أيام إقامته في اسطنبول العاصمة حينئذ (٢) وروي أيضاً أن رجلاً جزائرياً يدعى السيد محمد العبيدي وصل إلى اسطنبول سنة ١٨٩٦ م - ١٣١٤ هـ بقصد تأسيس زاوية تجانية هناك في عاصمة المملكة العثمانية ، لقد كان وصول هذا الرجل إلى اسطنبول محل عناية السفارة الفرنسية الموجودة هناك ، فاتصلت به فوراً فقدمت له يد المساعدة في إنجاز هذا المشروع (٣) وقيل إن الشيخ محمد بن عبد الملك العلمي السابق ذكره الذي تولى مسؤولية تأسيس الزاوية التجانية في المدينة المنورة كذلك تحمل أعباء رفع راية التجانية في السودان المصري وسوريا وفلسطين والحجاز وزار مدينة ماردين في تركيا حيث استطاع أن يكوّن حوله أتباعاً للطريقة ويؤسس لهم مركزاً (٤).

الطريقة التجانية في جنوب الصحراء الكبرى

لعل كون الشيخ مولود فال الكبير الموريتاني أول من نشر الطريقة التجانية في طول السودان الغربي إلى السودان المصري لا يكون موضع شك إذا نظرنا إلى أنه هو الذي لقن الطريقة التجانية - عندما كان في طريقه إلى الحرمين لأداء فريضة الحج - للشيخ

---

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٦٠

٢ - الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ١٥٨ ٣ - الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ١٦١

٤ - الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ١٦٠

عبد الكريم الناقل الفوتي (١) الذي لقنها بدوره للشيخ عمر الفوتي الذي يعتبر فيما بعد بطل الطريقة التجانية المدافع عن حوزتها والقائم بنشرها في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى في العقد الثالث والرابع من القرن التاسع عشر الميلادي ، حوالي خمسينات القرن الثالث عشر الهجري وستيناته ، إلا أننا لا نعرف بالضبط في أية سنة حج ذلك الشيخ المورتاني ، ولكن الشيخ عمر الفووتي يخبرنا بأنه أي الفوتي قد لازم الشيخ عبد الكريم الناقل سنة كاملة وبضعة أشهر بعـــد أن لقنه الطريقة ، وذلك قبـــل أن يفكرا في الرحلة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، وعندما اتفقا على ذلك خرجا سوياً قاصدين المغرب لطلب الزاد (٢) فأصيب الشيخ الناقل بمرض في الطريق فرجع من جراء ذلك إلى الوطن منتظراً عودته ، ثم بعد أن انتظره مدة رحل إلى مدينة حمدالله عاصمة ماشن (٣) لينتظره هنالك ، ومات قبل أن يلحقه الشيخ عمر إلا أنه لم يخبرنا بمقدار المدة التي قضاها في المغرب لطلب الزاد ، كما أنه لم يبين لنا تاريخ لقائه بالشيخ الناقل ، ولا تاريخ خروجهما من فوت إلى المغرب .

ومهما يكن من رأي فإن الشيخ عبد الكريم الناقل من فوت جلو والشيخ عمر الفوتي من فوت طورو وقد اتصل الثاني بالأول عندما رحل إلى فوت جلو في بعض أسفاره التعلمية حسب ما دلت عليه بعض المصادر (٤) أو أن الأول هو الذي ورد فوت طور لسبب من الأسباب فالتقى بالثاني هنالك ، ثم رحلا معاً إلى فوت جلو كما صرح به مصدر آخر (٥) وعلى أي حال فإن هذا يدل على أن الشيخ عبد الكريم الناقل قد أخذ الطريقة التجانية بزمن غير قصير قبل لقائه بالشيخ عمر الفوتي وبالتالي

١ – الدكتور جميل أبو النصر : نفس المصدر ١٠٦

٢ – لا ندري أيعني بالمغرب الأقصى أم فوت طورو نظراً لكونه يقع غربي فوت جلو تقريباً .

٣ – ماشن هي البلاد الواقعة جنوبي مدينة تنبكتو حيث أسس الشيخ أحمد لبو دولته في سنة ١٨١٩ م – ١٢٣٥ هـ واتخذ مدينة حمدالله عاصمة له وهي الآن في جمهورية مالي انظر ٣٠١

Africa In The Nineteenth A Twentieth Centuries By j.c. Anene And God Frey Brown . 301 Oxford Atlrs For Nigeria . 14 .

٤ – الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٠٦ .

٥ – الدكتور عمر جاه : رسالة دكتوراه عل الشيخ عمر الفوتي الورقة (١٢٧)

فإن الشيخ مولود فال قد حج في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي وربما في العقد الثاني منه ، وذلك يكون في أربعينات القرن الثالث عشر الهجري لأن رواية بنيه تكاد تتفق على أنه زار الشيخ التجاني في فاس فوجد أنه مات ، ثم عاد إلى وطنه ليرجع مرة أخرى ، لطلب أسرار الطريقة التجانية ، ولم يلبث بعد عودته من فاس في هذه المرة حتى أزمع على المسير إلى الحرمين لأداء فريضة الحج ، والشيخ التجاني مات على رأس العقد الثالث من القرن الثالث عشر الهجري (١) .

ومهما يكن من شيء فقد أخبرني الشيخ محمد الهادي في منزله بحاضرة تنبيعل في الجمهورية الإسلامية الموريتانية في مقابلتي معه يوم الثلاثاء التاسع لأغسطس سنة ١٩٧٧ م أن جده إلا على الشيخ مولود فال قد أدخل في الطريقة التجانية – وهو في طريقه إلى الحجاز – رجلا مهماً يسمى أحمد الخليفة الدولبي في قرية « تسمى خرسي قريبة من مدينة لبيه (العبيد) في جمهورية السودان المصري ، وذلك بعد أن جاءه أمر بذلك من النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ التجاني اللذين اجتمع بهماعند مروره بتلك الديار ثم أراني – شهادة على صدق ما أخبرني به – إجازة كتبها جده هذا بخطه المغربي (لمودبو) أحمد راج جد (جلاديما) أدماوا (٢) محمد في بطاقة مصورة في صورة الفوتوغرافية . فقال : ان الأصل لا يزال محفوظاً عند أسرة جلاديما في أدماوا .

وذلك أن جلاديما محمد طلب من التجانيين الادماويين أن يأتوه بأحد أحفاد الشيخ مولود فـــال إذا جاء فلما قدم الشيخ محمد الهادي نيجيريا وزار أدماوا أخبروه بذلك فذهب الية ، فقال له جلاديما : « « إنما طلبتك لأنني أريد أن أريك خط جدك». فأخرج له هذه الاجازة فلما طلب الشيخ الهادي منه أن يــدفعها له امتنع فأمر بها فصورت له وفيما يلي مضمونها .

---

١ – السيد العربي : المصدر السابق ١٤٨ .

٢ – (أدماوا) اسم مديرية في نيجيريا تقع في الشمال الشرقي لشمال نيجيريا وعاصمتها (يولا) .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وعليه توكلي :

ألهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً وبعد فإني أذنت للشيخ الإمام راج في طريقة شيخنا التجاني رضي الله عنه كلها وأذنك له في الفاتحة مع تلاوة الإسم الأعظم وفي حزب البحر وفي الاسماء الإدريسية وفي ياقوتة الحقائق وفي أربعين من جوهرة الكمال ، كل يوم المداوم عليها يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم محبة خاصة ، ولا يموت حتى يكون ولياً وفي دعاء السيفي وأذنت له في كل مااحتوى عليه جواهر المعاني كتبه مولود فال .

قال مولود فال رحمة الله عليه فإني أخذت هذه الطريقة عن السيد الغالي رضي الله عنه ثم أبي يعزى بن الحاج الحرازم ثم سيدي الحفيان ثم سيدي عبد الرحمن ثم سيدي الواحد ثم سيد الطيب وهم أخذوا عن الشيخ التجاني في حياته » (١).

ولا شك أن هذه الإجازة وإن كانت للأسف غفلا من التاريخ فإنها تدل بكل وضوح على أن الشيخ مولود فال قد مر بنيجيريا في طريقه آلى الحجاز وبالتالي تشكل دليلاً قاطعاً على أنه قد ظل ينشر الطريقة التجانية في طريقه عبر السودان الغربي ، من أقصاه أي من سنغال غرباً إلى نيجيريا شرقاً ، ومن ثم إلى السودان المصري شمالاً لأننا نشعر شعوراً قوياً بأن الشيخ عبد الكريم الناقل ليس هو وحده الذي أخذ الطريقة التجانية من يد الشيخ مولود فال ، بل قد أخذها منه آخرون غيره في المنطقة مثل الشرنو مايرو في السنغال فإنه أخذها أولاً عن الشيخ مولود فال (٢) ثم جددها بعد ذلك في يد الشيخ عمر الفوتي لما علا صيته وعظم أمره بل لا يبعد أن يكون شيخ تجاني آخر قد ورد هذا القطر ، فأدخل آخرين ، غير من أدخلهم الشيخ مولود فال في الطريقة التجانية ، فإن قصة الشيخ أحمد بنبو يؤيد ذلك ، فإن بنبو هذا طوري مثل

---

١ – الشيخ مولود فال هنا لم يجعل الشيخ محمد الحافظ في أسانيده مع أنه أيضاً ممن أخذ عن الشيخ التجاني مباشر في حال حياته ولكنه جعله في أسانيده في إجازته للشيخ عبد الكريم الناقل لعله يريد بذلك التنويع أو نسي لكثرة عدد من ذكرهم .

٢ – الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٤٤

الشيخ عمر فرفض الاذعان لسلطته بعد موته ، وادعى أنه هو رئيس التجانيين في فوت طورو الوطن الأصلي للشيخ عمر نفسه ، فصار شجى في حلق الفرنسيين من سنة ١٨٦٤ م - ١٨٧٠ م (١) وإن كان مصدرنا قد سكت عن ذكر من أخذ عنه الشيخ بنبو الطريقة التجانية ، ولا تاريخ أخذه أياها ، ولكننا نعرف أنه لم يأخذها من الشيخ عمر ، لأنه كان بينهما اتصال قبل أن يحج الأخير ، وعلى ذلك فان الشيخ بنبو إما أنه أخذ عن الشيخ مولود فال أو عن الناقل ، أو غيره، فإن دلت حركة الشيخ بنبو هذه على شيء فإنما تدل أولا وقبل كل شيء على أن الطريقة التجانية قد رسخت في فوت، أو بعبارة أخرى في سنغال قبل جهاد الشيخ عمر الفوتي ، ولعله من أجل ذلك ذهب بعض الكتاب إلى أن الطريقة التجانية انتشرت في السودان الغربي فور وفاة الشيخ التجاني ، وذلك بفضل جهود السيد علي التماسيني ، الذي صار خليفة من بعده بوصيته ، وهو الذي نظم حركة الدعوة وجعلها تسير جنباً إلى جنب مع تجارته التي يرسلها إلى تلك الاصقاع ، فكان المقدمون يسيرون مع الركب المتكون غالباً من أخوان الطريقة إلى شنجيط والسنغال وفوت وتنبكتو إلى سيغو على منعطف نهر نيجير ، وذهب هذا الكاتب إلى أبعد مدى في ذلك حيث قرر أن زوايا تجانية قد أسست من ذلك الوقت في كنو وبرتو ووادي ، إلا أن ظاهر هذا الكلام يدل على أنه مجرد تخمين فحسب لعدم وجود الشواهد المحلية في هذه البقاع تصدق تقريره هذا (٢)، هذا كله من ومن جهة أخرى نرى أن الشيخ مولود فال لا يكتفي بتلقين الطلءريقة فقط ، بل يقدم بعض من لقنهم أيضاً ليلقنوها للآخرين ، كما هو شأن الشيخ عبد الكريم الناقل الفوتي، وقد رأينا أيضاً أنه أي الشيخ مولود فال أطلق الإذن لمودب أحمد راج إطلاقاً تاماً ، مع جميع أسانيده وسلاسله وحتى إنه أذن له في قراءة الفاتحة بنية الاسم الاسم الاعظم صراحة ، الأمر الذي عظمه الشيخ عمر الفوتي حتى استبشع التصريح بذكره ، فقال في تعداده للاسرار التي اذن له في قراءتها السيد محمد الغالي : « وفي الفاتحة بنية كذا وكذا ». (٣) ولا شك أن هذا وسيلة فعالة من وسائل نشر الطريقة

---

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٢٣

٢ - Islam in west africa j.S. Trimingham

٣ - الشيخ عمر الفوتي : المصدر السابق ج ١ - ص ١٨٣ .

الشيخ عمر فرفض الاذعان لسلطته بعد موته ، وادعى أنه هو رئيس التجانيين في فوت طورو الوطن الأصلي للشيخ عمر نفسه ، فصار شجى في حلق الفرنسيين من سنة ١٨٦٤ م – ١٨٧٠ م (١) وإن كان مصدرنا قد سكت عن ذكر من أخذ عنه الشيخ بنبو الطريقة التجانية ، ولا تاريخ أخذه أياها ، ولكننا نعرف أنه لم يأخذها من الشيخ عمر ، لأنه كان بينهما اتصال قبل أن يحج الأخير ، وعلى ذلك فان الشيخ بنبو إما أنه أخذ عن الشيخ مولود فال أو عن الناقل ، أو غيره، فإن دلت حركة الشيخ بنبو هذه على شيء فإنما تدل أولا وقبل كل شيء على أن الطريقة التجانية قد رسخت في فوت، أو بعبارة أخرى في سنغال قبل جهاد الشيخ عمر الفوتي ، ولعله من أجل ذلك ذهب بعض الكتاب إلى أن الطريقة التجانية انتشرت في السودان الغربي فور وفاة الشيخ التجاني ، وذلك بفضل جهود السيد علي التماسيني ، الذي صار خليفة من بعده بوصيته ، وهو الذي نظم حركة الدعوة وجعلها تسير جنباً إلى جنب مع تجارته التي يرسلها إلى تلك الاصقاع ، فكان المقدمون يسيرون مع الركب المتكون غالباً من أخوان الطريقة إلى شنجيط والسنغال وفوت وتنبكتو إلى سيغو على منعطف نهر نيجير ، وذهب هذا الكاتب إلى أبعد مدى في ذلك حيث قرر أن زوايا تجانية قد أسست من ذلك الوقت في كنو وبرتو ووادي ، إلا أن ظاهر هذا الكلام يدل على أنه مجرد تخمين فحسب لعدم وجود الشواهد المحلية في هذه البقاع تصدق تقريره هذا (٢)، هذا كله من ومن جهة أخرى نرى أن الشيخ مولود فال لا يكتفي بتلقين الطلريقة فقط ، بل يقدم بعض من لقنهم أيضاً ليلقنوها للآخرين ، كما هو شأن الشيخ عبد الكريم الناقل الفوتي، وقد رأينا أيضاً أنه أي الشيخ مولود فال أطلق الإذن لمودب أحمد راج إطلاقاً تاماً ، مع جميع أسانيده وسلاسله وحتى إنه أذن له في قراءة الفاتحة بنية الاسم الاسم الاعظم صراحة ، الأمر الذي عظمه الشيخ عمر الفوتي حتى استبشع التصريح بذكره ، فقال في تعداده للاسرار التي اذن له في قراءتها السيد محمد الغالي : « وفي الفاتحة بنية كذا وكذا ». (٣) ولا شك أن هذا وسيلة فعالة من وسائل نشر الطريقة

---

١ – الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٢٣

٢ – Islam in west africa j.S. Trimingham

٣ – الشيخ عمر الفوتي : المصدر السابق ج ١ – ص ١٨٣ .

التجانية في السودان الغربي ، وفي الدعاية للطريقة التجانية أيامئذ ، خصوصاً إذا نظرنا إلى أن هذه الديار كلها من أدناها إلى أقصاها تعتبر مناطق نفوذ لسلطة الطريقة القادرية التي رسخت أقدامها فيها ، وخيمت يومئذ على السودان الغربي المسلم بأكمله تقريباً ، حتى استولت عظمة الشيخ عبد القادر الجيلاني على قلوب الرجال والنساء من سكانه المسلمين حتى تعودوا أن يستغيثوا به في كل ملمة ، ويصدق ذلك ما رواه لنا الشيخ عمر الفوتي عن زوجته التي أصيبت بوجع في بطنها — عندما كان يعدد الأمور التي يعتبرها علامة دالة على صحة خلافته للشيخ التجاني — فقال : « ومنها أن أم أحمد الكبير أصابها وجع البطن وقد أخذت مني الطريقة أي التجانية وأذكارها فصارت تنادي وتستغيث بعبد القادر الجيلاني ، وتقول : ياعبد القادر على عادتها قبل أن تكون تجانية فأخذها النعاس وسمعت قائلاً يقول : دعي عبد القادر ولكن قولي يأحمد التجاني فإن الله يعافيك فقالت ذلك وعوفيت من ساعتها » (١).

لقد كان هذا كله قبل أن يأخذ الشيخ عمر الفوتي الطريقة التجانية ، وقبل أن يفكر في الرحلة إلى الحجاز أيضاً ، وأما في حال سفره إلى الحجاز فالراجح أنه لم يلقن الطريقة التجانية لأحد ، حيث لا إذن له في ذلك حينئذ ، واذنه كله مقيد بقراءة الأوراد اللازمة ، وذكر عصر يوم الجمعة فقط وإلى كل هذا يهدف بقوله : « إعلم أن سيدي عبد الكريم ما قضى الله لي على يديه إلا الأوراد اللازمة للطريقة ، وهو الورد والوظيفة ، وذكر وذكر عصر يوم الجمعة ، وأما الأذكار الخاصة فما وجدت منها على يديه إلاحزب السيفي مجرداً عن حزب المغني بعد أن لازمته سنة كاملة مع زيادة أشهر » (٢).

الطريقة التجانية في نيجيريا والشيخ عمر الفوتي

لقد مر الشيخ عمر الفوتي بنيجيريا في طريقه إلى الحجاز وزار كلا من أمير المؤمنين محمد بلو في سكتو وعمه الشيخ عبدالله بن فودي في قوندو ، ويبدو أنه قد

---

١ — الشيخ عمر الفوتي : نفس المصدر جـ ١ ص ١٩١ .
٢ — الشيخ عمر الفوتي : المصدر السابق ١٨١ .

أعجب به محمد بلو كثيراً حتى زوجه ابنته ، فظل هذا الاحترام الذي حظي به عند محمد بلو عالقاً بذهنه ، ولذلك لما قدمه شيخه السيد محمد الغالي بالمدينة المنورة في الطريقة التجانية وأمره بالرجوع إلى وطنه لنشرها وأكد له أنه خليفة الشيخ التجاني في هذه الأقطار ، فكر أولا في أرض هوسا أو شمال نيجيريا بعبارة أخرى القطر الذي مد الإسلام نفوذه فيه طولاً وعرضاً تحت حكم صهره الذي يصفه دائماً بالأمير العادل ، فظن من جراء ذلك أنه سوف ينجح في نشر الطريقة التجانية بنيجيريا نجاحاً هائلاً وبكل سهولة ٧ فأسفر الأمر عن عكس ظنه ، حيث إن محمد بلو والذين أحاطوا به من أهل الحل والعقد يومئذ أكثرهم تخرجوا على يد الشيخ عثمان بن فودين ،وأنه لمن الصعوبة بمكان أن يتخلى الذي عاصر هذا الشيخ العظيم ونشأ تحت تربيته عن طريقته إلى طريقة غيره ، وقد عبر الوزير غطاطو بن ليما عن ذلك بكل صراحة ، كما سيأتي وهكذا مكث الإمام الفوتي في سكتو سنين عديدة دون أن يحقق نجاحاً يذكر في مهمته، حتى مات صهره أمير المؤمنين محمد بلو حين وجد أن جو البلاد لا يـلائمه ، فعاد إلى وطنه عازماً على أن يؤسس هنالك دولة تجانية نظيراً للدولة القادرية في سكتو .

لقد أشاع التجانيون بأن أمير المؤمنين محمد بلو قد أخذ الطريقة التجانية من يد الشيخ عمر الفوتي وتعلقوا في إثبات ذلك بالرسالة التي كتبها محمد راج بن علي إلى شيخه أبي الفتح خليل وبقصيدة تحقيق المريبين التي نسبت إلى محمد بلو أيضاً .

ولكن الراجح أن محمد بلو لم يأخذ الطريقة التجانية في حياته للأدلة الآتية .

أولاً – ان الرسالة التي تعلقوا بها لا تنهض لهم دليلاً على ما يذهبون إليه ، لأن محمد راج إنما يخبر في رسالته عما سمعه من بعض تلاميذ ذلك الشيخ من الإشاعات التي تذاع حول أخذ أمير المؤمنين للطريقة التجانية لا عما يعتقد صحته في نفسه ، إذ أنه لو كان يعتقد حقاً أن أمير المؤمنين انسلخ من القادرية وانخرط في سلك التجانية لما قال في نفس الرسالة إنه دخل الطريقة التجانية سراً بعد ارتحال الشيخ عمر الفوتي ، لأنه لا يريد أن يترك طريقة شيخه محمد بلو فظل من جراء ذلك عشر سنين يتمسك

سراً (١) فكيف يثقل عليه ترك طريقة شيخه محمد بلو إذا كان يعتقد أن شيخه نفسه ترك طريقته إلى غيرها .

ثانياً – إن قصيدة تحقيق المريبين ليست من تأليف محمد بلو لخلو مؤلفاته منها ، ويدل على ذلك أيضاً إنكار بعض علماء التجانية الكبار لنسبتها إليه (٢) بل وحتى إذا سلمنا أنها من تأليفه فهي لم تتضمن شيئاً سوى مدح الطريقة التجانية ورجالها ، فمجرد المدح لا ينهض حجة على الدخول في الطريقة ، فلقد مدح بعض شيوخ الطريقة القادرية في كنو شيوخ الطريقة التجانية بما فيهم الشيخ التجاني نفسه والشيخ ابراهيم نياس نياس والشيخ محمد الهادي (٣) ومع ذلك لا يزال مصمماً على طريقته القادرية ، ولا يني عن تشييد منارها ورفع أعلامها .

ثالثاً – ولو أن أمير المؤمنين محمد بلو أخذ الطريقة التجانية لجاء ذكر ذلك في بعض مؤلفاته ، أو رسائله ، إن لم يخصص ذلك بتأليف مستقل كعادته، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، بل إنه قد ألف كتاباً قبل موته بسنتين وسماه رفع الإشتباه في التعلق بأهل الله ، والشيخ عمر الفوتي في حاضر سكتو حينئذ ، فجعل الشيخ عبد القادر الجيلاني فوق الشيخ التجاني ضمناً ، ثم قرر أن طرق الأولياء كلها سواسية في الدلالة على الله (٤) .

رابعاً – إن الشيخ عمر الفوتي ما غادر سكتو إلا بعد وفاة محمد بلوو سنة ١٢٥٣ﻫ(٥ وألف كتابه الرماح سنة ١٢٦١ ﻫ (٦) بعد وفاة محمد بلو بثماني سنوات ، وأثبت فيه أكثر الأمور التي جرت بينهما ، ولو أن محمداً بلو أخذ الطريقة التجانية من يده لذكر ذلك ، وعده من انتصاراته ومن علامات صحة خلافته للشيخ التجاني كعادته.

---

١ – Religion and political bultut in kano : john N. Padon

٢ – » » » »

٣ – حمزة دوما : إسهام الشيخ ناصر كبر ٨ .

٤ – انظر كتاب رفع الاشتباه من أوله مخطوط

٥ – انظر كتاب The Emirares of northerni Nigeria 424

٦ – انظر كتاب الرماح للشيخ عمر الفوتي ج ٢ – ص ٢٨٣ .

ولعل القول الفصل في هذه المسألة هو ما قرره الوزير غطاطو بن ليما في كتابه كشف الحجاب ورفع النقاب ، حيث قال : « وأما ما ذكرت أيها السيد من حال أمير المؤمنين محمد بلو وما أشاعه عنه الطغام والهمج التابعون لكل ناعق من القادرية إلى طريق التجاني فاعلم أن ذلك غير صحيح ولم يثبت عندنا ، فإني قد جاورته في ورنو السنتين الأخيرتين من عمره ، وجددت عليه فيهما عهد الشاذلية والقادرية على طريق المنزلي التي أخذناها عن الفاضل الامجد الشريف الحاج عبدالله المكي ... ومن أكبر الدلائل على عدم صحة ما ذكروه أنه رضي الله عنه لم يعطل زياررة والده الشيخ رحمة الله إلى أن مات ، وقد جاور في روضة والده الشيخ مدة ثلاث ليال في آخر شوال وما عاش بعد ذلك إلا تسعة أشهر ، ومعلوم أن الطائفة التجانية لا يجيزون زيارة الأولياء لمن سلك طريقتهم ، ويرون ذلك من أكد شروطها وهو مقرر في كتاب جواهر المعاني وفي كتاب روض المحب الفاني في مناقب التجاني ، ولو أمير المؤمنين محمداً بلو سلك الطريقة التجانية كما زعموا ، أو سلك بها أحداً لكنت ان شاء الله تعالى أول من يعلم ذلك ، وقد قرأت عليه جواهر المعاني المذكور ... ومع ذلك ما سلكني في سلكه ، ولا صبغني بصبغه ، بل وكد على الوصية في الإمساك بالطريقة القادرية والتزام شروطها الأربعة التي هي اتحاد الوقت والحال واتحاد القول والفعل والثبوت مع الله في مجاري الاحوال ومنازعة الاقدار بالحق في الحق ، يا عجباً كيف يخرج أمير المؤمنين من الطريقة القادرية ، ويسلك غيرها – مع علمه بمقام الشيخ الجيلي وإذعان علماء الأمة وأوليائها لولايته كابراً عن كابر ، ولم ينازع في ذلا أحد قط – مع صحة روايتها عندنا واشتهار مشايخها وإمامتهم وولايتهم ، ولو لم يكن في ذلك معاندة شيخه ، وعقوق والده ، والخروج عن سلسلة عهده لكان فيه أكبر مانع وأبلغ رادع ، بل كثير من علماء هذه الجماعة وصلحائها وذوي بصيرتها الذين سرت فيهم نورانية الشيخ وجمهور العامة منها لا يستجيزون الخروج عن سلسلة القادرية ، ولا يلتفتون إلى غيرها لرسوخ عظمة الشيخ في قلوبهم وصحة اعتقادهم فيه،وقوة يقينهم به ، فلا تؤثر فيهم الأقوال الفتانة الواردة من شذاذ الأفاق ، وغرباء البلدان،

وإنما يغتر بذلك ويفتتن به الطلبة الاحداث من هذه الجماعة الذين نشأوا بعد الشيخ(١).

لعل هذا الكلام الصادر من الوزير غطاطو الذي كان وزيراً وتلميذاً ومريداً ملازماً لأمير المؤمنين محمد بلو يكون بمثابة الجهيزة التي قطعت قول كل خطيب.

ومهما يكن من رأي فإن الشيخ عمر الفوتي لم يخبرنا بأن أحداً من كبار رجال العلم والدين والسياسة في سكتو أو في غيرها من مدن نيجيريا أخذ الطريقة التجانية من يده، وان كان ذلك لا يمنع أن يكون عدد من المتعلمين قد أخذوها منه، والرسالة التي مرت بنا آنفاً والتي كتبها محمد راج بن علي شاهدة على ذلك، ولا سيما أن الروايات الشفوية تذكر أن الشيخ عمر الفوتي مر في طريقه راجعاً من الحرمين بمدينة كوكاو عاصمة برنو حينئذ، ومر كذلك بمدينة بوشي وزاريا وكنو وكشنه، وذكرت أيضاً أنه أسس أول زاوية تجانية في مدينة زاريا فأخذ عنه سادة أسرة ملاوا (٢) الطريقة التجانية (٣) وكذلك ذكرت أيضاً أنه عند مروره بمدينة كنو قد نجح في إدخال بعض الأسر في حارات (مَدَابُو ، وقُوْق ، وقو فَرْوَنبى) وكبرا في الطريقة التجانية فمثلا انه في حارة (مَدَابُو) ادخل (بَبّنْ مالى) المفتي العام الشيخ عمر في الطريقة التجانية (٤) ولقنها في حارة قُوق لأسرة أدهم كما أخذها عنه المعلم (سَابُو) في حارة قُوْ فَرْوَنبى وكذلك المعلم شمس النفاوي في حارة كبراً (٥)..

---

١ - الوزير غطاطو بن ليما : كتاب كشف الحجاب ورفع النقاب الورقة الثانية.

٢ - ملاوا اسم أسرة وهي احدى الأسر الثلاثة التي تحكم زاريا وبقية الاثنين هما كشناوا وبرابتري.

٣ - ولكن المعلم نأى أحد كبار فقهاء زاريا أنكر ذلك وقرر أن الشيخ عمر الفوتي عندما مر بـ (زاريا) لم يمكث طويلا وأن أسرة ملاوا كانوا يتمسكون بالطريقة التجانية قبل مجيئه وأنه إنما كان يذكر في زاريا دائماً لأنه أول من جاءهم بكتاب الزقاقي في علم الشريعة فقط ولكن بعض مؤرخي التجانية في كنو أيدوا صحة كون الشيخ عمر الفوتي أول من لقنهم الطريقة التجانية انظر

Jogn N. Paden Religion and Political in kano 15

٤ - وكذلك أنكر (ببن مالي) الحاج ابراهيم كون الشيخ عمر الفوتي أول من لقن فقهاء مدابو الطريقة التجانية وذهب إلى أنهم كانوا تجانيين قبل مجيئه وإنما جدد لهم فقط نفس المصدر ٦٤.

٥ - نفس المصدر.

على أن كون الشيخ عمر الفوتي الوسيلة الرئيسية لانتشار الطريقة التجانية الواسع في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى لا ينبغي أن يكون موضع جدل ، فإنه وإن لم يكن قد حقق نجاحاً بنفسه في نشر الطريقة التجانية في هذه الاقطار طولها وعرضها كما عقد العزم عليه ولكن أقرباءه وتلاميذه الذين أخذوا عنه في وطنه فوت طورو والبلاد المجاورة لها قد قاموا بنشاط لا يستهان به في نشرها بعده ، وخصوصاً في السنغال ، وجامبيا ، وغينيه ، ولم تكن نيجيريا أيضاً مستثناة مديثار هذا النشاط الدعوي نظراً لأن أحمد طال ابنه وخليفته على دولته لمـا اشتبك مع الغزاة الفرنسيين المستعمرين في سيغو قاعدة دولته فر هارباً متوجهاً نحو الشرق هو وأسرته المكونة من أبنائه وإخوته ووجوه قومه وجنوده إلى نيجيريا حتى وصلوا إلى سكتو وهم يومئذزهاء عشرة آلاف نفس ، وفيهم حوالي ستين أمير يتبع كل واحد منهم مئات من أتباعه ، ولكن الشخصيات البارزة في هذه الموجة من اللاجئين هم أحد طال رئيس الجماعة ، وابنه أحمد المدني ، وأخوه محمد البشير ، فلجأت هذه الجماعة الكبيرة التي تحمل إسم التجانيين إلى نيجيريا ومنحوا حق اللجوء السياسي (١) وهؤلاء طبعاً لا يقفون مكتوفي الأيدي تجاه نشر طريقتهم ما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

---

١ – ظلت هذه الموجة من اللاجئين في سكتو حتى مات أحمد طال ثم قادها أخوه محمد البشير قاصداً بهم الحجاز للاستيطان هنالك ، ويبدو من اختلاف الروايات أن الجماعة انقسمت إلى فرقتين فرقة يقودها محمد البشير وربما كانت هذه هي التي مرت بمدينة كنو ،وفرقة يقودها أحمد المدني ،وهي التي شقت طريقها مخترقة أراضي سكتو وكشنه وكنو حتى دخلت أرض بوشي ، فقد قرروا طريقها الرئيسي الذي سلكته من سكتو إلى بوشي كالآتي خرجت من سكتو مارة بغسو في أميرية سكتو ثم خرقت أرض كشنه فنزلت بـ (غركو) في أميرية كنو ثم انتقلت مارة بغيا (ودراجيا وبسركا في كتك ومن ثم إلى دارزو في أميرية بوشي إلى ورودغو وإلى جنفوفي في بوشي حيث مكثت ستين ولعل هذه الفرقة هي التي كانت تحت قيادة أحمد المدني لأنه لم يقاتل الإنكليز حتى إن المندوب السامي لمديرية بوالشي المستر تمبل عينه أميراً للتجانيين عند مقامهم هنالك .

ولعل الفرقة التي يقودها محمد البشير هي الكبيرة وربما كانت هي التي مرت بمدينة كنو كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق ، ومن ثم وصلت إلى مسو حيث استطاع أميرها أحمد والد أميرها الحالي محمد منغ أن يقنعه بالاستيطان هنالك فأعطاه بلدة لهذا الغرض وأقام فيها مع جماعته حتى عندما خرج أمير المسلمين الطاهر من سكتو هارباً من الغزاة الإنكليز قاصداً (برم) ومر بمسو انضم اليه محمد البشير مع جماعته حيث=

ولكن العلماء المعاصرين كلهم يكادون يتفقون على أن خروج محمد البشير من سكتو ماراً بكنو في طريقه إلى الحجاز هو أول عهد الكنويين بجماعة كبيرة متفقة على اتباع الطريقة التجانية (١) .

ومن الجدير بالذكر هنا أن أمراء هطيجيا الذين حكموا في هذا القرن كلهم تجانيون ولعل ذلك كان بتأثير هجرة هؤلاء التجانيين العمريين إلى أميريتهم ولعل مديرية أدماوا أيضاً من أهم مراكز التجانيين العمريين منذ القرن التاسع عشر الميلادي وربما كان ذلك بتأثير محمد راج بن علي فكان العمريون الذين في هطيجيا الذين يعتبرون أنفسهم خلفاء الشيخ عمر الفوتي من جهة النسب والطريقة يحاولون إنشاء الروابط والعلاقات الودية بينهم وبين كل من كان له علاقة بالشيخ عمر الفوتي خصوصاً من أخذ عنه (٢) .

ولكن العامل الرئيسي لنشر الطريقة التجانية في نيجيريا هو شريف مغربي فاسي يدعى الشريف محمد ويلقب بحفيد التجاني وكان يعرف أيضاً في بعض جهات نيجيريا

= أسره الإنكليز عقب انتهاء المعركة ونقلوه إلى توكوجه واستمر بقية قومه الذين اشتركوا في معركة برم إلى السودان المصري حيث استوطنوا هنالك في قرية تسمى سنار ولا تزال ذراريهم موجودة فيها إلى الآن. وأما أحمد المدني فانه عندما أسر عمه محمد البشير ونقل إلى كولوجه وفرت الفرقة التي كانت معه إلى السودان سار مع من معه من بقية جماعتهم من جيفو في بوشي إلى نافظا في أميرية غومبي ثم إلى هاشد وإلى غنغر في بوش أيضاً ثم إلى مسو فمن ثم توجه إلى هطيجيا حيث منحه أميرها بلدة دكياوا ولعلها ولعلها هي التي تسمى ين ليمن الآن فاستوطنها مع ما يزيد على مائتي عائلة ولا تزال ذراريهم موجودين هنالك حتى الآن وعددهم الآن يزيد على خمسمائة عائلة وهم ما بين التجار والفلاحين والمعلمين والمتعلمين ورئيسها يحمل حتى الآن لقب أمير التجانيين وهو في الوقت الحاضر السيد محمد الغالي ابن عمر حفيد أحمد طال ابن الشيخ عمر الفوتي وكان بينهم وبين العمريين الذين كانوا في فوت طورو السنغال علاقة واتصال مستمرين وكذلك بينهم وبين التجانيين التقليديين في زاريا وكذلك بينهم وبين رؤساء الحركة التجانية الجديدة في كنو وهلم جرا انظر كتاب

Jogn N. Paden Religion and Political Culture in kano 97 - 84

١ – John N, Paden : نفس المصدر 97 .

٢ – نفس المصدر 28 .

بالشريف زنغنه (١) جاء هذا الشريف إلى مدينة كنو في عهد أميرها على المشهور وسكن في حي (دندلي) في المدينة وزار مدينة زاريا ومات أخيراً في بلدة لوكوجه (٢) وقد أخذ منه عدد كبير من علماء كنو الطريقة التجانية ومنهم المعلم سعد بن طاهر ، وأهم من أخذ منه في كنو المعلم محمد سلفا ، وكانت سلسلته تبتدىء من السيد أحمد العبدلاوي عن السيد علي التماسيي عن الشيخ التجاني (٣) وكذلك أخذ عنه عدد غير قليل من علماء زاريا والبلاد الأخرى ، وكان هذا الشريف هو عمدة أهل جوس في الطريقة التجانية قبل مجيء بن عمر حفيد الشيخ التجاني .

ولكن الشيخ أبا بكر عتيق ذهب إلى أن الطريقة التجانية انتشرت في بلاد هوسا كلها على يد المعلم محمد سلفا ، وإلى هذا المعنى يهدف بقوله : ولم ينتقل المعلم محمد سلفا إلى جوار ربه حتى كان أكثر أتباع الطريقة التجانية في بلاد هوسا من تلاميذه الذين أخذوا عنه إلا النادر (٤) وهذا الكلام صحيح تقريباً إذا نظرنا إلى عدد العلماء الكبار الذين حضروا درسه من أمصار شمال نيجيريا وما والاها من البلاد المجاورة ، فمثلاً قد أخذ عنه المعلم أحمد (لبردى) من (غوندو) والمعلم طن (غوغو) من (سكتو) والمعلم حسن كافنغ من (كنو) والمعلم محمد أب من (دماغرم) جمهورية نيجيريا والمعلم حسن من (كونتغورا) وابراهيم (مى ريغرفاتا) من (برنو) والمعلم (أب نطن) فنا من (دماغرم) أيضاً والمعلم تان من (اغدس) جمهورية نيجير أيضاً وسعد النفاوي من (سابون غري) وكثيرون غيرهم (٥) ولا شك أن هؤلاء قد أخذوا مع ما أخذوا عنه من العلوم ، الطريقة التجانية ونشروها في أقاليمهم كما نشروا ما أخذوا عنه من العلوم .

وجاء إلى كنو أيضاً لعل في غضون الحرب العالمية الأولى في عهد أميرها عباس بن عبدالله الشيخ عبد الوهاب المعروف بالشريف أجدود (٦) وكان هذا الشريف يقرأ

---

١ – الشيخ أبو بكر عتيق : تحصيل الوطر الورقة الثانية ٢ – في تاريخ غير معلوم .
٣ – الشيخ أبو بكر عتيق : نفس المصدر والورقة ٤ – الشيخ أبو بكر عتيق : نفس المصدر والورقة
٥ – John N. Paden : المصدر السابق ٨٧ . ٦ – نفس المصدر ٨٣

الوظيفة في منزله بجوار السوق في المدينة وقد جدد للشيخ محمد سلغا إذنه في الطريقة وقيل إن الأمير عباس نفسه قد أخذ الطريقة التجانية منه ، ولكن ذلك صار موضوع جدل بين الشيخ محمد الناصر ؛ عيم القادرية في كنو وبين الشيخ أبي بكر عتيق ومن يؤيده ، أنكر الشيخ الناصر أن يكون الأمير عباس قد دخل الطريقة التجانية إنكاراً تاماً بينما ذهب الشيخ أبو بكر عتيق كل مذهب في تقرير أخذ الأمير عباس للطريقة التجانية وأيد وجهة نظره بما أثر عن الوالي سليمان أنه أثبت ذلك كل إثبات وكذلك وكذلك أيضاً أن زوجتيْ (١) الأمير اللتين أخذتا الطريقة التجانية أكدتا أن زوجهما أخذ الطريقة التجانية من يد ذلك الشريف وأثبت ذلك أيضاً آخرون غيرهم (٢).

وكان الوالي سليمان هو أكبر تلاميذ الشريف أجدود من العلماء الفلاتيين في كنو فكان يذهب إلى منزله كل يوم حتى فاز بالتقديم منه ، وعندما ارتحل الشريف صار بيت الوالي محل قراءة الوظيفة التجانية لكل من أخذ الطريقة في حي الفلاتيين (٢).

والظاهر أن الشريف أجدود قد زار بعض مدن شمال نيجيريا بجانب كنو أيام إقامته فيها لنشر الطريقة التجانية إلا أنه اتخذ مدينة كنو مركزاً لدعوته ، ومن أجل ذلك ينسب إليه إدخال أمير كشنه محمد دكو في الطريقة التجانية ، وقد غادر كنو بعد وفاة الأمير عباس بقصد الرجوع إلى وطنه مورتانيا فوافاه أجله بكشنه فمات ودفن فيها ، وكان هذا الشريف تلميذاً للشيخ محمد فتحا بن عبد الواحد النظيفي مؤلف ياقوتة الفريدة وشرحها الدرة الخريدة وكان إذنه من طريقه (٣).

ويبدو أنه حتى ذلك الوقت كان الذين أخذوا الطريقة التجانية في الأمصار يذكرون أورادها أفذاذاً ـ شأن الطريقة القادرية التي تقدمتها وجوداً في البلاد و التي التزمها أكثر العلماء خصوصاً الفلانيون والحكام ـ يومئذ ولا يذكرون أورادها جماعة إلا سراً مع أن شروطها الجماعة في أهم أذكارها فكان المعلم محمد سلغا من أوائل الذين أظهروها أمام الجمهور بدون خوف ، لأن الأمير والعلماء كلهم يعرفونه ويقدرون

---

١ ـ هما شريفيا أم عبدالله بايرو وتراكي هاشم ، ومارية .

٢ ـ John N. Paden : المصدر السابق ٨٢ ٣ ـ John N. Paden : نفس المصدر ٨٣

له قدره في العلم والدين في العلم والدين والقيام بإحياء السنة ، فكان الذين أخذوا الطريقة يجتمعون في بيته لإقامة شعائرها حسب الشروط المقررة لصحتها (١) ويؤيد ذلك ما روي عن الشيخ محمد الناصر الكبراوي زعيم القادرية في كنو أنه قال : « إن الذين أخذوا الطريقة التجانية قبل الاحتلال البريطاني لشمال نيجيريا كانوا يقومون بقراءة أورادها أفذاذاً وإن كانوا جماعة فسراً خشية أن يعثر عليهم فيتهموا بإحداث البدعة في الدين وبعد الاحتلال بدأ الخوف يزول شيئاً فشيئاً فكان أول مكان قرأت فيه الوظيفة التجانية جهاراً هو منزل المعلم شثت بن عبد الرؤوف بمدينة زاريا ومع ذلك كانوا على وجل شديد ويتوقعون في كل لحظة أن يصدر أمر من الأمير بفرض الحظر على ذلك » (٢)، ويؤيد ذلك أيضاً ما جاء في رسالة محمد راج بن علي التي تكلمنا عليها فيما سبق من أنه دخل الطريقة التجانية سراً بعد ارتحال الشيخ عمر الفوتي لأنه رأى أن الناس بدأوا يبدون شكاً وتهمة للطرق الصوفية ولأنه لا يريد أن يترك طريقة شيخه محمد بلو ومن أجل ذلك بقي عشر سنين يتمسك بها سراً (٣).

ومهما يكن من شيء فإن دخول المعلم محمد سلغا في الطريقة التجانية يعتبر من أكبر انتصاراتها ومبدأ لظهورها في نيجويا ، ثم جاء الشيخ محمد بن عثمان العلمي (٤)

---

١ - قيل أن الشريف أجدود كان من أصل بربري مورتاني وبعض الكنويين يظنون أنه حفيد الشيخ التجاني جاء إلى كنو من طريق أغدس إلى تاساوا فكتشنه فمن ثم إلى كنو وجاء مع زوجته فأنجبت له ولداً ذكراً فسمي محمد الحبيب فمات ثم لحقه ابنه محمد الكبير ولكنه رجع إلى مورتانيا بعد موته .

٢ - انظر أطروحة حمزة عثمان درما الورقة ٣٧ قسم الدراسات الإسلامية B.4.K.

٣ - John N. Paden : المصدر السابق ٧٧ .

٤ - الشيخ محمد بن عثمان العلمي هذا ليس هو محمد بن عبدالملك العلمي السابق ذكره الذي بذل مجهوداً كبيراً في تأسيس الزوايا التجانية في السودان المصري وتركيا والحجاز وذلك جزائري أخذ عن السيد محمد البشير حفيد الشيخ التجاني ومات سنة ١٩٣٤ م ١٣٥٣ هـ وأما هذا فمغربي أخذ عن الشيخ سكيرج العياشي وسكنه كازابلنكا (الدار البيضاء) في المملكة المغربية ومات سنة ١٩٦٩ م - ١٣٨٩ هـ حتى زاره قبيل موته أمير كنو الحاج آدو بايرو وكذلك أيضاً زاره كثيرون من شيوخ التجانية الكنويين مثل الحاج أبي بكر عتيق والحاج التجاني عثمان والحاج الشيخ القلنسوي والحج محمود ستفاو وقد اهتم الحكام الإنكليز بمقامه في نيجيريا كثيراً لأنهم يتهمونه بمزاولة حركة سياسية خطيرة هدامة بالنسبة لنظام حكمهم.

سنة ١٣٤٢ هـ ١٩٢٣ م فكان مجيئه تأييداً إيجابياً للمعلم محمد سلغا بين يدي العلماء والأمراء والتجار حيث جمعهم فوعظهم وذكر هم ودعاهم إلى التآلف والتوادد وحذرهم عن التقاطع والتحاسد ثم حثهم على بناء زاوية يجتمعون فيها لقراءة الوظيفة وغيرها من أذكار الطريقة فبنيت في مكان يسمى (كورنْ مَبَـُغَا) في حي قوق وببناء هذه الزاوية ظهرت الطريقة التجانية ظهوراً علنياً ، حتّى نظر إليها جميع الأطراف في كنو بعين التعظيم حتّى الأمير نفسه فاكتسبت بذلك رفعة الصيت في البلاد، فدخلها الناس أفواجاً أفواجاً ولم يقتصر هذا في كنو وحدها بل عم نيجيريا كلها تقريباً حيث كان للمعلم محمد سلغا تلاميذ في جميع جهاتها وأمصارها تقريباً .

فلا شك أن الشيخ العلمي قد أثر في أتباع الطريقة التجانية الكنويين تأثيراً بالغاً الذي سر ى إلى جميع مدن نيجيريا وخصوصاً الشمالية .

وهو أول من حثهم على بناء زاوية تجانية لقراءة وظيفتها جماعة جهاراً بعدما كانت تقرأ في بيوت المقدمين بشيء من التحفظ فانتشرت بذلك بناء الزوايا في البلاد كلها .

وهو الذي دعاهم إلى التآلف والتوادد وحذرهم من سوء مغبة فشو التدابر والتقاطع والتحاسد في أوساطهم .

وهو الذي جاءهم بكتب فقه الطريقة وتاريخ رجالها والدعاية لها والدفاع عنها وهلم جرا .

وهو الذي أظهر لهم عناصر الكرامات الموجودة في الطريقة التجانية بما شرحه لهم فيما جاءهم به من كتاب منية المريد الكتاب الذي بين كثيراً من كرامات الشيخ التجاني ومناقب طريقته وفضائل أتباعه مما قوى بهم قروبهم وربط جأشهم فاكتسبوا بذلك شكيمة تدفعهم إلى الدفاع عن حوزتهم بكل ما يستطيعون به من قوة .

وهو الذي صار نقطة الاتصال بين الكتلة الفلاتيين من العلماء والهوساويين حيث أخذ الجانبان عنه واجتمعا على تعظيمه حتّى استقامت أواصر المودة والعلاقات الطيبة بين الطرفين من جراء ذلك .

هذا وقد قام العلمي بعد هذا كله بتدريب المقدمين التجانيين في فقه الطريقة وإدارة

أمور الزاوية وكيفية إجراء طقوس الطريقة ليقوموا بعده بالمهمة التي يضطلع بها من نشر الطريقة في البلاد وبث تعاليمها في أوساط أتباعها وهكذا .

وبعد ارتحال العلمي استمر المعلم محمد سلغا كما كان قبل ذلك هو إمام التجانيين ومقدم الزاوية الجديدة ومدير شؤونها فجعل الناس يتدفقون اليه من كل صوب للدخول في الطريقة التجانية فازدهر أمر الزاوية ازدهاراً كبيراً ثم بدأت عناصر الشقاق تسري بين أعضائها فجعل أمرها ينحط شيئاً فشيئاً إلى أن صارت شبه معطلة نهائياً ولعل السبب هو انقطاع المعلم محمد سلغا عن حضور وظيفتها وذلك كما قال الشيخ أبو بكر عتيق عندما أراد الشيخ محمد العلمي أن يغادر البلاد جعل الشيخ محمد سلغا مكانه ليقوم بكل شيء كان يقوم به ، فارتفع بذلك طبعاً صيته فصار الناس يردون إليه زرافات ووحداناً للأخذ عنه ولسماع مواعيظه وأخذ تعاليمه الصوفية الجديدة ، فثارت من أجل ذلك ثائرة الحساد عندما لاحظوا هذا النجاح الباهر الذي حققه وقاموا بتدبير أنواع المكائد ضده حتى أخرجوه من الزاوية أخيراً بعد تحرشات كثيرة وصفها الشيخ عتيق بقوله : « اللتيا والتي » (١) .

وذهب بعض الكتاب إلى أن سبب انقطاعه عن حضور الزاوية الأمر الذي أدى إلى انحطاط أمرها نهائياً هو ما كان يوجهه الحكام الإنكليز المستعمرون لنيجيريا حينئذ نحو الشيخ العلمي نفسه من تهمة أن مجيئه إلى نيجيريا كان متعلقاً بحركة المهدية القائمة في الشمال الإفريقي أيامئذ المناوئة للاستعمار (٢) .

ومهما يكن من شيء فقد أخذ المعلم محمد سلغا عن عدد كبير من شيوخ الطريقة التجانية المغاربة والشناجطة الواردين إلى نيجيريا في طريقهم إلى الحرمين أو السائحين الذين يجولون إفريقيا المسلمة لنشر الطريقة والدعاية لها ، وقد عد الشيخ أبو بكر عتيق من أخذ عنهم المعلم محمد سلغا من هؤلاء — ما عدا الذين سبق ذكرهم — والد الشريف

---

١ — الشيخ أبو بكر عتيق : الفيض الهامع ١٧ ٢ — John N. Paden المصدر السابق ٨٩

محمد الكبير العلوي والشريف عبد الرحمن (١) والسيدة خديجة المغربية (٢) والسيد محمد المختار الشنجيطي ولم يقتصر نشاط هؤلاء الشيوخ في نشر الطريقة التجانية وتعاليمها في نيجيريا فحسب بل قد عم أيضاً أفريقيا العربية كلها ، ويجب أيضاً أن نفهم أن المعلم محمد سلغا ليس هو وحده الذي اتصل بهم بل قد أتصل بهم وأخذ عنهم عدد غير قليل من مقدمي الطريقة التجانية في كنو وغيرها من أمصار نيجيريا التي مروا فيها وإنما اهتممنا بذكر المعلم محمد سلغا لأنه في ذلك الوقت المحور الذي تدور عليه حركة التجانية في كنو إذا صرفنا نظرنا عن أقرانه في الأمر يومئذ ، مثل بيت (ببن مالمي) في حارة (مدابو) وبيت الوالي سليمان في حي الفلاتيين وغيرهما من البيوت التي ذكرناها فيما سبق لأن نشاط المعلم سلغا والسلغاويين في ذلك الميدان قد غطى على أولئك تغطية تكاد تكون تامة ، وربما انضم بعض هذه البيوت إليهم فيما بعد .

ويبدو أن الشيخ محمد الفا هاشم (٣) من الأشخاص الذين كان لهم الأثر العميق في المعلم محمد سلغا وغيره من مقدمي التجانية في نيجيريا أيضاً وقد اهتم الشيخ أبو بكر عتيق بهذا الشيخ اهتماماً كبيراً حتى سمى سلسلة بسلسلة الذهب فقال : « وأما سندنا الهاشمي وهو المنسوب إلى الشيخ الفا هاشم وهو المسمى بسلسلة الذهب » (٤).

---

١ – هذا الشريف ملي عبد الرحمن عربي مغربي جاء إلى كنو من (غاوو) في جمهورية نيجيريا حالياً في عصر أمير كنو عباس بن عبدالله وسكن في حي (دندلسن الوراوا) أنظر
Religion and Political Culture in kano ونيل الوطر أيضاً الورقة الثانية .

٢ – هي امرأة شريفة مغربية مرت بكنو في طريقها إلى الحجاز سنة ١٣٥٣ م ١٩٣٤ م ويبدو أنها عالمة وقد ألفت كتياً بعنوان السيف اليماني في الذب عن أحمد التجاني .

٣ – وهو الشيخ محمد الفا هاشم ابن اخت الشيخ عمر الفوتي كان هو المفتي العام في دولة ابن خاله أحمد طال ابن الشيخ عمر الفوتي وعندما سقطت دولة ابن خاله هاجر إلى المدينة المنورة وكان يعتبر وهو في الحجاز المسؤول الأول عن حركة التجانية والتجانيين في السودان الغربي كما كان بيته في المدينة ملتقى التجانيين القادمين من أقطار شتى وكان لنفوذه الشخصي يتدخل حتى في أمور تعتبر سياسية صرفة انظر كتاب The Tijaniayya Asufiordes ١٤٣

٤ – الشيخ أبو بكر عتيق : الفيض الهامع ٤٤ .

ولم يأت الشيخ ألفا هاشم إلى نيجيريا وإنما كان اتصاله بالمعلم محمد سلغا من طريق المراسلة وبغيره من طريق تلميذه الشيخ أحمد بن عبد الرحمن النيجيري الكتاغمي (١) المجاور في المدينة المنورة أو من طريق المعلم محمد سلغا .

وقد أذن هذا الشيخ للمعلم محمد سلغا بإذن مطلق شامل لكل ما يمسّ الطريقة التجانية وما يتعلق بجميع كتب العلم وكتب الإذن بخط يده وأرسله اليه (٢) ولعل هذا الاذن هو أول إجازة مطلقة نالها المعلم محمد سلغا وإجازاته السابقة كلها كانت بالتقديم ليس إلا ومن أجل ذلك كان يقدمها على جميع إجازاته ، وقد أرسل اليه أيضاً بالإذن المطلق الشيخ عبد الكريم العطار من مصر (٣).

لعل هذا كله ينهض دليلاً قاطعاً على أن مدينة كنو كانت المركز الرئيسي لانتشار الطريقة التجانية في نيجيريا كلها خصوصاً بعد الاحتلال البريطاني للبلاد كما كانت قبل الاحتلال – بحكم موقعها التجاري في بلاد هوسا – منزلاً لجميع الغرباء القادمين من شمال إفريقيا وموريتانيا والسودان الغربي وهؤلاء طبعاً يأتون – على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم – وقلوبهم مشحونة بعقائدمختلفة وعقولهم مشغولة بأفكار متباينة وقلما يخلو أحدهم من طريقة صوفية يتبعها نوعاً ما لأن المغرب العربي أو بعبارة أخرى شمال إفريقيا كانت منبع الطرق الصوفية ومنشأ أفكار تصوفية مخلوطة بالفلسفة الإغريقية منذ قيام الدولة الفاطمية القرمطية فيها ، ومن هؤلاء طبعاً دخل نيجيريا ضرب الدفوف

---

١ – وهو الشيخ أحمد بن عبد الرحمن من بيت إمارة كتاغم في مديرية بوشي نيجيريا الشمالية وجده المعلم زاكي هو المؤسس الأول للأميرية وقد رحل الشيخ أحمد من الوطن لطلب العلم فزار بعض مدن الشرق الأوسط مثل مصر والقدس ومن ثم أتى مكة لأداء فريضة الحج وبعد قضاء المناسك رحل ثانياً إلى المدينة المنورة لزيارة مسجد الرسول الأعظم سيدنا محمد صل الله عليه وسلم وأقام فيها إلى آخر حياته رحمه الله وله مؤلفات كثيرة في الطريقة التجانية وغيرها ومنها كشف الحجب والعوائق انظر كتاب فيض الهامع .

٢ – الحاج أبو بكر عتيق : تحصيل الوطر الورقة الثانية ٣ – الحاج أبو بكر عتيق : تحصيل الوطر الورقةالثانية.

الموسوم بالبندير في المساجد والزوايا الأمر الذي أخذه أتباع الطريقة القادرية في كنو بشكل مرعب ولذلك لا يبعد أن يكون من هؤلاء الغرباء من كان تجانياً متحمساً للدعاية لها والدعوة اليها منذ عهد مبكر من تأسيسها ، ولعل من أجل ذلك ذهب بعض الكتاب بعيداً حيث قرر أن هناك زاوية تجانية موجودة في كنو وبرنو ووادي منذ أن كان الشيخ التجاني في قيد حياته . كما سبق .

الباب الثاني

الشيخ ابراهيم إنياس التجاني السنغالي من ولادته الى ظهوره في نيجيريا

الطريقة التجانية في السنغال

السنغال قطر يقع في الزاوية الغربية من إفريقيا الغربية يحده شمالاً الجمهورية الإسلامية الموريتانية وجنوباً جمهورية غينيا وغينيا البرتغالية وشرقاً جمهورية مالي وغرباً المحيط الأطلسي ويشغل مساحة ٧٦٠٠٠ ستة وسبعين ألف ميل مربعاً من الأرض وله سبعة أقاليم وهي :

١ ـ كبفرت ٢ ـ كاسمس ٣ ـ النهر ٤ ـ ديوبل ٥ ـ السنغال الشرقية ٦ ـ سين سالوم ٧ ـ ثيس (١) .

وعدد سكانه ثلاث ملايين ومائة وتسع آلاف نسمة ٣,١٠٩٠٠٠ حسب الإحصاء القائم سنة ١٩٦١ م (٢) وقبائله الرئيسية هي :

١ ـ ولوف ٢ ـ تكولا (فلبي) ٣ ـ لبيس ٤ ـ سركولي .

وحوالي ثمانين في المائة منهم مسلمون وكلهم تابعون للطرق الصوفية تقريباً ،

---

١ ـ 151 Muslim Brotherhood & Politics In SEN : MRS L.C. Behrman

٢ ـ انظر كتاب : 150 O . A . U . Summit Bonfrauce Accra 1965

حيث لا تجد قبيلة أو أسرة مشهورة إلا وهي منتمية إلى طريقة صوفية أو أخرى (١) وكان لمتاخمته بالقطر المورتاني تقارب بين سكانها في العادات والنزعات ، ولا سيما أن كثيرين من علمائهم تعآموا هنالك في مدارس المورتانيين ، ومن أوضح الأدلة وأصدق الشواهد على ذلك قول الشيخ أحمد بمبا مؤسس الطريقة المريدية في السنغال (٢).

أتاني الخـــير من ربـــي بتكـــرار لا سيما عند بئر الخير جراد (٣)

الجرار إسم بئر في الولاية السادسة بجمهورية الإسلامية المورتانية وبالإسم أيضاً تدعى القرية التي تقوم بجانب هذه البئر ، وكان هذا عادة المورتانيين فأكثر قراهم وحواضرهم تسمى بأسماء الآبار التي يستقون منها ، مثل برين وتنبجل ومعط مولانا وهلم جرا (٣) وهو في هذا البيت يريد أن يحمد الله على ما أسبغه عليه من خيراته في حياته وخصوصاً الخير الجزيل الذي حظى به عند تلك البئر وهو العلم الذي تضع به هنالك .

وكانت جرار هذه مسكن العلماء والفقهاء واللغويين ومن إليهم ، وكذلك يكثر فيها شيوخ الطرق الصوفية ، على اختلاف أنواعها ، وقد تعلم الشيخ أحمد بمبا هنالك فرفع عقيرته جراء ذلك معترفاً بأنه قد نال خيراً جزيلاً ونفعاً عميماً في هذا المكان .

ومن الجدير بالذكر هنا أن الشيخ إبراهيم إنياس قد أخذ معنى هذا البيت من الشيخ بمبا وصاغ على قالبه بيتاً آخر على شكله فقال :

ومنه ومـــن بريـــن بالجـــرار منه أتاني الخير بالتكـــرار (٤)

---

١ - Muslim Brotherhood & Politics in SENIGAL V : Mre L . C· Behr

٢ - هو الشيخ أحمد بمبا محمد بن محمد بن حبيب الله السنغالي من قبيلة تكولا (الفلاتية) نفس القبيلة التي ينتمي اليها الشيخ عمر الفوتي انظر ص ٢١ من كتاب Muslim Brotherhood and Poltics in SENIGAL وأسرته امبكي مشهورة وقاعدة طريقته هي مدينة توبه في اقليم ديوبل بجمهورية السنغال كما يأتي :

٣ - جمعت هذه المعلومات في مقابلتي مع (الشيخان) حفيد الشيخ محمد الحافظ الكبير وخليفته في اليوم العاشر لأغسطس سنة ١٩٧٧ م في منزله بحاضرة برين بمورتانيا .

٤ - الشيخ ابراهيم انياس : ذيل منظومة رحلة نيل المفاز الورقة الرابعة .

وبرين إسم بئر أيضاً كما مر وبه تسمى الحاضرة القائمة بجانبها ، وهي مسكن الشيخ محمد الحافظ العلوي البدي صاحب الشيخ التجاني الذي جاء بالطريقة التجانية من فاس إلى موريتانيا فلقنها الشيخ مولود فال الكبير وهو بدوره لقنها للشيخ عبد الكريم الناقل الفوتي الذي لقنها هو الآخر للشيخ عمر الفوتي الذي يعتبر بطل الطريقة التجانية وناشرها في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى في القرن التاسع عشر الميلادي والثالث عشر الهجري .

لعل هذا الاتصال المباشر بين السنغاليين السود والموريتانيين البيض واختلاطهم لأجل الدين والتعليم والتجارة هو سبب تغلغل فكرة الطريقة في الأولين حتى صارت عادة متبعة عندهم فتحولت بيئاتهم إلى بيئة متصوفة تدريجياً فتعددت الطرق الصوفية فيهم وانقسمت إلى أقسام عدة وأشهرها خمسة وهي :

١ – الطريقة القادرية (١).

٢ – الطريقة المريدية (٢).

---

١ – أدخل الطريقة القادرية في أفريقيا العربية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في القرن الخامس عشر الميلادي فبقيت في يد العرب الكنتيين الذين نزحوا من مدينة توات في الجمهورية الجزائرية واستوطنوا في حدود الصحراء الكبرى مما يلي إفريقيا الغربية شمالي مدينة تنبكتو حتى ظهر منهم الشيخ المختار الكنتي المشهور المتوفي سنة ١٨١١ م – ١٢٢٦ ﻫ وأسس مركز أو زاده في الشمال الغربي لمدينة تنبكتو في نفس الوقت الذي كان الشيخ التجاني ينشر تعاليمه في المغرب الأقصى فأشهر من أخذ عنه رجل من موريتانيا يسمى سديا الكبير ثم أسس حفيده سديا بابا فرعاً لهذه الطريقة التي كانت تعرف حينئذ بالقادرية البكائية الكنتية في إقليم أدرر بموريتانيا فكانت هذه الفرع الجديدة تعرف بالسدية فدخلها عدد كبير من قبائل ولوف السنغالية انظر كتاب **39Islam in west Africa** ومن أشهر رجالها في السنغال بوكنتا المتوفي سنة ١٩١٤ م – ١٣٣٣ ﻫ الذي أسس أهم فرقة قادرية في السنغال ثم ابيه وخليفته بكي كنتا المتوفي سنة ١٩٢٩ م – ١٣٤٨ ﻫ ثم السيد لمين كنتا اخو البكي وخليفته انظر كتاب **Muslim Brotherhooq and Politics iu SENIGAL** ١٨٣

٢ – أسس الطريقة المريدية الشيخ أحمد بمبا محمد بن محمد بن حبيب الله بقرية توبه في إقليم ديوبل في جمهورية السنغال سنة ١٨٨٦ م – ١٣٠٥ ﻫ فكانت هي والطريقة اللينية أو لطريقة صوفية أسسها شيخ سوداني وبقية الطرق المعروفة قبلها كانت من اختراع البيض وتعد الطريقة المريدية من أقوى الطرق الصوفية في السنغال وأكثر المنتمين اليها من قبائل ولوف .

٣ ـ الطريقة اللينية (١).

٤ ـ الطريقة التجانية .

٥ ـ الطريقة الحملية التجانية .

ولكن الطريقة التجانية هي التي تمسنا في هذا الصدد وعليها نكرس نكرس كلامنا في هذا الفصل .

الطريقة التجانية على اختلاف أقسامها وفروعها هي أكثر الطرق انتشاراً في السنغال وعدد أتباعها حسب الاحصاء الذي أجري سنة ١٩٥٨ م يبلغ زهاء ١,٠٣٦٠٨٨ وتليها في كثر الأتباع الطريقة المريدية التي يبلغ عدد أتباعها ٤٢٣,٢٧٣. تقريباً ثم القادرية وعدد المنتمين اليها يبلغ ٣٠٢,٩٥٧ ثم تليها لينية وعدد أتباعها ١٥,٤٣٠ (١).

ويبدو أن الطريقة المريدية قد انتشرت بعد ذلك انتشاراً هائلاً حتى صارت تزاحم التجانية في كثرة الأتباع والأهمية بل وهي الآن تعتبر أقوى الطرق الصوفية كلها في السنغال حيث أن الطريقة التجانية مع كثرة أتباعها انقسمت إلى أقسام عدة كل قسم

وأشهر رجالها هم الشيخ أحمد بمبا محمد بن محمد بن حبيب الله من أسرة امبكي الفلاتية الأصل وهو المؤسس للطريقة كما سبق ثم أنتا أخوه والشيخ تيورو أخوه وابراهيم امبكي أخوه كذلك وبل امبكي أخوه كذلك ثم الشيخ امبكي بوسو ابن عمه وهو عالم مشهور وقد أسس مركزاً له خاصاً لهذه الطريقة ثم الشيخ ابرفل تلميذ الشيخ أحمد بمبا وهو مؤسس مركز باي فل لهذه الطريقة أيضاً ثم يس ديتن تلميذ الشيخ أحمد بمبا أيضاً ثم الشيخ بل فل تلميذه كذلك ثم السيد محمد المصطفى المتوفي ١٨٤٥ م — ١٣٦٥ ه ابنه أي الشيخ بمبا وخليفته ثم الشيخ فضل امبكي المتوفي سنة ١٩٦٨ م ابنه وخليفته أيضاً بعد أخيه محمد المصطفى ثم السيد محمد البشير اميكي المتوفى ١٩٦٦ م ثم عبدالله أميكي ابنه كذلك وخليفته أيضاً وخليفته بعد أخيه فضل ثم سخته سلمة هي أصغر بنات الشيخ أحمد بمبا ثم سرغي مود بوسو ابن الشيخ اميكي بوسو ثم الشيخ أوا بل اميكي ابن عم الشيخ اميكي ثم مود مصطفى ابن الشيخ فضل ثم برا اميكي ابن الشيخ فضل اميكي أيضاً ثم الشيخ اميكي ابن الشيخ محمد المصطفى الذي يدعى الخلافة لنفسه انظر كتاب Muslim Brotherhood and Politics in SENIGAL 183

٤ ـ الطريقة اللينية وهي مثل المريدية فرع من الطريقة القادرية الكنتية أسسها الشيخ ليما مولين المتوفي سنة ١٩٠٩ م — ١٣٢٧ ه ثم الشيخ منديان ابنه وخليفته وهي الطريقة الأخرى التي أسسها شيخ سوداني في السنغال .

مستقل استقلالاً تاماً عن الأقسام الأخرى ، وبينها منافسة شديدة تبلغ حد العداوة في بعض الأحيان ، وأما الطريقة المريدية فهي كتلة واحدة وجزء لا يتجزأ ، هذا كله بالإضافة إلى أن المنتمين إليها كلهم من قبيلة ولوف تقريباً التي تشكل الغالبية العظمى من قبائل البلاد كلها ، ولذلك كانت على جانب من القوة تجاه بقية الطرق (١).

لقد دخلت الطريقة التجانية البلاد السنغالية من موريتانيا على يد الشيخ مولود فال الكبير تلميذ الشيخ محمد الحافظ العلوي البدي الذي أخذها من يد الشيخ التجاني مباشرة كما مر ولكنها لم تستقر في البلاد وتنتشر إلا في يد الشيخ عمر الفوتي كما يأتي عن قريب وذلك قبل دخو الطريقة القادرية وقبل وجود المريدية واللينية (٢) ثم انقسمت على تعاقب الأيام إلى أكثر من اثنتي عشر فرعاً ولكل فرع شيخ مستقل عن الأشياخ الآخرين كما سبق ، وتحت كل شيخ مقدمون ولكل مقدم تلاميذ ولكل هؤلاء مدارس ومساجد وزوايا خاصة بهم منتشرة في المدن والقرى والأرياف ، وكان تلاميذ هؤلاء الشيوخ منتشرين في طول السنغال وعرضها وكذلك في البلاد المجاورة لها مثل مالي وغينيا وسراليون وغانا ونيجيريا

هذه الأقسام والفروع كلها تدور حول شخصية الشيخ عمر الفوتي ولذلك ذهبنا فيما سبق إلى أن الطريقة التجانية ما انتشرت واستقرت في السنغال إلا على يده فمثلاً إنه هو الذي لقن الطريقة التجانية لشرنو مودجالو والقاماب ياخو والفا مايرو وعدد غيرهم .

١ – ولقنها شرنو مودجالو لابنه وخليفته شرنو عمر جالو الذي أسس مركز شرنو عمر في جامبيا (٣) ولقنها أيضاً للشيخ معاذ كاه الذي أسس مركز معاذ كاه

---

١ – MRS L. C. Behrman : المصدر السابق ٦٣ .

٢ – ذلك لأن الطريقة القادرية قد دخلت البلاد السنغالية على يد الشيخ سديا بابا المتوفي سنة ١٩٢٤ م–١٣٤٣هـ الذي أسس زاوية قادرية في بلدة بوتلمت باقليم تروزا بموريتانيا وأخذها عنه عدد كبير من الموريتانيين والسودانيين وخصوصاً قبائل ولوف السنغالية فعلى هذا إن الطريقة القادرية دخلت نيجريا بنحو قرنين قبل أن تدخل السنغال وموريتانيا .

٣ – كانت جمهورية جامبيا قبل الاستعمار تعتبر إقليماً في قلب السنغال ثم احتل الإنكليز ضفتي نهر جامبيا وفصلوها سياسياً عن بقية البلاد السنغالية .

بمدينة سرنج في غامبيا ، ولقنها كذلك للشيخ عبد الله إنياس الذي أسس مركز مدينة كولخ بإقليم سين سالوم في السنغال وهو والد الشيخ إبراهيم إنياس الذي نكتب هذا البحث عنه

أ ـ ولقنها شرنو عمر جالو لابنه وخليفته شرنو الحاج محمد بابا وهو لقنها لشرنو علي دم الذي أسس مركز مدينة تمبا كند بإقليم السنغال الشرقية وهو لقنها لشرنو محمد سعيد الذي أسس مركز مدينة غناس بإقليم سين سالوم أيضاً في السنغال ولقنها أيضاً لشرنو الحاج أحمد دم الذي أسس مركز سوكون بالسنغال كذلك .

ب ـ ولقنها الشيخ عبدالله إنياس لابنه وخليفته الحاج محمد إنياس ، ولقنها أيضاً لابنه وخليفته الحاج عمر إنياس ، ولقنها كذلك لابنه الشيخ الحاج إبراهيم إنياس الذي أسس مركزه الخاص به في المدينة الجديدة بحضرة كولخ ، وهو الذي نكتب هذا البحث عنه كما سبق آنفاً (١) .

جـ ـ ولقنها الحاج محمد إنياس الخليفة لابنه وخليفته الحاج عبدالله إنياس .

د ـ ولقنها الشيخ إبراهيم إنياس لابنه وخليفته الحاج عبدالله إنياس .

٢ ـ ولقنها الفا ماب دياخو (٢) لابنه وخليفته سيرمنّي ولقنها أيضاً الشيخ

---

١ ـ ولكن الشيخ ابراهيم انياس يرى أنه هو خليفة والده الحاج عبدالله انياس الحقيقي حتى روي في ذلك منامات قرر له فيها والده ما يدل على أنه هو وحده خليفة دون غيره من بقية الأبناء وان كل ما تركه فهو له خالصاً يأخذه من غيره انظر كتاب كاشف الإلتباس ٩٥ ودعم ذلك بما شافهه به الشيخ سكيرج العياشي انظر الورقة الخامسة من المذكرة التي جمع فيها سلاسل إجازاته ولكن الراجح مع ذلك كله أنه ليس هو خليفة والده وإنما هو مؤسس مركزه الخاص به لأنه أظهر أمره وكون لنفسه أتباعاً وأخو الأكبر الحاج محمد انياس الذي كان خليفة والدهم باعتراف الشيخ ابراهيم نفسه ـ في قيد حياته وبعد موته خلفه أخوه الحاج عمر انياس وبعده الحاج عبدالله انياس ابن الحاج محمد انياس الخليفة انظر كتاب
Muslim Brotherhood and Politics in Senegal by L.C. Berhman 61 - 65 .

٢ ـ يذكر أن الفاماب دياخو هذا المتوفى سنة ١٨٦٧ م ـ ١٢٨٤ هـ هو أكبر تلاميذ الشيخ عمر الفوتي في فوت طورو وهو الذي واصل الجهاد الذي كان الشيخ عمر الفوتي يقوم به قبائل السنغال كلها وخصوصاً قبائل ولوف انظر المصدر السابق ٢٤ .

محمود لمين وهو مجاهد من قبيلة سركولي وكذلك لقنها للشيخ فودي سليمان بغيغ وهو أيضاً مجاهد من قبيلة سركولي .

٣ ـ وأما الفا مايرو فهو الذي لقن الطريقة التجانية للسيد مالك سي(١) الذي أسس مركز (تواون) بإقليم تيس في السنغال ولقنها السيد مالك لابنه وخليفته الحاج أبي بكر سي وابنه وخليفته أيضاً الحاج عبد العزيز سي ولقنها أيضاً للحاج أغون غوم زعيم مركز سنلو ولقنها كذلك للشيخ الحاج أحمد لمين ديان إمام المسجد الجامع الكبير بدكار العاصمة ولقنها كذلك للشيخ سعيد نور طال حفيد الشيخ عمر الفوتي

---

١ ـ السيد مالك سي كان من أصل فلاتي مثل الشيخ أحمد بمبا وكثيرين غيره من شيوخ الطرق في السنغال فعاشت أسرته مع قبيلة ولوف وتزاوجوا معهم ولد سنة ١٨٥٥ م ـ ١٢٨٢ هـ في قرية بالقرب من بلدة أغاي(على الحدود المورتانية ودرس العلوم الإسلامية على اختلاف فروعها حتى نبغ فيها وسافر إلى معظم مدن السنغال للالتقاء بعلمائها ومن ضمن الأماكن التي زارها في السنغال بلدة (كايور) و(ديالوف) وحج سنة ١٨٨٩ م وبعد عودته من الحج بدأ التدريس في مدينة (سنلو) (سيتلوس (ثم انتقل من هناك إلى مدينة تواون .

أخذ السيد مالك سي الطريقة التجانية وهو في الثامن عشر من عمره من يد عمه الفا مايرو والذي أخذها من يد الشيخ عمر الفوتي مباشر كما مر وكان للسيد مالك سي أتباع كثيرون من والتكرور وولوف وبنبو وسركولي وغيرهم وتخرج على يده عدد كبير من العلماء وقد زار السيد مالك قبيلة عدو علي ومكث معهم شهراً حتى جدد إذنه على يد أحد الشيوخ هنالك يسمى الشيخ محمد علي وحاول السيد مالك بجد أن يقرب ما استطاع بين وجهات نظر شيوخ التجانية وكذلك حاول بنجاح أن يربط بين زاويته وبين زاوية فاس العلاقة الودية حيث تمكن من إقناع زعيم زاوية فاس لزيارة تواون سنة ١٩١٤ م ـ ١٣٣٣ هـ. لقد كان السيد مالك رجلا عملياً إلا أنه يختلف عن الشيخ عمر الفوقي لأنه ولد وعاش في البلاد التي تخضع للاستعمار الفرنسي فكان صديقاً حميماً لهم وقد أخبرنا (بول مرتي) الكاتب الفرنسي أن السيد مالك كان يحث أتباعه دائماً على قبول الحكم الفرنسي وقد كتب بذلك منشوراً عاماً في شهر سبتمبر سنة ١٩١٢ م ـ ١٣٣١ هـ إلى جميع المقدمين التجانيين الذين ينتمون اليه بذلك وعندما اندلعت نار الحرب العالمية الأولى التي اشتركت فيها الأمة الفرنسية قام السيد مالك بدعوات خاصة في زاويته بتواون لانتصار فرنسا على عدوتها المانيا انظر ص ١٤٥ من كتاب جميل أبو النصر

The Tijiniyya a Sufi Order in the maderd Age

وصفحة ٥٠ من كتاب Muslim Brotherhood and Political in Senegal

ومات السيد مالك سي سنة ١٩٢٢ م ـ ١٣٤١ هـ وخلفه ابنه الحاج أبو بكر سي الذي كان عمره إذ ذاك ٣٧ ولقب بالخليفة .

وكان سعيد نور وصياً عنده من قبل أبيه السيد محمد النور ابن الشيخ عمر (١).

٤ – وهناك أيضاً شيوخ كبار عمريون من شيوخ الطريقة التجانية في السنغال، وكان بينه وبينهم وسائط إلا أن مصدرنا لم يبين لنا من لقنهم الطريقة التجانية من تلاميذه البارزين، وهم مثل الشيخ أحمد سعيد زعيم مركز تجاني هام في إقليم كاسمس في السنغال، وهو من قبيلة تكولا الفلاتية مثل الشيخ عمر الفوتي نفسه، والشريف مكي حيدر زعيم مركز تجاني هام في إقليم كاسمس السنغالي أيضاً والشيخ فتى سيك سيرغي ثينبا زعيم مركز تجاني هام في إقليم ثيس والشيخ ابراهيم ديون وهو شيخ تجاني مهم في مدينة دكار العاصمة (٢) وأغلب الظن أنهم كلهم تخرجوا على يد السيد مالك سي.

الفرقة الحملية التجانية

أسس هذه الفرقة الشيخ أحمد حماه الله المتوفى سنة ١٩٤٣ م وهو من أب عربي وأم تكلورية (فلاتية) تدعى عائشة ديالو وكان عمرياً أولا حتى قد شريف تجاني من توات اسمه السيد محمد بن أحمد بن عبد الله ويدعى بالشريف الأخضر واستوطن بلدة نيورو في مالي وأعلن أن ما يفعله التجانيون في السنغال وغرب إفريقيا كلها من قرا ة جوهرة الكمال اثني عشرة مرة خطأ مخالف لما كان عليه عمل الشيخ التجاني ثم ورد الشيخ حماه الله بلدة نيورو هذه واتصل فيها بهذا الشريف فصار من أخلص تلاميذه وأخذ آراءه كلها وعندما مات الشريف الأخضر خلفه الشيخ حماه الله وأسس حركة سياسية دينية فظهر للناس أولاً كأنه مصلح ديني واجتماعي وبلغ السيد مالك

---

١ – فهل كتب له أبوه الاجازة المطلقة قبل أن يبلغ رشده وسلمه معها إلى السيد مالك عندما جعله وصياً عنده أم أن السيد مالك هو الذي لقنه الطريقة التجانية وقدمه فهذا الذي لا نستطيع أن نقطع فالرأي الجازم فيه لسكوت مصادرنا عن تحقيق القول في ذلك ولكن يمكننا أن نقرر أن الشيخ سعيد نورطال عندما بلغ أشده زوجه السيد مالك ابنته انظر كتاب جميل أبو النصر المصدر السابق ١٤٤ ومقابلتي مع الزميل الدكتور عمر جاه في منزله ٨ – ٨ – ١٩٧٨ م بمقر جامعة بايروكنو

٢ – Mrs L. C. Berhman المصدر السابق ٧٠ .

سي ما كان يقوم به الشيخ حماه الله من الشطط في أمر الطريقة وما يبثه من الدعاية ضد نظام الحكم الفرنسي في البلاد فأرسل اليه رسالتين ينصحه فيهما ويحذره من سوء مغبة حركته هذه فأجابه عن الرسالة الأولى ورفض الاجابة عن الثانية واستمر يدبر أمره بلباقة حتّى مات السيد مالك فظهر بكل ما يستطيع به من قوة واستطاع بفضل دهائه أن يجمع حوله أتباعاً كثيرين من بلدة كيس ونيورو ونيما وولات حتّى استهوى إلى جانبه بعض المورتانيين من إقليم أسبا وتغنتا وأدرر ثم أسسوا مراكز قوية على ضفة نهر السنغال وفي داخل السنغال نفسها على طول السكتين الحديدتين الرئيسيتين وهما التي تبتدىء من دكار إلى سنلو والتي تبتدىء من دكار إلى نهر نيجير بل وحتى في داخل مدينة دكار العاصمة نفسها ثم امتدت من هناك إلى غينيا وخصوصاً في إقليم ستدويو ومانو .

ثم وقعت تحرشات بينه وبين الفرقة التجانية الأخرى سنة ١٩٣٠ م فنفته الحكومة الفرنسية إلى منطقة جرجول بمورتانيا ثم نقلته من هناك إلى ساحل العاج حتّى سة ١٩٣٦ م حين أعيد مرة أخرى إلى نيورو بمالي فزاد له هذا النفي هيبة وعظمة في أعين أتباعه فازداد عددهم ازدياداً هائلاً الأمر الذي جعل الحكومة الفرنسية تفكر في محاولة استهوائه إلى جانبها فدعت الشيخ سعيد نور طال حفيد الشيخ عمر الفوتي الموالي للحكومة الفرنسية والذي عينته زعيماً رسمياً لجميع التجانيين القاطنين في المناطق التي تخضع تحت سيطرتهم في إفريقيا الغربية كلها ليصلح بينه وبينها فزاد هذا الصلح أيضاً في رفعة قدره في البلاد كلها واعتناق الأهالي والأفراد لمبادئه بإيمان واعتقاد حتّى مال إلى جانبه شرنو بوكر ابن أخ الشيخ عمر الفوتي الذي كان أكبر مقدم للطريقة التجانية في تلك الناحية وكان يسكن بند ياغر فكان الناس يلقبونه بحكيم بنديا غرفزاد انضمام هذا الشرنو إلى حزبه في هيبته في عين الحكومة .

ثم نشبت حرب ضروس بينه وبين التجانيين الآخرين سنة ١٩٤٠ م حتّى لقي فيها حوالي ثلاثمائة شخص حتفهم الأمر الذي أدى إلى حبسه مدى الحياة ومات أخيراً في حبسه إلا أن أتباعه كانوا يعتقدون أنه لم يمت وأنه سوف يرجع اليهم في شبابه كما تركهم .

تتلخص الفروق الرئيسية بين الفرقة الحملية التجانية وبين بقية التجانيين في النقاط التالية :

١ – أنهم يقرأون جوهرة الكمال إحدى عشرة مرة في الوظيفة بينما كان التجانيون الآخرون يقرأونها اثنتي عشرة مرة وقد بالغ الحملية في المحافظة على العدد الحادي عشر في قراءة جوهرة الكمال حتى أفضى بهم الأمر إلى اتخاذ سبحات ذات إحدى عشرة حبة فقط بل وحتى صار هذا شارة مميزة لهم في كل شيء من الأمور السياسية والإجتماعية .

٢ – وكانوا يصلون صلاة القصر دائماً وسبب ذلك أن شيخهم حماه الله عندما نقل إلى ساحل العاج مضى يصلي صلاة القصر مثل المسافر فأول ذلك بأن المسلمين في إفريقيا الغربية كانوا ضعفاء ولذلك لا يستطيعون القيام بالجهاد فاعتبر نفسه في حال جهاد مستمر ومن أجل ذلك جاز له أن يصلي قصراً إلى أن يرجع اليه اطمئنانه فاستمر أتباعه من أجل ذلك يصلون صلاة القصر دائماً حتى الآن .

٣ – ومما يفعله الحمليون الذي لا يتفق معهم فيه كل مسلم هو كونهم يولون وجوههم قبل المغرب في صلاتهم وعلل ذلك خصومهم التجانيون الآخرون بأنهم إنما يتوجهون نحو المغرب لأنه الجهة التي تقع فيها المحيط الأطلسي الطريق الذي يتوقعون منه رجوع شيخهم حماه الله وذلك عندما نقل إلى باريس من طريق البحر وأما ما يعتقدونه هم باستقبالهم نحو المغرب هو أن بلدة نيورو التي يعتبرونها مكتهم تقع في هذه الجهة .

٤ – ثم غيروا كلمة الا ادة في سنة ١٩٤٢ م من لا إله إلا الله محمد رسول الى لا إله إلا الله أحمد حماه الله شيخنا .

٥ – ثم غيروا طقوس وظيفتهم إلى ما يشبه الطقسيربيدي الإغريقي (١).

---

١ – هي طقوس دينية سرية عربيدية كانت تقام في أعياد آلهة الاغريق والرومان تتميز بالغناء النشواني والرقص العربيدي انظر المورد ص ٦٣٨ للاستاذ منير البعلبكي .

الفرقة اليعقوبية الحملية التجانية

أسس هذه الفرقة الشيخ يعقوب سيلا تلميذ الشيخ حماه الله كان الشيخ يعقوب سيلا من أتباع ةشيخ أحمد حماه الله وهو من قبيلة سركولي استوطن بلدة كايدي سنة ١٩٢٩ م وتحمل عنه رجل غني من فرقة الحملية مؤونة العيش فوجد بذلك فراغاً لتوجيه همته نحو الوعظ والإرشاد حسب وجهة نظر الحملة الدينية واستمر على ذلك بحماسة شديدة حتى مرق وتطرف وجاء بعقيدة تخالف ما كانت عليه الحملية فطردوه من فرقتهم وآراؤه تتلخص فيما يأتي:

١ ـ ادعى الشيخ يعقوب سيلا أنه رأى ةسيدة فاطمة البتول بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرته بأن يأمر النساءبالتزام الحشمة البالغة في لباسهن.

٢ ـ وكان أيضاً يعلم أتباعه أن قراءة القرآن ليست بلازمة في طلب النجاة الأخروية لأن النجاة تتحقق للفرد بمجرد ذكر لا إله إلا الله وعلى ذلك نظم لهم جلسة معينة ـ مثل ما يعرف بجلسة استحضار الأرواح (١) ـ لذكر لا إله إلا الله يرنمونه بنغمة منظمة حتى يقعوا في حال وجدان صوفي وإذا بلغ ذلك أوجه يقومون ويرقصون بطريقة عربيدية يسمونه رقص الجنة.

٣ ـ ومن تعاليمه أيضاً أن باب التوبة قد أغلق لأن نهاية الدنيا قد قربت لذلك يجب على الناس أن يكرسوا ما بقي من حياتهم لعبادة الله وحده.

٤ ـ ومن تعاليمه أيضاً أن التفاضل بين الناس حرام لا بد من أن يكونوا سواسية فذهب جراء ذلك يأمر الأولاد بعدم طاعة آبائهم والنساء بالكف عن طاعة أزواجهم وهكذا.

٥ ـ ومن تعاليمه أن الفرد لا بد له من الاعتراف بكل ما اقترفه من الذنوب أمام الجمهور وخصوصاً إذا كان الذنب زنا.

---

١ ـ انظر Abrance Learners Dictionary مادة (Seancc)

انتشر أتباعه في إفريقيا الغربية وخصوصاً في قبيلته سركولي وكان هناك اصطدامات بينهم وبين التجانيين الآخرين الأمر الذي يفضي إلى تدخل الشرط في بعض الأحيان وقد ظلت الفرقة اليعقوبية مستقلة عن الحملية مع اتفاقهما على عداوة سائر التجانيين(١)

لعل الجدول التالي يساعدك على الوقوف على كيفية انتشار الطريقة التجانية في السنغال وما والاها بواسطة دعوة الشيخ عمر الفوتي وتلاميذه .

---

١ – الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٥٠ – ١٥٦ .

انتشر أتباعه في إفريقيا الغربية وخصوصاً في قبيلته سركولي وكان هناك اصطدامات بينهم وبين التجانيين الآخرين الأمر الذي يفضي إلى تدخل الشرط في بعض الأحيان وقد ظلت الفرقة اليعقوبية مستقلة عن الحملية مع اتفاقهما على عداوة سائر التجانيين(١)

لعل الجدول التالي يساعدك على الوقوف على كيفية انتشار الطريقة التجانية في السنغال وما والاها بواسطة دعوة الشيخ عمر الفوتي وتلاميذه .

---

١ – الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٥٠ – ١٥٦ .

الشيخ ابراهيم إنياس

ولد الشيخ إبراهيم إنياس بقرية تدعى طيبة انيسين بإقليم سين سالوم في جمهورية السنغال سنة ١٣٢٠ م هجرية من أب وأم سنغاليين ، أبوه هو الشيخ عبدالله إنياس ابن محمد بن ملمب بن بكر بن محمد الأمين بن صنب بن الرضى وأمه هي السيدة عائشة بنت ابراهيم .

وكانت ولادته يوم الخميس بعد العصر في منتصف رجب من تلك السنة ، وكان مثل كثيرين غيره ممن قدر لهم الله الشهرة وذيوع الصيت ، فقد كلل مولده بتاج مرصع بالأخبار التي توحي بأنه رجل عظيم ممتاز منذ تعجين طينته الأولى ، ومما جاء بالنسبة اليه من هذا القبيل ما رواه خليفته السيد علي سيس عن السيد أبي بكر أخ الشيخ عن أم الشيخ السيدة عائشة أنها قالت : « إنها في أول شهر من حملها به رأت في لنامها كأنها واقفة على شيء وتحتها جب فاذا بالقمر قد انشق من جهة المشرق وسقط عليها وخافت على نفسها من ذلك فأتت في صباح تلك الليلة إلى والده وقصت عليه الخبر فقال لها دعي عنك ذلك واكتميه ولا تحدثي به أحداً . وقالت أيضاً إنها لما وضعته ناداها الوالد فقال لها : « ألك رجاء في ابنك هذا قالت نعم فقال : وما رجوت فيه قالت أرجو فيه خيراً وأن يكون نجيباً فاضلاً باراً إن شاء الله فقال لها الوالد : نعم وأنا أيضاً أرجو ذلك إذا طول الله عمره » (١).

---

١ – السيد علي سيس : تصدير كاشف الالباس ١٠ .

وكانت نشأته الأولى كلها في حجر والده ، وأن والده هو الذي رباه وأدبه ونفخ فيه من روحه ، كما غذاه بعلومه ، وسقاه بمعارفه ، إذ عليه قرأ القرآن حتى حفظه ، ودرس عليه العلوم النقلية والعقلية حتى حذقها ، وأخذ عنه الطريقة التجانية أيضاً (١).

والدلائل تشير إلى أن نشأته كانت مثالاً للهمة والنشاط المدعمين بالذكاء والطموح ، وأنه كان يستعد منذ صغره ليكون شيخ الطريقة التجانية وقطب تربيتها ، ومقيض فيضتها ، في القرن الرابع عشر الهجري والعشرين الميلادي .

ولعل كون بيت أبيه محطاً لرحال الشرفاء العلويين من شناجطة وغيرهم زيادة على كونه بيت علم ودين من العوامل الملهمة له هذه الأمنية لأن البيت أصبح حينئذ ملتقى الثقافات الإسلامية المختلفة المعروفة في ذلك العصر بهذا الصقع الهادىء من إفريقيا الغربية ، فكان والده يقوم بتدريس علوم الشرع من الفقه الأكبر والأصغر والتفسير واللغة وغيرها كما كان الشناجطة يقومون بنشاطهم الدائم في نشر الطريقة التجانية وبث تعاليمها بجانب العلوم الصوفية الأخرى .

وكان هذا اليفع المتوقد همة وذكاء يتنقل بين مدرسة والده وبين محط رواحل العلويين ، ويشهد على ذلك قول الشريف محمد عبدالله بن فف العلوي فيه عندما كان صغيراً .

فكل مثل ابـــــر فحيـــــــه فإبر من الزوار يدنو ويقـــرب (٢)

و (إبر) مرخم إبراهيم فكان الشيخ ابراهيم إنياس يسمى (إبر) في صغره فهذا إن دل على شيء فإنما يدل بكل جلاء على كثرة مخالطته للعلويين وسماعه منهم منذ صغره .

ويبدو أن هذه الفيضة قد فشى ذكرها بشكل واسع في بيت الشيخ عبدالله إنياس

---

١ ـ السيد علي سيس : نفس المصدر ٢ .

٢ ـ أخذت هذه المعلومات من السيد الشريف محمد فال ابن دهاه بن محمد الحنفي بن العباس العلوي الموريتاني في مقابلتي معه في منزل الشيخ أحمد التجاني بن الشيخ ابراهيم انياس في المدينة الجديدة بحضرة كولخ يوم السبت ١٣/ ٨/ ١٩٧٧ م .

عندما كان الشيخ إبراهيم صغيراً وربما كان ذلك بفضل نشاط العلويين الدعائية فكان يستعد لها منذ ذلك الوقت بدليل أنه ذكر شيخين علويين عاصرا والده وكلاهما ادعى أنه صاحب الفيضة التجانية وهما الشيخ الشريف محمد الحافظ بن خير العلوي (١) والشيخ الشريف الحاج عبدالله بن الحاج العلوي (٢) وقد أدركهما وهو صغير حتى تتلمذ للثاني ، ويشهد على ذلك أيضاً ما أخبرني به السيد ابراهيم جوب في مقابلتي معه يوم الاثنين ١٥ لأغسطس سنة ١٩٧٧ م في منزلي ببيت الشيخ التجاني انياس لكولخ المدينة الجديدة مس أن الشيخ إبراهيم قد سمع أحد تلاميذ أبيه – وهو حينئذ يافع – يتعجب من أمر الفيضة ويتلجلج في فهم معناها ومرماها فقال له الشيخ ابراهيم أن أمر الفيضة واضح لا غموض فيه ومن أيسر الأشياء فهمه وتصوره صور نفسك بئراً عميقة غزيرة الماء بدرجة أن ماء ها لا ينضب أبداً والناس في غاية العطش والحاجة إلى الماء فجعلوا يحومون حولها ولا يستطيعون الوصول إلى الماء والعطش قد بلغ منهم مبلغه فجاء أحد بدلو محكم متين الحبل فأخذ يملأ لكل واحد آنيته على قدر حجمها واستعداده وقوته على الحمل والناس لا يستغنون عن الماء ولا هو يمل من إملاء أوانيهم ولا البئر تنضب هذه هي صورة الفيضة التجانية وصورة مفيضها والمفاض عليهم . ولعل البيت التالي أيضاً قاله الشيخ في غضون ذلك الوقت وهو :

وتأتي قريبـــاً فيضة الختم هيئـــوا بتفريغ أغيار فتحظى بموصع (٣)

والبيت يدل على أنه قاله في عنفوان شبابه قبل كمال نضجه لأنه إذا قورن بأبيات

---

١ – هو الشيخ محمد بن خير العلوي وهو من كبار أشياخ الطريقة التجانية يذهب المورتانيون إلى أن الفيضة التجانية وقعت على يده في موضع يقال له (الزحافي) ولد وتربى في مكان يسمى (العقل) من أرض العلويين بمورتانيا في أواخر القرن الثالث عشر وعاش إلى ثلاثينات هذا القرن تقريباً (مقابلة مع الشريف العلوي الشيخان خليفة الشيخ محمد الحافظ السابق ذكره بحاضرة (برين) ١٠ / ٨/ ١٩٧٧م بموريتانيا) .

٢ – وهو الشيخ الحاج عبدالله بن الحاج العلوي ولد بمكان يدعى التركيز في الولاية السادسة بالجمهورية الإسلامية المورتنية سنة ١٢٧٧ هـ وتوفي سنة ١٣٤٧ هـ (مقابلة مع حفيده وخليفته السيد الحاج عبدالله ابن الشيخ محمد المشرى العلوي بحاضرة معط مولانا بموريتانيا .

٣ – الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٤٤ .

قصائد دواوينه يبدو ركيكاً .

ويؤيد ذلك أيضاً كتابه روح الأدب الذي ألفه وهو في الثانية والعشرين من عمره وضمنه نفس التعاليم التي جاء يدعو اليها بعد اعلانه نفسه أنه مفيض الفيضة التجانية .

ويعضد ذلك أيضاً قوله وهو يعظ بعض تلاميذه : « فإن هذا العلم كان عندي منذ ماة طويلة وما سمع مني أحد من أحبابي وجيراني ما يدله على أن عندي علماً خاصاً حتى أتى أمر الله تعالى أحمده وأشكره على ذلك (١) وقد كتب هذا المنشور الذي جاءت فيه هذه العبارة وهو في التاسعة والعشرين من عمره .

ومهما يكن من شيء فان الشيخ إبراهيم انياس لما يتجاوز العشرين من عمره حتى تدفقت اليه الإجازات من شيوخ الطريقة التجانية وذلك بعد وفاة أبيه مباشرة وأول إجازة أطلقت له الأذن بالتقديم ومنحته شمول التصرف في أوراد الطريقة التجانية وأسرارها هي التي جاءته من السيد محمد محمود بن محمد الصغير التشنجيطي التشيتي بوصية من والده الشيخ عبدالله إنياس ذلك لأن الوالد قد استصغر سن ولده النجيب ولم يطلق له الاذن لهذا السبب ولأسباب أخرى لاحظها لبعد نظره الذي تقتضيه رزانة العلم ووقار الشيوخة ولما أحس بدنو أجله دعا هذا الشريف السابق ذكره وقدمه وأطلق له الإذن بجميع ما عنده من السلاسل والأسانيد والإجازات ، ثم أخذ عليه العهود والمواثيق على أن يدفع جميع ذلك لولده المهذب إبراهيم بإذن مطلق شامل مهما آنس منه قوة الحمل فجاء هذا الشريف في العام الذي توفي فيه والد الشيخ وقدم له تركة أبيه الثمينة الغالية وجاء في نص الإجازة : « يقول أفقر العبيد إلى الله تعالى محمد محمود بن أحمد الصغير أني أذنت لأخي في الله وفي الرسول وفي الشيخ ، إبراهيم ابن الحاج عبدالله تلقيناً وتقديماً وأطلقت له الإذن في جميع ما صحت به الرواية عن الشيخ كما أجازني في ذلك وأطلق لي الشيخ الحاج عبدالله قال في إجازته لي ولقد من الله علي بملاقاة الأجلاء من أكابر أصحاب الشيخ وشافهتهم بالأسرار والمعارف وقدموني

---

١ – الشيخ ابراهيم اياس : جواهر الرسائل جـ١ – ص ١٠ .

باجازاتهم الصحيحة فقلت أجزت وأذنت هذا الأخ المحب بحسب ما أجازوني فيه من الأسرار والدعوات والأسماء » (١).

ثم لاحظته العناية الربانية فرأى الشيخ التجاني نفسه في منام كاليقظة ولقنه الورد وأجازه باذن مطلق وتكرر له ذلك مراراً ثم جعل يجتمع في المنام بوالده الحاج عبدالله إنياس مراراً وهو يقول له في كل لقاء خذ من غيرك كل ما تركته فهو خالص لك (٢).

ثم جاءته بعد ذلك بحوالي خمس سنوات إجازة تعد تاريخية بالنسبة لحركته كما تعتبر بحق نقطة تطور في أحواله إذ هي التي تطورت به من كونه مجرد مقدم لتلقين الأوراد في الطريقة التجانية إلى شيخ مرشد كامل الإذن من شيوخ التربية في الطريقة التجانية الأمر الذي أفضى به في النهاية إلى اعتبار نفسه – بكل إيمان وثقة واعتقاد – أنه كامل العصر وأنه خليفة الشيخ التجاني الوارث لأسراره ولم يقف هذا الإيمان والاعتقاد عليه وحده في خاصة نفسه وأهل بيته فحسب بل تعداهم إلى بعض أوساط التجانيين في داخل السنغال وأكثر بيوت التجانية في خارجها ، حتى سلم له بثبوت الأمر بيت الشيخ محمد الحافظ الناشر الأول للطريقة التجانية في إفريقيا الغربية والموريتانيا ، بل وفوق ذلك سلم له واعتقد صحة وراثته هذه أهل بيت الشيخ التجاني أنفسهم وقدموا إليه عصا الشيخ التجاني وسبحته وطنفسته والنسخة المخطوطة من كتاب جواهر المعاني الاشياء التي لا تدخل في حوزة أحد غير خليفة الشيخ التجاني الوارث لمقام ولايته وإمامة طريقته (٣).

وانتهت اليه هذه الإجازة من شيخه ومربيه الحاج عبدالله بن الحاج العلوي الموريتاني وجاء في الإجازة ما يلي : « فقد أمرني شيخي ووالدي ومرشدي الحاج عبدالله بن الحاج أن أكتب لإبراهيم بن الحاج عبدالله أنه أذن له في إرشاد الخلق وتربيتهم بالقول والعمل وتلقين الأوراد والأذكار اللازمة وغير اللازمة عموماً

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٩٤ ٢ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٩٥ .

٣ – أخبرني بذلك الحاج عبد الباقي ابن الشيخ الحاج أدم الدمفراوي في منزله ببلدة أزري في ولاية بوشي نيجيريا وما قيدت التاريخ .

وخصوصاً في كل ماصحت له به الرواية عن الشيخ أي التجاني إذناً عاماً شاملاً وأنه أجازه إجازة مطلقة تامة متصلا حبله فيهما بحبله إلى يوم الدين بل أبداً مع أنه رآه أهلا لذلك كله وكتب شاهداً على جميع ذلك محمد عبد الرحمن بن الحاج عبدالله بن الحاج عام ١٣٤٥ ﻫ (١) .

وفي نفس العام أيضاً أذن له السيد محمد الكبير ابن السيد أحمد بن محمد بن العباس العلوي بإجازة مطلقة وجاء في الإجازة ما يلي : « فقد أجزت أخانا الفاضل العلامة الواصل ، من جمع بين علمي الشريعة والحقيقة خريت الطريقة السيد إبراهيم ابن العارف الكامل الشيخ الواصل الحاج سيدي عبدالله أنيس لازال يترقى في حضرة القدس في كل ما صدر من الشيخ التجاني من الأذكار اللازمة وغير اللازمة ، إذناً تاماً عاماً خاصاً كما أجازني سيدي الغالي بن موسى بن معزوز عن أبيه عن الشيخ التجاني (٢).

ثم بعد ذلك بحوالي أربع سنوات أجازه السيد محمد سعيد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ بإجازة مطلقة وجاء فيها : « فيقول الكاتب على حبيبه وخليله السيد الأديب الأريب الشيخ ابن الشيخ عبدالله ابراهيم لازلنا وإياه في عون من الكريم .. ومن الموجب إني أطلقت لك الإذن في طريقة شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا سيدي أحمد التجاني أخذاً وإعطاء فالعامة للعامة والخاصة للخاصة وهذا أسر السر لأني أحببت أن أكون من سلطانك كي أحظى بدعواتك وأحببت أن تكون بيني وبينك خاصية ، وأحب أن تكون من جهة الآخرة لأن الدنيا أصغر من المكاتبة لكم وكان ذلك في عام ١٣٤٩ (٣).

ثم شافهه القاضي الشيخ الحاج سكيرج العياشي بإجازة مطلقة وأعطاه جميع ماعنده من أسرار الطريقة التجانية وجعله خليفة له ووارثاً لأسراره بل صرح له بأنه خليفة عن الشيخ التجاني نفسه ، فضلا عن والده الحاج عبدالله إنياس وجميع خلفاء الشيخ

---

١ - الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٩٥ ٢ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٩٥ .
٣ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٩٦ .

التجاني (١) .

ثم جاءه الإذن المطلق من السيد محمد الأمين بن بد وجاء فيه « من موجبه أنه بلغني أنكم طلبتم الإجازة في الحديث ولو عكس الأمر فأنا الخليق بذلك ، فاستجازة الفاضل للمفضول تنبع عن سعة علم الفاضل وتمكنه ، فالحاصل إسعافكم بما طلبتم فيما تصح لي إجازته كما أجازني شيخنا أحمد إلى أن تنتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك في عام ١٣٥٤ (٢).

ثم في العام التالي أتته الإجازة المطلقة من السيد الطيب السفياني وورد في الإجازة ما يأتي : « أيها السيد الجليل إنك طلبت منا الإجازة بالتقديم في طريقة شيخنا وقدوتنا وأعز ما لدينا سيدنا ومولانا أحمد التجاني .. قد أجزناك وأذناك بالتقديم تعطي هذا الورد اللازم للطريقة الخ (٣).

وعلى هذا الشكل تتابعت الإجازات إلى الشيخ السنغالي الشاب الحاج إبراهيم إنياس وأحصيتها فوجدت أنها تزيد على سبع عشرة سلسلة ، وبعضها كما رأينا أتته من غير طلب منه ، لأن المجيز يريد أن يتشرف بالإنتظام في سلسلة أسانيده ،وبعضها جاءته اجابة لطلب ذلك لأنه يريد الكمال بالحصول على جميع السلاسل الموثوق بصحة نسبتها إلى الشيخ التجاني ، وخصوصاً التي خرجت من طريق أشهر أصحابه ،وعلاوة على ذلك أن بعض الشيوخ الذين أجازوه في أول أمره رجع اليه يطلب منه أن يجيزه تبركاته واعترافاً بمقامه الذي احتله في التجانية كما هو شأن السيد محمد بن الطالب حفيد الشيخ محمد الحافظ الكبير وخليفته (٤) .

هكذا استمر أمر الشيخ إبراهيم لا يزيد كل يوم إلا ظهوراً وانتشر ذكره في الآفاق ، وذاع صيته في الأقطار فجعلت شيوخ التجانية تشرئب اليه وتحنو قلوبهم

---

١ – جاء ذكر ذلك في المذكرة التي قيد فيها الشيخ اجازاته وجدتها عند ابنه الشيخ التجاني انياس الورقة الخامسة .

٢ – نفس المصدر . ٣ – نفس المصدر .

٤ – أخبرني بذلك السيد الشريف محمد فال بن دهاه العلوي في التاريخ السابق .

نحوه ، فتزاحم طلاب الفوائد على بابه ، ولم تمض إلا مدة وجيزة من الزمان حتى صار بيته محطاً لرحال السالكين وحضرته مقراً للواصلين ، كما هو كعبة الزائرين وقبلة العارفين ، فأعلن في سنة ١٣٤٨ ﻫ أنه هو صاحب هذه الفيضة التجانية التي بشر الشيخ التجاني أهل طريقته باتيانها ، وهذه السنة هي المنعوتة بعام الفيضة عندهم (١).

وعلى أي حال فإن هذه السنة لم تهل إلا وقد تم نضوج دعوته وظهر أمره، وتكون له أتباع مختصون به ، يحملون إسماً خاصاً بهم ، وهو أهل الفيضة التجانية ، الإسم الذي لم يعرف به طائفة من طوائف أتباع الطريقة قبله ، وقد جاء في رسالة له إلى أهل قرية حامين سنة ١٣٤٩ ﻫ : « واعلموا أنكم يلزمكم حمد الله وشكره حيث جعلكم من السابقين الأولين من أهل هذه الفيضة (٢) وانضم إلى جانبه كثير من الزوايا الواقعة في القطر السنغالي والاقطار المجاورة ، مثل زاوية كوس القرية التي تعد المحل الأول لظهور الفيضة ، وزاوية حامين ، وزاوية طيب جكين ، وزاوية طيب جسين ، وغيرها في داخل السنغال ، وزاوية فاس بالمغرب الأقصى ، وأغلب الظن أن زاوية معط مولانا وزاوية تنبيعل وزاوية بريز والجرار والركيز وغيرها بالمورتانيا قد انتظمت تحت سيطرته حينئذ ، كما أذعن لقيادته كثير من المقدمين مثل أخيه الشيخ محمد زينب بزاوية كولخ ، ومحمد المصطفى بن جرن سام ، وأحمد كرك، وأبو بكر بطى ، ومجك ومحمد مته ، ومحمد مجيكين ، وأحمد سام ، ومالك صو، والحاج سالم بزاوية فاس (٣) وكثيرون غيرهم مثل الشريف العلوي حفيد الشيخ محمد الحافظ الشيخ من آب الذي لقبه الشيخ فيما بعد (بالشيخان) والشريف العلوي الشيخ محمد أنحو ، والشيخ محمد الهادي الذي صار سفيره إلى نيجيريا فيما بعد ، والشريف العلوي الشيخ محمد المشرى بن الشيخ الحاج عبدالله بن الحاج العلوي شيخ الشيخ إبراهيم نفسه ، وآخرون غيرهم من أعلام المورتانيين ، وأساطين الطريقة التجانية ، وربما كان أكثر المنتمين اليه في السنغال من تلامذة أبيه . وقد كتب رسالة إلى الحسن جاي من تلاميذ أبيه الذي انضم إلى الدعة المناوئة له يلاطفه ليستهويه إلى

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٢ .
٢ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٣ ٣ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٧ .

جانبه وجاء في الرساله مايلي : « من عند كاتبه العبد الغني بسيده ومولاه عن كل ما سواه ، ابراهيم بن الحاج عبدالله التجاني إلى حبيبي ومريد والدي الصادق الحسن جاي موجبه أن تعلم ... أن الله تعالى قد قدر في سابق حكمه أن إفاضة هذه الفيضة في الطريقة التجانية على يد صاحبها أي الشيخ التجاني وهو يضعها أين شاء بتقدير العزيز الجبار والفيضة تعم الآفاق بحول الله وقدرته لا يمسكها أحد ولا يوقفها أحد ولا يحبسها شيء ولا بد من أن تمتد على البسيطة حيث كانت التجانية وقد ابتلى الله بعض المشايخ وبعض الرؤساء المقدمين بأعمال المكائد واذاعة الدعاوى الكاذبة طلباً لإطفاء نور الله (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) وأنت حبيبي منذ أنا يافع فلذا كتبت إليك لأحذرك من أن تكون ممن يريد إطفاء نور الله شفقة بك لا حرصاً على ظهور الفيضة فانها تظهر بحول الله وقوته ومن أراد كتمها فلا يزيدها إلا ظهوراً ومن أراد تنفير الناس عنها وعن صاحبها فإنما ينفر الناس عن نفسه لا عنها » .وختم الرسالة بقوله : « وجارك محمد زينب عارف بالله تعالى ولا أعرف من أمثاله عارفاً سواه فكن معه لله بالله في الله تنتفع منه وينتفع منك تلامذتك ولا يضرك شيء لا في الدنيا ولا في الآخرة وإن لم تفعل فلا تضر الله شيئاً وستعلم في الدنيا والآخرة أني أحبك لا لشيء فإني اليوم لا أحب شيئاً والله على ما نقول وكيل والسلام عليكم » (١).

والشيخ في أثناء كل هذا لا يألوا جهداً في تنظيم حياة تلاميذه وإرشاد هم إلى ما فيه صلاح أمورهم في الدنيا والآخرة ويجتهد في خلق الوئام والإنسجام وانتشار روح التعاون ومحو آثار التنافس العقيم بينهم ، ولا أدل على ذلك من المنشور الذي وجهه إلى كافة المقدمين المنتسبين اليه ، وقد جاء فيه : « أما بعد فاني راض عن جماعة الأكابر من المقدمين المنتسبين الينا غاية الرضى وأسأل الله تبارك وتعالى أن يتولى عني مجازاتكم ومكافئتكم في الدارين بفضله ثم إني أوصيكم وصية محب مشفق ناصح لله بالله في الله وهي أن تقوموا جميعاً على ساق الجد في إرشاد الاخوان ومناصحتهم في الدين والطريقة دائماً بعد أن تبدأوا بأنفسكم وهو أن لا تأمروهم بشيء إلا بعد أن تسبقوهم اليه ولا تزجروهم عن شيء إلا بعد أن تنزجروا عنه ولا تتكاسلوا فيضل

---

١ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٦

بكم جمع كبير فلا شيء أضر للعامة من زلات الأكابر سامحنا الله وإياكم ولا تقطعوا الاتصال بينكم وبين قدوتكم في الأوقات الخمس وفي المساء للوظيفة ولو كان وحده فإن فعل فلا جرم أن يقيض الله له من يكون معه بحول الله وقوته ، وصونوا أسراركم ولو الأسرار المتعلقة بالدنيا فإنه من كتم سره ملك أمره ، التزموا الصبر والرضى بالمقدور ، تهادوا تحابوا ، وتزاوروا في الله ، وتجالسوا فيه ، وتباذلوا والتزموا خدمة المشايخ ومحبتهم ، فإنهم يقولون من استخدمناه قد مناه ، ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً ، وعلى كل كبير في مدينة كثر فيها الاخوان أن يبني زاوية توافق حاله وحال بلده ، ويقوم بتعميرها بالصلوات الخمس يؤم فيها أو يولي إماماً ينوبه ولا يتخلف هو أيضاً عن الصلاة مع الجماعة فيها ، وإذا أمكن أن يجعل كل كبير أميناً لزاويته في زمن الرخاء يجمع من الأحباب فرنكاً بعد كل ذكر يوم الجمعة أو كل يدفع ما يطيق ليستعينوا بذلك على مصالح الزاوية ، كالفرش ونحوه ، فليفعل وقد أذنت لكم في ذلك وأمرتكم به وإياكم والتوغل فيما تخوض فيه العامة من الاعتراض على الله فيما جرت به المقادير ولا تسيئوا الظن بالله ولا بعباده ولا بالدهر ، فإن الله هو الدهر لافرق في ذلك بين ما مضى وبين ما سيأتي ، وأكثروا من الوقوف على باب الله للدعاء لأنفسكم ولأحبابكم ولخاصة العباد وعامتهم ». إلى آخره وهو طويل كتبه وهو بكوس وقد أغفل النساخ التاريخ إلا أنه في أغلب الظن لايعدو سنة ١٣٤٨ أو ١٣٤٩ هـ (١).

وما كادت سنة ١٣٥٠ هـ تنسلخ حتى استقر أمره استقراراً يكاد يكون تاماً وامتد نفوذه إلى خارج السنغال ، فأصبحت له مراكز في إفريقيا الغربية وموريتانيا بل وحتى في المغرب الأقصى المهد الأول للطريقة التجانية ، وصار الانتساب إليه يعد فخراً عظيماً والمريدون في كل قطر ساروا - يتزاحمون على باب منزله يتبركون برؤية ذاته وسماع كلامه ، حتى صار لا يدعو تلاميذه إلا بأولاده ولعله يريد بذلك الولادة الروحية ، وهو على هذا بمنزلة أبيهم الروحي ومن زاره بمقره في مدينة كولخ وتشرف بخدمة حضرته هنالك يعد سيداً عظيماً مشاراً إليه بالبنان ، وإذا رجع يتعمم

---

١ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ج١ - ص٢٠

اقتعاطاً يطوف على الاخوان من زاوية إلى أخرى فرحاً بما أنجزه من كثرة مشاهدة طلعة الشيخ البهيجة والتعرف لذويه وأقربائه ، والأخوان فرحون بوجوده بين أظهرهم مستأنسين بحديثه لأنه أخذ كثيراً عن الشيخ مشافهة وسمع كثيراً من أخباره وأخبار أسرته العجيبة الشيقة .

على أن هذه الدعوة التي قام بها الشيخ ابراهيم لم تنضج وتظهر حتى برزت ومعها نتائجها وهو قيام بعض الاتباع بدعوى المشيخة للتكالب على الناس بإذاعة الكرامات الزائفة والأساطير المزورة وانهماك البعض في الشهوات واتباع الأهولى وسهو بعضهم عن أداء الواجبات الدينية والتساهل في قراءة الوظيفة مع الجماعة التجانية والتشدق بكلام أهل التصوف الباطني المناقض لظاهر الشرع والركون إلى الدعة ، اعتماداً على فضل الله الذي حفهم به من أجل انتسابهم إلى الفيضة التجانية ، والاعتزاز بالأسرار الآلهية الباطنة التي اقتبسوها منه ، الأمر الذي طمى تياره بشكل مرعب حتى راع من سوء مغبته أخوه السيد الحاج أبو بكر بن الشيخ عبدالله إنياس ، ولفت نظره إلى ذلك نصيحة منه اليه ، وقد جاء في رسالة كتبها رداً لرسالة أخيه هذا : « أما بعد فإلى حضرة الأخ الفاضل والإمام العالم العامل والولي الكامل بقية السلف الحاج أبي بكر بن شيخنا الحاج السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته يليه إعلام بوصول كتابك وفرحت فرحاً على فرح لما تضمن من نصيحتك لي في الله وفي الرحم فجزاك الله خيراً أما ماذكرت من أهل طيب جسين فقد كتبت إليهم كتاباً بمجرد وصول بروائك واعلم ياأخي اني دائماً مشتغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلساني وبقلمي وقولي وفعلي لا أحمل الناس إلا على تقوى الله في السر والجهر ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه والإجتماع للصلوات الخمس ، وقراءة الوظيفة وذكر الله سراً وجهراً ، وتلاوة القرآن ، والعمل لطلب الحلال ، فمن امتثل أمري فلا يشتغل إلا بهذا ومن لم يمتثل أمري فما أنا بصاحب سيف وما على الرسول إلا البلاغ ، قال تعالى لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أنت عليهم بجبار ... فالحاصل أنا لا آلو جهداً في نصيحة من يسمع نصيحتي من عباد الله ، والذين يسمعون قولي لا يرى فيهم ولا يسمع إلا ما يرضي الله ورسوله ومن لا يسمع قولي ليس بيني وبينه شيء والناس على قسمين منهم من طلب الله والرسول ، ومنهم من لا يطلب إلا نفسه وشهواته ... ولا تنسني في صالح

دعائك وإذا التقينا نخبرك بحقيقة الحال والسلام (١).

وقد أغفل النساخ ذكر تاريخ الرسالة ، ولذلك لا يمكننا الوقوف تماماً على ماإذا كانت رسائله الوعظيه والإرشادية التي تدفقت إلى المريدين الواحدة تلو الأخرى لنصيحة أخيه وتنبيهه له والظاهر أنها لأجل ذلك .

ومهما يكن من شيء فإن الشيخ إبراهيم قد قام بإرسا الرسائل والمنشورات التي تطن بقوارع العظات والإرشادات التي تدل على نضوجه الفكري واستعداداته الفطرية لقيادة الناس وامامتهم ، وأنه ما أظهر أمره هذا إلا بعد تمام الأهبة بالوقوف على فقه الشريعة والطريقة ويشهد على ذلك قوله : « واعلموا أني على بصيرة من أمري لأن عندي إمامين إمامي في الظاهر الكتاب والسنة ، ولا أعرف من هو أعلم بهما مني ، وامامي في الباطن وهو الشيخ التجاني ولا يفارقني لحظة (٢) .

لقد سلك مسالك مختلفة في إرشاد الناكبين عن الجادة من أتباعه وردهم إلى سواء السبيل وضبط تصرفاتهم في وطار آداب السلوك حسب القواعد المتبعة عند شيوخ الطرق الصوفية .

فقد سلك بأصحاب الدعوى مسالك ثلاثة وهي الملاطفة والتهديد والطرد ، يلاطف من تنفعه الملاطفة ، وقد سلك هذه الطريقة مع مريده السيد محمد المصطفى ابن جرن سام وقد ذهب الوخ في ملاطفته حتى تجرد هو من شيوخه وجعل نفسه معه في كفة واحدة ، ثم استدرجه في النهاية إلى أنه نفسه ما ظهر أمره هذا تصدراً بل بإذن صحيح من عند الله على يد أرباب الأمر وقد جاء في رسالة له إليه : « وليكن لك شيخان شيخ في الظاهر وهو الكتاب والسنة وشيخ في الباطن وهو الشيخ التجاني ، وهو معك دائماً فالوسائل وسائل فقط واكتم سرك وادفن ما أولاك الله به من سر ربوبيته حتى يظهرك الله ، فإنه من تصدر للمشيخة قبل وجود الاذن من الله فقد ضيع

---

١ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ج ١ - ص ٢٤ .

٢ - وجدت هذه العبارة عند السيد الحاج عبدالله بن الشيخ محمد المشرى العلوي في مقابلتي معه في منزله بمعط مولات مورتانيا أنظر الصفحة السابقة .

دينه ودنياه وافتضح بين أبناء جنسه ، وأن أظهرك الله فلا مانع لعطائه ، ولكن حب الظهور قبل أوانه يمنعه لما فيه من حظ النفس » (١).

ويهدد من لا يرتدع إلا بذلك ويقول في هذا الصدد : « واعلموا أني بريء من كل مجذوب لم يسلك ، وأما التكلم قبل الإذن فهلاك مبين يدل على كذب دعوى صاحبه ، اعتبروا بحال بعض من تقدمكم ممن منعته من الكلام بعدما ربيته وتمادى على غيه لهوى متبع وقطعت مددي فلم ينتفع وهلك ، والذين يتبعونه كانوا أسوأ حالا وأسفل مقاماً ظاهراً وباطناً ، والسعيد من وعظ بغيره وحب الظهور يمنع الظهور»(٢).

بهذه الطريقة عامل مريده أحمد بن الخليفة وقد جاء في رسالة له إليه : « وأما ما وصفت لي من حالك فقد شممت منه رائحة جزم الروحي والتصدر قبل الفطام ذلك أقل ضرراً » (٣).

ويطرد من حضرته من يئس منه الاهتداء والرجوع عن غيه إلى السداد ، وقد عامل بذلك من ذكره آنفاً في معرض إنذاره للمتصدرين قبل الإذن منه ويأمر أحياناً أهل من أبى أن يكف عن الدعوى وافشاء الأسرار بنقله إلى حضرته ليتأدب ويثوب إلى الرشاد كما في شأن محمد الأمين ابن سيدنا وقد جاء في رسالة له إلى (الشيخان) أن محمد الأمين بن سيدنا أتى اليكم فانظروا في حاله فإن قبلتموه فهو مقبول ولا أحب أن يصدر منه كلام المجاذيب ، فان الجذب شيء والتصدر للمشيخة شيء آخر ، فالحاصل أني لا صلة بيني وبينه إلا بكم وإن سلب الإرادة وأراد الصلاح فاتركوه، سكن عندي عسى أن يرجع عما هو فيه حتى يؤذن بعد ذلك في العودة » (٥).

وأما ذووا الأهواء وأرباب الدعة والمغترون فقد نهج بهم مناهج مختلفة ، منها دعوتهم إلى حضرته ليصطبغوا بصبغة من بحضرته من المريدين الذين أقبلوا على العبادة باخلاص وحسن نية وصدق قصد وعزيمة ، وليتعلموا كيفية السلوك بعد الجذب ،

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ج١ –ص ٢ ٢ – الشيخ ابراهيم انياس: نفس المصدر ج١ ص١٠
٣ – الشيخ ابراهيم انياس: نفس المصدر ج١ –ص١٨ ٤ – الشيخ ابراهيم انياس ؛نفس المصدر ج١ ص٤
٥ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر .

وإلى هذا المعنى يرمي بقوله : « يوشك أن أرفع الإذن عن كل مقدم يقة م بحضرته المحرمات ولم يقم بما وجب عليه ، فان عجز يهاجر إلى الله ورسوله والينا فوالله ما أوقف سير أولئك حتى رجعوا إلى التأنس بالحوادث إلا طول عهدهم بنا فمن حضر معنا في كثير من الأوقات ينسى طعم الشهوات ، فان هناك شباناً صغاراً قد نسوا طعم الشهوات حتى إن منهم من ينسى زوجته ولا يأتيها إلا بالإذن والإكراه هكذا كان تلامذتي والغير لا » (٢).

ومنها لفت نظر بعض أهل قرية إلى ما يقوم به إخوانهم في القرى المجاورة من التمسك بأهداب الدين والقيام بشعائر العبادات ويقول في هذا الصدد : « وأنتم ياأهل حامين لا ينبغي لكم إلا أن تكونوا كأهل كوس وأهل طيب جكين وأهل طيب جسن من الاشتغال بالله وبرفض كل ما سواه وتواصوا بالصبر وتحابوا وتهادوا وتزاوروا وتباذلوا وتجالسوا في الله لله بالله وتعاونوا على البر والتقوى واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » (٣).

ومنها استهواءهم بذكر هذه الفضائل الجمة التي خص الله تعالى بها أهل الطريقة التجانية وحدهم في نظرهم وخصوصاً أتباعه الذين أسماهم بأهل الفيضة التجانية الذين وقعوا على حد تعبيره في دائرة تسمى بالدائرة الفضلية ومن ذلك قوله : « ومن فضائل أهل الطريقة التجانية فوزهم بالسعادة الأبدية بضمان الحضرة المصطفوية الاجتبائية ، وكونهم من أهل الدائرة الفضلية كما قال شيخنا الختم التجاني . وقال أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً أنت من الآمنين وكل من رآك من الآمنين إن مات على الإيمان وهكذا (٤).

ومنها تحذيرهم من الركون إلى التساهل والتكاسل الذين يكون مغبتهما الإنحطاط بعد الارتفاع والتقهقر بعد التقدم ويقول في هذا المعنى « واعلموا أنكم يلزمكم حمد الله وشكره حيث جعلكم من السابقين الأولين من أهل هذه الفيضة لكن لا تقعدوا

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر جـ١–ص٤ ٢ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر جـ١ ص٦
٣ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر جـ١ ص٣ ٤ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢٤

ولا تميلوا إلى الراحة فإن من ورائكم قوم أتوا بعدكم وإذا قعدتم وتقاصرتم في أداء حقوق مولاكم سبقوكم وذلك والعياذ بالله هو غاية الخسران لأن الازدياد في الترقي في كل لحظة مطلوب » (١).

ومنها ضمانه لهم الفوز بسعادة الدارين إن هم أطاعوا أمره ووقفوا عند إشارته وذلك قوله : « فاني أوصيكم بالطهارة المائية وإتقان الصلوات واتقان الورد وتدبروا قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا حيث أمر الله تعالى بالترتيل وأكده بالمصدر المؤكد لنفسه وعليكم بالإجتماع للوظيفة معشر الرجال لا النساء ومن أخذ بما أمرته به فهو في ضماني حياً وميتاً ولا خوف عليه ولا حزن » (٢).

ومنها إعلان براءته من كل من خالف أوامره وقال : « واعلموا أني بريء من كل مجذوب لم يسلك ». وقال أيضاً : « ومن لم ينزجر فأشهد الله وأشهدوا أني بريء منه ولا أبرأ منه إلا بعد براءة الله ورسوله منه » (٣).

وبالجملة فإن الشيخ ابراهيم قد اهتم اهتماماً كبيراً منذ ورود نصيحة أخيه اليه في شأن أتباعه بمراعاة تصرفاتهم وقام على ساق الجد في إرشادهم إلى سبيل الرشاد وحملهم على السعي في طريق مستقيم ، وكتب في ذلك عدداً كبيراً من الرسائل والمنشورات ، بل وحتى الرسائل الشخصية لا يصدرها في أغلب الأحوال إلا بالإيصاء بالتقوى والحث على كل ذلك من منشوره الذي أرسله سنة ١٣٤٩ هـ إلى جميع المقدمين المنتسبين إليه ، وقد فتحها بقوله : « أما بعد حمده بما يليق فيصل سلامي الى ولدنا أحمد سام ومالك صو وإلى كل من وقف عليه ممن يدعي الانتساب الينا موجبه الإعلام بأني أثنان ليسا مني ولا من الطريقة في شيء مجذوب لم يسلك وسالك لم يجذب إن بقيا على حالهما ووقفا على سيرهما وإن شأني كما علمتم من أراد أن يكون معي في حالي فليسلك طريقي في الأقوال والافعال بامتثال الاوامر واجتناب النواهي في الظاهر والباطن والعطش والتشوق إلى الوصول إلى مرضاة الله ورسوله ، أما من ينتسب إلينا ويرتكب شيئاً من

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٣ ٢ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١٥
٣ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١٠

مخالفة الشريعة المطهرة باقتحام المحرمات وترك المأمورات فأشهد الله وأشهد كم إني بريء منه بريء منه اللهم إني بريء إليك مما صنع هؤلاء فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون ...» (١).

بهذه الطريقة الحكيمة المتينة كافح الشيخ طغيان بعض تلاميذه الذين لم يفهموا دعوته ، فهماً صحيحاً ، أو لم يصدقوا القصد في الانضمام إلى حزبه .

على أن دعوة الشيخ إبراهيم هذه تحمل في طي نفسها جذوراً وبذوراً لهذا السلوك الفاسد والتصرفات الزائفة التي تصدر من بعض الاتباع لأن الذي لم يكن للدين والمروءة وقع في قلبه إذا فهم به بمجرد كونه تجانياً ومن أهل القيضة أفضل من أقطاب أولياء أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كلهم أجمعين بدرجة أنهم كلهم ما وزنوا شعرة واحدة من رأسه (٢) وإنه قد وقع في دائرة تسمى بالدائرة الفضلية التي تقع وراء دائرة الأمر والنهي والجزاء أي إن من وقع في هذه الدائرة لا يبالي الله به سواء أطاعه أم عصاه وهو ناج على كل حال (٣) وإن المسلمين كلهم مع إيمانهم بالله ورسوله وصلاتهم وزكاتهم وحجهم وصومهم ومع جميع ما يقومون به من الاعمال الخيرية هالكون لا ينجو منهم أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجاني وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد ضمن للشيخ التجاني أن حقوق الناس التي كانت على كواهل أهل طريقته سوف يتولى الله تعالى قضاءها عنهم يوم القيامة من فضله لا من حسناتهم وإن الله قد رفع عنهم الحساب وأنهم آمنون من عذابه من حين موتهم إلى أن يدخلوا الجنة بغير حساب ولا عقاب في الزمرة الأولى وفي عليين بجوار النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا (٤) لا يتورع عن اقتحام كل ما تملكه قوته من الأعمال التي يشبع بها رغباته وشهواته وأهواءه وبالتالي لا يرى أي حاجة في أتعاب نفسه بكثرة العبادة والمجاهدات والتحرج على نفسه بكفها عن المحرمات وهلم جرا .

والذي يفهم من مجمل صدور هذه الرسائل أن الشيخ في ذلك الوقت كان متردداً

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٤ ٢ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٦

٣ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر الورقة الرابعة وجواهر الرسائل ٣٤ .

٤ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ج١ –٢٣

بين كولخ وقرية كوس وكان مكثه في كوس أكثر منه في كولخ بل قد يفهم أنه لايأتي إلى كولخ إلا لزيارة أسرته أو للتخرف كما قال وقد جاء في رسالة له غير مؤرخة : « أما بعد فان الله قد قدر – ومقادير الأمور بيده والخير فيما اختار – مكثي في مدينة كولخ بقصد التخرف (١).

ثم انتقل من كوس إلى كولخ واستقر فيها نهائياً لعل ذلك كان في حدود سنة ١٣٥٤ هـ إلا أنه فيما يبدو كان يتردد بكثرة بين قرية كوس ومدينة كولخ قبل هذا التاريخ بقليل ، لأننا نجد أنه كان يوجه بعض الرسائل من قرية كوس في سنة ١٣٥٠ إلى ١٣٥٤ وقد وجه كذلك بعض الرسائل من مدينة كولخ في نفس التاريخ وأما قبل سنة ١٣٥٠ لا ترى رسالة موجهة من الشيخ إلا وهي صادرة من كوس كما أن الرسائل التي كتبها بعد سنة ١٣٥٥ أكثرها صادرة من كولخ ومن هنا نفهم أن قول السيد علي سيس : « وكان سكناه أول أمره في دار والده بكولخ وحين أيده الله بنصر من عنده وجعل الناس يأتونه من بلاد شتى وأعطاه الله تعالى ما لم يعط من قبله من قومه وضاقت به البقعة لكثرة المتعلقين بأذياله بنى قصراً خارج كولخ يسمى بالمدينة الجديدة وبنى بها زاوية أسست يوم الاثنين ١٤ ذي القعدة سنة ١٣٤٩ هـ (٢) لا ينقض هذا الذي قررناه لأنه اختصر كلامه اختصاراً ولو فصله لجاء حسب ذلك تماماً وسنشير إلى سبب اختصاره فيما يأتي من الفصول إن شاء الله تعالى . ومن جملة ما يستدل به الباحث على أن انتقال الشيخ ابراهيم نهائياً إلى كولخ كان في حدود سنة ١٣٥٤ هـ إن أكثر الرسائل التي كتبها بكولخ بعد استقراره هناك كانت مصدرة بذكر مدينة كولخ في أول الصحيفة وقبل الشروع في الخطاب وهذا قد بدأ بعام ١٣٥٤ هـ كما أن كل رسائله التي كتبها بقرية كوس في غضون ذلك الوقت لا يذكر فيها القرية والتاريخ إلا في آخرها ومن ثم نفهم أن الرسالة التي كتبها في ١٣٥٢ إلى خدام بساتينه بكثير وبيرم تدل تدل بوضوح على أنه لم يزل مستقراً بكوس إلى التاريخ السابق (٣).

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس: نفس المصدر ج١–١٣

٢ – الشيخ ابراهيم انياس : كتاب كاشف الالباس تصديره ٤

٣ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ج٢– ص١٤١ ٤ – الشيخ ابراهيم انياس :

وكانت فترة ما بين سنة ١٣٤٨ وسنة ١٣٥٥ هـ تعتبر فترة الانتاج في حياة الشيخ ابراهيم انياس وفيها ظهرت امهات كتبه التي تعبر بحق عن منهج دعوته وحقيقة تعاليمه التي يدعو الناس اليها والغاية التي يريد الانتهاء إليها في حياته وقد ألف كتابه كاشف الألباس في سنة ١٣٥٠ هـ وألف ذيله في سنة ١٣٥١ هـ وقد وصف الكتاب بقوله : « وان من نظر اليه – الكتاب – بعين الرضا يدرك أنه من فيض الختم التجاني صاحب السر الرباني لكونه جامعاً لزبدة الكتب المؤلفة في هذا الفن وقلما تجد مجموعاً يحتوي على ما احتوى عليه هذا المجموع فمن دقق النظر وأنصف يعلم يقيناً أنه من تأليف الشيخ التجاني نفسه (١) وألف كتابه السر الأكبر والنور الأبهر في سنة ١٣٥٢ هـ الكتاب الذي يتضمن لباب تعاليمه الصوفية الباطنة والذي يعد مرآة صافية تنعكس فيها شخصية الصوفية ومقياساً لسبر غوره في العلوم الصوفية الباطنة وألف كتابه تنبيه الأذكياء في كون الشيخ التجاني خاتم الأولياء في سنة ١٣٥٢ هـ أيضاً وقبل ذلك كانت له مؤلفات صغيرة أكثرها نظم وكذلك قد صدرت أكثر فتاويه العلمية والعرفانية في غضون هذه الفترة .

هذا أمر منطقي طبعاً لأن العالم التجاني قد أصيب بشيء من الوجوم عندما أعلن الشيخ إبراهيم انياس في سنة ١٣٤٨ أنه هو صاحب الفيضة التجانية التي بشر الشيخ التجاني أهل طريقته بإتيانها ذلك لأن الصديق وضده كان يتوقع ظهورها على فرض وجودها من بيت الشيخ التجاني أو بيت أحد أصحابه الكبار من أمثال الشيخ علي التماسيني والحاج علي حرازم برادة والشيخ محمد بن المشري والسيد محمد الغالي والسيد محمد الطيب السفياني ومن على شاكلهم ممن انتمى إلى الشيخ التجاني في حياته من الشرفاء العلويين كالشيخ محمد الحافظ العلوي البدي فكان لزاماً عليه والحال هذه أن يؤلف الكتب ليدلي فيها بحججه التي تؤهله لتسلم مقام صاحب الفيضة ويوضح وجهة نظره في مباحث تتعلق بالطريقة والحقيقة ليبرهن كذلك على استحقاقه لمقام القطبانية في الطريقة التجانية كما لم يجد بداً من الاستهداف لتلقي أسئلة الممتحنين وفتاوى المستفيدين

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : كتاب كاشف الالباس ٩٨

ولما مضت هذه الفترة وتعقبها فترة هدوء واستقرار نسبياً لتسليم جمهور التجانيين له واعتقادهم العميق فيه وفي جميع مناصبه التي احتلها في التجانية صار بيته محطاً لرحال المريدين على اختلاف طبقاتهم من السالكين والواصلين والمنتهين فكان في هذه الفترة مشغولاً بتلقي الزائرين وإنزال الوافدين وتوديع القافلين والقيام بتسليك الطالبين وتأديب الواصلين وترقية المنتهين وهو في هذه الظروف طبعاً لا يجد متسعاً من الوقت حتى يتفرغ لتصنيف الكتب ولا سيما أن الوضع لا يتطلب منه إلا تحليل المشاكل الجزئية الحالية الواردة عليه بكثرة حسب كثرة الأتباع وتنوع مشاكلهم ولا يفي بهذا الغرض إلا الخطب والرسائل والمنشورات الموجزة ولعل من أجل ذلك قلما يصدر منه كتاب حافل يتناول موضوعاً واحداً في غضون هذه الفترة أضف إلى ذلك كثرة أسفاره في الأقطار لإفادة المريدين أو لأجابة دعوة المحبين أو لبث دعوته التجانية .

على أن كتب الشيخ إبراهيم ورسائله في الفترة الأولى تدل على وضوح على أنه إنما جاء ليجدد الطريقة التجانية ولذلك إذا نظرنا إلى دعوته فيها نرى أنها تتسم بالمميزات الآتية : —

١ — الدعوة إلى التمسك بالطريقة التجانية والانتساب إلى الشيخ التجاني وان كل من لم يمن الله عليه بالانتماء اليها قد ساقه الله مساق الهلاك وإلى ذلك يرمي بقوله : « واعلموا أن الله ساق الوجود مساق الهلاك ولا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجاني وذلك لا بد أن يكون عارفاً بالله بضمان سيد الوجود صلى الله عليه وسلم (١) .

٢ — إن الشيخ التجاني هو صاحب الفيضة الحقيقي وأنه يضعها حيث شاء ، فها هو قد وضعها عنده ، أي الشيخ إبراهيم إنياس ، وظهرت على يده لا يحجبها شيء ، ولا يوقفها شيء ، حتى تعم البقاع والأصقاع حيث كانت الطريقة التجانية ، وإلى ذلك يهدف بقوله : « وقد قدر الله تعالى في سابق حكمه إن إفاضة هذه الفيضة في الطريقة التجانية على يد صاحبها أي الشيخ التجاني وهو صاحب الفيضة يضعها أين

---

١ — الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل جـ١ — ص ٨ .

شاء بتقدير العزيز الجبار ، والفيضة تعم الآفاق بحول الله وقدرته لا يمسكها أحد ولا يوقفها أحد ولا يحبسها شيء ولا بد من أن تمتد على البسيطة حيث كانت الطريقة التجانية » (١).

٣ – إن أهل فيضته هؤلاء هم الطائفة التي ذكرها صاحب منية المريد بقوله :

طائفــــة من صحبــه لو اجتمــع أقطاب أمة النبـــي المتبــع

ما وزنوا شعـــرة مـــن فـــرد منها فكيف بالإمام الفــرد (٢)

وإلى هذا المعنى يقصد بقوله : والذي يتعين عليك أن قدرت على السلوك حتى تكون من الذين قال في حقهم صاحب المنية طائفة من صحبه الخ (٣).

٤ – إن أهل فيضته قد وقعوا في دائرة تسمى بالدائرة الفضلية التي تقع على حد تعبيره وراء دوائر النهي والأمر والجزاء ، أي من وقع في هذه الدائرة لا تضره معصية أية كانت ولذلك كانت عبادتهم شكراً لله تعالى لا طلباً للجنة ولا خوفاً من النار ، فضلاً من أن تكون أداء للواجبات الدينية ، وإلى ذلك يشير بقوله : « ومن فضائل أهل الطريقة التجانية وما لهم من السعادة الأبدية بضمان الحضرة المصطفوية الاجتبائية وكونهم من أهل الدائرة الفضلية »(٤) .

٥ – وقد اضطرب كلامه في أمر ظهور الإمام المهدي المنتظر فقد ورد منه كلام يدل صريح معناه على أنه أي الشيخ إبراهيم إنياس نفسه هو الامام المهدي وأن نبي الله عيسى عليه السلام إذا جاء يكون أهل فيضته هؤلاء هم أنصاره وأحزابه وفي ذلك يقول:

عسى المصطفى يوماً يجود بنظـــرة تغسل أوزاري وقلبـي تسمــن

وإن شاء قواني لحمـل خلافـــة لكي أرفع التوحيـد والكل مؤمـن

ليسلم جل الناس أقتل بعضهـــم جهاداً وإني مؤمـن باك محســن

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ج١ – ص٦

٢ – السيد العربي بن السائح : بغية المستفيد ١٧١ ٣ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٦

٤ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٣٤ – السر الأكبر الورقة الرابعة .

فارفع علماً للجهالة واضعاً
وأكسر رايات الصليب وأدفن

فبي يرفع الجور العظيم فلا يرى
سوى العلم والدين الحنيفي يزين

فتمسي رجال الله في ظل راحة
وعز وتمجيد وبالحق أعلنوا

يكون زمام العالمين جميعهم
بأيدي رجال بالعلوم تمكنوا

فيأتي مسيح والرجال رجاله
بدين الإمام الهاشمي يتدين

هنالك عم الفيض لا شك لن ترى
سوى عارف بالله والشرع متقن

فيختم عيسى لا تكون ولاية
بعيد ممات الروح فالخير يدفن (١)

ثم صدر منه كلام خر يدل صريح ألفاظه على أن الامام المهدي المنتظر يظهر وهو في قيد حياته ، وأنه أي الشيخ إبراهيم يكون إمامه ومرشده ومعينه في إنجاز مهمته ، بحيث لا يتصرف المهدي إلا في حدود إذنه ، ولا يحول إلا في حيز رضاه ، ولا يقف إلا عند إشارته ، وأما هؤلاء الأوربيون الغربيون أصحاب الحضارة الحديثة وأئمة التقدم الصناعي الكيميائي في العصر الحاضر فقد تلاشى أمرهم حينئذ واضمحل إضمحلالاً تاماً ، وكانوا في ضنك شديد ، وكرب عظيم ، وإلى ذلك يقصد بقوله :

وان جاء روح الله عيسى فإنه
من أمته تحكى الفعال فعاله

يصلي به المهدي يا فوز أمة
يؤمهم طاه وعيسى و له

أرجي لقاء المهدي عوناً ومرشدا
له كل وقت من رضاي مجاله

فتمسي النصارى كالجليد تشعشعت
عليه ذكاء كلهم ضاق حاله (٢)

٦ – تنفير جماعته من المنكرين لشأنه وحضهم على قطع العلاقات مع كل من ينكر الطريقة التجانية وتحذيرهم من مجالسة من نعتهم بالمحاجيب وهم الذين ليسوا من أهل فيضته ، وقد دخل فيهم التجانيون الذين لم ينضموا إلى حزبه ، وفي ذلك يقول : « فمن لم تكن له تعلق بالشيخ أي التجاني فصحبته تقطع المريد وتعوق عن

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : ديوان شفاء الاسقام مجموع الدواوين ١٣١ .

٢ – الشيخ ابراهيم انياس : ديوان شفاء الاسقام مجموع الدواوين ١٢٩ .

المراد » (١) ويقول أيضاً : « وأوصى كل من شم رائحة التوحيد الخاص بإدامة الصمت والاعتزال من مجالس الجماعة العوام التي لم تجتمع لطاعة الله تعالى ، لا سيما التكلم في التوحيد والاسرار أمامهم ، واعلموا! أن كشف الأسرار الربوبية بين المحجوبين أشد عند الله من الحرام (٢) .

٧ – تسلية أتباعه عما يجدونه من المنكرين الذين نعتهم بالحمقى وينصحهم بأن لا يبالوا بهم ، فان مدحهم وذمهم واقبالهم وإدبارهم على حد سواء ، إذ لا ضار ولا نافع ولا رافع ولا خافض ولا معطي ولا مانع إلا الله سبحانه وتعالى (٣)، وقد قال الشيخ التجاني إن من لم يحافظ على تغيير خواطر أهل طريقته يحل به الهلاك (٤) وقد ذهب الشيخ في هذا بعيداً ، حتى تنبأ بأن زماناً يأتي إن من لم يسلك الطريقة التجانية وينتظم في حزبه سوف يندم وقال : « فإني أعلم زمناً يأتي في المستقبل وكان بمنزلة الماضي عندي ان من لم يسلك طريقتكم يسلكها وهو نادم » (٥).

٨ – حثهم على محبة الشيخ التجاني لأنها وحدها كفيلة بسعادة الدارين ، ولأن السيد علي التماسيني الذي بلغ مقام القطبانية في الطريقة التجانية قال : « إن الله ساق الوجود في هذا الزمان مساق الهلاك ولا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ (٦)

٩ – تنظيم جماعته وأمرهم ببناء الزوايا وجمع الأموال من المريدين لإصلاحها ، وتحذيرهم من التحاسد والتباغض والتنافس العقيم ، وحضهم على التحابب والتوادد والتزاور ، وحثهم على احترام شيوخ الطريقة والقيام بخدمتهم ، ومحبة الشرفاء ودفع الصدقات إلى المحتاجين (٧).

١٠ – حضهم على مراعاة أوامر الدين والقيام بشعائره وأداء الوظيفة في الجماعة التجانية ، وأن كل من ترك الوظيفة في الجماعة عمداً ليس تجانياً إلا إذا كان تخلفه لعذر

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ج١ – ص٢٧ ٢ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل١/١٠
٣ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٢٣ ٤ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل١/٨
٥ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/١٩ ٦ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٨
٧ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٢٠

شرعي لأن الوظيفة لازمة أو واجبة وليست تطوعاً أي مستحبة وشرطها الجماعة (١).

١١ – دعوتهم إلى مزاولة الحرف والمهن لكسب الحلال ، وتحذيرهم – خصوصاً الشرفاء الواردين من مورتانيا – من الجولان في أنحاء البلاد لجمع التبرعات من الأخوان وتكفف الناس في الطرقات ، وإلى ذلك الاشارة بقوله : « نصيحة أسديها لكم معشر الأولاد من الشرفاء الذين نحوا نحو الصوفية ، وهي اتخاذ حرفة لكسب الحلال ،وقطع التكسب بالدوران بمجرد السؤال والطمع ورفع الهمة عن تلك الحرفة الدنيئة ، ولتكن حرفتكم في السنغال تجارة أو كتابة أو تعليماً أو حملا لا سؤالاً وطمعاً (٢).

١٢ – حضهم على الاستمرار في زيارة حضرته للاقتباس منه وفي ذلك يقول : « فلا بد للمريد من أن يتوجه إلى شيخه بربط قلبه معه ويتحقق أن الفيض لا يجيء إلا بواسطته ، وقد قالوا إن الشيخ في قومه كالنبي في أمته ، فربط القلب بالشيخ أصل كبير في الاستقامة والعمدة القوية وعليكم بكثرة المجالسة مع الأولياء وقد رأى بعض الصالحين سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم في المنام فسأله عن أفضل الأعمال فقال عليه الصلاة والسلام : وقوفك بين يدي ولي قدر حلب شاة أو ناقة » قال قلت حياً أو ميتاً قال صلى الله عليه وسلم حياً حياً أو ميتاً ... وتعطيل المريد الزيارة في غالب الزمان دليل قاطع على عدم صدقه صدقه وعدم ازدياده بالله ... فالمريد نفعه بقدر محبته ومواصلة للشيخ فعلى المريد الصادق أن يراجع حضرة شيخه للزيادة والاستمداد من فيوضاتها ، والاقتباس من أنوارها ، والاجتناء من ثمراتها ، والتلقي لما يرد منها من المعارف ، والتجليات والاسرار فاعلموا أن المريد لا يتوقى بتقرب مثل الزيارة، والخير كل الخير فيها ، والحرمان كل الحرمان في إهمالها ،لأنه علامة لوقوف السير نعوذ بالله (٣) .

١٣ – حثهم على تعظيم شيوخ الطريقة ، والقيام بخدمتهم ، وذلك قوله : «والتزموا خدمة المشايخ ومحبتهم ، فإنهم يقولون من استخدمناه قدمناه ، مر ذلك ويقول :

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/١٢

٢ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/١٦ ٣ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١/٣٧

« وعليكم بتعظيم كل مذن قدمه شيخكم فان ذلك من تعظيمه ، وتعظيم الاشياخ من تعظيم الله وفي ذلك فوز الدارين » (١).

١٤ - حضهم على الإشادة بذكر الشيخ التجاني وفيضته ، وإلى ذلك يرمي بقوله : « وعليكم بالمحادثة في شأن الختم التجاني مع أحبابكم ، فهي أفضل من جميع الأوراد ، خصوصاً في رمضان ، وعليكم بذكر فيضته التي بها حقق الله الحقائق الربانية في قلوبكم ، وأذاقكم المعارف الإلهية ، فقدروا قدر هذه النعمة واشكروا الله ولا تكفروه » (٢).

١٥ - تحذير الدهاة من أتباعه من دعوى المشيخة والتظاهر بها قبل صدور الإذن منه بذلك ، وفي ذلك يقول : « إن كثيراً من المدعين صدوا الناس عن سبيل الله بعدم الإستقامة ، ومن انتسب إلى الله وصار يصد عن سبيله فقد بارز الله بالمحاربة ، فصار في حيز أهل الإنكار الأشقياء لكونه سبباً لذلك » ويقول : كما سبق : «واعتبروا في شأن بعضهم فيمن تقدمكم ممن منعته من الكلام بعدما ربيته وتمادى على منعته لهوى متبع وقطعت مددي فلم ينتفع وهلك ومن سمع منه فهو أسوأ حالاً دائماً وأسفل مقاماً ظاهراً وباطناً والسعيد من وعظ بغيره ، وحب الظهور يمنع الظهور » (٣).

١٦ - دعوة أتباعه إلى موالاة الفرنسيين المستعمرين ، لأنه يعتقد أنهم مصلحون لبلاد ، ومؤلفون لقلوب الشعب ، قال : « ولا بد من زجر الاحباب عن كل فعل يخالف قوانين أرباب الدولة الفرنساوية ، فموافقتهم واجبة فإنهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم يسعون في الإئتلاف ، وصيانة النفوس ، وعافية أهل البلاد »(٤) ويؤيد ذلك أيضاً قوله : « والموافقة مع الناس فيما لا يضر آخرة ومدارة أرباب الدولة كما قالوا :

فدارهـم ما دمت في دارهـم وأرضهم ما دمت في أرضهـم (٥)

---

١ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١/٢٠ ٢ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١/٤٤.
٣ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١/٤ و ١٠
٤ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١/٢٧ ٥ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١/٣١

الناظر لحركة الشيخ إبراهيم إنياس بإمعان يدرك بدون ريب أنه قد مارس الأعناء على اختلاف أنواعهم ، وطبقاتهم ، وأنه لولا أن البلاد كانت تحت سيطرة الفرنسيين لما وجد بدأ من حمل السلام للدفاع عن نفسه ودعوته ، وربما كان ذلك سبب حفاوته بالفرنسيين وإشادته بذكرهم على أنهم مصلحون لبلاد ومؤلفون لقلوب الشعب (١).

---

١ – ان موالاة المستعمرين الغربيين ظاهرة تكاد تكون غالبة على أكثر شيوخ البريقة التجانية وقد سبق أن رأينا المجهود الذي بذله السيد مالك سي بالسنغال نفسه في دعوة أتباعه وحثهم على موالاة الفرنسيين وقبو حكمهم وقام بدعوات خاصة في مسجده لينتصروا على أعدائهم في الحرب أنظر ص ١٤٥ كتاب من The tijanyaa asufi order in the morder age بينما كان زميله في وطنه الشيخ أحمد بمبا مؤسس الطريقة المريدية على الطرف المناقض لوجهة نظره هذه حيث قاوم الفرنسيين المستعمرين مقاومة شديدة حتى أقلق راحتهم مما أداهم إلى نفيه من البلاد مرتين انظر ص ٢٨ من كتاب Muslim brother hood and poin.s وقد مر بنا أيضاً أن الشيخ التجاني نفسه دعا على حكام الجزائر المسلمين بأن يسقط ملكهم في أيدي الكفار أعداءالله والإسلام والمسلمين وكان يريد بهم هؤلاء المستعمرين دليل أنه ذكر عدداً من بلاد المسلمين التي احتلها المستعمرون مثلا الجزائر بها انظر كتاب بغية المستفيد ١٨٤ وفضل ابنه وخليفته السيد محمد الصغير أن يعيش تحت سيطرة الفرنسيين المستعمرين من البقاء في ظل حكم الأمير عبد القادر الجزائري وكتب بذلك رسالة في ١٢ يوليه سنة ١٧٣٩ م إلى (فليس Valéés القائد الفرنسي الذي يقاومه الأمير عبد القادر انظر ص ٦٩–٧١ من كتاب The tijanyaa ولقن السيد محمد العيد ابن السيد علي التماسيني وخليفته أوراد الطريقة التجانية (لهنري دوفيريا HENRI DUVEYRIER(المستكشف الفرنسي سنة ١٨٦٠ م وأعطاه سبحة معلمة بعلامات الورد التجاني ثم زوده برسالة يعرف رؤساء قبائل الطوارق الصحراويين به كل ذلك لا لأنه أسلم واعتنق التجانية بل ليجعله يسير بأمان في قبائل البدو كمريد تجاني حتى ينجز أعماله الاستكشافية بسهولة انظر ٧٣ من المصدر السابق وزود كذلك أخوه وخليفته السيد محمد الصغير ابن السيد علي التماسيني المبشرين المسيحيين باجازة ليؤسسوا مدرستهم التبشيرية في قلب الصحراء على طريق عين صلاح سنة ١٨٨٠ م ولولا أن أتباع الامام محمد بن علي السنوسي قضوا على حياتهم لتم لهم ذلك انظر ص ٧٧ من المصدر نفسه . وكتب المقدم التجاني السيد الاخضر في ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٩٦ م إلى الأمين العام للحكومة الفرنسية في تونس (م. روي M.ROY) يرشح نفسه ليكون سفيراً للحكومة الفرنسية في السودان وصرح في رسالته بأنه لا يزال مثل كثيرين غيره من مقدمي الطريقة التجانية يسير على قدم شيوخ التجانية في تقديم الخدمة للحكومة الفرنسية انظر المصدر نفسه ص.٩٢ ونحو ذلك كثير وإنما ذكرنا هذا القدر على سبيل المثال فقط .

وجملة القول إن الشيخ إبراهيم إنياس قد اهتّم اهتماماً كبيراً بالشيخ التجاني وطريقته في هذه الفترة ، بحيث لا تخلو رسالة من رسائله من ذكره والإشادة بطريقته، بل إنه كثيراً ما يصدر رسائله بقوله : « عن مدد مولانا الختم التجاني » . فربما كان يريد بذلك أن الشيخ التجاني هو الذي يمده بما يكتب بدليل قوله لتلميذه محمد بن الحسن جتره : « وعليك بالانطماس في الشيخ أي التجاني حتى لا ترى لنفسك تأثيراً معه » (١). أو كان يريد أنه نفسه هو مدد الشيخ التجاني الذي أخرج للتجانيين ،وعلى هذا فإن كل ما قاله أو كتبه كان من الشيخ التجاني مباشرة ، ويؤيد ذلك قوله في وصف كتابه أو كتبه كان من الشيخ التجاني مباشرة ، ويؤيد ذلك قوله في وصف كتابه كاشف الالباس : « فمن دقق النظر أي في الكتاب وأنصف ، يعلم يقيناً أن الشيخ التجاني هو الذي ألفه بيده » (٢). بل قد ذهب الشيخ في الإنطماس في الشيخ التجاني في هذه الفترة إلى أبعد مدى ، حيث مضى يظن أنه الشيخ التجاني نفسه ، أو أن الشيخ كان معه دائماً ، ولا يفارقه لحظة ، وحتى كان يلقن الورد لبعض تلاميذه بإذن من الشيخ التجاني مباشرة ، وإلى ذلك يرمي بقوله : « وقد جددت لك الورد اللازم ، والوظيفة المعلومة ، وذكر يوم الجمعة بالإذن الخاص من الشيخ أي التجاني (٣).

وعلى أي حال فان الجملة السابقة تفسر لنا بكل وضوح حقيقة رأيه في الشيخ التجاني ، وهو أن الشيخ التجاني هو شيخ جميع التجانيين ، لأنه لا يزال معهم دائماً

= على أن هذه الظاهرة لم تكن عامة في جميع شيوخ التجانية ومقدميها فان الشيخ عمر الفوتي قد قاوم الغزاة الفرنسيين المستعمرين حتى النهاية انظر نفس المصدر ١١٦ وكذلك ابنه وخليفته أحمد طال الشيخ المصدر نفسه ١٢٨ وكذلك تلميذه الفاماب دياخو أنظر ص ٢٨ من كتاب **Muslim brother hood and politics. N segnal** وكذلك أيضاً الشيخ أحمد حماه الله انظر ١٥٣٠ من كتاب **The tijanyaa** هذا وان المستعمرين من جانبهم يؤيدون انتشار الطرق الصوفية في المسلمين خصوصاً الطرقة التجانية لعلمهم بأنها تميت روح المقاومة في المسلمين وتبعدهم عن حقيقة عقيدة الإسلام وتعاليمه ويدل على ذلك أن السيد محمد العبيدي عندما قدم مدينة إسطنبول عاصمة الخلافة العثمانية التركية – كما سبق – بقصد تأسيس زاوية تجانية فيها فان السفارة الفرنسية الموجودة هناك هي أول من اتصل به وقدمت له المساعدة الكافية لإنجاز مشروعه نفس المصدر ١٦١ .

١ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٢٤/١ ٢ – الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٩٨/١ .
٣ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٤٦/١

وجملة القول إن الشيخ إبراهيم إنياس قد اهتم اهتماماً كبيراً بالشيخ التجاني وطريقته في هذه الفترة ، بحيث لا تخلو رسالة من رسائله من ذكره والإشادة بطريقته، بل إنه كثيراً ما يصدر رسائله بقوله : « عن مدد مولانا الختم التجاني » . فربما كان يريد بذلك أن الشيخ التجاني هو الذي يمده بما يكتب بدليل قوله لتلميذه محمد بن الحسن جتره : « وعليك بالانطماس في الشيخ أي التجاني حتى لا ترى لنفسك تأثيراً معه » (١). أو كان يريد أنه نفسه هو مدد الشيخ التجاني الذي أخرج للتجانيين ،وعلى هذا فإن كل ما قاله أو كتبه كان من الشيخ التجاني مباشرة ، ويؤيد ذلك قوله في وصف كتابه أو كتبه كان من الشيخ التجاني مباشرة ، ويؤيد ذلك قوله في وصف كتابه كاشف الالباس : « فمن دقق النظر أي في الكتاب وأنصف ، يعلم يقيناً أن الشيخ التجاني هو الذي ألفه بيده » (٢). بل قد ذهب الشيخ في الإنطماس في الشيخ التجاني في هذه الفترة إلى أبعد مدى ، حيث مضى يظن أنه الشيخ التجاني نفسه ، أو أن الشيخ كان معه دائماً ، ولا يفارقه لحظة ، وحتى كان يلقن الورد لبعض تلاميذه بإذن من الشيخ التجاني مباشرة ، وإلى ذلك يرمي بقوله : « وقد جددت لك الورد اللازم ، والوظيفة المعلومة ، وذكر يوم الجمعة بالإذن الخاص من الشيخ أي التجاني (٣).

وعلى أي حال فان الجملة السابقة تفسر لنا بكل وضوح حقيقة رأيه في الشيخ التجاني ، وهو أن الشيخ التجاني هو شيخ جميع التجانيين ، لأنه لا يزال معهم دائماً

= على أن هذه الظاهرة لم تكن عامة في جميع شيوخ التجانية ومقدميها فان الشيخ عمر الفوتي قد قاوم الغزاة الفرنسيين المستعمرين حتى النهاية انظر نفس المصدر ١١٦ وكذلك ابنه وخليفته أحمد طال الشيخ المصدر نفسه ١٢٨ وكذلك تلميذه الفاماب دياخو أنظر ص ٢٨ من كتاب Muslim brother hood and politics. N segnal وكذلك أيضاً الشيخ أحمد حماه الله انظر ١٥٣٠ من كتاب The tijanyaa هذا وان المستعمرين من جانبهم يؤيدون انتشار الطرق الصوفية في المسلمين خصوصاً الطرقة التجانية لعلمهم بأنها تميت روح المقاومة في المسلمين وتبعدهم عن حقيقة عقيدة الإسلام وتعاليمه ويدل على ذلك أن السيد محمد العبيدي عندما قدم مدينة إسطنبول عاصمة الخلافة العثمانية التركية – كما سبق – بقصد تأسيس زاوية تجانية فيها فان السفارة الفرنسية الموجودة هناك هي أول من اتصل به وقدمت له المساعدة الكافية لإنجاز مشروعه نفس المصدر ١٦١ .

١ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٢٤ ٢ – الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ١/٩٨ .
٣ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٤٦

وكل من عداه من المقدمين والشيوخ التجانيين وسائط فقط ، وكان هذا الرأي يظهر بكل وضوح في مكاتباته ، بل لقد صرح بذلك مراراً في عدة مواضع في رسائله ومنشوراته ومؤلفاته ، وقال في رسالة له إلى تلميذه محمد المصطفى ابن جرنبسام : « وليكن لك شيخان ، شيخ في الظاهر ، وهو الكتاب والسنة ، وشيخ في الباطن وهو الشيخ التجاني ، وهو معك دائماً فالوسائل وسائل فقط ، وقد سبق هذا » (١) وقال في رسالة أخرى إلى تلميذه محمد بن الحسن جنّره السابق ذكره : « الشيخ في طريقتنا هو الشيخ التجاني لا غير » (٢) . وقال في منشور له إلى بعض تلاميذه تعمد الناسخ إغفال ذكرهم : « والشيخ التجاني هو شيخ الطرق التي مضت قبله ولا طريقة بعده، وهو شيخ طريقته إلى آخر الدهر (٣) فان ديوانه طيب الأنفاس الذي ضمنه مدائح الشيخ التجاني خير مثال لكل ما تقدم ، حيث احتوى على جميع العقائد والمبادىء، التي بنيت الطريقة التجانية عليها ، هذا بالاضافة إلى عقيدته الخاصة في الشيخ التجاني وطريقته ، بدرجة أن من درس الديوان ونقله نقلاً متقناً فقد أحاط بجميع المبادىء الأساسية في الطريقة التجانية . بل قد أمعن الشيخ إبراهيم في الاعتقاد في الشيخ التجاني، حتى أفضى به الأمر إلى أن يجعل ذلك عقيدة دينية يتعبد الله بها ، فقال في رحلته الحجازية الأولى : وأشهد الله ورسوله والشيخ أي التجاني أن عقيدتي التي أتعبد الله بها وأطلب من الله أن ألقاه عليها أني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له في ذاته وصفاته وأفعاله واحد في الألوهية ليس معه شيء أصلاً وأوجد رسوله سيدنا محمداً قبل جميع الكائنات إيجاداً منه بلا واسطة مخلوق ، وجعله أصل الكائنات ووسيلتهم والسبب في وجودهم ، وأوجد شيخنا التجاني وجعله واسطة بيننا وبين رسوله صلى الله عليه وسلم بحيث لا مطمع لنا فيها من الله إلا بواسطة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو أي الشيخ التجاني الواسطة بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم فلا مطمع لنا في شيء خارج من هذا (٤).

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/١

٢ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٢٤ ٣ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٢٩.

٤ – الشيخ ابراهيم انياس : الرحلة الحجازية الأولى ٩

فمعى كل هذا أن كلمة الشهادة عند الشيخ إبراهيم قد تطورت فصارت ذات أجزاء ثلاثة وهي الشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله وأن محمداً أوجده الله قبل الكائنات بلا واسطة مخلوق ، وجعله أصل الكائنات ووسيلتها وسبب وجودها وأن الشيخ التجاني أوجده الله وجعله واسطة بين التجانيين وبين رسول الله .

هذا بينما كانت كلمة الشهادة عند بقية المسلمين هي بكل سهولة (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله).

وقال الشيخ ابراهيم انياس التجاني عندما تلا عقيدته هذه أمام ضريح الشيخ التجاني بحضرة فاس بكى وأمعن في النحيب حتى ازدحم أهل الزاوية عليه يمسحون عبراته ويتبركون بها » (١).

فالراجح أن عقيدة الشيخ ابراهيم انياس هذه التي يتعبد الله بها كما قرر كانت مستوردة من مدرسة الافلوطينية الفلسفية القائمة على أساس نظرية وحدة الوجود ، التي تعتمد على عقيدة الفيض والصدور ، فمعى الفيوضات عند الأفلوطينية هي الحقائق وكل حقيقة تفيض عن الأخرى على صورة وجودات متسلسلة يفيض كل منها عن الوجود السابق له ، ويتصل به اتصال المعلول بعلته ، فتطورت هذه الفيوضات عند الشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي إلى تجليات لحقيقة واحدة في صور مختلفة (٢).

فمعى إيجاد محمد قبل جميع الكائنات بلا واسطة مخلوق وجعله أصل الكائنات ووسيلتهم وايجاد الشيخ التجاني وجعله واسطة بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم هو أن الحقيقة المحمدية صدرت من ذات الله مباشرة من طريق التجلي وصدرت كذلك الحقيقة الأحمدية التجانية من الحقيقة المحمدية وهلم جرا ، هذا هو مراده بقوله : « بحيث لا مطمع لنا فيما من الله إلا بواسطة رسوله وهو — الشيخ التجاني — الواسطة بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا مطمع لهم في شيء خارج عن

١ — الشيخ ابراهيم انياس : الرحلة الحجازية الأولى ٩
٢ — الدكتور عبد القادر محمود : الفلسفة الصوفية في الإسلام ٥٤ .

هذا ». وإلى هذا الذي تقدم كله يرمي السيد علي حرازم بقوله في جواهر المعاني : « إعلم أن علماء الشريعة » (١). والطريقة لما رأوا أن الوجود نزل من الوحدة بالتجلي إلى منتهى النزول فحصلت الكثرة ورأوا أن الأهم والأتم هو العروج إلى البداية ليتم ظهور الكمالات الإسمائية اشتغلوا في بيان ما هو الأهم من كيفية إصلاح العروج عاجلاً وآجلاً (٢) ويقول أيضاً : « وأما الحقيقة المحمدية فهي أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب ، وليس عند الله من خلقة موجود قبلها لكن هذه الحقيقة لا تعرف بشيء » (٣) . ويقول في موضع آخر : « ومن كلامه — الشيخ التجاني — قال تفكرت في اختصاص سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بيوم الاثنين فتبين لي أنه لما كان هو الوجود الثاني ولم يتقدمه إلا الوجود القديم ، وكذلك فيه ولادته ، وفيه هجرته ، وفيه دخوله لطيبة ، وفيه إرساله ، وكذلك سيدنا دم عليه السلام في اختصاصه بيوم الجمعة وتقلب أطواره فيه لمناسبة وجودية ، لأن سيدنا دم هو الموجود الأخير من الموجودات ، وهو المعبر عنه عند العارفين بالتجلي الأخير ، واللباس الأخير ، وهذا اليوم هو الأخير من الأيام التي خلق الله خلقه » (٤).

فإن هذا ليس من عقيدة الاسلام في شيء حيث إن صاحبة لا يؤمن بأن العالم حادث وأنه غير الله تعالى ، وأن كل ما هو غير الله تعالى وغير صفاته الأزلية مخلوق مصنوع ، وأن صانعه الله ، وهو ليس بمخلوق ولا مصنوع ، ولا هو من جنس العالم ، ولا من جنس شيء من أجزاء العالم ، كما أجمع عليه أهل السنة والجماعة ، وأجمعوا أيضاً على تكفير من خالفه (٥) وإنما يذهب إلى أن العالم صدر من الله من طريق التجلي أو الفيض ، والتجلي عبارة عن تبدل الاسماء ، لا لمسمى ، بمعنى أن

---

١ — فان علماء الشرع على خلاف شديد مع هذه العقيدة حيث أجمعوا على تكفير معتقدها انظر ص ٢٩٤ و٣٢٨ من كتاب الفرق بين الفرق للامام عبد القاهر البغدادي وانظر أيضاً ص ١٠٧ من كتاب تلبيس ابليس للامام ابن الجوزي البغدادي وانظر كذلك جواهر الاكليل شرح مختصر الخليل جـ٢ ص ٢٧٧

٢ — السيد علي حرازم : جواهر المعاني جـ١ ص١١٩ ٣ — السيد علي حرازم : نفس المصدر جـ١ ص١٤٥

٤ — السيد علي حرازم : نفس المصدر جـ ٢ ص ١٠٨

٥ — الامام عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ٣٢٨ .

المسمى واحد لا يتبدل ولا يتغير ، وإنما تتبدل عليه الأسماء في الذهن حسب تجدد المعاني المعتبر فيه ذهناً ، أي إن الله تعالى هو واجب الوجود ، وكل ما عداه فعدم محض ، ليس له وجود إلا في الاسم فقط (١) ومن طبيعة هذه العقيدة أنها لا تجتمع في ظل واحد مع عقيدة التوحيد التي جاء بها الاسلام ، والتي يدعو إليها القرآن ، وهي اعتقاد وجود إله واحد منفصل عن العالم وهو خالقه بأسره من عدم ، ومدبره على الدوام ، ويرسل إلى الناس رسلاً من أنفسهم بواسطة ملائكته وهلم جرا (٢). وقد ظهر هذا بشكل واضح في عقيدة الشيخ ابراهيم انياس نفسه وبعض تلاميذه وقد استفتاه تلميذه الحاج محمد الثاني بن محمد الأول بما هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم حمد قدرته لمشيئته ، وصلاة ذاته على صفته ، ورضى أحديته على مظهر واحديته : أما بعد فقد أشكل على الابن الجاهل هذه الأمور ما كيفية أخذ جبريل الوحي عن الذات وابلاغه إلى رسول الله ؟ فقد جلت في جهلي مدة لطلبه ولم أدر ، وأيضاً تفكرت في مراد الحق في القرآن ولم أدر ، والسلام ولدرو حكم وعبد حضرتكم محمد الثاني محمد الأول » فأجابه الشيخ بما يلي .

« الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الصديق الأكبر حق قدره ومقداره العظيم أما بعد : فمن جبريل حتى نعرف حقيقته جبريل معناه عبدالله ، وحتى تعرف هذا العبد ، فرغ من أي أصل ومن أي حضرة نبين لك سر الواسطة المجازية ، فالأمر مجاز لا حقيقة القرآن صفة أرجو الله أن يرزقني وأياك الفهم منه ، بمنه فتفهم الصفة والاتصاف في الحضرات والسلام ابراهيم » (٣).

فإن إفتتاحية فتوى السيد محمد الثاني هذه كانت مبنية على أساس عقيدة شيخه السابقة ، فمثلاً أن لوقه حمد قدرته لمشيئته معناه جملة أن الحامد والمحمود سواء ، أو بعبارة أخرى : أن الحمد صادر منه إليه وقوله صلاة ذاته على صفته ، معناه أن محمداً ما هو إلا مظهر من مظاهر ذات الله ، فالصلاة إذن صادر منه إليه أيضاً ،

---

١ – الشيخ عبد الكريم الجيلي : الانسان الكامل ٢١ ٢ – الامام عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ٣٢٨
٣ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٨٧/١

حيث إن المصلي والمصلى عليه شيء واحد ، وقوله ورضى أحديتة على مظهر واحديته، معناه رضي صرافة الذات على مظهر أسمائها وصفاتها ، والأحدية هي المرادة بالحقيقة المحمدية ، والواحدية المقصود بها الحقيقة الأحمدية التجانية (١).

ولما رسخ الحاج محمد الثاني في هذه العقيدة . التبس عليه أمر نزول جبريل الوحي إلى رسول الله ، حتى أفضى به ذلك إلى الشك في القرآن الموحى به اليه ، وهذا بطبيعة الحال شك في رسالته ، وهو أمر منطقي ، إذ كيف يتلقى جبريل الوحي من الله لإبلاغه إلى رسوله ، مع أنه ما ثم شيء إلا الله وحده ؟وعندما وجد السيد محمد الثاني نفسه في هذه الورطة ، رفع الأمر إلى شيخه عسى أن ينقذه منها بما عنده من الحنكة والرسوخ في المعارف الإلهية ، والتبحر في الشريعة الاسلامية ، ولكن بكل أسف فبدلاً من إنقاذه دفعه في ورطة أخرى أشد تعقيداً من الأولى ، حيث قرر له أن الأمر كله مجاز لا حقيقة ، فخرج بيقين سلبي تجاه لباب العقيدة الاسلامية .

والراجح أن الشيخ التجاني الذي هو أصل هذه العقائد ، قد أخذها من ابن عربي الحاتمي ،وقد جاء ما يلي في كتاب جواهر المعاني : « وقد قال الشيخ الأكبر ابن عر في صلاته الدرة البيضاء التي تكونت عنها الياقوتة الحمراء هي وجود العالم بأسره »(٢) وقد صرح ابن عربي في الفتوحات المكية : بأن الدرة البيضاء هذه هي العقل الأول الفلسفي الافلوطيني بقوله : «كنا حصرنا في كتاب المعرفة الأول ما للعقل من وجوه المعارف في العالم». إلى قوله : « فيدخل عليه بما ذكرناه ، في عيون المسائل ، في مسألة الدرة البيضاء الذي هو العقل الأول » (٣) وإلى ذلك أيضاً يشير بقوله في صلاة له : « اللهم صل على سيدنا محمد نائب حضرة ذاتك المتحقق بأسمائك وصفاتك الجامع بين الوجود والعدم ، والبرزخ الفاصل بين الحدوث والعدم ، عين الأحدية الذي انفتح به كل مقفول ، وانجبر به كل مكسور ، وانعتق به كل مقهور » (٤).

---

١ - الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر الورقة ١٤

٢ - السيد علي حرازم : جواهر المعاني ١٤٧/١ ٣ - ابن عربي الحاتمي : الفتوحات المكية ٤٦/١

٤ - الاستاذ محمود سامي : المختصر في معاني أسماء الله الحسنى ١٧٤ .

وقد أخذ الشيخ التجاني هذا بعينه وقال عن نفسه كما في جواهر المعاني : « وقول الشيخ أي التجاني في صلاته اللهم الحقي بنسبه ، معناه هو كونه خليقة عن الله في جميع المملكة الإلهية ، بلا شذوذ متصفاً بجميع صفات الله وأسمائه ، حتى كأنه عينه فهذا نسبه من الحضرة الإلهية » (١) كما يلاحظ في صلاة ابن عربي تلك المعاني المتضمنة في صلاة الفاتح أيضاً .

على أن من وقف على مواعظ الشيخ ابراهيم انياس وإرشاداته في خطبه ورسائله، والمجهود الذي بذله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم طول حياته ، حتى في مرض موته ، بقصائد طنانة بليغة تخرج من نفس مملوءة حماسة وحرارة لا يداخله ريب في أنه مخلص في إيمانه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يعتنق عقيدته هذه بقصد إفساد الدين أو كيده ، وإنما اكتسحته دعاية الشيعة الباطنية الخفية وتعاليمها الفاسفية المنصبة في قالب التصوف ، مع من اكتسحت ، فذهب من جراء ذلك يظن كما ظن كثيرون غيره من مشايخ الصوفية المتأخرين أن ذلك عناية آلهية لاحظته ، فحظى جزاء ذلك باصطفاء الله تعالى واختصاصه ، حتى رفعه إلى أعالي قمة معرفته ، التي لا يحتلها إلا من توجه الله بتاج ولايته العظمى ، المعبر عنها بالقطبانية ، ولا يدرون أنها مباحث قد أكل عليها الدهر وشرب ، قبل ظهور الإسلام بقرون ، وكان يقوم بها الهندوس والإغريق الوثنيون ولا تمت إلى الإسلام بصلة وإنما أقحمت فيه إقحاماً .

حجة الشيخ ابراهيم إنياس الاولى

ثم تجدد أمر آخر في حياة الشيخ إبراهيم انياس وكان له أثر عميق في تطور حركته، وانتشار ذكره في الآفاق ، كما أفاده خبرة جديدة في الأمور ، وثقة قوية بنفسه ، كخليفة وارث للشيخ التجاني ، وهذا الأمر هو سفره إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وكان اتصاله بالناس قبل ذلك مقتصراً على الواردين إلى الديار السنغالية من العرب

---

١ — السيد علي حرازم : المصدر السابق ١٤٥/٢

المغاربة والموريتانيين ، ولذلك كانت خبرته حينئذ تكاد تكون مقيدة على ما يرى ويسمع من هؤلاء الغرباء ، أو ما يقرؤه في الكتب ، فأتاح له هذا السفر فرصة مشاهدة البقاع ، وزيارة الأقطار ، ودراسة الأحوال والأمور فيها عن كثب ، وكما أتاح له أيضاً فرصة الاجتماع برجال الدين والطريقة ذوي الأذواق المختلفة والمدارك المتباينة كما أتاح له كذلك فرصة لقاء رجال آخرين لا يمتون إلى الطريقة التجانية بأية صلة إلا صلة الإنكار والانتقاد .

وعلى أي حال فإن أول خبرة اكتسبها الشيخ إبراهيم في هذا السفر هو مشاهدته الجمع العظيم من الإخوان والأحباب والتلاميذ الذين اكتظ بهم ميناء كولخ ، وكلهم جاءوا لوداعه ، وقد وصف الشيخ كثرتهم بقوله : « لا يعلم عددهم إلا جامعهم »(١).

ثم إنه هو ورفيقاه عندما أقلعت بهم الباخرة المسماة بكناد من دكار أصيبوا بالدوار البحري الذي يصيب عادة من لم يتعود ركوب البحر فرأى رجالاً حسان الوجوه لم يتوسم أحداً منهم إلا الشيخ التجاني ووالده الحاج عبدالله إنياس فشبك الوالد أصابعه بأصابعه وأمره بتلاوة شيء من آي الذكر الحكيم ، ثم ذكره بما قال له أخوه الأكبر الحاج أبو بكر من أن والدهم يذهب معه إلى الحجاز فإذا خاف من الاصابة بمكروه أو أعوزه أمر يأتيه والدهم الحاج عبدالله انياس (٢) وهكذا حتى رست الباخرة التي تقلهم بالساحل المغربي ، فزار الشيخ بعض مدنه الكبار وخصوصاً مساكن كبار المقدمين التجانيين ، واتصل في الدار البيضاء برجل من سلالة بعض أخص أصحاب الشيخ التجاني ، وأراهم أشياء من ممتلكات الشيخ التجاني ، وشيئاً من خطوطه ، كما أخبره أكبر المقدمين هناك أن ولياً من أولياء الطريقة التجانية قد أخبره بأن السودانيين هم معدن الولاية وأخبره أن الشيخ سكيرج قال له إنه أي الشيخ إبراهيم انياس هو عالم السودان (٣) ومن دار البيضاء ارتحل الشيخ إلى فاس حيث زار زاوية الشيخ التجاني وضريحه ، ثم اجتمع بأكابر رجال التجانية هنالك ،خصوصاً

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : الرحلة الحجازية الأولى ٣

٢ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٥ ٣ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٦

سلائل أصحاب الشيخ التجاني الكبار، مثل السيد الطيب حفيد السيد الطيب السفياني صاحب الشيخ التجاني مولف كتاب الافادة الاحمدية والسيد محمد برادة حفيد الحاج علي حرازم براده خليفة الشيخ التجاني وغيرهم ، من وجوه التجانيين القاطنين بحضرة فاس ، فأتحفه السيد الطيب هذا بنسخته الخاصة من جواهر المعاني وسجادته ثم نقله بشيء من شعر رأس الشيخ التجاني وقارورة كان الشيخ التجاني يضع فيها العطر عند الخلوة ثم أجازه بكل ما عنده من أسرار الطريقة التجانية وبشره بأن البركة كلها معه أي الشيخ ابراهيم (١) ثم رحل إلى مدينة صفر لزيارة السيد أحمد بن السائح الذي أتحفه هو الآخر بعصا الشيخ التجاني التي وصفها الشيخ ابراهيم بأنها لا توجه لشيء بهمة الشيخ التجاني إلا وانقاد ثم أعطاه أيضاً مشاهدة الحاج علي حرازم براده السابق ذكره وكناش السيد أحمد العبد لاوى ووعده بنسخة من كتاب الجامع للسيد محمد بن المشري (٢) ثم سافر الشيخ الى مدينة طنجة حيث تمتع بمشاهدة النسخة المخطوطة من كتاب جواهر المعاني بخط الحاج علي حرازم براده جامعه ، هناك بنشر الشيخ ابراهيم انياس اهل طنجة بأنهم هم البرزع بين السيخ التجاني و بين النبي صلى الله عليه وسلم وسروا لذلك سروراً عظيماً ، ثم خلا المقدم السيد علي المصفيوى بالشيخ ابراهيم وأمره بالاتيان اليه أ الشيخ ابراهيم لأن المفتاح عنده ومن أجل ذلك شافهه الشيخ هو وأصحابه بالأسرار (٣) وما زال الناس يتبركون به في كل مدينة زارها من مدن المغرب الأقصى لما يسمعونه منه من درر العلوم وغوامض العرفان (٤) .

ثم من طنجة غادر الشيخ ابراهيم انياس البلاد المغربية متوجهاً بحراً إلى الحجاز ، واستمر تواً إلى المدينة المنورة ، ومما أحرزه هناك من النجاح أنه كان يجتمع كل يوم مع الاغواث في مجلس أهل الصفة بالمسجد النبوي ، وكذلك اتفق أن اجتمع مع أهل الفضل من رجال الطريقة التجانية وكلهم يتعلق به ويطالب منه التجديد والتقديم ، وفيها التقى بأمير كنو الحاج عبدالله بايرو ووزيره السيد سليمان بن إسماعيل وجدد لهما الطريقة

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٨ ٢ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢٩
٣ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١١ ٤ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٧

وقدمها (١) .

ثم ارتحل الشيخ من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ، ومن ذلك الوقت كان أمير كنو الحاج عبدالله بايرو وجماعته في رفقته حتى وصلوا إلى مكة ، واستمروا توّاً إلى الحرم الشريف ودخل الشيخ المسجد هو وأمير كنو ومن معهما من القوم وطافوا بالبيت العتيق (٢).

ومما أنجزه من الخصال هناك أن اجتمع مع من وصفه بالولي الصالح والنور الواضح الشريف المنيف السيد أحمد التبر الذي أخبر الشيخ بأنه ر ه في المنام يتولى المشارب ومعنى ذلك كما فسره أنه هو المحيط بمشارب الأولياء (٣).

ومما اتفق له أن الكعبة قد فتحت فدخلها الشيخ مع الداخلين في زحام شديد ، فرآه حاجبها وقال له ما علمتني فأفتحها لك في وقت خلوها من الناس ثم فتحها له بعد ذلك في يوم الخميس ليلاً عندما هجع الناس ، ودخلها هو وأمير كنو وبعض رفقائه (٤) .

ومما اتفق له أن المطر نزل عليه في تلك الليلة بالكعبة تحت ميزاب الرحمة ، واستمر هم ذلك حيث لم يمدوا أيديهم كما قال – للدعاء إلا ونزل عليها المطر ، وهذا قد تم أيضاً في عرفة بجبل الرحمة وفي منى وغير ذلك من المواضع ، بل قد حصل له ذلك في موضع لا يحل له ذكره هذا على حد تعبير (٥).

ومما اتفق له أن اجتمع بمن سماه بولي من الأولياء في ليلة بمنى ، وقال له الولي : « أنت رجل ورثت مقام رجل ساكر في قرية فاس ودليل ذلك أنك سوف تدمن على شرب الأتاي (٦) بعد رجوعك إلى بيتك ولم تكن تفعل ذلك قبل (٧).

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١٩ ‏ ٢ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢١

٣ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢١ ‏ ٤ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢١

٥ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢٢

٦ – الاتاي كما فهمته طريقة لشرب الشاي عند الموريتانيين وهو أن طبخ الشاي الأخضر في غلاية صغيرة ثلاث مرات شرب في فناجين صغيرة بعد الفراغ من تناول الطعام .

٧ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢٤

ومن ذلك أنه كان خادمه في أيام المناسك كلها أمير كنو الحاج عبدالله بايرو(٦).

ومن ذلك أنه وجد شاباً من أشراف أهل فاس بالركن اليماني فسأله الشيخ عمن لقي من الصالحين في هذه البلدة المقدسة فأجابه الشاب إنه لقي ولياً من أهل الكشف وأخبره الولي أنه لما أتى البيت وقع له حال كبير حتى غاب عن حسه ولقي الخضر(١) وبعد ذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة وأخبره الولي أيضاً أنه يحج في هذا العام الغوث ويغفر لجميع أهل الموقف ولوالديهم وقال للولي دلني عليه لأزوره وأطلب منه الدعاء فقال له الولي ستلقاه عند الركن اليماني فقال الشيخ للشاب أتعرفه فقال الشاب لا. ثم قال الشاب للشيخ إبراهيم من لقيت أنت فقال له الشيخ لقيتك انتهى (٢) ومعنى ذلك أن الشيخ إبراهيم هو ذلك الغوث (٣).

ومن ذلك ان الشيخ ابراهيم عندما جاء لطواف الوداع بين الظهر والعصر جعل الله البيت خالياً من الطائفين لأجله ، حتى طاف بالبيت وحده ، وقال هو نفسه بعد ذكر ذلك : « هذا يأباه العقل » (٤).

ثم قفل الشيخ راجعاً من الحرمين الشريفين إلى بلاده ونزل بطنجة ثم زار جميع المدن التي زارها في المغرب عند مروره في طريقه إلى الحرمين وزار أيضاً قرية سطات مسكن الشيخ سكيرج العياشي ومن هناك ركب البحر إلى دكار عاصمة بلاده حيث وجد جماعة من أصحابه وأحبابه ينتظرون عودته (٥).

هذا موجز سفر الشيخ ابراهيم إنياس إلى الحجاز وهذا السفر كما قررنا له أهمية كبرى في انتشار أمره وذيوع صيته في الأقطار وتنحصر هذه الأهمية في الوجوه الآتية.

١ ــ ان هذا السفر أتاح له النزول بالربوع المغربية حيث زار مدينة فاس المهد الأول للطريقة التجانية ، وكذلك زار كثيراً غيرها من مدن المغرب مساكن كبار

---

١ ــ الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢٤ .

٢ ــ الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢٦ ٣ ــ الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢٧ .

٤ ــ الشيخ محمد الثاني الكافنغي : سبيل الرشاد ٤٠ ٥ ــ الشيخ محمد الثاني الكافنغي : سبيل الرشاد ٣١

أصحاب الشيخ التجاني ومقدمي طريقته ، واجتمع فيها برجال الطريقة وسبر غورهم جميعاً في علوم الطريقة ، واختبر ما عندهم من المواهب ، فوجد بثقة تامة أن مقامه في الطريقة أعلى من مقاماتهم ، وقدمه أرسخ في علومها من أقدامهم ، حيث أنهم كلهم سلموا له واستفادوا منه ، ما عدا شيخين هما السيد الطيب السفياني والشيخ أحمد سكيرج العياشي ، وقد كان الشيخ ابراهيم يضمر لهما التعظيم والاحترام قبل وروده إلى ديارهما ، وقد مر بنا أنه طلب من السيد السفياني هذا أن يجيزه في الطريقة التجانية ، كما أن تعظيمه لسكيرج ليس بخفي ، فقد جعله على قدم السيد علي التماسيني في ديوانه طيب الأنفس ، في مدح الشيخ التجاني الذي ألفه منذ أعوام قبل سفره هذا ومن ذلك قوله :

وفرد زماني أحمد الحب من سما على الكمال الاقطاب وهو عباب
سكيرج ذلك الألمعي الذي سمت بنوا خزرج منه يزال الحجاب (١)

على أن استعلاء ذينك الشيخين عليه أفاده كثيراً في شأنه من حيث أنهما أقراه على أمره وأيداه في دعواه .

٢ ــ أتاح له هذا السفر أيضاً الاجتماع بالشيخ سكيرج وزال ما كان بينهما من أثر سوء التفاهم الذي نتج من جراء تقرب أخيه الأكبر الحاج محمد الخليفة إلى الأول مما جعله يميل اليه أكثر ، وهذا من شأنه طبعاً أن يكدر صفاء الشيخ إبراهيم ، حيث إن سكيرج يعتبر حجة عظمى في الطريقة التجانية ، وأن الفوز بتأييده يعد انتصاراً عظيماً ، هذا كله من جهة ، ومن جهة أخرى إن المسافة الساحقة التي تقع بين ديارهما جعلت اللقاء بينهما ليس بميسور ، ومن أجل ذلك لما وجد الشيخ ابراهيم فرصة لقائه مباشرة لم يتركها حتى انتهزها إلى أقصى حد ممكن ، ففاز برضاه حتى جعله خليفته ووارث أسراره ، كما قرر له أيضاً صحة خلافته ووراثته للشيخ التجاني ، ثم نفله بأسرار كان يعتز بها الشيخ ابراهيم ويفتخر طول حياته بل لم يكتف الشيخ سكيرج بتقرير ذلك له في الكلام العادي حتى جعله في شعر منظوم فقال :

---

١ ــ الشيخ ابراهيم انياس : د وان طيب الأنفاس مجموع الدواو ن ٢١١.

ورثت عن الشيخ التجاني خلافــــة وإني لكم فيهــا أنص لكم نصـــا
شهدت لكم فتحاً مبينــاً بما لكــم به الحق في أهل الطريقــة قد خصا
وإني أرى شيخــي التجاني خاتمــاً وأنت الذي قد صرت في الخاتم الفصا
وما قلت هذا عن هوى وتبجــــح ولا كان عن شطح رقصت به رقصا
ولكنه عــن وارد جاء ناشــــراً لواء سرور منه حاسدكم غصـــا
وكم طائر فخــــراً يعد مزاحمــاً لكم في المعالي والجنـــاح له قصــا
فيا ويح من أقسى يعاندكم فكـــم يعاني عنا عما يؤملــه أقــصى (١)

هذا وان العلاقة بين الشيخين قبل هذا اللقاء على عكسها بعده كما أشرنا اليه من قبل وان الرسالة التي كتبها الشيخ ابراهيم إلى الشيخ سكيرج في السادس من شوال سنة ١٣٥٢ هـ والتي جاء فيها : « وأما الفترة عن مراسلتكم فلم تنشأ عن غنى عنكم ولا قلالكم ولا عن كسل وتوان منا بل من أني ربما بعثت اليكم كتاباً ولم أظفر من عندكم بجواب بل لا أجد أخباركم إلا بالأخبار فاتهمت نفسي بعدم الأهلية لمراسلتكم واكتفيت بالمحبة والدعاء لكم عن ظهر غيب مع ترجي اللقاء جعله الله في ساعة مباركة » (٢). تشير بوضوح إلى ذلك بل إننا ولو بالنظرة الخاطفة تجاه مضمون ما اقتطفناه من الرسالة ندرك النقاط التالية .

أ ــ ان الشيخ سكيرج كان يميل إلى أخ الشيخ ابراهيم الحاج محمد الخليفة وقد رأينا في الرسالة السابقة أن بين الأخوين سوء تفاهم ويعرض الشيخ ابراهيم في الرسالة إلى ميل سكيرج إلى أخيه بقوله : « بل لا أجد أخباركم إلا بالاخبار فاتهمت نفسي بعدم الاهلية لمراسلتكم » . ومعنى كلامه هذا أنه يرسل إلى سكيرج ، فبدلا من أن يجد رده منه إليه مباشرة يجده من واسطة أخيه الحاج محمد الخليفة .

ب ــ وأن قول الشيخ ابراهيم في الرسالة : « وأما ما بلغكم من وجود سوء التفاهم بيننا وبين أخينا الخليفة الحاج محمد فلا أقول أن قائله أو كاتبه كاذب لكني

١ ــ وجدت هذه القصيدة عند السيد الحاج عبدالله العلوي بمعط مولانا مورتانيا .
٢ ــ الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١١٣/٢

أقول لكم إنه ممن لابال لهم ». يدل بكل وضوح على توتر الحال بينه وبين أخيه .

ج - إن الشيخ ابراهيم لم يجد تأييداً لحركته من سكيرج في أول أمره إذ أنه لو وجد ذلك من مثل سكيرج في ذلك الوقت لعده انتصاراً عظيماً ونجاحاً هائلاً لحركته، ولأعلنه - كعادته - ونشره بين المريدين والأحباب كما فعل عندما حظي بذلك فيما بعد.

يبدو أن الشيخ إبراهيم كان مهتماً بالاجتماع مع الشيخ أحمد سكيرج العياشي اهتماماً كبيراً وبقي مدة طويلة ينتظر - بفارغ الصبر - وقته المتاح ، وقد أعد أبياتاً من الشعر يتلقاه بها أول لقائهما وهي كالآتي :

ما كنت تأملـه هذاه بشراكـــا ... هذا خليفة قطبها الكون مأواكـــا
يا بهجة العصر إني لست أنساكـــا ... إذ لم أنل في بلاد الله شرواكـــا
وكيف أنسى الذي أشواقـه ملأت ... قلبـي فقلبـي دواما عند مغناكا
بل كنت أرسل روحـي كل ونـة ... هذاك يا شيخ جسمـي اليوم وافاكا
سكيرج القرم سر الختم من خضعت ... له المعالي فيعلـو كل من حاكـى
ولست ناسي إحسانـاً مننت بـه ... ولا يمـل لساني عـوض ذكراكا
لك الهنـاء بما أوليتـه أربـا ... ولي الهنـاء برؤيـا ي محياكا

فأجابه سكيرج بما يلي :

يا زائراً وبقلبي كان مثواكـــا ... نسيت مني يداً إن كنـت أنساكـــا
سريت مني مسرى الوروح من جسدي ... لصدق حـب له مولاك حاباكـــا
لا تحسبنك قد ضاعت خطاك وقــد ... فازت بوصلك لي باليمـن يمناكا
والله يرعـاك في حـل ومرتحـل ... ونلت سراً بـــه يطيـب محياكا
والصدق منك بنور الحـق منشرح ... حتى بدت سره عـلى محياكـــا
طلعت في حينـاً بدراً له ابتـدرت ... منا طلائـع بشر حيث يرضاكـــا
وقد تلقيت بنت الفكـر منك بمـــا ... فيه رضـاك وكل الخـير وافاكا

فاهنأ بحجك واهنأ بالزيـارة لي بل للتجـاني ودم تعلو بعلياكـا (١)

هذا ومن الجدير بالذكر أن هذا اللقاء قد حصل للشيخ إبراهيم بعد رسالته تلك بحوالي ثلاث سنوات .

٣ – أتاح له السفر فرصة لقاء بعض التجانيين القاطنين هنالك في الأراضي المقدسة ، فجددوا إذن وردهم عنده كما أتاح له أيضاً فرصة الاجتماع مع من سماهم بالأولياء في الحرمين الشريفين ، فأخبروه بأحوال في نفسه التي قوت عزيمته وشجعته في دعاويه .

٤ – أتاح له السفر فرصة التعرف بأمير كنو الحاج عبدالله بايرو الأمر الذي صار له سبباً لظهور شأنه في نيجيريا وانتشار ذكره فيها وفي البلاد المجاورة لها ، حتى كانت نيجيريا تعد مركزاً رئيسياً من مراكز فيضته ، بل إن الرأي السائد حتى في السنغال نفسه أن نيجيريا هي مظهر فيضته إذا كان الأمر ينظر اليه من جانب كثرة الأتباع وانتشار التعليم واعتناق المبادىء وتأييد الدعوة وقد أيدت مؤلفة كتاب

Muslim BrotherHood And Politics in Senegal .

هذا الرأي أيضاً حيث قالت إن تلاميذ الشيخ ابراهيم انياس كان أكثرهم في خارج السنغال ، فذكرت مورتانيا ومالي وغانة وجامبيا ثم قالت وكان في نيجيريا وحدها يوجد ما بين عشرة وثلاثة عشر مليوناً من أتباعه ، وهذا العدد طبعاً أكبر من عدد سكان هذه الأقطار الأربعة كلها إذا جمعت معاً مسلمهم وغيره (٢).

٥ – وكذلك أتاح له هذا السفر فرصة لقاء رجال آخرين كانوا ينكرون الطريقة التجانية ، ولا يعرفون الأسس التي بنيت عليها وإذا اشتبك هؤلاء معه في المناظرة ينتهز فرصة جهلهم بمبنى الطريقة ثم يستعمل الفقه الذي كان له قدم لابأس به فيه كسلاح فيهزمهم بسهولة وهذا أمر أيضاً شجعه كثيراً وزاد في قوة إيمانه واعتقاده بالطريقة التجانية ومبادئها .

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : الرحلة الحجازية الأولى ٣٤ .

٢ – MRS L.C. BEHRMAN : المصدر المذكور في النص ١١٩ .

ولا شك أن هذه الأمور قد تركت أثراً عميقاً في تفكيره فجعلته يصدق بكل إيمان وبكل إخلاص جميع الواردات التي ترد عليه في نوم أو يقظة ، وما لبث أن شرع يطلق شطحات أكثرها خيالية ويدلي بدعاوى قائمة على أساس مبادىء طريقته التجانية وتعاليمها يصدقها هو ويصدقها معه جميع تلاميذه وأتباعه ومن ذلك قوله:

وصول جميع الماسكين بحبليـــا ... تحققه من لم يكـذب بربيـــا
وجوبي فياف في المعارف لم ترم ... فقد قصر الأقطاب عن درك شأويا
وما قلت قولي شاطحـــاً متبجحاً ... و لأنهني سكر يغيـب عقليـــا
وان خطوطي للأنـــام سعـادة ... فلم يشق يومـــاً من رآني وخطيا
وما قلت هذا دون إذن وإنـــي ... لأكتم سراً لا يباح لغيريـــا (١)

وقوله :

إن الذيـــن خدموني نالـــوا ... مرادهـــم سعـــادة ومـــال
من عاش شاهداً عيانـــا ومن ... مات يفـز وذاك كـل الزمـن
ومن يحبـــني ومـــن يرانـــي ... في جنـة الخلـد بلا بهتـــان
إذ أنني خليفـــــة التجانـــي ... موهبـة من أحمـــد العدنانـي
من شك في ذا فأرى واسمـــع ... من حيث لا يرى الفتى ويسمع (٢)

وقوله :

قد خصني بالعلـم والتصريـف ... إن قلت كن يكـن بلا تسويـف

إلى قوله :

ففاض مني سره فلا أحـــد ... يقصدني ما عـرف الله الصمد
سواء الكبـــار والصغـــار ... قد قـرب الحبيب والمـــزار
سواء الصبيـــان والنسوان ... سواء الصعلوك والسلطـــان

---

١ - انظر ديوان أوثق العرى في مجموع الدواوين ٩٩ ٢ - انظر رحلته الكناكرية ١٣ .

لو شئت عم فيضه البسيطة وأدركوا أسراره المحيطة
علم ذلك فلان وفلان كذا فلان ما السماع كالعيان
ومرة أخرى ترون عجبا من سر ذا الختم أمام النجبا
وذاك كلا فيضة التجاني مدد مصطفى الورى العدناني (١)

ومن ذلك أيضاً قوله كما سبق :

أوحى لقاء المهد عوناً ومرشدا له كل حال في رضاي مجاله
فتمسي النصارى كالجليد تشعشعت عليه ذكاء كلهم ضاق حاله (٢)

وقوله أيضاً :

وان شاء قواني لحمل خلافة لكي أرفع التوحيد والكل مؤمن
ليسلم جل الناس اقتل بعضهم جهاداً واني مؤمن بك محسن
فأرفع علماً للجهالة واضعاً وأكسر رايات الصليب وأدفن
فبي يرفع الجور العظيم فلا يرى سوى العلم والدين الحنيفي يزين
فتمسي رجال الله في ظل راحة وعز وتمجيد وبالحق أعلنوا
يكون زمام العالمين جميعهم بأيدي رجال بالعلوم تمكنوا
فيأتي مسيح والرجال رجاله بدين الامام الهاشمي يتدين (٣)

ومن ذلك قوله :

وجئت قصر الروم ان الروما قد غلبت وعوض لن تقوما
قالوا تزور الباب لو دراني حقاً هرول إلى بستاني
حجبته بنفسه عن نفسه لو قدته عرف معى قلسه

---

١ – انظر نفس المصدر ٦ ٢ – ديوان شقاء الاسقام في مجموع الدواوين ١٢٩
٣ – ديوان شقاء الاسقام في مجموع الدواوين ١٣١ .

ودام منـــه ذكره وأنســــه وغاب عنه حسه وجنســــه (١)

وقوله :

قد فاز أحبابي مدى الأزمـــان تفضــلا وعدا مــن الرحمـــن
كأنــني في حضــرة الديــــان أنوب عــن وقتي وعن مكاني(٢)

وقوله :

وقع حــر مذ ثمانــين سنــة ما وقعت بلية مستجســـه
وقع في الحــج جــلال قهــرا يا رب سكن والجمــال أظهــرا
لو لم يكن حضر فيهم من حضر لاستوصلوا ومزقوا شذر مذر(٣)

---

١ - رحلته المسماة بنيل المفاز ٦١ بذيل رلة الحجازية الأولى .

٢ - انظر رحلته المسماة بنيل المفاز ٦١ ٣ - نفس المصدر ٦٤ .

الباب الثالث

الشيخ ابراهيم انياس في نيجيريا

من الأسف أن الشيخ ابراهيم انياس قد اختصر بيان رحلته الحجازية الأولى اختصاراً حيث أضرب فيما أضرب عن ذكره ما دار بينه وبين أمير كنو الحاج عبدالله بايرو من الكلام عند فراقهما اثر الفراغ من أداء مناسك الحج إلا أن المخبرين حدثونا بأن الأمير قد طلب منه أن يزوره في مدينته وقبل الشيخ الدعوة (١).

ومهما يكن من شيء فإن الشيخ ابراهيم قد جاء من كولخ في الجمهورية السنغالية إلى نيجيريا بعد الحجة التي لقي فيها أمير كنو بحوالي تسع سنوات أي إنه جاء في حدود ستينات القرن الرابع عشر الهجري وأربعينات القرن العشرين الميلادي وقد نظم ذلك بعض أتباعه الكنويين فقال :

بآخر رجب يوم سبـت أتيتنـا   بشمس وقد سرت من بعد ستة(٢)

أي أنه جاء في آخر شهر رجب سنة ١٣٦٤ هـ ثم غادر إلى وطنه بعد أن مكث ستة أيام في كنو وعلى أي حال فإن الشيخ قد انتهى إلى مدينة كنو من لاجوس ،

١ – مقابلة مع الحاج ابراهيم طي بتا في منزله بحارة كوراوا في مدينة كنو ٢/١٠/١٩٧٧ م .

٢ – كتب الحاج المعلم بلو شيخ الهادي هذا البيت على ظاهر غلاف كتابه الموسوم تنبيه المحتاج في معرفة مشكلات صاحب المعراج وأخبرني بأن البيت ليس من نظمه .

ولا يعرفه أحد حينئذ سوى الأمير الحاج عبدالله وواليه السيد الحاج سليمان بن اسماعيل وبعض من حج مع الأمير في تلك السنة من خدمه ورعيته فأنزله الأمير في منزل الضيوف الحكومي المعروف بـ (غدن هظى) وفي هذا السفر وزع الشيخ نسخاً من كتابه كاشف الألباس عن فيضة الختم أبي العباس على بعض من حضره من علماء كنو التجانيين قيل أنها خمس نسخ جاء بها في حقيبته .

ولم يجتمع الشيخ في هذا الوقت مع كبار القدمين التجانيين الذين كان لهم الاطلاع في علوم التصوف والطريقة مثل الشيخ أبي بكر مجنيوا .

هذا هو ما أنجزه الشيخ في هذا السفر فرجع بعد أن قضى ستة أيام أو ثمانية في بعض الروايات .

ثم جاء الشيخ إلى نيجيريا مرة أخرى وقد نظم السيد المختار بن حامد هذا السفر بغاية الإيجاز ، إلا أنه من الأسف قد أغفل تاريخ السفر اغفالاً تاماً ، حيث لم يفدنا إلا بالمدة التي استغرقها السفر فقط ، وهي من اليوم الخامس عشر من جمادى الثاني إلى الخامس عشر من رجب الفرد ، أي إن السفر قد تم في مدة ثلاثين يوماً وعلى أي حال فإن الشيخ ابراهيم قد زار نيجيريا للمرة الثانية من طريق الجو ، فنزل بلاجوس العاصمة أولا ثم واصل سفره جواً أيضاً إلى مدينة كنو ، فألقى فيها عصا تسياره ، وقد كانت الفكرة عنه وعن مقامه في الطريقة التجانية بدأت ترسخ في أذهان علماء نيجيريا في هذه المرة خصوصاً التجانيين منهم ، ذلك بفضل كتابه كاشف الالباس عن فيضة الختم أبي العباس الذي ألفه للتعريف بنفسه ، والذي وزعه – بهذا القصد – فور وصوله إلى كنو في قدومه الأول ، ومن أجل ذلك ما كاد نبأ مجيئه هذه المرة يصل اليهم حتى ازدحمو في مطار كنو منتظرين نزوله بفارغ الصبر ، فرحبوا به ترحيباً حاراً وأنزله الأمير الحاج عبدالله بايرو – لأنه في الحقيقة ضيفه – في بيت (تروما) ابنه الأكبر وولي عهده (١).

---

١ – مقابلة مع الحاج المعلم بلو السابق ذكره آنفاً في منزله بحارة ياكاسي في مدينة كنو ١٩٧٧/١٠/١ م.

ولما استقر به المقام بكنو عقد مجلساً علمياً ، بث فيه دعوته ونفخ في الحاضرين من روحه ، ما عسى أن يجذبهم اليه بمغناطيسه الروحية ، ويستحوذ على قلوبهم بدرر علومه العرفانية الفياضة ، فألقى محاضرة قيمة في علوم الطريقة والحقيقة ، العلوم التي ليس لأكثر علماء نيجيريا باع فيها حينئذ ، فدهش العلماء وأعجبوا به ، إذ أنه أتاهم بما لا يتوقعونه من دقائق علوم التصوف ، بحيث لم يترك في قلوبهم فراغاً للشك في أنه ولي هذه العصر وكامله ، بل اعتقدوا بكل إخلاص أنه هو القطب الغوث في هذا الزمان (١).

ولما انفض المجلس وحفظت المحاضرة اهتزت المدينة واضطربت ، فهاجت وماجت ، فلهج الناس بذكر الشيخ إبراهيم ، التجانيون يطربون ويمرحون لأن اليوم صار عيداً لهم أيما عيد ، وغيرهم يستهزئون ويسخرون ، لأنهم لا يريدون الأمر إلا نوعاً من الدجل الداهم عليهم في بلادهم ، واكتظ منزل الشيخ بوجوه أهل كنو العلماء والأمراء يبايعونه ويتبركون به ، وأول من طلب منه تجديد الاذن في الطريقة هو السيد محمد أجدود ابن الوالي الحاج سليمان بن اسماعيل ، فجدد له ، ثم تقدم المقدمون فجدد لهم ، وهكذا ، ثم أفاض الشعراء منهم في تقريض الاشعار يقرظونه بقصائد عربية وعجمية ، ثم رجع إلى وطنه جزلا بما كتبه الله له من الظفر ، حيث فتح له نيجيريا على مصراعيها واستولى عليها بحذافيرها بدون مقاومة ولا مجاحفة (٢).

هذا وإن خبر الشيخ ابراهيم في هذه المرة قد فشا وانتشر في جميع أنحاء نيجيريا طولها وعرضها ومن ثم شرع المتحمسون يسيرون اليه عسى أن يصفو لهم الوقت معه هنالك بمقره في وطنه البلاد السنغالية ، حيث إنهم محرومون من ذلك هنا في نيجيريا لاحتجابه عنهم بالعظماء والكبراء ، ولاستئثار الآخرين بشرف خدمته دونهم ، وخصوصاً أنه قد دعاهم إلى زيارته في مكانه صراحة .

وقد مرت بنا رسالة كتبها الشيخ يندد فيها بتعطيل المريد لزيارة شيخه ، حيث

---

١ - السيد المختار بن حامد : تذكرة من كانوا في السياحة بالطائرة إلى كنو بذيل كتاب الرحلة الحجازية الأولى . ٢ - نفس المصدر ٢٤ .

اعتبر ذلك دليلاً قاطعاً على عدم صدقه في الارادة ، كما صرح بأن المريد لا يترقى إلى ذرى قنن المعرفة بتقرب أفضل من الزيارة (١).

وإلى ذلك أيضاً يرمي بقوله :

فقاض مني سره فلا أحـــد	يقصدني ما عرف الله الصمـــد
ســـواء الكبـــار والصغـــار	قد قـــرب الحبيـــب والمـــزار
سواء الصبيـــــان والنســـوان	سواء الصعلـــوك والسلطـــان

وقوله :

إن الذيـــن خلعونـــي نالـــوا	مرادهـــم سعـــادة ومـــال
من عـــاش شاهـــداً عيانـــاً ومن	مات يفـــز وذاك كل الزمـــن
ومـــن يحبـــني ومن يـــراني	في جنـــة الخلد بلا بهتـــان
إذ أنـــني خليفـــة التجانـــي	موهبـــة من أحمـــد العدنانـــي
من شك في ذا فأرى وأسمـــع	من حيث لا يرى الفتى ويسمـــع

لقد سبق ذكر هذه الأبيات كلها عندما ذكرنا طرفاً من شطحاته ، ومن أجل هذا غامر هؤلاء بحياتهم للذهاب اليه ، وتحملوا مشقات السفر وويلاته ، وصابروا طول الطريق والتوائه ، وقاسوا عمق الفجاج ووعورتها اليه ، منطوين في صدورهم مقاصد مختلفة وأهدافاً متباينة ، وبعضهم يدفعه إلى السفر شدة شوقه إلى معرفة الله من طريق التربية الصوفية ، بينما كان دافع البعض إلى السفر هو رجاء الفوز بخدمته ودوام النظر إلى طلعته البهيجة ، كي يحظى بدخول الجنة غداً من دون سابق حساب ولا تفتيش ، حينما كان دافع البعض الفرار من ويلات الدنيا والتخلص من تكاليف الحياة الشاقة ، كما أن دافع البعض الحصول على الثراء الواسع ليضمن لنفسه ترف الحياة ورغد العيش ، واما الذين لا يجدون إلى المسير اليه سبيلا لسبب أو آخر فإنهم

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٣٧/١

انتظروا مجيئه إلى نيجيريا مرة أخرى بفارغ الصبر .

على هذا الشكل تطور الذهاب إلى كولخ أو زيارة الشيخ ابراهيم في كولخ ، بعبارة أخرى في الأيام التالية إلى شيء ذي أهمية كبرى عند جميع أتباعه العلماء والأمراء والدهماء على السواء ، بل هو عندهم بمنزلة الحج الأصغر ، أي إن السفر إلى كولخ لزيارة الشيخ إبراهيم يلي السفر إلى الحرمين لأداء لناسك في الأهمية عندهم، وقد صرح بذلك بعض المقدمين النيجيريين من أتباعه في معرض رده على من نقدهم في ذلك ، حيث ألف كتاباً خاصاً لهذا الغرض وأسماه (جواب السائل في كون تكرار زيارة الولي قربة عظيمة وأفضلها اليوم بعد الحج والمدينة النبوية زيارة صاحب "الفيضة في مدينته الكولخية (١).

إلا أنني فهمت من خلال استخباري لهم في أثناء البحث أنهم أو بعضهم بعبارة أخرى قد علق سفرهم إلى زيارة حضرة كولخ على سبب آخر زيادة على ما تضمنه تلك الرسالة والأبيات السابقة وهو أن الشيخ ابراهيم قد كتب العبارة الآتية على جدار مسجده وهي « مقام إبراهيم من دخله كان آمناً بهداه » هذه العبارة قد وضعت بدقة حيث ضمنت تاريخ بناء المسجد ، أي إذا حسب عدد حروفها الأبجدية بحسابها الجملي يخرج التاريخ وهو ١٣٥١ هـ (٢) ومن أجل الفوز بالهدى المذكور في العبارة كانوا يردون إلى كولخ بكثرة لزيارة الشيخ ولأداء الصلاة في المسجد .

ومهما يكن من شيء فقد أصبح للشيخ إبراهيم في نيجيريا أتباع لا يحصون عدداً بل لا أكون بعيداً عن الصواب إذا ذهبت إلى أن التجانيين كلهم — ما عدا شرذمة

---

١ ـ الحاج يوسف بن عبدالله اللوكوجوي : كتاب جواب السائل ٢

٢ ـ لا تناقض بين هذا وبين ما قرره السيد علي سيس في تصدير كتاب كاشف الألباس لأن البناء قد ابتدأ في شهر ذي القعدة أي في آخر تلك السنة وأخذ سنة كاملة وبضعة أشهر قبل أن يتم وهذه مدة وجيزة إذا نظرنا إلى فقر البلاد وكون الشيخ حينئذ ليس مستقراً استقراراً تاماً في كولخ بل ان مكثه في كوس أكثر منه في كولخ ولذلك قال السيد علي سيس أن البناء قد تم في مدة يسيرة لم تجد العادة بأن يتم مثل هذا البناء في مثلها تصدير كاشف الالباس رقم ١ استفدت الذي قررته في مقابلتي مع السيد ابراهيم النائب وهو من كبار تلاميذ الشيخ ابراهيم النيجيريين في منزله ببلدة بكر في ولاية ـ بلاكو) .

تعد على الأصابع أو بعبارة أخرى لا يعتد بهم – قد انتظموا تحت سيطرته وقيادته الروحية هذا بالإضافة إلى العدد الكبير الذي انخرط في سلك الطريقة التجانية عندئذ تحت تأثير أخباره العجيبة التي تصل اليهم باستمرار من طريق المتحمسين الذين لا يعرفون الهوادة أو التواني في الدعاية له .

ومن أجل ذلك لما أعلن الشيخ أنه أزمع على السفر إلى الحرمين للحج مرة أخرى وأنه يمر بنيجيريا للمرة الثالثة جعل التجانيون على اختلاف طبقاتهم يردون إلى مدينة كنو من كل صوب في أنحاء نيجيريا كما اجتمعوا بلاجوس العاصمة أيضاً وعندما هبطت الطائرة التي تقله في مطار كنو أدركت الحكومة أن العامة والدهماء من أتباعه والذين اختلطوا بهم من الغوغاء يمزقون جسمه شذر مذر إن لم تتخذ اجراءات أمن مشددة لحمايته منهم فبعثت جراء ذلك بفرقة من الجنود وطائفة من الشرطة وقد ذكر الشيخ نفسه كل هذا فقال :

ردني الجيوش والنصارى	خوفاً علي وهم حيارى
لداخل الطائر قد تحققوا	أني عطبت ولدي حلقوا
سار معي ثروم قد أصعدني	لقصره لأجل أن يومنني
بتنا وما أمكنني الخروج	ولا هم أيضاً لنا ولوج (١)

وجملة القول إن التجانيين النيجيريين قد قبلوا دعوة الشيخ ابراهيم بكل إخلاص، وصدقوه في جميع دعاويه تصديقاً قاطعاً ، وأحبوه بقلوبهم وقوالبهم ، وعظموه تعظيماً بالغ النهاية ، بشكل لم يتوقعه هو نفسه ، بل لم يخطر بباله قط أنه سيجد قبولا حاراً جازماً لا تردد فيه من علماء نيجيريا الذين نشأوا على دراسة الفقه والتباهي به – في عقر ديارهم بين قومهم الذين يحترمونهم ولا يسمعون إلا قولهم ، ولا يمتثلون إلا أمرهم ، ولا يصدقون إلا بما صدقوا ، وقد صرح الشيخ أيضاً بتعجبه من ذلك حيث قال :

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : رحلة نيل المفاز بذيل الرحلة الحجازية الأولى ٥٩ .

حين نزلــت ثم قد دهانــــي ما لم يكــن والله في حسبانــــي
وقــد تيقنــــت بــــأن الله يجري الأمــــور كيفمــا يراها
صرت أقول أين ذا الشيــخ الذي تعنــــو له رقبــة كل جهبذي
وأين برهــام وما برهــــام حــتى فنــــوا في حبه وهامــوا
والله لولا أنــــني فنيـــمت في الشيخ أحمــد حيــــاء مت
لأنــــني أنا الحقــــير الجاني والله ما تبــــت واني جــــان
عاملهم بظنهـــــم من ســترا سوء صفاتــي وحسنا أظهرا (١)

هذا وعندما بلغ سائر التجانيين في الأقطار المجاورة أن جمهور التجانيين من علماء كنو ومن كان على شاكلتهم من سائر مقدمي التجانية في نيجيريا قد سلموا اليه قيادهم فتحوا له هم الآخرون أبواب قلوبهم على مصراعيها ، وقبلوا دعوته مخلصين ، وانضموا إلى حزبه مسرعين ، ولا أدل على ذلك من قوله في أهل أنكرا عاصمة غانة وأهل كماشى عند عودته إلى مقره من هذه الرحلة المكللة بالنجاح والانتصار .

وجئت بعد أنكــــرا وإنــــــي يومــــــي بأنكــــرا تقضي حزني
جاءوا إلى الدخــــول في الطريقة فوجاً وفوجاً أسلمــــوا حقيقـــة
وقد أتــــى أهل كماشى موهنــــا جاء الكبير في الصبــــاح معلنــــا
أهل كماش أهل دين ورسوخ فمثلهم في الناس مطلب الشيوخ(٢)

قال هذه الأبيات في رحلته الثالثة إلى نيجيريا ولا تنسى أن الشيخ نفسه هو قائل هذين البيتين الآتيين في أهل كنو وأهل أنكرا في رحلته الثانية إلى نيجيريا قبل تسليم الأخيرين له :

بكانــــــو لي أحبــــة وكانــــوا أهل هدايـــــــة وديـــــن كانوا
لكن أنكـــــرا إلى تكـــــرادي ما بلغتهم دعـــوة من هـــادي (٣)

١ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٥٨ ٢ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٦٩ .
٣ – السيد المختار بن حامد : المصدر السابق ٥٠ .

ومهما يكن من شيء فان الحال قد استمرت على هذا الشكل فكان الشيخ يرد إلى نيجيريا من حين إلى آخر فكان مجيئه في كل مرة عيداً لشيوخ كنو وربيعاً للمقدمين القادمين من أقاليم شتى في داخل نيجيريا وخارجها وموسماً هاماً لعامة التجانيين وهلم جرا .

التربية الصوفية التجانية الانياسية في نيجيريا

التربية الصوفية معروفة في نيجيريا قبل أن يؤسس الشيخ التجاني نفسه طريقته، لقد ألف الشيخ عثمان بن فودي كتاباً بعنوان (أصول الولاية) فناقش فيه التربية الصوفية وشروطها ، وشروط الشيخ المربي وآداب المريد معه ، وكيفية السلوك ، ثم بين أن التربية المصطلحة هذه أمر أحدثه المتأخرون من المشايخ الصوفية ، وأما الشيوخ القدامى فليس لهم نظام معروف للمشيخة ، ولا اصطلاح مألوف للسلوك، وإنما هو الصحبة واللقاء فقط ، فاذا اجتمع الطالب بالاستاذ استفاد من رؤيته ومعاشرته أحوالاً ، وان معتمدهم في ذلك هو قوله تعالى : « واتبع سبيل من أناب إليّ » وبيّن أيضاً أن هدف الصوفية من وراء تربيتهم هذه ، هو الوصول إلى العلم الحقيقي بالله تعالى ، ثم نبه على أنه ليس المراد بالعلم الحقيقي أن يصل العبد إلى ادراك حقيقة ذات الله تعالى وصفاته ، وإنما المراد هو أن يصل العبد اليه تعالى بعلم ذوق مستغن عن الاستدلال بمخلوقاته ، و هو غاية سلوك السالكين ، ومنتهى سير السائرين ، هذا كله بعد أن ذكر طرفاً من الأذكار التي يستعينون بها إلى هذا الوصول (١).

وأما الشيخ إبراهيم فقد سبق أن قلنا أن أول ما فعله عندما جاء إلى نيجيريا في رحلته الأولى أن وزع نسخاً من كتابه كاشف الالباس على العلماء ، وقد تكلم في الكتاب على الفيضة التجانية ، وصرح بأنه هو صاحبها الحقيقي الذي تظهر على يديه، وتكلم على التربية ، وبيّن أنها من أسهل الأشياء في الطريقة التجانية ، إذ كانت خالية

---

١ – الشيخ عثمان بن فودي : كتاب أصول الولاية ص ١٦ – ٢٣ .

خلواً تاماً من المجاهدات النفسية ، والرياضات البدنية ، واعتزال الخلق والتزام الخلوة ، وغير ذلك من أنواع التشديد على النفس التي اصطلح عليها بعد مضي عصر السلف ، بل إن أذكار الورد كفيلة بالتربية في الطريقة التجانية ، حيث أن المريد التجاني يصل إلى الله وهو على حاله دون تغيير ، وتكلم أيضاً على وجوب طلب الشيخ المرشد ، أي المربي وصفته وحال المريد معه ، حيث بين أن شيخ التعليم الذي يؤخذ عنه العلوم الشرعية ليس هو المقصود في هذا الشأن وإنما الشيخ حقيقة هو الذي يأخذ بيد المريد حتى يلقي به بين يدي ربه ، ويقول له : ها أنت وربك ، وبين كذلك أن هذه التربية التي يقوم بها هذا الشيخ كان الأنبياء هم الذين كانوا يأتون بها من الله ، حتى بعث خاتم النبوة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فبعد وفاته كان يقوم بها نيابة عنه كمل المشايخ من أمته ، ثم أشار أخيراً إلى أنه من أكابر هؤلاء الكمل . ثم تكلم على العلوم التي يحصلها الصوفية من وراء تربيتهم هذه ، حيث بيّن أنه من بدء الإسلام وإلى هلم جرا لا يوجد من آتاه الله هذا العلم إلا وقد سلم له أئمة ذلك العصر وعلماؤه وتواضعوا له وتبركوا به ، ثم حذر من الانكار على أهل الخصوصية الذين أوتوا هذا العلم ، ثم تكلم عن سواء الجسم حيث بيّن أن سواد الجسم لا يمنع من بلوغ درجة المقربين (١).

هذا بعد أن قرر في مقدمة الكتاب أن الإسلام يعلو دائماً ولا يعلى عليه إذ لاعبرة في نظره بكثرة الفساق في هذا العصر لأن الشر لا تكون له اليد العليا في العالم إلا بعد وفاة عيسى عليه السلام وذلك لا يكون إلا بعد أن يقتل الدجال ويعيش أربعين سنة، ولا يأتي الدجال إلا بعد خروج المهدي بسبع سنوات على رأس المائة الرابعة بعد الألف من الهجرة النبوية (٢) .

ولعل هذا الكلام مبني على العقيدة الصوفية ، ومعناه أن الخير هو المتغلب في العالم ما دام الاقطاب موجودين يأتون بالتربية من حين إلى آخر ، ولا ينقطع إتيانهم إلا بعد وفاة عيسى ، لأنه هو خاتم الأولياء على العموم ، وأنت تعرف كيف كانت

---

١ - الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٥٣و٧٦ ٢ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢٣

فكرة ظهور المهدي عالقة في أذهان هؤلاء العلماء ، ثم أضف كل هذا إلى ما وصل اليهم من أشعاره الشطحية كقوله فيما تقدم :

أرجى لقاء المهد عوناً ومرشـــدا　　　له كل حال في رضاي مجالـــه

فتمسي النصارى كالجليد تشعشعت　　　عليه ذكاء كلهم ضاق حاله (١)

أي إنه يرجو أن يظهر الامام المهدي وهو في قيد حياته وإذا تم هذا فإنه أي الشيخ إبراهيم هو الذي يساعده ويرشده ، بحيث لا ينفذ المهدي أمراً من الأمور إلا برضاه ، وهذا مبني على أساس مبادىء الطريقة التجانية حيث قال الشيخ التجاني فيما روي عنه أن الامام المهدي المنتظر إذا جاء يطلب من أصحابه الفاتحة (٢) ومثل قوله في الأبيات السابقة أيضاً :

وإن شاء قواني لحمـــل خلافـــة

إلى قوله

فيختم عيسى لا تكون ولايـــــة (٣)

وهذا أيضاً ربما كان مبنياً على أساس تعاليم الطريقة التجانية فمعناه أن المهدي إذا ظهر يكون من حزبه ومن أتباعه ، لأنه هو القطب الغوث في هذا العصر ، وأما المهدي فإنه من أهل الولاية الظاهرة أي أنه سلطان مثل هؤلاء السلاطين الذين سلموا له قيادهم (٤) ومن أجل ذلك هو الذي يأمر الامام المهدي بالجهاد وكسر الصليب ، وما إلى ذلك ، وإذا نزل عيسى عليه السلام ، فان أتباع الشيخ ابراهيم هؤلاء هم رجاله وعندئذ تظهر الفيضة التجانية على أجلى مظاهرها وتبلغ أوج كمالها وهلم جرا .

ولما وقف هؤلاء العلماء على مضمون هذا الكتاب أو كاشف الالباس ذهبوا به إلى شيخهم لهذا الفن حينئذ وهو الشيخ أبو بكر مجنيوا فتصفح الكتاب ورده إليهم ثم بعد

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : ديوان شفاء الاسقام مجموع الدواوين ١٢٩ .

٢ – السيد محمد فتحا النظيفي : الدرة الخريدة ١/١٣٧ .

٣ – الشيخ ابراهيم انياس : ديوان شفاء الاسقام مجموع الدواوين ١٣١ .

٤ – محمد بن عبدالله الشافعي : الفتح الرباني فيما يحتاج اليه المريد التجاني ٢٦ .

أيام أشار اليهم بالبحث عن مؤلف الكتاب للاطلاع على بعض الاسرار التي أقام عليها أمره وللاقتباس من العلوم التي اختص بها فمن ثم عزم على المسير اليه الشيخ الحاج أحمد التجاني بن عثمان الكنوي والشيخ الحاج محمد الثاني بن الحسن الكافنغي الكنوي ورافقهما رجل قصاب يسمى مزاد وكان ذلك في حدود ١٣٦٥ هـ (١) .

فكان هؤلاء النفر الثلاثة أول وفد على الشيخ إبراهيم في مقره بكولخ من النيجيريين لزيارته وللتربية هناك كما كانوا أيضاً أول النيجيريين وقوفاً على أسرار التربية الإبراهيمية التجانية .

ثم في العام الثاني من مسيرهم إلى كولخ ورد الشيخ محمد الهادي إلى نيجيريا وهو في طريقه إلى الحرمين لأداء فريضة الحج ويحمل معه رسالة من الشيخ ابراهيم إلى أمير كنو الحاج عبدالله بايرو ولم يتصل به من علماء كنو عندئذ إلا السيد الطاهر الدمغراوي المعروف بالماهر والسيد أبو بكر (نوالي) الذي أنزله الأمير عنده .

ثم واصل الشيخ الهادي سفره إلى الحرمين وعندما رجع اتصل به السيد محمد بللو المعروف الآن بـ (مالم بللو نشيخ الهادي) ولازمه حتى أدخله في التربية هو والسيد طاهر الدمغراوي السابق ذكره وواحد آخر يدعى الحاج محمد طن بتا (٢) ثم اندفع كبار علماء كنو إلى منزل الشيخ الهادي ليسلكهم في التربية ، وكان هذا مبدأ دخول التربية الإبراهيمية التجانية في نيجيريا (٣).

وقد أخبرني الشيخ الهادي نفسه بهذا الأمر في منزله بتنبيعل موريتانيا سنة ١٣٩٨هـ و١٩٧٧ م وهو يعتقد أن ذلك من كرامات الشيخ ابراهيم ومن علامات كشفه ، ذلك لأنه لما أراد أن يحج ذهب ليستأذنه فقال له الشيخ في جملة ما أوصاه به إن لك في الطريق إخواناً خذ بأيديهم . ومهما يكن من شيء فإن الشيخ عبدالله ابن المعلم محمد سلغا والشيخ أبا بكر عتيق والحاج الشيخ (ميهولا) والسيد محمد الخامس بن شعب وأخاه

---

٢ – مقابلة مع المعلم بلو نشيخ الهادي في التاريخ السابق .

١ – الحاج المعلم بلو نشيخ الهادي : المصدر السابق الورقة الرابعة .

٢ – مقابلة مع المعلم بلو نشيخ الهادي في التاريخ السابق .

السيد محمد العاشر والسيد عمر الفاروق ابن الشيخ عبدالله سلفا والسيد محمود ابن المعلم محمد سلفا والحاج عبد الرحمن والحاج أبا بكر الملقب (بنوالي) ثم الأسرة الحافظة لكتاب الله الحاج رابع وابنه الكبير الحاج اسحاق رابع هؤلاء كلهم كانوا من الدفعة الاولى الذين سلكوا في التربية عندئذ في يد الشيخ الهادي (١) .

ثم قفل الشيخ محمد الهادي راجعاً إلى وطنه فمر في طريقه بمدينة زاريا واتصل هنالك بكبار فقهائها مثل المعلم ماجي إسحاق والمعلم يهوذا ومن اليهما وعندما وصل إلى كولخ وقدم للشيخ ابراهيم قائمة كبيرة تحتوي على آلاف من أسماء المريدين بعضهم جددوا الطريقة وبعضهم أسلكوا في التربية ووصلوا أمره الشيخ بالرجوع مرة ثانية إلى نيجيريا لأن هذه الجماعة الكبيرة المتزايدة من المريدين والأتباع لا ينبغي أن يتركوا دون مرشد قائم بأمرهم ، فمن ثم جعل الشيخ الهادي يتردد إلى نيجيريا كل سنة قرابة عشرين حجة ، وقد رأيت رسالة بخط الشيخ ابراهيم نفسه إلى الشيخ محمد غبريم الداغري مضمونها أنه أي الشيخ ابراهيم ليس له نائب في أمر التربية والطريقة وما إلى ذلك في نيجيريا سوى الشيخ محمد الهادي وحده وكل من إلى من كولخ إنما أتى لحاجة نفسه فقط (٢).

وعلى أي حال فعندما رجع الشيخ الهادي في هذه المرة وجد أن ماجي اسحاق الفقيه الزكزكي المشهور قد توفي فنصح الشيخ يهوذا الفقيه الزكزكي الآخر بالدخول في التربية فقبل النصيحة ورحل إلى كولخ وتربى هنالك في يد الشيخ ابراهيم نفسه .

وعلى هذه الصورة فشا أمر التربية في نيجيريا بشكل هائل لأن كل فقيه كبير أو متوسط تربى في كولخ أو في يد الشيخ الهادي هنا في نيجيريا يؤذن له هو الآخر في الأخذ بيد تلاميذه والطلاب القادمين عليه من القرى المجاورة لقريته في التربية ، وهذا القادم قلما يرجع إلى قريته دون أن يأذن له شيخه في التربية أو يقدمه لتلقين الطريقة للراغبين وهكذا .

---

١ – مقابلة مع المعلم بلونشيخ الهادي في التاريخ السابق

٢ – وجدت الرسالة عند الحاج عبد الباقي ابن الشيخ الحاج آدم الدمغراوي بأزري في ولاية باوشي .

فحدث جراء ذلك تطور خطير في حياة هؤلاء المقدمين النيجيريين فإنهم قبل ظهور حركة الشيخ ابراهيم كانوا فقهاء خلصاً أي كانوا إلى الفقه أميل منهم إلى أي فن آخر من فنون العلم الاسلامي ولا يفتخرون إلا به ولا يتباهون إلا فيه وكانت حياتهم كلها تسير على منهاجه ولا ينسجون أفكارهم إلا على منواله ولا ينظرون إلى الطريقة التجانية إلا بمنظاره فيفهمون أن مسائلها من موضوعات أبواب الفقه لأن العقيدة كما يتصورونها مبنية على ثلاث قواعد :

في عقداً شعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك (١)

أضف إلى هذا كله أن آراء القاضي سكيرج والنظيفي في الطريقة هي السائدة حينئذ في أوساطهم وهما معروفان بالاعتدال بعض الشيء في أوجه نظرهما وقد عكفا طول حياتهما على إحياء آثار الشيخ التجاني والدفاع عنه وعن طريقته ، ومن جملة ما قاما به صرف أتباع الطريقة التجانية عن دعوى المشيخة حتى لا يزاحموا الشيخ التجاني في مقامه كشيخ الطريقة ، وقد أفاض سكيرج في كتاب تنبيه الاخوان كثيراً بهذا وكذلك النظيفي في الياقوتة الفريدة وهو القائل :

ففروا من الدعوى ولا تنتموا لها وقولوا عبيد الله أدنى الخليقة (٢)

وهكذا فهم هؤلاء المقدمون أن الطريقة عبارة عن أذكار يقوم بها الشخص تطوعاً إحياء لوقته ، وتطهيراً لنفسه ، وتنبيهاً لقلبه ، وهلم جرا ، وإذا عثروا على شيء من أقوال الصوفية الغامضة الواردة في كتب الطريقة يصرخون بجهلهم ، وإذا اطلعوا على كلام مضاد للشرع ، قالوا هذا كلام أولياء الله ، وكلامهم على أسرار مصونة لا يكشفها غيرهم ، ومصداق ذلك ما أخبرني به المعلم محمد الأوجراوي أن سبب ذهابه إلى كولخ للتربية أنه عثر على كلام في جواهر المعاني وسأل عنه الفقيه مأجي إسحاق السابق ذكره فقال له : إن مثل هذا الكلام لا يفهمه غير أهله ، إذ لو كان يفهم بالذكاء لفهمناه ، ولكن لقيت رجلاً شريفاً يدعى محمد الهادي فأخبرني أن له

---

١ – الاندلسي عبد الواحد بن عاشر : المرشد المعين انظر شرح الميارة ١٢ .

٢ – الشيخ محمد السنوسي : الياقوته الفريد .

شيخاً عارفاً بالله اسمه الحاج ابراهيم يسكن في قرية تسمى كولخ في بلاد السنغال فمثل هذا الشيخ هو الذي يفهم مثل هذا (١).

فما كان أحد منهم يسمى شيخاً بل وحتى الذين سبقوهم وعرفوا بصحة الدين وقوة الايمان وسمو الاخلاق ووفور العلم مثل أمير زنفر المعلم محمد بللو والقاضي محمد في مدينة باوشي والمعلم محمد سلغا والمعلم أبي بكر مجنيوا في كنو ووالي عمر ومأجي اسحاق في زاريا ومن على شاكلتهم في جميع مدن نيجيريا ما كان أحد منهم يدعى بالشيخ ، بل قد لا أكون مبالغاً إذا ذهبت إلى أن النيجيريين لا يعرفون من يلقب بالشيخ في نيجيريا ، قبل مظهر الشيخ إبراهيم سوى أفذاذ يعدون على الأصابع الذين يعتبرون سلفاً لهؤلاء مثل الشيخ الطاهر الفلاتي البرناوي والشيخ عثمان بن فودين وأخيه الشيخ عبدالله بن فودين والشيخ محمد الأمين الكانمي وهلم جرا وكل من عداهم لا يدعى إلا بالمعلم والناس يبالغون في تعظيمهم واحترامهم لا على أنهم شيوخ طريقة أو مقدمون لطريقة بل لأنهم فقهاء حافظون للشريعة الاسلامية السمحاء وهم المرجع في كل ما أشكل من أمور الدين والسياسة والاجتماع إذ عليهم يعتمد الأمراء والدهماء .

ثم جاءهم الشيخ إبراهيم بمفهوم جديد للطريقة ليس جديداً لأنه أمر اختلقه من عند نفسه ولم يكن موجوداً من قبل لا بل كان موجوداً في الطريقة أو بعبارة أخرى أن الطريقة قد بنيت عليه وإنما صار جديداً لأنهم لم يفهموه من قبل وليس في مقدورهم فهمه لولا التربية ، فقد استطاعوا بفضل ما أدركوا في التربية أن يحلوا مسائل كثيرة عقدها عليهم الشرع في نظرهم ، وعلى الرغم من ذلك فقد بقيت أمور لاتزال في طي الخفاء فقد حالت دون إدراكهم لحقيقتها عقبات ليس من الميسور تغلبهم عليها – إلا أن التربية قد وسعت لهم دائرة خيالهم حيث أمكنهم تخيلها كما تخيلها قائلها الأول – لأنها لا تمت إلى ما أدركوه في التربية بصلة وإنما أقحمت فيه إقحاماً لغرض أو آخر ، ومن هذه الأمور القول بأن أهل الفيضة الشيخ ابراهيم هؤلاء هم الطائفة

---

١ – أخبرني بذلك السيد محمد الاوجراوي في منزل الحاج آدم الدمغراوي بأزري في تاريخ غير مسمى .

التي ذكرها الشيخ التجاني فيما روي عنه أنه قال إن طائفة من أهل طريقته لو اجتمع أقطاب أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كلهم أجمعون ما وزنوا شعرة واحدة من رأس فرد واحد منهم ، ولا يستحق هذا الفرد هذه المرتبة طبعاً إلا بالتربية (١) والقول بأن أهل الفيضة قد وقعوا في دائرة تسمى بالدائرة الفضلية التي تكون وراء دوائر الأمر والنهي والجزاء أي إن الله لا يبالي بكل من وقع فيها سواء أطاعه أم عصاه وهو ناج على كل حال ولا يقع في هذه الدائرة طبعاً إلا من تربى(٢) والقول بأن الله تعالى قد ساق الوجود في هذا الزمان مساق الهلاك ولا ينجو منهم أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجاني ولا تتحقق هذه المحبة طبعاً إلا بالتربية (٣) وهكذا وأمثال ذلك كثير .

فتأثر هؤلاء الفقهاء بهذه المبادىء والتعاليم الابراهيمية التجانية ، واعتقدوا أن كل من أسلك منهم في التربية ونجح في الوصول إلى الغرض المنشود ، وأذن له هو الآخر في الأخذ بيد تلاميذه في التربية صار شيخاً كاملاً رفيع القدر متسنماً ذرى قنن جميع الدرجات والمراتب التي يتمتع بها شيوخ التربية من مشائخ الطرق الصوفية، ولا بد لتلاميذهم أن يكونوا أمامهم كالميت بين يدي غاسله ، لا إرادة لهم ، ولا اختيار ، والشيخ هو صاحب القول الأول والأخير إذ أنه لا يسأل عما يفعل ، وكل من قال لشيخه لم لا يفلح أبداً (٤)

فمن ثم مضى تلاميذ كل واحد منهم يدعونه بالشيخ ، وإذا دعوت أحداً منهم بالمعلم أمام تلاميذه نظروا إليك شذراً بل يحملق اليك بعض المتحمسين منهم علناً فقسموا البلاد بينهم كل له منطقة اختصاص سيطرته يعتبر سكان هذه المنطقة من التجانيين تلاميذه ، ويتمتع بولائهم له ، فمن ثم ذهب بعضهم يدعمون مقاماتهم السامية هذه عند تلاميذهم بأقوال مبنية على أساس هذه المبادىء السابقة ، بلغني أن

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٦/١ .
٢ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر الورقة الثالثة وجواهر الرسائل ٣٤ .
٣ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٨/١ ٤ – الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٨٠ .

واحداً منهم قام في تلاميذه فقال إن شعرة واحدة من رأسه أفضل من الشيخ عثمان بن فودين ، وهكذا وسواء قال ذلك أو تقول عليه فإن لسان حالهم وعقيدتهم تنطق به صراحة ؛

وما كادت هذه الأقوال تدخل في آذان بعض الدهاة من تلاميذهم — الذين لا يسيرون معهم على حال ولا يرجون لله وقاراً — حتى اتخذوها طعمة لاقتناص أموال إخوانهم المغفلين ، وأسرعوا في البلاد يشيعون هذه الأقوال الزائفة ويبثون في أوساط الدهماء منهم أحاديث خرافية زائفة،وقد قال لي أحد هؤلاء صراحة إن كل من تربى يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو مكث في الدنيا وليس له عمل إلا قتل الناس ، وهذا الكلام أيضاً مبني على المبادىء السابقة ، وأمثاله كثير جداً أضربت عن ذكرها كي لا أشحن كتابي بأقوال باطلة لا أساس لها من الصحة ، وإنما أوردت القولين السابقين على سبيل المثال فقط ولأنهما جاءا حسب ما تقرر في كتابات الشيخ إبراهيم نفسه .

وإذا فلت شيء من هذه الأقوال من أوساط أهل الفيضة إلى أسماع غيرهم من المسلمين حرفوها ، وزادوا عليها ونشروها بدورهم في الناس ، فاذا دارت ورجعت إلى أسماع المعتدلين من أهل الفيضة يثورون غضباً قائلين إن هذه تقولات الأعداء تذاع ضدهم زوراً وهكذا .

لقد راع هذا علماء نيجيريا غير التجانيين لما كان يقرع أسماعهم باستمرار ، من هذه الأقوال الخارجة عن حظيرة الشريعة لا سيما إن الذين تولوا إشاعتها ونشرها بين الناس في القرى والبوادي أناس لا يعرفون بصحة الدين ، ولا يتمتعون بسمو الاخلاق ، وبضاعتهم في العلم مزجاة ، ولولا أن أمراء كنو وقليل غيرهم من أمراء نيجيريا ، وبعض كبار فقهاء كنو وزاريا وبعض مشاهير علماء الجهات الأخرى في نيجيريا يشاطرون الرأي معهم ، لقامت ضجة كبيرة في المجتمع الإسلامي النيجيري ، ولوقعوا في محنة شديدة ، ومع ذلك لم يسلموا في بعض الجهات من مقاساة شيء من الإضطهاد ، ومهما يكن من شيء فقد سكت كثيرون من العلماء الذين ينكرون هذه الحركة على ما في أنفسهم من مضض .

وعلى أي حال فإن سكت الكل فان السيد الحاج أبا بكر محمود جومي لا يسكت عن مثل هذا الأمر ، فأرسل إلى الشيخ ابراهيم يستفتيه عنه لأنه كان منشوه فقال : « يا مولانا الشيخ إبراهيم إنياس بعد كل الحفاوة والتقدير أرجو أن توضحوا لنا مايأتي من أقوال الصوفية يرحمكم الله .

فعندنا أناس من المنتسبين اليكم يزعمون أنهم يربون تلاميذ هم بخلوات يتعبد فيها التلميذ حتى يصل إلى درجة يقال إنه وصل فيها إلى المقصود ، وذلك هو أن ينطمس التلميذ في حال بحيث يجيب عن كل شيء يسأله شيخه عنه بأنه هو الله ، فلو سئل عن نفسه يجيب بأنه الله وعن كرسي أو أي شيء آخر يجيب كذلك ، فما حكمه في ذلك ؟ وما حكم هذه العملية شرعاً ؟ وإن صحت شرعاً فما تأويل معنى رب العالمين لمن وصل إلى هذا الحد ؟ وما الفرق بينه وبين الحلول ؟ أو قول النصارى أحد الثلاثة ؟ أفتونا يرحمكم الله واسندوا الحكم إلى أدلة قرآنية وأحاديث نبوية صحيحة فلكم جزاء الخير من الله الكريم ومع الشكر الجزيل تلميذكم الراغب فيكم أبو بكر محمود جومي .

فأجابه الشيخ بقوله : « الحمد لله الواحد الأحد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والصلاة والسلام على رسول الهدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القائل كان الله ولا شيء معه ، وقال علي كرم الله وجهه ، وهو الآن على ما عليه كان وبعد فانك أيها الأخ الصالح والخل الناصح قاضي قضاة المسلمين بنيجيريا الحاج أبو بكر جومى كتبت تسأل عما يجري من السنة بعض من يدعي السلوك والوصول أو الفتح والفناء وهذه كلمات اصطلح عليها أهل التصوف ، والمعنى واحد ، وكلهم في البداية ربما نطق بما ينحو نحو هذا عند محبتهم للحق وغرقهم في الحضور ، حتى لم يسمعوا ولم يبصروا شيئاً مما يجري في العالم ، فيقول الله على حال ولا يعني أبداً أن هذا الذي يراه ببصره هو الله سبحانه وتعالى كما وقع لنبي الله إبراهيم ، رأى كوكباً قال هذا ربي ، رأى القمر قال هذا ربي ، رأى الشمس قال هذا ربي ، وقال تعالى وما كان من المشركين ولو قصد أن الكوكب ربه لكان مشركاً ، فلهذا تجد ذكر

إبراهيم في القرآن مقروناً بنفي الشرك عنه ، وهذه الحالات كما يقول من يعرفها لا تدوم ، وعلى كل حال من نطق بما يخالف القرآن نكفره نحن حماة الشريعة فان تاب ورجع عن ذلك فيما بعد قبلناه وعلى كل حال فيوجد صادقون وكاذبون .

ومن تحلى بغـير ما هو فيـه كذبتـه شواهـد الامتحان

ونسأل الله تعالى أن يرينا وإياكم الحق حقاً ويرزقنا أتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، ويوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى والسلام » (١).

وبإمكاننا هنا أن ندرك أن كيفية التربية عند الشيخ إبراهيم هو إدخال المريد في الخلوة ، فيعكف على أنواع من الأذكار أو التعبد على حد تعبير السيد أبي بكر جومي يلازم ذلك أياماً حتى يصل إلى درجة يقال إنه وصل فيها إلى المقصود ، وهو أن ينطمس المريد فيها عن نفسه وعن كل شيء ، بحيث يجيب عن كل شيء سأله شيخه عنه بأنه هو الله فلو سأله عن نفسه يجيب بأنه الله أو عن كرسي أو أي شيء آخر يجيب كذلك ، لأن الشيخ ابراهيم لم ينكر ذلك عندما وصفه له السيد الحاج أبو بكر جومي في رسالة فتواه بل أثبته صراحة بقوله : « وكلهم في البداية ربما نطق بما ينحو نحو هذا عند محبتهم للحق وغرقهم في الحضور حتى لم يسمعوا ولم يبصروا شيئاً مما يجري في العالم فيقول ، الله ، على كل حال .

ولقد كتب رجل يدعى محمد بلو بن عمر إلى الشيخ أبي بكر عتيق الكنوي الكشناوي أبياتاً – تتكلم عن حكم شيخ التربية وشروطه – من المباحث الأصلية مع شرحها ثم سأله هل علم أو سمع بمن اتصف بهذه الصفات أو اشترط بهذه الشروط ؟

فكانت إجابة الشيخ عتيق تتلخص في أن شيوخ التربية موجودون بكثرة في كل زمان ومكان ، إلا أن معرفتهم والاتصال بهم ليس ميسوراً لكل أحد ، ثم أيد رأيه هذا بقول ابن عطاء الله : « سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل اليهم إلا من أراد أن يوصله اليه ». ثم ذهب إلى أن تلك الشروط

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : اجابة لفتوى الحاج أبي بكر جومي .

المذكورة في الكتب ليس بلازم أن تتوفر في كل ولي فإن كان هناك ميزان لمعرفة الولي من غيره فإنما هو التقوى والاستقامة على قدر الطاقة فقط .

ثم بين أن للأولياء حجباً كثيرة يتسترون وراءها أو بعبارة أخرى يبشرهم الله بها حتى لا يتصل بهم من لا نصيب له عندهم ومن هذه الحجب المماثلة ، والمعاصرة ، والمجاورة ، وهذه الثلاثة هي أكثف حجب ستر الله بها أولياءه ، ومن ذلك اعتقاد أن الولي له صفة مخصوصة يتميز بها عن بقية الناس ، وكذلك اعتقاد أن الأولياء لا يوجدون في بعض الأزمان ، ثم أكد وجودهم في كل زمان بما جاء في شرح المباحث الأصلية ولطائف المنن من أن هناك عدداً معلوماً من الأولياء في كل زمان وهو ١٢٤٠٠٠ ولو نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها ولا أبرزت الأرض نباتها ثم قرر أن فساد الوقت لا بسبب ذهابهم ، وفناءهم ، وإنما بسبب اختفاءهم فقط ، ثم ذهب إلى أن الأوقات كلها سواسية عند الله أي لا فرق عنده بين وقت نبيه آدم ، وبين وقت نوح ، ولا بين وقت نوح وبين وقت إبراهيم ، وهلم جرا ، إلى وقت نبينا محمد عليه وعليهم جميعاً أزكى صلوات الله وسلامه ، وكذلك لا فرق بين أوقاتهم وبين أوقات الأولياء إلى يومنا هذا ، ثم ختم كلامه بتقرير أن الطريقة التجانية خالية من هذه الشروط المطلوبة من الشيخ المربي ، فقال « ثم أعلم أن ما ذكر في الكتب من الشروط التي هي لازمة للمربي هي خارجة عن طريقنا الأحمدي التجاني وليست بمشترطة فيه ...» (١).

ومهما يكن من شيء فإنه قد نتج من جراء انتشار هذه التربية في نيجيريا وجود طائفة من الدجالين الذين يجولون في البلاد يدعون المشيخة ويسلكون الناس في تربيتهم الزائفة ، وكانت تذاع عنهم أخبار طريفة مضحكة من نوع ما جاء في كتاب (الثقافة العربية في نيجيريا للدكتور علي أبو بكر) انظر صفحة ٢١٦ من ذلك الكتاب .

وأفظع من هؤلاء شراً هو من يعرف بعبدالله جعفر وهنالك أيضاً رجل آخر من قرية (فالالي) بمديرية كنو وهو الذي خط شيئاً بجانب زاويته وسماه الصراط يدعو

---

١ – الشيخ أبو بكر عتيق : رسالة مفيد الخلان واثبات وجود المربين ١ – ١١.

جهال أتباعه إلى عبوره في مقابل غرامة مالية يقدمونها اليه ، ويعتقد كل من عبره أنه انتهى واستراح من عبور الصراط يوم القيامة ، وما استراح الناس من شره حتى سجنه الحاج محمد سنوسي بايرو أمير كنو في ذلك الوقت ، وهناك آخرون أيضاً ولا يدل على كثرتهم وتفاقم شرهم إلا الرسالة التي كتبها الشيخ ابراهيم في شأنهم الى بعض الصادقين من تلاميذه وجاء في الرسالة : « فإني أرسلت اليكم بنسخ من كتاب كتبته إلى الأخوان واجتهدوا في تبليغها للعام والخاص واعلموا أن التصوف معرفة وعبادة وزهادة ، ومن خلا من هذه فهو مدع هالك لا نجاة له ، وكثير من الناس تصوفهم في ألسنتهم ، ومعبودهم الدنيا ، وشهواتها،فليتني لم أعرف أولئك ولا عرفوني ، إن لم يداركهم الله بالتوبة وأنا جعلتكم في خدمة وهي أن تبلغوا الناس وتقرأوا لهم وصاياي ومن سمع لكم فقد تقبلت توبته ومن لا فليس مني ولا بد من التوبة والاستقامة والعبادة الخالصة لله وبر الوالدين والجد في اكتساب المال الحلال والعلم الظاهر » (١).

فأما عبد الله جعفر لما استطار شره وخاف شيوخ كنو من أن يصطلوا من طريق أو آخر بنيران هذا الشر المستطير رفعوا أمره هو ومحمد الثاني بن محمد الأول إلى الشيخ فكتب في شأن الأول ما يلي :

« السلام عليكم أصحابنا وأحبابنا أنصار الدين والطريقة بعد ما بعثت اليكم بالرسالة الأولى سمعت بخبر عبدالله جعفر الذي حاولت مراراً هدايته إلى الصواب فأبى إلا أن يتبع نفسه وشيطانه ودنياه وهواه ولعل الله أراد به الشقاء وقدر رفعت عنه الاذن ورب جبريل إن أراد خيراً وأراد البقاء في صحبتنا فليصحب كبراء أصحابنا ويسلك طريقهم ، فالدين لله لا يتخذ لهواً ولا تجارة ولا شهوة بل إنما هو جهاد أصغر وأكبر وما سوى ذلك فطريق الشيطان فإن لم يقبل هذا فاطردوه من جمعكم ، وقد رفعت الإذن عنه ، وخليت بينه وبين نفسه والسلام » (٢).

ولما بلغ عبدالله جعفر أن الشيخ إبراهيم قد رفع عنه الإذن وأمر أصحابه بطرده

---

١ – الشيخ أبو بكر عتيق : الرسالة المعجلة ٥

٢ – الشيخ أبو بكر عتيق : المصدر السابق ٦

من أوساطهم ظن أن هذا مكيدة مدبرة من قبل شيوخ كنو كادوه بها عند الشيخ ليستولوا عليه وعلى مملكته ، فرحل توا إلى كولخ حيث لزم باب الشيخ مظهراً التوبة والندامة والتذلل حتى استمال شفقته ورحمته اليه وأمر بكتابة إذن جديد له بشرط أن يمر بكل مكان عاش فيه ليردهم إلى الجادة ، ولما رجع من كولخ بهذه الإجازة الجديدة اتخذها أداة لاستمالة أصحابه اليه من جديد ، كما جعلها طعمة لقنص أموالهم أيضاً ، ثم استعملها بعد ذلك كله سلاحاً لمهاجمة هؤلاء الشيوخ الذين ساء بهم الظن ، فاغتاظ لذلك الشيخ أبو بكر عتيق الذي تولى بكل جد وبكل إخلاص الدفاع عن حوزة الطريقة التجانية بحذافيرها ، فكتب رسالة بعنوان (الرسالة العجلة في التحذير من الدجاجلة) وجاء فيها : « كتبت هذا التنبيه لأني سمعت أن عبدالله جعفر لما رجع من كولخ يزعم أنه وجد الإذن من الشيخ وسيمر بسائر البلاد التي مر بها أولاً ليجدد لهم الإذن فها هو يدعي الدعاوى الكاذبة ويحط على غيره من الأكابر ليعتز هو بذلك تكالباً على الدنيا وإعجاباً بنفسه كما هي عادته أو لا بل رجع إلى فساد أكبر من الأول ، وهو الحط عن أكابر الطريقة الذين هم خلفاء الشيخ صاحب الفيضة حقيقة مع جهله هو حتى بأدنى مراتب العبودية وأركانها ، والأعمى لا يقود البصير وكونك لم تدخل في الطريقة مع محبتك في الشيخ المحبة الصادقة خير لك من أن تتلقى من ألف من مثل هذا البطال الفتان » (١) .

وأما محمد الثاني بن محمد الأول فان الشيخ كتب في أمره ما يأتي : « ومحمد الثاني من اتباعي وممن أجزت وطبعه للسند ليس عن أذني فليتدارك » (٢).

مشكلة القبض

لقد أغرم أتباع الشيخ ابراهيم بحبه والمبالغة في تعظيمه وتقديره والمبادرة إلى تقليدة في جميع أعماله الدينية والعادية ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً حتى كان من السهل

١ ـ الشيخ أبو بكر عتيق : المصدر السابق ٦ .
٢ ـ الشيخ ابراهيم انياس : المنشور الذي كتبه لأجل حركة الدجالين من تلاميذه .

جداً تمييز أتباعه من غيرهم في المجتمع الإسلامي النيجيري ، ومن جملة ما يقلدونه فيه من الأمور العادية الاقتعاط في التعمم وارسال اللحى والعذار ، ومن الأمور الدينية الجلوس على أطراف القدمين وقبض اليدين تحت الصدر في الصلاة .

ولم توجد مشكلة من بين هذه الأمور الأربعة أثارت الهرج والمرج بين المسلمين في نيجيريا مثل مشكلة القبض هذه ، ولم يقف ذلك في نيجيريا فحسب بل قد شمل بعض أقطار أفريقيا الغربية أيضاً ، لقد أخبرني الشيخ محمد الهادي في منزله بحاضرة تنبيعل في مورتانيا (١) أنهم ما شاهدوا مشكلة أثارت فتنة مزعجة كادت تفرق جماعتهم وتدخل العداوة والبغضاء بين قبائلهم ، مثل مشكلة القبض هذه ، وما سكنت ثائرة هذه الفتنة رغم وجود الرسائل المتكررة التي بعث بها الشيخ حتى سار بنفسه اليهم .

ونحن هنا لا يهمنا عند مناقشة مشكلة القبض في نيجيريا هذه التحرشات التي أحدثها القبض بين عوام التجانيين وبين غيرهم ، الأمر الذي أفضى في بعض الجهات والأوقات إلى تدخل الحكومة فيه ، وإنما يهمنا خوض العلماء غمار هذه المنازعات الجافة من أجله .

ومهما يكن من شيء فان أئمة التجانية وجدوا أن الشيخ إبراهيم كان يقبض يديه في الصلاة فذهبوا يقتدون به في ذلك ، وأخذه عنهم تلاميذهم ونشروه بدورهم في المجتمع التجاني النيجيري أو في أوساط أهل الفيضة ، بعبارة أصح حتى صار القبض شارة مميزة لأهل الفيضة من غيرهم ، ولما رأى ذلك غيرهم من المسلمين أعلنوا النكير عليهم ولم يقتصر إنكار القبض على العوام فحسب ، بل شمل العلماء أيضاً ، وقد بدأ النزاع أول ما بدأ شفوياً بين أهل الفيضة وبين غيرهم ، وعندما تفاقم الأمر وكاد أن يفضي إلى المناوشات أرسل الأولون إلى شيخهم بحضرة كولخ يستفتونه في الأمر ، ويشتكون إليه ما ينالهم من المضايقات من أجل اقتدائهم به في القبض ، فأرسل اليهم كتابه الموسوم برفع الملام عمن رفع وقبض اقتداء بسيد الأنام ، والظاهر أن الشيخ

---

١ – في التاريخ السابق .

إبراهيم قد ألف كتابه أو بعبارة أخرى أرسل كتابه تثبيتاً وتشجيعاً لقلوب أتباعه فقط ، ولم يرد به إقناع المنكرين لأنهم في غنى عن كتابه لو كانوا يريدون أن يقبضوا أو يؤيدوا ذلك .

وعلى أي حال فان ورود الكتاب قد نقل النزاع من الكلام الشفوي إلى الكتابة بل يبدو أن العلماء حتى ذلك الوقت لم يعيروا المسألة اهتماماً كبيراً ، وما حرك ساكنهم وأثار ثائر لهم إلا تحدي الشيخ إبراهيم إياهم بقوله : « من أتاه بحديث صريح في السدل ولو ضعيفاً يسلم اليه خزانة كتبه برمتها على ضخامتها وكثرة ما احتوت عليه من الكتب (١) فخاض العلماء في البحث والتنقيب لا ليحصلوا على خزانة الكتب بل ليفندوا تحدي الشيخ إبراهيم إياهم .

فأثاروها حرباً شعواء ، وقاد مركز الهجوم الشيخ محمد الناصروا بن محمد المختار الكبراوي زعيم الطريقة القادرية بكنو وبجانبه السيد علي الكماشي ، كما تقلد الزعامة في موقف الدفاع الشيخ محمد الثاني بن الحسن الكافنغي الكنوي أحد شيوخ التجانية الكبار في مدينة كنو ويؤيده السيد أحمد محمود المورتاني والسيد محمد المصطفى بن محمد الثاني الكنوي .

فيجدر بنا قبل أن نختم كلامنا في هذا الموضوع أن نلقي نظرة ولو خاطفة حول العلاقة بين الشيخ محمد الناصر القادري وبين شيوخ التجانية كان الأول في بادىء الأمر على علاقة طيبة مع الآخرين بدرجة أنه كان يمدح شيوخهم فقد مدح الشيخ إبراهيم أمامهم عند مقدمه نيجيريا وقد ذكر ذلك الشيخ إبراهيم في منظومة رحلته وقال :

كذاك الناصر الزعـــــيم القادري وهو محبي مخلصاً وناصري (٢)

وقد اعترف بذلك الشيخ الناصر نفسه حيث عد من جملة مؤلفاته القصيدة النونية التي مدح بها الشيخ ابراهيم الكولخي (٣) وكذلك مدح الشيخ محمد الهادي الذي أدخل

---

١ – السيد محمد المصطفى بن محمد الثاني : قول السداد .

٢ – الشيخ ابراهيم انياس : نيل المفاز بذيل الرحلة الحجازية الأولى ٦٨ .

٣ – قد ازيلت جميع القصائد التي مدح بها الشيخ الناصر شيوخ التجانية من ديوانه .

التربية الانياسية التجانية في نيجيريا ، وفوق ذلك إنه قد مدح الشيخ التجاني نفسه (١) هذا كله بالإضافة إلى أن الشيخ الناصر هذا كان أول من قبض يده في الصلاة بمدينة كنو فيما عرف حسب ما رواه الذين عرفوه ، ومنهم صديقه الشيخ أبو بكر عتيق أحد شيوخ التجانية الكبار في كنو ، بل قد صرح الشيخ الناصر نفسه بذلك ، وقد جاء في كتاب (قول السداد) للسيد محمد المصطفى بن محمد الثاني الكنوي أن الشيخ الناصر قال إنه صلى قابضاً ستة أعوام ، ولكنه لم يفعل ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما فعل ذلك اقتداء بشيخه المجتبى ، ثم ترك ذلك لأنه لم يقتد به أحد من أهل البلاد » (١).

فلماذا إذن تحول الشيخ محمد الناصر هذا التحول العجيب ؟

إذا نظرنا إلى مركز شيوخ الطرق في المجتمع النيجيري والظروف المحيطة بالطريقتين التجانية والقادرية ندرك أن الشيخ محمد الناصر كان مدفوعاً إلى تحوله هذا بدافعين قويين .

أولهما أن الطريقة التجانية كانت تنتشر انتشاراً هائلاً وبغاية السرعة بفضل نشاطات أصحابها الدعائية وخصوصاً منذ قدوم الشيخ بنعمر حفيد الشيخ التجاني إلى نيجيريا فانه قد أدخل عدداً كبيراً من النيجيريين في الطريقة التجانية فلقد عثرت — في ما جمعت من المعلومات — على واحدة من الإجازات التي وزعها بنعمر على الذين أخذوا التجانية عنه ، فوجدت عددها ثمانية آلاف وثمانمائة وثلاثة ٨٨٠٣ وهذا طبعاً يدل على ضخامة العدد حيث إن هذه الإجازة ليست الأخيرة ثم جاء الشيخ إبراهيم إنياس فأفاض العلماء من جميع الطبقات والطرق بما فيهم الشيخ الناصر نفسه في تقديره وتبجيله والاشادة بمواهبه ومقاماته في الولاية والعلوم التصوفية الأمر الذي لفت أنظار الناس من جميع الأوساط إلى الطريقة التجانية حتى بدأوا يعتقدون صحة دعوى التجانيين أن الطريقة التجانية هي أفضل الطرق وأن مؤسسها هو أفضل الأولياء

---

١ — حمزة عثمان درما : الاطروحة التي قدمها لنيل الشهادة العالمية ٨

٢ — محمد المصطفى محمد الثاني : المصدر السابق ٣٩ .

قاطبة والشيخ الناصر طبعاً لا يرى ذلك ولا يستسيغه أيضاً ولا سيما أنه قد أدرك أن أتباع الطريقة القادرية بدأوا يتسللون إلى التجانية فارتاع لذلك جداً ولم يتمالك حتى كتب رسالة إلى الحاج الشيخ ميهولا أحد كبار شيوخ الطريقة التجانية في كنو وجاء فيها « من عبيد ربه محمد الناصر بن محمد إلى حضرة العالم العلامة الاستاذ الكبير والحبر الشهير ذاك شيخنا الشيخ الحاج الفلانسي حفظه الله ورعاه السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فليكن في كريم علمك أن وثوقي بصميم محبتك إلى الحق أينما ظهر هو الذي دعاني الآن إلى أن أكتب اليك سؤالاً هاماً في الدين وهو هذا هل يوجد من مولانا الشيخ أمر صريح باخراج صاحب الورد الشاذلي مثلاً من عهده إلى عهد التجانية بحيث يقال ومن شروط التجانية أو من آدابها اخراج أصحاب الأوراد من عهودهم إلى عهود التجانية وعلى تقدير وجود ذلك فهل الله أمركم بذلك في القرآن الكريم أو النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث أفتونا مأجـورين حبيبكم على الدوام محمد الناصر بن محمد عبيد ربه انتهى » (١).

كان هذا لا شك مما دفع الشيخ محمد الناصر إلى التفكير في وسيلة فعالة يصد بها تيار الطريقة التجانية عن الطغيان على طريقته القادرية (٢) .

ثانيهما أن الطريقة هي سبيل الحياة عند هؤلاء الشيوخ جميعاً حيث لا يقومون بحرفة ولا مهنة لكسب معيشتهم وإنما يعتمدون على ما يقدمه لهم تلاميذهم والمنتمون إلى طريقتهم من الصدقات والهدايا والتبرعات وهلم جرا فإن ثروة المقدم أو الشيخ منهم ورفاهيته وسعته في الرزق كلها تعتمد على كثرة تلاميذه والمنتسبين إلى طريقته ومن أجل ذلك كان ما يقومون به من التنازع والتهافت بينهم شبيهاً بما يقوم به دعاة الأحزاب السياسية من المجادلات الفارغة كل يسعى إلى الحط من قدر صاحبه ليكسب ثقة الجمهور فيه ويكثر بذلك المنضمون إلى حزبه وقد فهم ذلك الشيخ الناصر بل هو لا يرى أن الشيخ ابراهيم إنياس كان أعلم من علماء نيجيريا هؤلاء بل إنه يذهب إلى أنهم إنما أهابوا به ورفعوا أمره على أنظار الجمهور لأغراض سياسية يريدون تحقيقها

---

١ – الشيخ أبو بكر عتيق : الصارم المشرقي ١٨ ٢ – حمزة عثمان درما : المصدر السابق ٣٣

وهي جذب أنظار الناس اليهم ليضمنوا لأنفسهم أتباعاً كثيرين وليكسبوا الطريقة التجانية انتشاراً وازدهاراً أيضاً » (١).

وكان هذا أيضاً مما دفع الشيخ الناصر إلى التفكير في تدبير طريقة حكيمة يقاوم بها سيل انتشار التجانية الجارف والتخفيف من تزايد نفوذ أشياخ التجانية في المجتمع النيجيري ، ومن أجل ذلك ألَّف كتابه النفحات الناصرية في الطريقة القادرية ، وضمنه دعايته لطريقته ثم ابتغى فيه عوجاً للطريقة التجانية ، الأمر الذي أحدم نار المجادلة بينه وبين صديقه الشيخ أبي بكر عتيق التجاني كما سيأتي ، ومن ذلك أيضاً مخالفته للتجانيين في كل شيء تقريباً ولذلك ترك القبض وطعن فيهم لأخذهم به .

ومهما يكن من شيء فان الشيخ محمد الناصر فيما يبدو هو الذي بدأ بمهاجمة التجانيين في محاضراته التي يلقيها على تلاميذه في هذه المسألة ، فكانت تصريحاته تصل إلى أسماع شيوخ التجانية ، بل إن بعض التجانيين يحضر هذه المحاضرات مع تلاميذ الشيخ الناصر ، وهو لا يعرفه ، فينقل أقواله إلى شيوخه كما هو شأن السيد محمد المصطفى مؤلف كتاب (قول السداد) (١) لعل هذا هو الذي دفع الشيخ محمد الثاني الكافنغي التجاني إلى أن ينبذ اليه على سواء ويدعوه إلى المبارزة علناً فألف كتابه (فصل المقال) لهذا الغرض وجاء فيه ما يلي : فليس بيننا وبين الحق خصومة فالإنسان إما أن يكون عالماً أو جاهلاً فان كان الأول فليخرج ما في كنانته في ميدان المحاضرة أو في تأليف يجمعه بانصاف وإبداء حق وتحر في النقل عن المنصفين المحققين ، ولا يقعد في محله بين أتباعه فيقول كيث وكيت أو يلقن أحد تلاميذه ما يقول وهو لا يقدر أن يحكي عنه ما قال ولا يصلحه هو فهذا فيه ما فيه بل عليه أن يبرز في صف المناظرة ولا يجبن ولا يخاف لوم الألسنة فان أصاب فيؤجر ، وإن أخطأ فيرجع ، ويثاب فله الغنيمة على كل حال وإن كان الثاني فلا كلام معه في العلم أعني في البحث والمناظرة ، لأنه ليس من بضاعته ، وعليه أن يسأل العلماء المتبعين لسنة محمد صلى الله عليه وسلم فيما أراد أن يفعل » (٢).

---

١ – حمزة عثمان درما : المصدر السابق ٣٦ — ١ – محمد المصطفى محمد الثاني : قول السداد ٤٠ .

٢ – الشيخ محمد الثاني الكافنغي : فصل المقال ٣

فتحرك الشيخ محمد الناصر لهذه المبارزة التي أعلنها الشيخ محمد الثاني له فدخل ميدان المعركة شاهراً سيفه في وجوه التجانيين وألف كتابه الذي أسماه (قمع الفساد في تفضيل السدل على القبض في هذه البلاد) وفتح كلامه فيه بما هذا نصه : « فهذه رساله اليه حاجة الراغبين وشخصت اليه أعين الطالبين من ذكر مستند السدل ومأخذه من السنة النبوية لكونه خفي على كثير ممن ينتسب إلى العلم ولأجل خفاء مأخذه على القاصرين ظن الجاهلون أن السدل ليس له مأخذ من الحديث الشريف حتى أشاعوا فيما بينهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسدل قط ، وإنما حدث السدل بعد عصره عليه الصلاة والسلام ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، كبرت كامة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ، وحق الجاهل السؤال ولو سألوا أهل العلم عن مأخذه ومنزعه من السنة النبوية لكان خيراً لهم » (١).

وأنت هنا ترى أن أول نقطة ناقشها الشيخ محمد الناصر هي تحدي الشيخ إبراهيم إياهم ومن أجل ذلك عرض في كلامه بالشيخ ابراهيم انياس ووصفه بالجهل والقصور في تحديه لمنكري القبض عند ما طلب منهم أن يأتوه بحديث صريح ولو ضعيفاً في السدل أي إن النبي صلى الله عليه وسلم سدل يده في الصلاة في نفس الوقت الذي كان يرد على الشيخ محمد الثاني تحدياته إياه .

وهذا من شأنه طبعاً أن يغيظ شيوخ التجانية ويثير حفيظتهم ويحرك ما كان كامناً في نفوسهم من حب الانتقام لأن ذلك هجوم مباشر على شيخهم وإساءة الأدب معه والحط من قدره فرد عليه الشيخ محمد الثاني بكتاب عنوانه (سبيل الرشاد في الرد على مؤلف قمع الفساد) وجاء فيه ما هذا نصه : « لا يخفى على كل عاقل أن هذا المتعصب بلغ الغاية في إساءة الأدب على أهل العلم حيث جهلهم وكذبهم وأمرهم بسؤال العلماء مع أنهم هم العلماء كما أنه بلغ الغاية في الجهل حيث قال إن السدل ثبت عنه صلى الله عليه وسلم قولا وفعلاً كثبوت القبض (٢).

---

١ ـ الشيخ محمد الناصر الكبراوي : قمع الفساد ١

٢ ـ الشيخ محمد الثاني الكافنغي : سبيل الرشاد ٢

فشارك في هذه المساجلة ثلاثة أشخاص هم السيد أحمد محمود بن محمد الكبير المورتاني التجاني والسيد محمد المصطفى بن محمد الثاني الكنوي التجاني اللذان يؤيدان الشيخ محمد الثاني الكافنغي الكنوي التجاني ضد القادريين أو بعبارة أخرى ضد مؤيدي السدل والسيد علي الكماشي الكنوي القادري الذي يؤيد الشيخ محمد الناصر الكبراوي والكنوي القادري ضد أهل الفيضة التجانية المؤيدين للقبض .

وأما السيد أحمد محمود المورتاني فقد كتب رسالة وجيزة بعنوان (تنوير البلاد في قطع خزعبلات قمع الفساد) يرد بها على الشيخ محمد الناصر الكبراوي القادري وقد اعتنى في فاتحة كتابة بأن يشهره على أنه جاهل حتى بالمسائل الأولية التي لا تخفى غالباً حتى على طلبة العلم فضلاً عمن يدعي الوقوف في صفوف أهل العلم فقال « فقد ورد علينا في هذه الأيام كتاب لبعض المتعصبين كما ذكر سماه قمع الفساد في تفضيل السدل على القبض في هذه البلاد والمتبادر للذهن من هذا اللفظ أن السدل تفضيله أورث فساداً في تلك الأرض وهو يريد قمعه وهذا خلاف قصده وله العذر لأن ألفاظ العربية مذلة لم يكن له من الفهم والعلم ما ينجيه والعجب أن المتعصب هذا سمعت أنه يتكلم بتفسير القرآن ومن نظر كتابه هذا يراه كأنه لا يميز بين الضمائر مع كثير من اللحن الجلي ، وعدم الوزن في الشعر ، وإدخال الكلام الذي لا مدخل له في الكلام وعدم تمييز وجه الدلالة في الاستدلال إلى غير ذلك مما لا يخفى على من نظر في كتابه هذا »(١).

وأما السيد محمد المصطفى الكنوي فقد ألف في الرد على الشيخ محمد الناصر كتاباً بعنوان (قول السداد في الرد على شبهات صاحب قمع الفساد) وقد اهتم – من جملة ما اهتم به في موضوعات كتابه – باظهار أهداف الشيخ محمد الناصر الخفية في تأليف كتابه التي هي محاولة إبطال تحدي الشيخ إبراهيم للذين يؤيدون قبض اليدين في الصلاة وتتبع تصريحاته التي يطلقها ضد الطائفة التجانية في محاضراته كما مر ، ومما جاء بالنسبة للأمر الأول قوله : « وأراد أن يكذب ما بلغه من قول شيخنا حين قال أيام إقامته بنا الجم الغفير أن من أتاه بحديث صريح في السدل ولو ضعيفاً يهب له ما عنده من الكتب

---

١ – أحمد محمود المورتاني : تنوير البلاد –١–بذيل سبيل الرشاد

ويزيد عليها كتب تلميذه الحاج عبد الرحمن الملقب بأبارنغم فغاظه هذا القول حين بلغه فأراد أن يكذب هذا القول ويناقضه على زعمه الفاسد يدعي أنه ينصر السدل ويسكن قلوب أتباعه ويثبتهم عليه وينفر الناس عن القبض ويمنعهم عنه كلا بل لاقدرة له على ذلك ولا طاقة والحمد لله » (١) وقال بالنسبة للأمر الثاني : « والحق هنا بعض تهافت كلماته وتساقط نفثات لسانه مما دسه في قراءة كتابه المذكور في محفل أتباعه وغيرهم ومنها قوله إن القطب إذا أشار إلى الجبل يتحرك بمجرد إشارته اليه وإن القطب شأنه كذا أو كذا وذكر أشياء من الكرامات الحسية – التي ينسبها الكمل إلى الحيض ويقولون إنها حيض الرجال فهي نقص عند الكاملين من الرجال وقلما تصدر منهم إلا بغتة – ثم أردف كلامه بقوله ومن ادعى هذا المقام يعني مقام القطبانية فليظهر لنا شيئاً عجيباً من الكرامة إذن نصدقه بذلك ونسلم القياد له ، وأما قول الرجل أنا كذا وكذا من دعوى المقامات بين أتباعه وتلامذته الذين سلموا اليه القياد المحبين له المصدقين لكلامه فليس بشيء ولا يغتر به مهما لم تظهر عليه الكرامة ولو قلت أنا بين تلامذتي وأتباعي أنا كذا وكذا لصدقوني على ذلك لمحبتهم إياي ثم طفق يرد عليه فقال : « أنظر يا أخي كلام هذا المتعصب الغبي كيف صدر منه هذا الكلام الساقط الذي لا يصدر إلا من العامة الجهال الذين لم يميزوا صحيح القول من عليله ولم يذوقوا شيئاً من علوم الرجال ، ولم يعلموا إلا ما ظهر لهم من خوارق العادات ، وهو مع ذلك ينسب نفسه إلى العلماء ويدعي بلسان حاله أنه لا أعلم منه في هذه البلاد ويعجب بنفسه في ذلك وهما وغلطاً وظناً فاسداً منه » (٢).

يبدو أن هذا النيل من كرامة الشيخ محمد الناصر الكبراوي شيخ الطريقة القادرية وزعيم طائفتها في كنو والحط من قيمته العلمية وتقصير مدى إدراكه وتضييق دائرة فهمه من هذين السيدين التجانيين وخصوصاً السيد أحمد محمود المورتاني قد أغضب السيد علي الكماشي القادري ومن أجل ذلك برز في الميدان مكتظاً بالغيظ سالاً سيف رده على الشيخ محمد الثاني الكافنغي والسيد أحمد محمود المورتاني وعلى الشيخ أحمد ابن محمد الصديق الغماري المغربي أيضاً لا لأنه ساهم في الرد على الشيخ محمد الناصر

---

١ – محمد المصطفى محمد الثاني : قول السداد ٢ ٢ – محمد المصطفى محمد الثاني : نفس المصدر ٤٠ .

بل لأن الشيخ محمد الثاني ينقل أدلته وحججه من كتابة الموسوم بالمثنوي فقط وألف السيد علي كتابين لهذا الغرض الأول بعنوان (فتح الحكم العدل في تأييد سنة السدل) قصد به الرد على كتاب (فصل المقال) للشيخ محمد الثاني الكافنغي وكتاب (المثنوي) للسيد أحمد بن محمد الصديق المغربي الذي ينقل منه الشيخ محمد الثاني بكثرة والثاني بعنوان (دليل السادل في سنة أشرف الأواخر والأوائل) وكرس رده في هذا الكتاب على كتاب سبيل الرشاد للشيخ محمد الثاني وعلى كتاب « تنوير البلاد للسيد أحمد محمود المورتاني .

يدور نقاشه في الكتاب الأول حول ثبوت الأحاديث التي تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم أسدل يديه في الصلاة فحذر – لأجل ذلك – الخائضين في هذه المسألة من الذهاب إلى أن الخلاف بين الآخذين بالقبض وبين المتمسكين بالسدل دائر أخذ بالسدل معتمداً على اجتهاد مجرد من عند نفسه لا بل إن هناك أحاديث تثبت السدل كما أن هناك أحاديث أخرى تثبت القبض » (١) وأخيراً جعل جميع الأحاديث التي وردت في القبض في كفة نقده حتى انتهى إلى نتيجة أنها كلها ضعيفة حتى ما جاء في الصحيحين فقال: « واعلم أنه روى الشيخان فيه حديثين لا يوجد لهما ثالث وكل واحد منهما روى حديثاً غير حديث الآخر وما هذا إلا أن لكل واحد منهما اطلاعاً على علة حديث الآخر لكن البخاري اطلع على علة الحديث الذي خرج وحيث لم يرو غيره علم أنه لم يجد حديثاً أقوى عنده منه وكذلك مسلم لم يرو منه إلا حديثاً واحداً مع تبحرهما وشدة اطلاعهما على الأحاديث وهذا أدل دليل على أن القبض لم يوجد فيه حديث صحيح سالم من الطعن ويدل (ذلك) أيضاً على تقديم الارسال الذي كثرت فيه الأحاديث التي وصفت صلاته صلى الله عليه وسلم » (٢).

فقرظ الشيخ محمد الناصر الكبراوي الكتاب بقوله : « لقد قضى السيد علي الكماشي الدين الذي كان على ذمة كل عالم نيجيري من كل قبيلة وقبيل فجزاه الله عنا خير الجزاء» (٣).

---

١ – السيد علي الكماشي : فتح الحكم العدل ١٧ ٢ – السيد علي الكماشي : نفس المصدر ٦٢

٣ – الشيخ الناصر الكبراوي :

وأما الكتاب الثاني فيبدو أن السيد علي الكماشي قد ألفه لينتقم من الشيخ محمد الثاني الكافنغي والسيد أحمد محمود المورتاني ولذلك يمتاز هذا الكتاب عن الأول بشدة اللهجة ولذاعة المنطق وخشونة التعبير فمثلا أنه قال في معرض رده على الشيخ محمد الثاني : « الجواب هذا كلام من يظهر للناس جهله ويبين غباوته وسفاهته وقلة متاعه في العلم وضيق دائرة معارفه واتساع مسافة بلادته هذا قول من خسرت تجارته في تحرير العلوم قول من يتبع هواه قول من استحق أن يقال له :

يا عاقلاً أردى الهوى عقله ... مالك قد سدت عليك الأمور
أتجعل العقل أسير الهوى ... وإنما العقل عليه أمير

هذا كلام من ينذر بقول الشاعر :

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت ... ولم ينهها تاقت إلى كل باطل
وساقت اليه الإثم والعار الذي ... دعته إليه من حلاوة عاجل

فأين التقوى وخوف الله وشهود عظمته لمن يكتمون ما علموا من الحق ويشترون به ثمناً قليلاً فأين الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك لمن يتجاهل سنية الإرسال طلباً للمتاع الدنيوي إن الذين جهلوا أو تجاهلوا سنية الإرسال تبكي عليهم البواكي وخسرت صفقتهم في بحث العلوم وهم من الخاسرين ، إن الذين قصرت مداركهم وبلدت قلوبهم وجمدت فطانتهم عن درك سنية الإرسال فهم في حيرة وغفلة يعمهون . هل بلغ منك الجهل والسفاهة والوقاحة وطمس البصيرة أن يروى آثار عن بعض الصحابة والتابعين ومن تبعهم ثم تقول وأنت متكىء على أريكتك : « إن هذا بدعة وليس بسنّة وهل أنت أعلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بسنّته ؟ أو هل أنت سني والصحابي بدعي ؟ وإلى أين يبلغ بك الجهل والسفاهة وخمود الذكاء يروى عمل عن عبدالله بن الزبير وهو صحابي وعن سعيد بن المسيب وهو أفضل التابعين ثم تقول هذا العمل بدعة ؟ هل عرفت ما هي البدعة ؟ أم أنت تجازف القول جزافاً ؟ نعم لكن لست أهلاً للمناظرة وإنما أنت الطاعم الكاسي»(١).

---

١ – السيد علي الكماشي : دليل السادل ١٨ .

ولما التفت إلى السيد أحمد محمود المورتاني قال : « مجرد أنكم لستم بصددها لا يكفي في الرد والاحتجاج والنص الذي تطلب موجود ظاهر ، وإنما أخفاه عنك وجوده جهلك بتعريف الحديث النبوي وعدم معرفتك وجه اختلاف الأئمة المجتهدين، فدواء جهلك أن تراجع ما كتبه الأعلام من تعريف الحديث لينجلي عنك غبار جهلك ، وأن تعرف قوانين الأئمة إذا وردت النصوص الشرعية بأنه لا اجتهاد عند ذلك فيتسع نطاق علمك ، وتخرج من سجن جهلك وينشرح صدرك ويشرق أنوار المعارف في قلبك وهكذا » (٢).

على هذه الشاكلة استمر الجدل بين الشيخ محمد الناصر الكبراوي الكنوي القادري، وبين الشيخ محمد الثاني الكافنغي الكنوي التجاني ، ثم اشترك فيه السيد علي الكماشي القادري يؤيد الشيخ محمد الناصر ، كما اشترك فيه أيضاً السيد أحمد محمود المورتاني التجاني والسيد محمد المصطفى الكنوي التجاني يناصران الشيخ محمد الثاني .

ولكن النزاع في الواقع لم يكن دائراً بين هؤلاء الكنويين بعضهم مع بعض ، أو بعبارة أخرى بين النيجيريين الذين عاشوا في وئام هم وآباؤهم وأجدادهم ، يصلون مسدلين أيديهم مع تباين الطرق الصوفية التي ينتمون اليها ، من دون أن يفهموا أن في السدل شيئاً يخالف سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، مع إحاطة علمهم الفقهي بمقام قبض اليدين في الصلاة ورفعهما في المواضع الأربعة ، والجهر بالتأمين وما إلى ذلك وإنما هو دائر بين الشيخ ابراهيم انياس وبين خصومه ومنتقديه أينما كانوا في نيجيريا أو في غيرها من أقطار أفريقيا الغربية .

أسباب ظهور أمر الشيخ ابراهيم في نيجيريا

ولعل كون الشيخ إبراهيم انياس جاء إلى نيجيريا من قبل أمير كنو الحاج عبدالله بايرو ، وقبول تلاميذ المعلم محمد سلغا لدعوته من أسباب نجاحه وانتشار أمره وإقبال الناس عليه في نيجيريا ، ذلك لأن الكنويين على اختلاف طبقاتهم وتباين بيئاتهم

---

٢ ـ السيد علي الكماشي : نفس المصدر ٣٧

يحترمون بيت الإمارة الكنوية إحتراماً يبلغ أحياناً حد التقديس ، فكان جراء ذلك خير ما يطلبه كل كنوي – يأنس في نفسه الأهلية – التقرب إلى هذا البيت وخصوصاً العلماء الذين يشعرون بأن ذلك يكسبهم إقبال الناس عليهم ، وعلى هذا الأساس فيما يبدو أقبلوا على الشيخ ابراهيم وسلموا له ، حتى أفادهم بتربيته ولا سيما أنهم استفادوا خبرة من هذه الناحية مما حصل لشيخهم المعلم سلغا من قبل ، حيث اكتسب شهرة عظيمة وفاز باعتناء الأمير به وإكرامه ، حتى أقبل الناس من جميع الطبقات والأوساط عليه ، من أجل تتلمذه للشريف أجدود الذي كان في الواقع ضيفاً لأمير كنو عباس ، وتتلمذه أيضاً للشيخ محمد العلمي من بعد ، فان هذه الظاهرة لم تفت الشيخ محمد الثاني الكافنغي حتى لاحظها وقال : « فمن أراد معرفة الله تعالى والعمل الصالح فليفر اليه أي الشيخ إبراهيم في كولخ ويسلم له القياد تنفتح عنه أبواب الخيرات ، وتنغلق عنه مسالك المضرات ... وتنقاد له الناس من جميع جهاته فيقودهم إلى طاعة ربه .... فان لم يستطع الفرار إليه فليفر إلى من شاء من خلفائه ، وهم موجودون في كل بلد من بلاد المسلمين خصوصاً نيجيريا .

بهذا يتبين لك أنه لو جاء الشيخ إبراهيم من قبل أحد غير أمير كنو لربما لا ينجح في دعوته بمثل هذا النجاح الهائل الذي أحرزه لأن هؤلاء الشيوخ لا يلتفتون إليه مهما بلغ في عرفانه لأنهم كانوا يتمتعون بكل ما يتمتع به من صحة السند وتعدد طرقه والأخذ عن المشايخ العرب أصحاب السند الصحيح والعلم الغزير ، وأما تربيته فلا يعرفونها فيهتموا بها ، ثم إنهم كانوا في الحقيقة أقرانه في الطريقة وسلسلته كانت على درجة سلسلتهم ، فمثلا أنه أخذ الطريقة التجانية عن والده الشيخ عبدالله إنياس وهو عن شرنومود جالو ، وهو عن الشيخ عمر الفوتي ، وهو عن السيد محمد الغالي ، وهو عن الشريف محمد ، وهو عن الشيخ أحمد العبدلاوي ، وهو عن السيد علي التماسيني ، وهو عن الشيخ التجاني . وقد لاحظ ذلك الشيخ أبو بكر عتيق حيث صرح بما يفيد أن الشيخ ابراهيم جاء إليهم وهو خلفاء الشيخ التجاني بسند صحيح متصل ولم يفدهم شيئاً من هذه الناحية إلا بالتربية فقط التي فسرها بالفيضة وهو قوله : « ومع ذلك فنحن قد خصنا الله تعالى – مع مالنا من الإذن الصحيح والنيابة

عن الشيخ أي التجاني بالسند المتصل الذي لا شك فيه – بظهور هذه الفيضة الأحمدية في وقتنا » .

لعلك هنا تدرك معي أن هؤلاء السلغاويين لو رفضوا دعوة الشيخ إبراهيم ربما لا يجد من يقبلها في نيجيريا إلا نادراً ، ذلك لأن أكثر التجانيين في نيجيريا قبل ظهور الشيخ ابراهيم وقبل مجييء بن عمر حفيد الشيخ التجاني كانوا من الكنويين ، وكلهم يوالون تلاميذ المعلم محمد سلغا هؤلاء ، وكذلك كان كبار المقدمين غير الكنويين في مدن نيجيريا الأخرى أكثرهم إما تلاميذ المعلم سلغا مباشرة مثل الحاج آدم الدمغراوي الساكن في أَزي بولاية بوشي ومن على شاكلته ، وإما تلاميذه مثل الحاج أحمد الساكن بيرو عاصمة ولاية بورنو والحاج بلاربي جيعا ومن على شاكلته من السكتاويين كانوا تلاميذ الشيخ أبي بكر عتيق وهو تلميذ للمعلم محمد سلغا وكان بين هؤلاء السلغاويين الكنويين وبين كبار علماء زاريا علاقة علمية لتبادل الأخذ بين الجانبين ، وكان الشيخ مود بو جيلاني الساكن في يولا عاصمة ولاية (جنجولا) قد تتلمذ للزكزكيين والكنويين وأخذ التجانية عن المعلم محمد الثاني نقو فردوكا بمدينة زاريا ثم قدمه المعلم محمد الثاني نَمَنْدَوَرِي بمدينة كنو وكان سكان جوس وما جاورها من البلدان والقرى في ولايتي بِنُوَى وبلاتو يدينون بالولاء للشيخين هما الشيخ الحاج آدم الدمغراوي والشريف أحمد نبقن روا الكنوي وكلاهما تتلمذ للمعلم محمد سلغا مباشرة ، وكان لبعض هؤلاء السلغاويين تلاميذ منتشرون في غرب نيجيريا وشرقها ينوبون عنهم ويدعون لهم ، وهكذا وجد جميع المقدمين الصغار أنفسهم في حاجة ملحة للإنتماء إلى واحد من هؤلاء المقدمين الكبار ، ليقبل الناس عليهم باسمهم ، هذا وقد بذل هؤلاء السلغاويون مجهوداً كبيراً في الدعوة للشيخ إبراهيم في مؤلفاتهم وأشعارهم وفي أقوالهم وأفعالهم ، وقد مر شيء من أمثلة ذلك في كلام الشيخ محمد الثاني الكافنغي ، ولذلك لا نكون مبالغين إذا ذهبنا إلى أن جميع المقدمين غير الكنويين الذين اعتنقوا دعوة الشيخ إبراهيم إنما تم ذلك بفضل نشاطات هؤلاء السلغاويين الكنويين الدعائية .

الباب الرابع

الشيخ ابراهيم انياس

من شيخ الطريقة التجانية الى شيخ الاسلام

لقد رأينا في بعض الفصول السابقة من هذا الكتاب أن الشيخ إبراهيم إنياس قد آتاه الله رشده منذ أن كان يافعاً ولم يجاوز حد الشباب حتى صار شيخاً لشيوخ الطريقة التجانية ، إذ أنه قد أعلن فيضته في سنة ١٣٤٨ هـ – ١٩٣٠ م وهو في الثامنة والعشرين من عمره حينئذ ، وما كاد يتجاوز الثلاثين حتى أنتج مؤلفات كثيرة منها : (كاشف الالباس عن فيضة الختم أبي العباس) مع ذيله و (مسرة المجامع في مسائل الجامع) (والحمر الحلال في مدح سيد الرجال) (وتيسير الوصول إلى حضرة الرسول) (وطيب الأنفاس من مدائح الختم أبي العباس) (وروض المحبين في مدح سيد العارفين).(والنور الزباني في مدح السيد أحمد التجاني) (وروح الأدب لما حواه من حكم وأدب) (ونور للبصر في مدح سيد البشر) (والسر الأكبر والنور الأبهر) وتحفة الأطفال في حقائق الأفعال) في الصرف ، (والفيض الأحمدي في المولد المحمدي) (وتبصرة الأنام في جواز رؤية الباري في اليقظة والمنام) (وروح الحب في مدح القطب)(١) ثم حج في سنة ١٣٥٥ هـ – ١٩٣٦ م وعمره إذ ذاك خمس وثلاثون وقد رأينا أنه أيضاً قبل أن يحج كانت خبرته محصورة في القطر السنغالي وما

---

١ – السيد علي سيس : تصدير كاشف الالباس ٤

والاه من البلاد المجاورة ، وكان اتصاله بالرجال كذلك يكاد يكون محدوداً على الواردين إلى محله من المغاربة والشرفاء العلويين الموريتانيين ومن إليهم ، ثم كان حجه هذا نقطة تطور في حياته المستقبلة ، حيث بدأ يكتسب خبرة وتجارب أخرى غير التي حصلها في مقره ومن ثم شرع يبزغ من الصقع السنغالي شيئاً فشيئاً حتى عم سائر البقاع والأقطار .

فهذا الظهور ، وانتشار الصيت ، وكثرة الاسفار والتنقلات ، في الأقطار قد مهدت له سبيلا إلى التعرف إلى رجال ذوي ثقافات إسلامية أخرى غير الصوفية ، ولا محيص له من أن يحسب لهم بحسابهم لما ينسمون به من رزانة العلم ، ووقار المعرفة ، بحيث لا يجد في صدره مخلاً للشك في إخلاصهم لدينهم ، ونصحهم للاسلام والمسلمين ، كما كان يتصل بآخرين كانوا متحمسين على محاربة البدع ، وكان هؤلاء حريصين على الاتصال به لإلقاء الأسئلة عليه ، لمقامه كشيخ من شيوخ الطرق الصوفية، وخصوصاً الطريقة التجانية ، التي كانت هدف الوهابية والسلفية ومن في حكمهم من المتحمسين لحماية الدين الإسلامي وعقيدته .

هذا كله من شأنه أن يغير من فكر الشيخ إبراهيم إنياس ويطوره ويعدله وينقله عما كان عليه حينما كان محدود الخبرة محصور الاتصال بالعالم الخارجي عندما كان خاطره لا يجول إلا في شأن الطريقة ولا يقرع سمعه إلا ما يلقيه رجال الطريقة من تعاليمها ،وهكذا أنظر إلى قوله في سنة ١٣٥٠ هـ ١٩٣١ م كما سبق : « واعلموا أن الله قد ساق الوجود في هذا الزمان مساق الهلاك ولا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ الختم التجاني » (١). ثم أنظر أيضاً إلى عقيدته التي أعلنها عندما زار ضريح الشيخ التجاني . بحضرة فاس سنة ١٣٥٥ هـ حيث قال « ثم دنونا إلى الضريح الشريف الأقدس والمقام المنيف الأنفس لوداع سر السر وعين العين – أي الشيخ التجاني – وذكرت عنده الحوائج الصغيرة والكبيرة ... » (٢) ثم أنظر أيضاً إلى قوله كما مر كذلك : « واعلموا أني على بصيرة من أمري لأن عندي إمامين إمامي في الظاهر

---

١ – جواهر الرسائل ١/٨   ٢ – الرحلة الحجازية الأولى ٩،

الكتاب والسنة ولا أعرف من هو أعلم مني بهما وإمامي في الباطن (وهو) الشيخ التجاني ولا يفارقني لحظة » (١) . ثم أنظر كذلك إلى قوله في سنة ١٣٥٥ م أيضاً « وكثيراً ما كنت ألقى بعض من يسيء الظن بأولياء الله تعالى ويسبهم للجهل بالكتاب والسنّة ، وارتكاب البدع ، وجلهم بل كلهم لا يتكلم عن علم بل عن جهل فادح ، ويسألونني إذا علموا أني من أهل الطريقة الأحمدية التجانية رفع الله في الخافقين منارها ونشر في سائر البلدان أنوارها عن الطريقة التجانية ماهي ؟ فأقول : الطريقة (هي) الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله تقرأ صباحاً ومساء ، ولها إمام وهو سيدنا ومولانا أبو العباس أحمد بن محمد التجاني الشريف الحسني ، يرفع نسبه كاملاً عن كامل إلى مولانا محمد النفس الزكية ، ونشأ في طاعة الله في عفاف وديانة ، وتعلم وحفظ الكتاب وهو ابن سبع سنين ، واشتغل يتعلم سائر فنون العلوم حتى برع في العلم واجتمع أهل المشرق والمغرب على جلالته في العلم ، وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، واشتغل بعبادة الله تبارك وتعالى ، ورفض الخلق جملة طلباً للتقرب من المولى جل وعلا ، حتى فتح عليه فتح العارفين بالله تعالى ، وصار من أكابر أولياء الأمة المحمدية ، ولم يزل كذلك حتى أخبر وهو عدل رضي أن النبي صلى الله عليه وسلم لقنه طريقته المذكورة ، وأذن له في تلقينها لكل من طلبها من كافة الخلق ذكراً أو أنثى ، حراً أو عبداً طائعاً أو عاصياً الخ (٢).

ثم قارن هذا الذي سبق كله بما جرى في مقابلته مع الصحفي الحجازي السيد عبد الكريم نياري مراسل جريدة البلاد بمكة المكرمة فيما يأتي :

قال الصحفي :

« فضيلة الشيخ ما هو مذهبكم الذي تنتمون إليه ؟ ومن أين تستقون معارف الإسلام ؟ لأن معرفة مصادرك تعطينا فكرة صادقة عن قيمة جهادكم الإصلاحي والتربوي » .

---

١ – مقابلة مع السيد الحاج عبدالله بن الشيخ محمد المشرى أحد كبار أصحاب الشيخ ابراهيم في بيته بحاضرة معط مولانا بموريتانيا في التاريخ السابق .

٢ – الشيخ ابراهيم انياس : الرحلة الحجازية الأولى ٤٨ .

الكتاب والسنة ولا أعرف من هو أعلم مني بهما وإمامي في الباطن (وهو) الشيخ التجاني ولا يفارقني لحظة » (١) . ثم أنظر كذلك إلى قوله في سنة ١٣٥٥ م أيضاً « وكثيراً ما كنت ألقى بعض من يسيء الظن بأولياء الله تعالى ويسبهم للجهل بالكتاب والسنّة ، وارتكاب البدع ، وجلهم بل كلهم لا يتكلم عن علم بل عن جهل فادح ، ويسألونني إذا علموا أني من أهل الطريقة الأحمدية التجانية رفع الله في الخافقين منارها ونشر في سائر البلدان أنوارها عن الطريقة التجانية ماهي ؟ فأقول : الطريقة (هي) الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله تقرأ صباحاً ومساء ، ولها إمام وهو سيدنا ومولانا أبو العباس أحمد بن محمد التجاني الشريف الحسني ، يرفع نسبه كاملاً عن كامل إلى مولانا محمد النفس الزكية ، ونشأ في طاعة الله في عفاف وديانة ، وتعلم وحفظ الكتاب وهو ابن سبع سنين ، واشتغل يتعلم سائر فنون العلوم حتى برع في العلم واجتمع أهل المشرق والمغرب على جلالته في العلم ، وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، واشتغل بعبادة الله تبارك وتعالى ، ورفض الخلق جملة طلباً للتقرب من المولى جل وعلا ، حتى فتح عليه فتح العارفين بالله تعالى ، وصار من أكابر أولياء الأمة المحمدية ، ولم يزل كذلك حتى أخبر وهو عدل رضي أن النبي صلى الله عليه وسلم لقنه طريقته المذكورة ، وأذن له في تلقينها لكل من طلبها من كافة الخلق ذكراً أو أنثى ، حراً أو عبداً طائعاً أو عاصياً الخ (٢).

ثم قارن هذا الذي سبق كله بما جرى في مقابلته مع الصحفي الحجازي السيد عبد الكريم نياري مراسل جريدة البلاد بمكة المكرمة فيما يأتي :

قال الصحفي :

« فضيلة الشيخ ما هو مذهبكم الذي تنتمون إليه ؟ ومن أين تستقون معارف الإسلام ؟ لأن معرفة مصادرك تعطينا فكرة صادقة عن قيمة جهادكم الإصلاحي والتربوي » .

---

١ - مقابلة مع السيد الحاج عبدالله بن الشيخ محمد المشرى أحد كبار أصحاب الشيخ ابراهيم في بيته بحاضرة معط مولانا بمورتانيا في التاريخ السابق .

٢ - الشيخ ابراهيم انياس : الرحلة الحجازية الأولى ٤٨ .

ما كتبه السيد ابراهيم الرياحي أحد أصحاب الشيخ التجاني في التعريف بالطريقة التجانية، مع أن تعريف الرياحي نفسه كان هو الآخر مبنياً على التقية لأنه لم يذكر فيه من أوصاف الطريقة التجانية إلا ما يتفق ومزاج أصحاب النيات الحسنة من المسلمين ، ولم يذكر من خصائص الطريقة وخصائص مؤسسها وأتباعه ما من شأنه أن يثير حماسة المنتقد ويدفعه إلى الحجاج واللجاج (١).

بهذه الخطة الحكيمة استطاع الشيخ ابراهيم أن يكسب ثقة العالم العربي ، بل العالم الإسلامي كله ، فيه واحترامه له حتى دامت المودة وحسن التفاهم بينه وبينه إلى أن انتقل إلى رحمة ربه ، ويؤيد هذا الذي قررنا ما جاء في المجلة المصرية (٢) : « شيخ الإسلام ابراهيم انياس زعيم المسلمين في جمهورية السنغال ومنطقة غرب إفريقيا وهو الزعيم الروحي لأكثر من ٣٠ مليون مسلم يعيشون في بلاد السنغال ونيجيريا وغانا ومالي والنيجر وموريتانيا وجامبيا وسيراليون وفولتا العليا وساحل العاج إلى جانب كونه عضواً بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف والمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية . وعضواً بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي بمكة ، وقد انتخب رئيساً للمؤتمر الإسلامي الذي عقد في كراتشي في عام ١٩٦٤ م — ١٣٨٤ هـ .

وقد اشتهر في السنغال وفي بلاد غرب أفريقيا بأنه صديق العرب ، ونصير لقضية الشعب الفلسطيني ، وفي حياته قام بزيارة مصر أكثر من ١٠ مرات وفي عام ١٩٦١م ١٣٨١ هـ قام بإمامة المسلمين في صلاة الجمعة بالجامع الأزهر .

أعتقد أنه لو واجه الشيخ إبراهيم إنياس هؤلاء القوم بدعوى أنه داعية إلى الطريقة التجانية القائم بنشرها في القارة الإفريقية والعالم الإسلامي لكانت العلاقة بينه وبينهم على عكس ما كانت عليه .

لعل اتجاه الشيخ إبراهيم الأخير هذا ، هو الذي اطمئن به أكثر تلاميذه الموريتانيين، وبذلك عبرت جريدة الشعب الموريتانية التي تنطق بلسانهم عندما قدمت تعزيتها إلى العالم الإسلامي بمناسبة وفاته وفقدانه في عددها الخامس والعشرين الصادر يوم الثلاثاء

---

١ — الشيخ ابراهيم انياس : رسالة نافعة اثبتها الغوث الصمداني .

٢ — وجدت هذه المجلة عند السيد محمد الهيبة السابق ذكره في المقابلة المتقدمة .

١٩ رجب سنة ١٣٩٥ هـ الموافق ٢٩ يوليو ١٩٧٥ م :

« الأمة الإسلامية تفقد مرشداً عظيماً. الحاج ابراهيم إنياس الذي انتقل إلى رضوان الله يوم الأحد الماضي في لندن « بريطانيا » عن عمر يناهز للخامسة والسبعين، ونحن نعزي كافة المسلمين في هذا الفقيد الكبير .

ولد سنة ١٩٠٠ في قرية طيب نياسين بمحافظة (سين سالم السنغالية من أسرة عريقة في العلم والدين ، وتعلم في مدرسة والده التقليدية التي كانت مصدر إشعاع لكل العلوم في أفريقيا الغربية ، استكمل دراسته وبدأ في تأليف الكتب وقرض الشعر وهو في العقود الأولى من عمره ، ثم تنصب للتدريس وهو لا يزال في مستهل شبابه ، وكان مؤهلاً لأن يكون مدرساً للقرآن والسنّة والحديث والفقه وجميع مناحي التصوف

بدأ منذ وقت مبكر يمارس نشاطه كمرشد مناهض للاستعمار ولكل أنواع الظلم، وهو نائب لرئيس الرابطة الإسلامية منذ نشأتها والعضو الثاني في المجلس التأسيسي لها وشارك في مؤتمري كراتشي وبغداد للدول الإسلامية ، وهو عضو في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ، وله مؤلفات كثيرة تتناول شتى العلوم ، وشاعر لا يقول الشعر إلا في مدح الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، والقضايا الإسلامية . ذات الأهمية وله ثمانية دواوين ، عرف بمناوأته للكيان الصهيوني ، ودعوته الدائمة إلى الوحدة الإسلامية ، من أجل استرجاع ثاني الحرمين الشريفين والأراضي المغتصبة كلها ».

أنظر كيف أغفلت الصحيفة ذكر الطريقة التجانية إغفالاً تاماً وأضافت إليه علم التصوف بوجه عام ، ولا شك أنه لمما يدعو إلى العجب أن يذكر الشيخ إبراهيم إنياس - بمورتانيا - ونشاطاته الإرشادية ومآثره الشخصية فيغفل ذكر الطريقة التجانية ، ونشرها في الأقطار ، مع جميع مبادئها وتعاليمها فحصرت الصحيفة نشاطه في الإرشاد ومناهضة الاستعمار والظلم ، الصفة التي يتمتع بها كل مصلح اجتماعي ، والتي يعزو وجودها في كثير من رجال الدين المتخصصين ، وخصوصاً شيوخ الطرق الصوفية الذين كانت أظهر صفاتهم عدم الاكتراث بكل من لم ينتظم في سلك أتباعهم، سيما إذا كان ممن ينقد سلوكهم وينكر شيئاً من دعاويهم كما حصرت أيضاً مآثره في كونه نائباً لرئيس رابطة العالم الإسلامي ، ومشاركته في مؤتمري كراتشي وبغداد

وكونه عضواً في مجمع البحوث الإسلامية كما حصرت أشعاره في مدح الرسول صلوات الله وسلامه عليه . والقضايا الإسلامية ذات الأهمية وسكتت عن ذكر الدواوين التي مدح بها الشيخ التجاني ، والتي ذكرناها في افتتاحية هذا الباب ، كل ذلك بدلا من أن تقرع أسماعنا بأوصافه الصوفية الفخمة كأن تقول مثلا : « هو القطب الرباني والغوث الصمداني والفرد الجامع الحقاني الناشر للطريقة التجانية ورافع أعلامها في طول غرب أفريقيا وعرضها ، وصاحب الفيضة التجانية القائم بأعباء تربيتها في القرن العشرين وهلم جرا .

وذكرت له الصحيفة أيضاً صفة تدل على كمال وعيه ، وشمول خبرته ، مما جعله خليقاً بأن يكون داعية إسلامياً بمعنى الكلمة وهو مشاركته الوجدانية مع جميع المسلمين في قضية فلسطين ، ودعوة المسلمين إلى الوحدة ، لاسترجاع الحرم المقدس والأرض العربية المحتلة .

وما سبب ذلك كله إلا لأن الشيخ إبراهيم نفسه قد غير منهاج دعوته ويؤيد ذلك ما صارحني به السيد ابراهيم جوب في مقابلتي معه في بيت الشيخ أحمد التجاني إنياس ابن الشيخ بحضرة مدينة كولخ (١) حيث قال : « إن الشيخ إبراهيم إنياس في مرحلة حياته الأخيرة كثيراً ما يقول له كما يقول لأكثر المقربين اليه إنه ينسى أنه تجاني إلا إذا جلس في دائرة الوظيفة .

ومن أجل ذلك تعتبر قصيدة التوبة التي قالها في سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٧ م والتي أحدثت شيئاً من الضجة في الأيام الأخيرة من حياته هنا في نيجيريا وبعض أقطار غرب إفريقيا لم يكن قد قالها صدفة بلا تأمل بل إنها نتيجة فكر عميق وتدبر نصوص متكافئة بعد طول أخذ ورد ومد وجزر ويؤيد رأينا هذا قول الشيخ إبراهيم نفسه « عبد من عباد الله وفقه الله للحج والعمرة إيماناً واحتساباً وفي طريق العودة إلى بلاده رقت مشاعره وطالت تأملاته وطابت مناجاته فقال أرجوزة ضمنها بعض ما في نفسه بحب ورجاء وخضوع وإنابة » . والقصيدة هي هذه :

---

١ — وقعت المقابلة في التاريخ السابق .

باسم الإلـه تبت إني تبت … تبت لما فعلت و ما قلت
تبت أيا رحمان يا رحيم … لم ترني في حالة تليم
تبت أيا غفار يا حنان … تبت أيا ربي ويا منان
تبت حقيقة وكم نكثت … لي توبة واليوم حقاً تبت
تبت لدى البيت وبين الجبلين … والخيف والمشعر بين العلمين
تبت لدى الوقوف يا عليم … ويا عفو رب يا كريم
أنا ضعيف حارب الجبارا … انبت يومي اقتفي الابرار
تبت وكم ضيعت حق الله … وحق خلقه بلا تناه
تغفر لي ولتتحمل عني … فاغفر خطيئتي أزلها مني
تبت من الأقوال والأفعال … والحركات بل من الأموال
جئت إلى البيت وما استقمت … وجئته وجئته وجئت
وجئته وجئت سادساً وقد … أخلصت توبتي وأنحو للرشاد
تبت لدى النبي بالنبي … ترفعني لخالق سني
تبت ولا أعود لا أعود … ولا يكون غير ما تريد
طال اشتياقي للمناب تبت … فإنني يومي له أنبت
قد تاب سمعي ولساني والبصر … وتاب كل طرف عما شجر
رجعت للاله دهري لم أزل … ببابه من أبدا إلى الأزل
ثم الصلاة والسلام سرمدا … على النبي المصطفى محمدا
وآله وصحبه الأبرار … ما نور الليل على النهار (١)

وإذا نظرنا إلى هذه الأرجوزة نرى حسب ما قرره الشيخ ابراهيم نفسه أنه قد نظمها في سنة ١٣٧٧ هـ ولكنه ما أظهرها للجمهور إلا في سنة ١٣٩٥ هـ تقريباً وهي

١ – الشيخ ابراهيم انياس : رسالة التوبة ٦ نشر الحاج محمد الثاني محمد الأول مطبعة دار الكتب بيروت لبنان بدون تاريخ .

السنة التي مات فيها أي إن ما بين وقت نظم هذه الأرجوزة وبين وقت إظهارها للناس ثماني عشرة سنة ١٨ فلماذا كان ذلك كذلك ؟ وربما كانت هناك علاقة مساسة بين إظهار الأرجوزة وبين ما أخبرني به السيد الحاج أبو بكر محمود جمي في مقابلتي معه يوم السبت السابع والعشرين لمايو سنة ١٩٧٨ حينما ختم كلامه – عندما طلبت إليه أن يبين لي وجهة نظره في حركة الشيخ إبراهيم – بقوله : « وآخر عهدي به أي الشيخ إبراهيم هو عندما أخذت أنا وزميل لي – من أعضاء الرابطة العالم الإسلامي – كتاب مجموع دواوين شعره وذهبنا به إلى رئيس الرابطة وأريناه أبياتاً في مواضع متفرقة في تلك الدواوين (١) وقلنا له أنظر إلى كلام هذا الرجل الذي كنا نعظمه على أنه شيخ الإسلام وأحد دعاته الأعلام في هذا العصر وعندما قرأ رئيس الرابطة الأبيات شك في صحة نسبتها إليه فأرسل من يدعوه إليه فوراً فلما حضر الشيخ أراه الرئيس الأبيات وقال له : « أأنت قائل هذه الأبيات ؟ ». فقال الشيخ نعم أنا قائلها إلا أنني قلت ذلك وأنا شاب حينئذ وأما الآن فقد رجعت عن هذه العقيدة. ولا أدين بها ». فعندئذ أمره الرئيس بمغادرة مكة والرجوع توا إلى جدة بعد أن صرح له بأن الرابطة لا تقبله كعضو من أعضائها حتى يكتب بلهجة عربية فصيحة واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض أنه رفض عقيدته المتضمنة في تلك الأبيات رفض السقب غرسه والرأل تربكته كما قال أبو العلاء المعري (٢) فذهب الشيخ وكتب ذلك نظماً ونثراً ولكنه لم يحضر جلسة

---

١ – ومن هذه الأبيات :

حلفت يميناً أنني لا يحبني ... سوى أسعد والعكس في حال بعضيا

وقد علم الأقوام أني خديمة ... فوصل حبيب الله يلفى بوصليا

وما قلت قولي شاطحاً متبجحاً ... وما مني سكر يغيب عقليا

وان خطوطي للانام سعادة ... فلم يشق يوماً من رآني وخطيا

وما قلت هذا دون اذن وانني ... لاكتم سراً لا يباح لغيريا

وقوله أيضاً :

علقت به والناس في سنة الكرى ... تمتعت منه الدهر إذ كنت مفردا

وزوحمت في هذا الزمان وانني ... لفي غيرة ممن يروم محمدا

ولكنني جليت قبل سباقهم ... وقد نلت تبريز القرون لأحمدا

ولم لا وعز العبد عز مليكه ... فطوع يميني الكون عبداً مسودا

٢ – أبو العلاء المعري : المنتخب من أدب العرب ج ٢ – ١٠٩ .

الرابطة المنعقدة في ذلك الوقت كما أنه لم يرجع إلى مكة إلى أن مات لأنه – حسب تقرير الحاج أبي بكر غمي – ما كاد يصل إلى وطنه حتى أصيب بمرضه الذي صار سبيل انتهاء أجله .

ولما سألته عن نشر ذلك في إحدى الصحف السعودية أجاب بأنه لا يدري عما إذا نشر في الصحف العربية ، ولكنه ملم بأن إحدى الصحف الفرنسية قد نشرته ، وقد أكد السيد أبو بكر جبريل الغاني المحاضر بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة بايرو كنو نيجيريا هذه القصة في مقابلتي معه يوم الاثنين ١١ – ١٢ – ١٩٧٨ م دون أن يكون ملماً بما جرى في مقابلتي مع السيد أبي بكر جومي .

ومهما يكن من شيء فان طرفين من الناس – الناقد – والمعتقد – قد طلبا من الشيخ أن يبين لهما حقيقة الأمر بالنسبة لهذه القصيدة التي أعلن فيها توبته فأجابهما برسالتين الأولى للطرف الناقد والثانية للطرف المعتقد وتهمنا هنا في هذا الصدد الرسالة الأولى ، لأن كلام الشيخ فيها يدل على أن رسالة الاستفسار التي كتبت إليه والتي لم تصل إلى أيدينا تحتوي على تصريحات ، منها : أن التزام الطريقة التجانية بدعة والتخلي عنها هو الرجوع إلى السنة ، وأن المسلم الإفريقي يجب عليه أن يهتم بالتخلي عن الطريقة ليواجه المشاكل التي تهم أفريقيا وقد أضافت الرسالة أيضاً السذاجة والطيش أو ما في معناها إلى اتباع الطريقة التجانية (١).

فأجاب الشيخ عن التصريح الأول بقوله: « ولدي العزيز إن كنتم تعنون «بالطريقة الطريقة التجانية التي أعرفها فالجواب هو أنني – بحمد الله – لم ولن أتخلى عنها أبد الآبدين لأن الطريقة التجانية التي أعرفها إنما هي الأذكار الثلاثة الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكلمة التوحيد لا إله إلا الله يلتزمها المسلم إيماناً واحتساباً وعملاً بتعاليم الكتاب العزيز والسنة المطهرة (٢).

وأجاب عن التصريح الثاني فقال : « وأما المسلم الإفريقي الذي ذكرتم أنه يهتم

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : رسالة إلى نيامي صفحة ٥ .

٢ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٤

بالتفكير في موضوع التخلي عن طريقة الاستغفار والصلاة على للنبي صلى الله عليه وسلم والتخلي عن ذكر الله فاني لأسأل الله تعالى أن يهديه سواء السبيل وأن يعصمه من شياطين الإنس والجن وأن يشرح صدره وينير بصيرته حتى يعلم أن مشكلة إفريقيا ليست في وجود الملايين من مسلميها الذين التزموا الطريقة كما وصفتها آنفاً لأن هذه الملايين المسلمة المؤمنة المنتسبة إلى الطريقة هم من خير أبناء إفريقيا وقد رأينا وجودهم الايجابي في المساجد والجوامع وفي المزارع والمدارس والجامعة والأسواق والأحزاب السياسية والبرلمانات والحكومات والمحاكم والمصانع وفي سائر الميادين .

وأجاب عن التصريح للثالث بقوله : « ومن ظن بهم السذاجة والطيش وظن أنهم على استعداد للتخلي عن خيرات تحققوها ويقين تشربته قلوبهم فأقل ما يقال فيه إنه لا يعرف المجتمع الإفريقي (١).

إذا نظرنا إلى أجوبة الشيخ عن للتصريح الأول نرى أنه يؤكد للسائل أنه ما تخلى عن الطريقة التجانية ولن يتخلى عنها لأنها مبنية على هذه الأسس الثلاثة التي وصفها بأنها فيض غدق من التعليمات والتوجيهات وهي الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله .

ولاشك أن الطريقة التجانية لوكانت قائمة على تلك القواعد الثلاثة وحدها وكان الغرض الأول والأخير من التزامها إنما هو الإيمان والاحتساب امتثالا للأوامر القرآنية والسنية فحسب – ولم تكن موقوفة على إذن أحد غير هذا الإذن العام الإلهي الإسلامي من طريق القرآن أو السنة الصحيحة ولم تكن أيضاً تؤدي بطقوس معينة لم تؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – لما وسع أحد من المسلمين انكارها خصوصاً الذين يتمتعون بشيء من فقه الدين الإسلامي ، ولكن للأسف إن الطريقة كانت مكللة بعقائد ومبادىء وتعاليم لا تلائم مزاج عدد من العلماء وينبو عنها ذوق كثير من المفكرين المسلمين ، وقد أتعبت هذه الأمور علماء التجانية بالدفاع عنها والبرهنة على ثبوتها منذ تأسيس الطريقة التجانية إلى يومنا هذا ، وتعتبر إجابة الشيخ هذه استمراراً لذلك الدفاع .

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : المصدر السابق ه

وهذا السائل الذي اعترف له الشيخ نفسه بالأنتماء إلى العلم لا يفكر عندما ظن أن الشيخ قد تخلى عن الطريقة التجانية واختار طريق السنة إلا في تلك المبادىء والعقائد والتعاليم التي تعتبر العمود الفقري لقوام الطريقة التجانية التي قرأها في كتب التجانية وربما في بعض كتابات الشيخ إبراهيم إنياس نفسه أو سمعها من أفواه دعاة التجانية المتحمسين وكل هذا – بطبيعة الحال – لا يخفي على الشيخ ابراهيم الواسع الخبرة ، ولكنه حاد عن ذلك في إجابته وذكر ما لا يسع أحداً من المسلمين إلا قبوله والتسليم له وما ذلك إلا لأن فكره قد تطور عما كان عليه أيام كانت خبرته محصورة بالبيئة التجانية واتسعت كذلك مداركه بحيث تشغل حيزاً في الفكر الإسلامي أوسع بكثير من دائرة الطريقة التجانية وصار من جراء ذلك يحسب للرأي العام الإسلامي حسابه .

وكذلك إذا نظرنا إلى إجابته عن التصريح الثاني نرى أنه قد استعمل أسلوباً أدبياً شعرياً مثيراً للعاطفة حيث صور التخلي عن الطريقة التجانية بالتخلي عن الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر لا إله إلا الله واستبشع ذلك وعظمه ودعا لمن يفكر فيه بأن يعصمه الله من شياطين الانس والجن فكأنه يوهم القارىء بأن من ترك الطريقة التجانية لا يتمكن من الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر لا إله إلا الله أو بعبارة أخرى من لا يتقيد بالطريقة لا يستغفر الله ولا يصلي على النبي ولا يذكر لا إله إلا الله وليس كذلك إذ لا لزوم بين القيام بهذه الاذكار التي أمر الله بها كل مسلم وبين أخذ أي طريقة صوفية .

وأما عن اتباع الطريقة التجانية فانه وصفهم بصفة أنيقة رائعة حيث جعلهم على أرقى مستوى في الحضارة الإسلامية في العصر الحاضر ، وهم الموجودون في الجوامع والمساجد ، وهم الحراث والمزارعون الذين تعيش البلاد على عرق جبينهم ، وهم التلاميذ في المدارس والطلاب في الجامعات ، وهم التجار في الأسواق والدكاكين ، وهم الذين يزاولون الحركات السياسية والأمور الإجتماعية في البلاد ، وهم النواب الممثلون للشعب في البرلمانات ، وهم الموظفون القائمون بالإدارة في الحكومات ، وهم القضاة في المحاكم ، وهم العمال والمشرفون على العمل في المصانع ، وهم الفرسان في سائر الميادين .

ولا شك أن من وصف مجتمعاً - كانت هذه صفات أفراده - بالسذاجة والطيش كان هو الأحرى بأن يظن به الطيش والسذاجة لأنه برهن بذلك على أنه كان بمعزل عن دوران فلك المجتمع الإسلامي الافريقي .

ولكن الراجح أن السائل عندما وصف أتباع الطريقة التجانية بالسذاجة والطيش - وذهب إلى أن التخلي عنها هو ما ينبغي أن يتفكر فيه المسلم الافريقي الآن لمواجهة المشاكل التي تهم المجتمع الاسلامي الافريقي - لا يدور في ذهنه إلا أشباح أتباع الطريقة المحيطين به في وطنه لا أتباع الطريقة الموجودين في السنغال .

وأما الشيخ إبراهيم في وصفه لأتباع الطريقة بهذه الصفات الرائعات فاما أن يكون مراده بذلك اعتبار ما يكون كما يقول البلاغيون ، والظاهر أنه يريد ذلك لأنه أرسل أبناءه وأبناء إخوته إلى البلاد العربية للتبحر في العلوم الدينية والتوسع في مختلف أنواع الثقافات الإسلامية والعالمية ، وشجع تلاميذه في السنغال وموريتانيا على ذلك ، وإما أن يكون مراده بهذا الوصف الرائع اعتبار ما كان وإذا كان الأمر كذلك فانه لا شك يرمي به المجتمع الاسلامي السنغالي بأسره على اختلاف قبائله وطبقاتهم وتباين طرقهم ومذاهبهم ، فاذا كان الأمر كذلك فان الفضل في ذلك لا يعود إلى الطريقة التجانية بل لا يعود إلى أية طريقة من الطرق الصوفية الموجودة في السنغال وإنما يعود بشكل يقيني إلى أولئك الطلاب السنغاليين الذين رجعوا من الخارج فأعلنوا ثورتهم المكشوفة على الطرق الصوفية ومشايخها ونادوا علناً بأن شيوخ الطرق قد حرفوا الدين الإسلامي ودعوا اتباع الطرق جهراً إلى التخلي عن هذه الطرق والإقتصار على أداء الصلوات الخمس ، والشعائر الدينية المعروفة بالضرورة فقط ، وأن لا يعتمدوا على شيوخ الطرق في نجاتهم الأخروية ، واتهموا هؤلاء الشيوخ بنصب أنفسهم قساوسة لبيع صكوك الغفران الذين يعتبرون وسائط بين الله وبين عباده ، وليس في الإسلام مثل هذه الوساطة ، إذ لارهبانية في الإسلام ، وقالوا إن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم ما ادعى قط أنه شيء أكثر من نبي إنسان أرسله الله إلى للناس كافة ليعلمهم الدين الحق والأخلاق الفاضلة ، وما دعا الناس إلى عبادته ومن أجل ذلك كانت عبادة أتباع الطرق الصوفية لشيوخهم يخالف المبادىء الأساسية لبناء الإسلام ، وقالوا أيضاً إن

استغلال شيوخ الطرق لأتباعهم هذا هو الذي أدى إلى الرجعية والركود السياسي والاجتماعي والاقتصادي في أوساط المسلمين في السنغال ، وقد سبق بعض هذا في الفقرات السابقة في هذا الفصل (١).

ثم أسس هؤلاء الطلبة جريدة للافصاح عن آرائهم وأسسوا مدارس لتعليم القرآن والعربية مع العقائد الإسلامية ثم انقسموا أخيراً إلى فئات وطوائف بعضها تهتم بالطرق الصوفية مباشرة ، وبعضها تهتم بتنظيم التعاون الاجتماعي المشترك ، لترقية مستوى التعليم العربي ، وطلب المساعدة المالية من الحكومة لمدرسي العربية .

وعلى أي حال فان أول جمعية أسست من هذا النوع هي الجمعية التي سميت باسم (الإخوان المسلمون) أسست في سنة ١٩٣٥ م - ١٣٥٤ ﻫ برئاسة عبد القادر دياغني وكانت الجمعية معتدلة في نقدها للحكومة والطرق الصوفية فلخصت أهدافها في النقاط التالية :

١ - اصلاح التعليم في السنغال وإدخال علوم الدين الاسلامي واللغة العربية في المدارس الحكومية .

٢ - إصلاح الطرق الصوفية .

٣ - مقاومة نشاط المبشرين المسيحيين .

٤ - رفض الحضارة القائمة على الثقافة الغربية (٢).

فلما أطلقت الحكومة الفرنسية حرية تأسيس الجمعيات السياسية انتشر الشعور بالقومية في البلاد ، فتأثرت بذلك هذه الطوائف التي تدعو إلى الإصلاح الديني ، فتحالفت بعضها مع الجمعيات السياسية المناوئة للاستعمار ، وهاجموا الطرق الصوفية التي شبهوها هي الأخرى بالاستعمار الديني ، وهذه الطائفة طبعاً تناقض جمعية الاخوان المسلمين التي اتخذت سبيل الاعتدال في مهاجمة شيوخ الطرق والمستعمرين،

---

١ - Muslim Brotherhood in Senegal 157 : Mrs. L. C. BEHRMAN

٢ - Muslim Brotherhood A. N. P. in Senegal : Mrs. L. C. BEHRMAN

فبذلك قلت أهمية جمعية الإخوان المسلمين ، وأسست هذه الطائفة جمعية أخرى باسم جمعية الثقافة الاسلامية سنة ١٩٥٣ م – ١٣٧٣ ﻫ برئاسة الشيخ توري فلخصت هذه الجمعية أيضاً أهدافها كالتالي :

١ – بيان حقيقة الدين الاسلامي لعامة المسلمين .

٢ – الجواب عن المسائل الهامة التي تمس الإسلام .

٣ – نشر المجلات العلمية لتثقيف المجتمع الاسلامي وتربيته أخلاقياً .

٤ – الدفاع عن الإسلام من هجوم أعدائه (١).

فقامت جريدتهم بالاحتجاج ضد ما أسمته بموقف الفرنسيين ضد المسلمين ثم نددوا بالطرق الصوفية على أنها أفسدت الدين الاسلامي وحرفته تحريفاً فاحشاً (٢).

فمثلاً إن الشيخ توري رئيس الجمعية قد أدان المستعمرين بمحاولة تحطيم المدارس القرآنية وتكفيل المدارس الكاثوليكية المسيحية ، ونفي رؤساء المسلمين من البلاد ، أو حبسهم في السجن ، ومحاولة تقسيم جمعيات المسلمين الإصلاحية على أنفسهم ، وزاد الشيخ أحمد أمبك في بند الشكاوى ضد المستعمرين بأنهم يقاومون تقدم الإسلام وينشرون الاشاعات المزورة ضد الحركات المناوئة للفرنسيين ، ويطعنون في الطلاب الذين يدرسون في القاهرة والمغرب بأنهم يقومون بنشاطات مؤيدة للشيوعية (٣).

هذا وقد نشر السيد عمر دينغ الأمين العام للجمعية الثقافية الإسلامية مقاله في جريدة Reveil وأعلن فيها بأن الجمعية لا تعارض شيوخ الطرق الذين يؤيدونها ويعترفون بأنها تجاهد من أجل توحيد المسلمين ، وجعل الإسلام ديناً واحداً ،ونشر العلوم العربية ، ومحاربة التعصبات المذهبية ، والطائفية ، والدجل الديني ، والشعوذة، ونددت الجمعية كذلك بطريقة تدريس القرآن في بيوت الشيوخ ونقدت الشيوخ أيضاً

---

١ – Muslim Brotherhood in Senegal 162 : Mrs. L. C. BEHRMAN

٢ – Muslim Brotherhood in Senegal 162 : Mrs. L. C. BEHRMAN

٣ – Muslim Brotherhood in Senegal 162 : Mrs. L. C. BEHRMAN

على تربيتهم الصبيان على السجود أمامهم ، تكريماً لهم ، ونددت بهم أيضاً على جمعهم الأموال من أتباعهم ، وانتهاز هم فرصة جهالة هؤلاء الأتباع لخداعهم بتفل لعابهم المحمل بأنواع الميكروبات في أيديهم بدعوى أنهم يباركونهم وهكذا .

وكان الشيخ ابراهيم انياس مع قليلين من الشيوخ الآخرين يؤيدون هذه الجمعية ، بالرغم من هذا الهجوم العنيف والنقد الشديد اللاذع الموجهين إلى شيوخ الطرق الصوفية منها ، ولعل سبب ذلك هو أن هذه الجمعية كانت تناوىء جمعية UPS التي يتزعمها الرئيس سنغور لأن هؤلاء الشيوخ كانوا على خلاف شخصي معه ، في خمسينات هذا القرن (١) ولعل إلى أعضاء هذه الجمعية يوجه الشيخ ابراهيم نداءه في خطبة له حيث قال : « وأنتم أيها الشبيبة آمالنا معقودة فيكم حتى تقيموا ما اعوج في وطننا المحبوب وديننا المقدس ولا بد من أداء تلك الرسالة (٢).

وأما أكثر شيوخ الطرق والحكومة الفرنسية كانوا على عداوة مكشوفة مع هذه الجمعيات لتزايد نفوذهم في البلاد حتى أعلنت الحكومة الفرنسية إدانة الجمعية رسمياً بدعوى أنها كانت على علاقة مع جمعية الاخوان المسلمين في مصر ، والحركات الإسلامية المعادية للفرنسيين في شمال إفريقيا ، وأغلقت مدارس الجمعية العربية ورفضت جميع مطالبها ، وجعلت أعضاءها تحت رقابة شديدة ، وكل هذا لم يثبط همة الجمعية ، ولم يفتر نشاطها ، وعندما نالت البلاد استقلالها كانت الجمعية تكفل ثمانية وعشرين مدرسة عربية في طول البلاد وعرضها ، وفي سنة ١٩٦٢ م — ١٣٨٢هـ أرسلت الجمعية عدداً من الطلاب إلى المغرب للتعليم العالي (٣).

وفي نفس السنة أيضاً كونت جمعية Amean وجمعية الثقافة الإسلامية MCM وجمعيات إصلاحية أخرى لشبان المسلمين السنغاليين اتحاداً برئاسة السيد عبد العزيز سي أخ الشيخ التجاني سي وابن أخ الخليفة الشيخ عبد العزيز سي ومعنى كل هذا أن السيد عبد العزيز هذا هو حفيد للشيخ مالك سي أكبر مقدم وناشر للطريقة التجانية

---

١ — Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر س ١٦٤ .
٢ — الشيخ ابراهيم انياس : خطبته لمناسبة عيد المولد سنة ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م .
٣ — Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر س ١٦٥ .

في السنغال ، وكان مركزهم في مدينة تواون الواقعة على الطريق الرئيسي إلى جزيرة (سينت لويس) ومن ثم إلى الحدود الموريتانية .

فقدمت الجمعية الاتحادية مطالبها إلى الحكومة ، ومن ذلك إصلاح أحوال المسلمين في البلاد ، وترقية مستواهم الاجتماعية ، وتسهيل طرق التعليم لهم ، ومنح طلاب المسلمين بعثة دراسية إلى الشرق الأوسط .

وأعلن السيد عبد العزيز سي ثورته على الطريقة التي كانت مفخرة بيته ، وندد بتفرق المسلمين إلى فرق وأحزاب ، وفشو الجهل بينهم ، ثم أدان طريقة تعليم الدين في السنغال ، مشيراً إلى أن عبادة الله لا تتطلب وساطة أحد من هؤلاء الشيوخ ،ودعت الجمعية أيضاً إلى تكوين منظمة الهلال الأحمر الاسعافية للمسلمين في البلاد ، كما دعت رجال الدين إلى المساهمة في الأمور المدنية مثل تسجيل الولادات والوفيات والزواج وغير ذلك .

فأعلنت هذه الجمعية الاتحادية في سنة ١٩٦٦ م – ١٣٨٦ ﻫ أنها في غضون السنوات القليلة التي مضت منذ تكوينها قد حققت عدداً من الانجازات الهامة ، مثل اقناع الحكومة لفتح مدرسة لتعليم اللغة العربية والفرنسية ، وتحصيل المنح الدراسية للطلاب المسلمين الذاهبين إلى البلاد الإسلامية للتعليم ، وأقنعت الحكومة أيضاً في إدخال العلوم الدينية في المدارس الحكومية ، وزيادة على ذلك إن الجمعية كانت في أواخر سنة ١٩٦٥ م – ١٣٨٥ ﻫ تدير ١,٥٠٠ من المدارس العربية في البلاد (١).

لخصت هذا الكلام بشيء من الاسهاب كي لا أدع مجالاً للشك في أن الفضل في ترقية مستوى المسلمين العقلية والثقافية والاجتماعية في السنغال يعود إلى أولئك الطلاب السنغاليين الذين كملوا دراساتهم في الشرق الأوسط والمغرب ، ورجعوا إلى بلادهم مشبعين بالحركات الاصلاحية التي قامت على أكتاف الوهابيين والسيد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والاخوان المسلمين والسلفيين في مصر والمغرب ، فأعلنوا ثورتهم المكشوفة على الطرق الصوفية ومشايخها ، ونادوا علناً بالاصلاح العام للدين

---

١ – Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٦٧ .

الإسلامي في البلاد ، على النحو الذي مر آنفاً وقاموا بتوحيد صفوف المسلمين ، وحاربوا التعصبات القبلية والطائفية والدجل الديني ، وطالبوا الحكومة المستعمرة برد حقوق المسلمين كاملة إليهم ونبهوا كثيراً من شيوخ الطرق إلى إعادة النظر في الأمور المتعلقة بالدين وعلاقتهم مع اتباعهم .

ولا شك أن الشيخ ابراهيم انياس بفكره الثاقب وحسه المرهف ونفسه التواقة إلى الإصلاح قد تأثر بهذه الحركات الإصلاحية القائمة في قلب وطنه تأثراً غير قليل .

ولا تنسى أننا قلنا فيما تقدم إن هؤلاء الشبان الذين قاموا بهذا الإصلاح الاجتماعي الواسع المدى في السنغال كانوا من سلالة شيوخ الطرق وأقربائهم ، فإياهم يعني الشيخ إبراهيم بوصفه الرائع للمجتمع الإسلامي الإفريقي وإليهم أيضاً يوجه نقده اللاذع في آخر الرسالة حيث قال : « وأمام المسلم الإفريقي مشاكل في محيط الدعوة الإسلامية بالذات لوجود بعض الدعاة الجاهلين المتشبعين بما لم يعطوا ، وبعض العلماء الدعاة الذين يجرأون العامة على التطاول على تراث الأمة وعلى صلحائها وأئمة العلم قديماً وحديثاً ويدربونهم على سوء الظن وعلى الشك السلبي المزلزل للاركان (١) وهم الهدف أيضاً في قوله في خطبة له : « واني أرى الآن حركات يقوم بها بعض المسلمين تهدم الدين من أساسه ، كما أرى منظمات تبذل جهوداً متواصلة ترى أنها تخدم الدين وهي بالعكس تهدم الدين ». (١)

وهذا كله يفضي بنا إلى ظاهرة هامة لا يسعنا إغفالها في هذا الصدد وهي أن حركات الطلاب السنغاليين هذه تدل بوضوح على أن خطة الشيخ الجديدة هذه من إرسال أبنائه إلى المدارس النظامية والجامعات العالمية قد لا تكون في صالح الطريقة لأنه من الصعوبة بمكان أن يتدرب الطالب من المدرسة الابتدائية النظامية إلى أن يصل إلى الجامعة ثم يتخرج وهو متفكر في أمر الطريقة وطقوسها ، وغاية ما يمكن منه هو مداراة أهل الطريقة ما دام فيهم . أو يقوم بالتأييد السلبي لها إرضاء لأصحابها ذلك

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : رسالته إلى نيامي ٦

١ – الشيخ ابراهيم انياس : خطبته لمناسبة المولد النبوي سنة ١٣٨٣ ﻫ .

لأن الطريقة تحتاج إلى تربية خاصة شبه إنعزالية حيث يتدرب مريدها على التعصب لها وحدها ولا يعرف إلا إياها ولا ينظر إلى أي شيء آخر إلا من خلال منظارها كما تحتاج – من أتباعها أيضاً – إلى سذاجة عقلية نوعاً ما ، وأما الذي قطع مراحل التعليم النظامي إلى نهايته العالية فقلما تجده يتفرغ للتعصب الطائفي الجزئي كما أنه من الصعوبة بمكان أن تجد السذاجة في ذهنه مكاناً خالياً تحتله .

وإن دل كل هذا على شيء فانما يدل على أن الشيخ ابراهيم إنياس قد قل اهتمامه بالطريقة في المرحلة الأخيرة من حياته ، وغيّر منهاجه من الدعوة إلى الطريقة التجانية إلى الدعوة الإسلامية العامة ، ولعله من أجل ذلك بعث بأبنائه كلهم إلى الشرق الأوسط والمغرب للتعلم ، وهو ملم بالثورة التي قام بها الذين أتموا دراستهم قبلهم في تلك البلاد على الطرق الصوفية وشيوخها ويؤيد كل ما قررنا أن الشيخ ابراهيم عندما وقع على الرسالة التي نحن بصددها كتب (إبراهيم إنياس الكولخي رئيس الاتحاد الإسلامي الإفريقي) بدلا من إبراهيم بن الحاج عبدالله التجاني كما تعود أن يكتب في رسائله الأولى مع أنه يرد على الذين يظنون أنه قد تخلى عن الطريقة التجانية .

ومهما يكن من رأي فان الشيخ ابراهيم انياس قد حدد أهداف دعوته الأخيرة في مقابلته مع ذلك الصحفي الحجازي دعنا ننقل عباراته بحروفها ثم نقارنها بما جاء بعد سنة ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٧ م السنة التي أعلن فيها توبته – من خطبه ومواعظه وإرشاداته لنرى أكانت مواعظه تسير حسب هذا المنهج الجديد أم لا تزال تسير على المنهاج القديم المختص بالطريقة التجانية والشيخ التجاني ؟ .

سأل الصحف الشيخ بقوله : « فهل لكم يا فضيلة الشيخ أن تلخصوا لنا أهداف دعوتكم » ؟ .

فأجابه الشيخ بقوله : « بكل سرور أنها » .

أولا دعوة غير المسلمين بكل وسيلة ممكنة ليدخلوا في دين الله تاركين الوثنية أو المسيحية وهي :

ثانياً الجد والاجتهاد في توعية المسلمين ونصحهم وإرشادهم بمختلف الوسائل

حتى يستمر سيرهم إلى الله وليزدادوا إيماناً مع إيمانهم وهي :

ثالثاً تجنيد كل الطاقات الممكنة لنشر لغة القرآن وهي :

رابعاً الدعوة إلى تعميق الشعور بالأخوة الاسلامية ففي ظلال هذه الاخوة يتم للمسلم التحرر من قيود النزعات الإقليمية والعنصرية . والإسلامية وهي :

خامساً ربط الدعوة بالحركات والهيئات الاسلامية في العالم ، لأن هذا التعاون من مقتضيات الأخوة الاسلامية وهي :

سادساً التصدي للقوى التي تسعى لفتنة المسلمين من تبشيرية مسيحية ومن صهيونية متسترة وغيرها .

هذا والمهتمون بقضايا الاسلام في بلادنا يعرفون الكفاح الاصلاحي لجماعتنا المسلمة في شتى المجالات والله الموفق .

الناظر لهذه الأهداف الستة التي حددها الشيخ والتي تقوم عليها دعوته يدرك أنه لا يفكر في طائفة معينة ، وإنما كانت همته موجهة نحو الإسلام وحده ، والاصلاح العام للمجتمع الاسلامي على اختلاف طوائفه ومذاهبه ، وتوحيد صفوفه ، وجمع كلماته ليتخلص من التعصبات الطائفية والعنصرية والإقليمية من جهة وليتقوى للتصدي للقوى التي تسعى لفتنته من جهة أخرى .

ومن أعجب الأشياء وأدلها على الرأي الذي نقرره أن الشيخ ابراهيم في هذه المقابلة الصحفية قد صرح ببراءته من أن يكون مؤسس حزب أو زعيم طائفة .

فقد سأله الصحفي بقوله : « هل لكم إحصاء لعدد أولئك الذين دخلوا الإسلام بفضل دعوتكم .

فأجابه الشيخ بقوله : « لا أعلم عددهم ولم أحاول ذلك فالذي يهمني بالدرجة الأولى هو أن يهدي الله فرداً أو أفراداً إلى دينه الحق على يدي أو على يد غيري (ولست مؤسس حزب ولا زعيم طائفة) إلا أنهم كثيرون جداً ومن جميع المستويات من الأفارقة وبعض الفرنسيين .

لعلك تدرك معي هنا أن الشيخ إبراهيم قد تبرأ من أن يكون زعيماً لطائفة معينة ، أو زعيماً لحزب سياسي ، ولعل معنى ذلك هو أنه يعتبر نفسه داعية إسلامياً بالمعنى الموافق للرأي العام الاسلامي ، ولعله من أجل ذلك جعل من أهدافه ربط دعوته بالحركات والهيئات الاسلامية في العالم ، وهذا كله مع أنه كان ملماً بأن دعوة ابن تيمية هي السائدة في العالم الاسلامي في الوقت الحاضر ، ولعل الكل يعرف أن حركة الوهابية في الشرق الأوسط قامت على أساس دعوة ابن تيمية ، وحركة السلفية في مصر والمغرب كذلك ، وما حركة الاخوان المسلمين التي عمت العالم الاسلامي كله إلا امتداداً لتلك الدعوة ، وكانت الحركة الاصلاحية التي قام بها السيد أبو الأعلى المودودي وجماعته في الشرق الأقصى مستمدة منها أيضاً ، وما كانت حركة الحاج أبي بكر جومي في نيجيريا إلا شعلة منها ، وما قامت حركة الطلاب السنغاليين – الآنفة الذكر – الذين اعلنوا ثورتهم على الطرق الصوفية وصرحوا بأن شيوخ الطرق قد حرفوا الدين الاسلامي ونادوا باصلاح الحركات الدينية والاجتماعية في البلاد إلا على ذلك الأساس أيضاً .

ويؤيد هذا الرأي الذي نقرره أيضاً أن الشيخ ابراهيم في بعض المناسبات كان يفر من ذكر الطريقة التجانية والانتساب اليها ، فمثلا عندما سأله ذلك الصحفي الحجازي عن مقالة نشرت ضده هو وجماعته في غانة بقوله : « بهذه المناسبة أذكر أن جريدة الدعوة في عددها ٣٠٥ بتاريخ ٢٠ – ٤ – ١٣٩١ هـ قد نشرت رسالة من غانا بتوقيع شخص يدعى عمر ابراهيم إمام ذكر فيها أنه في معركة مع أتباعكم في غانا ، ونسب إليهم عقائد غريبة عن دعوتكم ، فهل اطلعتم على العدد المذكور ؟ وما تعليقكم عليه ؟ فأجابه بقوله : « نعم لقد اطلعت على العدد المذكور لأن رئيس التحرير جزاه الله خيراً يتفضل بإرسال الجريدة إلي وأما صاحب الرسالة فلا أعرفه فلعله على خلاف شخصي مع بعض قومه الذين أسلموا على يدي في غانا فاستجار هذا الأسلوب الغريب للنكاية بهم ، وله أن يقول ما يشاء على الفرقة الباطنية إذا وجدهم ، وأما نحن فمن جماعة المسلمين المالكيين الأشعريين نوحد الله عز وجل في ذاته وصفاته وأفعاله توحيداً لا يرقى إليه شك أبد الآبدين فهو الرب ولا رب سواه ، وهو الإله فلا إله غيره فمن تقول علي أتباعي وحال التشهير بهم فهو المسؤول عن أفعاله ومساعيه

ولست أدري لمصلحة من ولماذا يصر بعض الناس على إثارة الفتن ، وعلى إلهاء المسلمين عن رسالتهم الحقة ، والرجل المذكور ليس الأول من نوعه ولن يكون الأخير ثم ثم أن أنصار دعوتي منتشرون في أفريقيا من السنغال حتى إلى تشاد ، فلو فرضنا أن المذكور قد رأى منكراً من قول أو فعل فهلا عرف أنه كم إنتسب إلى قوم من ليس منهم » .

وأنت هنا ترى أن الشيخ إبراهيم إنياس قد نكف عن ذكر الطريقة النجانية والإنتساب اليها ، وبيّن أنه هو وأتباعه مالكيون أشعريون ليس إلا . وإن الذين يقولون أو يفعلون هذه الأمور التي عابها عليهم ذلك الرجل العاذ فليسوا من أتباعه ، مع أن الشيخ بإمكانه أن يقول إنه هو وأتباعه المنتشرون في طول غرب أفريقيا وعرضها تجانيون والطريقة التجانية صفتها كيت وكيت على النحو الذي مر في كتاب الرحلة الحجازية الأولى .

فلماذا أغفل الشيخ إبراهيم ذكر الطريقة التجانية والانتساب اليها ؟ ورفض أن يكون هؤلاء الذين يخاصمون عمر إبراهيم الغاذ من أتباعه ولعله لجأ إلى ذلك لأنه يعرف أنه بمجرد انتساب نفسه إلى الطريقة التجانية لا يتردد الصحفي في قبول كل ما نسبه ذلك الرجل الغاني إليه هو وأتباعه من العقائد الزائفة والتصرفات الفاسدة ، وهذا أيضاً قد يفضي إلى توجيه الصحفي اليه أسئلة أخرى تمس عقائد الطريقة التجانية الموجودة في جواهر المعاني ، وهذا أمر – بطبيعة الحال – حرج عليه ولا سيما في مقامه بمكة .

وعلى أي حال فإن الصحفي لم يذكر لنا نوع هذه العقائد الغريبة التي نسبتً إلى أتباع الشيخ ابراهيم في غانة ، إلا أن ذلك في الواقع ليس أمراً جديداً أي ليس عمر إبراهيم أول من نسب إليهم عقائد غريبة ينبوعها الذوق السليم لأننا وجدنا رسالة – تنسب اليهم مثل هذه العقائد – قد أوردها الحاج باب الواعظ الكوماسي في كتابه (رسالة المنصور في الرد على رسالة دسيسة الانكار) كتبها رجل تعمد الحاج باب إغفال ذكر اسمه خوف انتشار الفتن على حد قوله ، وقد كتبت الرسالة ١٣٦٦ هـ أي قبل ذلك بحوالي ٣٢ سنة فها هي الرسالة أنقلها برمتها كما نقلها المؤلف .

« الحمد لله الذي قال في كتابه (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل : « أطلبوا العلم ولو بالصين » الحديث بعد التحية وأداء واجب الاجلال والتبجيل فأسألكم لله ولرسوله أنه قد ظهر بعض التلاميذ في هذا الزمان يقولون بملء فيهم ما يأتي :

الأول إن الله تعالى في السماء السابعة بيته ودهليزه وأنه لا يعرف ذلك إلا من تربى.

الثاني إن عيسى قد مات وأن المهدي هو الشيخ ابراهيم الكولخي وأن طلوع الشمس التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشراط الساعة هو أيضاً شيخنا الكولخي .

الثالث إن باب التوبة مغلوق اليوم إلا من توسل به وتربى أيضاً .

الرابع أن لا مذهب إلا ما أشار اليه الشيخ إذ المذهب جهل .

الخامس إن القرآن يحمل ظاهره وباطنه .

السادس أن علم الباطن أفضل من الظاهر .

السابع أن مقام الشيخ أعلى من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي

الثامن أن علم الشيخ أعز وأكثر من مالك وأن مذهبه خطأ كله .

التاسع أن هذا الورد أفضل وأعز من الصلاة المكتوبة .

العاشر أن من قال لا إله إلا الله مخلصاً يدخل الجنة ولو لم يصل .

الحادي عشر أن ما في الكتب كلها كذب وخطأ إلا ما دل عليه الشيخ فعظم على هذا الشأن ودخل في جوفي الفزع فقلت عندي خبر وبحر يعرف هذه كلها أسأله عنها ، أشفني أيها الأخ ولا تخف فإن رأيت سبيلا واضحاً أميل اليه وأترك مقالة الناس وخف ما قال سيد البشر أن من كتم علماً ألجمه الله بالنار يوم القيامة وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم .

هذا والسلام الباعث ءالم فلان كوماسي » (١).

---

١ – السيد الحاج أحمد بابا الواعظ : رسالة المنصور في الرد على رسالة دسيسة الإنكار ٤٩ .

فإذا أنكر الشيخ ابراهيم – أو أحد أتباعه المدافعين عنه في غانة أو في أي مكان آخر – أن يكون هو الذي أمرهم بهذه العقائد الباطلة مباشرة يصدقه الباحث الذي وقف على شيء من حقائق أموره إلا أنه مع ذلك يجد صعوبة في تصديقه في رفضه أن يكون أصحاب هذه العقائد من أتباعه أو أن تكون هذه العقائد مبنية على أساس تعاليمه الأولى أو تعاليم الطريقة التجانية ، لأنه بإمكان الباحث المدقق أن يرد جميع هذه العقائد الفاسدة إلى أصولها في تعاليم الشيخ ابراهيم أو تعاليم الطريقة التجانية ، فإنك لو رجعت إلى الفصل الذي فصلنا فيه مميزات دعوته الأولى تكاد تجد أكثر المبادىء التي تقررت هناك تطابق هذه العقائد المتضمنة في تلك الرسالة أو تؤيدها .

ومهما يكن من شيء فإذا جاز لنا أن نصف أصحاب هذه العقائد بالجهل فلا يجوز لنا أن نصف الشيخ أحمد التجاني بن عثمان الكنوي – أحد كبار أصحاب الشيخ ابراهيم إنياس في نيجيريا وأحد رجال العلم والفقه فيها أيضاً – بالجهل وهو قائل هذه الأبيات الآتية في مدح الشيخ ابراهيم إنياس :

أفلت نجوم هدى فما من مهتد	إلا بهدى من أبي إسحاق
بحر العلوم وقطب دائرة الفنا	نور الزمان وسابق السباق
نسخت به آياتهم آياته	لا نسخ يدخلها بقاء الباقي (١)

وقال في مدح الشيخ أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية .

ومن كان حباً للتجاني وصحبه	وأهل طريقة يموت بإيمان
ومن لم يتب من بغضه مات كافراً	أعوذ برب الناس من بغض تجان
ولا تجلسن مع من يكون بغيضه	ولا تأكلن معه كذلك شربان
وجالسه أي مبغض الشيخ هالك	سوى ما إذا قد تاب حقاً بسرعان
وإياك والصلاة أي خلف مبغض	ولو كان ذا علم تبوء ببطلان
تقيد أخي بورده فيه واجتهد	تفوز من الرحمن حقاً برضوان
طريقته فاقت جميع الطرائق	كما هو فاق الخلق طراً بعرفان (٢)

١ – الشيخ أحمد التجاني عثمان : ديوان مرواق العشاق ١١ .

٢ – الشيخ أحمد التجاني عثمان : الثمرات الدواني في مدح الشيخ أحمد التجاني ٤

فاذا قرعت هذه الأبيات أسماع أولئك الغانيين أصحاب تلك العقائد السابقة أو أسماع كل من كان على شاكلتهم من جهال أهل الفيضة التجانية في أي مكان كانوا بماذا يفسرونها ؟ أو كيف يفهمونها ؟ .

أجل إن الشيخ ابراهيم قد أعلن براءته في غير ما رسالة من كل من يعمل مايخالف الشريعة وينكب عن جادة السنة النبوية من أتباعه ومن ذلك قوله : « أما من ينتسب إلينا ويرتكب شيئاً من مخالفة الشريعة المطهرة باقتحام المحرمات وترك المأمورات فأشهد الله وأشهدكم أني بريء منه اللهم أني بريء اليك مما صنع هؤلاء (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وهكذا .

ولكن البحث العلمي مع ذلك كله لا يتمكن من تبرأته وتنزيه ساحته مما يصدر من أتباعه من هذه العقائد الزائفة والتصرفات الفاسدة مالم يرتب هذه المبادىء والتعاليم التي قامت عليها دعوته الأولى والتي قررها في كتبه ورسائله — والتي يبني أتباعه عقائدهم على أساسها ، ويعتمد المفسدون منهم عليها في سلوكهم الأيامي — وأعلن براءته منها وحذر أتباعه من اعتقادها فمثلا أن الشيخ إبراهيم قد أورد في كتابه (السر الأكبر) ما سماه بالدائرة الفضلية وقال إن الشيخ التجاني قال : إن الطريقة التجانية قد نشأت في تلك الدائرة فوصفها بقوله : « إن منشأ هذه الطريقة ... الدائرة الفضلية التي هي وراء الدوائر التي هي دوائر الأمر والنهي والجزاء خيراً وشراً والاعتبارات واللوازم والمقتضيات فإن هذه الدوائر هي دوائر عموم الخلق وتلك الدائرة الفضلية هي دائرة اختصاصه واصطفائه سبحانه وتعالى فيضعها لمن شاء من خلقه ، وهذه الدائرة جعلها سبحانه وتعالى عنده فيضها فائضاً من بحر الجود والكرم لا يتوقف فيضه على وجود سبب ولا شرط ولا زوال مانع بل الأمر فيها واقع على اختصاص مشيئته فقط ولا يبالي بمن كان فيها وفى بالعهود أم لا ، انتهج الصراط المستقيم أم سقط في في المعاصي في الطريق الوخيم ، ولا يبالي فيها لمن أعطى ولا على ماذا أعطى ، ومن وقع في هذه الدائرة من خلق الله كملت له السعادة في الآخرة بلا شوب ألم ولا ترويع ، وفيها كما قال شيخنا أوقع الله أهل طريقته فصارت عبادتهم محبة وشكرا (١).

---

١ — الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر والنور الأبهر الورقة الثالثة .

الناظر لهذه الدائرة بإمعان لا يعتريه ريب في أن من أدرك حقيقة معنى هذه الدائرة وآمن بها وفهم أنه وقع فيها لا يتوقف عن اقتحام كل ما يشبع به شهواته النفسية ، ويروي به رغباته الغريزية ، إلا ما يتيقن أن المسلمين يثورون عليه ، أو تحاكمه الحكومة بارتكابها فقط ، وهذه الدائرة وحدها تكفي أساساً لكل سلوك فاسد ، واعتقاد زائغ ، وتوهمات باطلة .

والراجح أن أكثر أتباع الشيخ ابراهيم يعتمدون عليها في كثير من سلوكهم وتصرفاتهم ، فمثلاً عندما شدد الشيخ النكير على ما يصدر من أتباعه من السلوك الفاسد والتصرفات الزائغة ، وأرسل إلى كبار مقدميه رسائل متتالية يتبرأ فيها من كل عمل يخالف الشريعة كتب اليه بعض كبار مقدميه الموريتانيين وجاء في كلامه ما يلي:
« إن الكتاب الذي رأينا على يد الخليفة السيد علي سيس بلغ في القلوب مبلغاً عجيباً حتى إن البعض صار يقول هذه براءة فقط أعاذنا الله من ذلك ، وأما أنا فلم أفهم من الكتاب إلا أنه في غاية كمال الدلالة على الله من حيث هو وكنت أفهم أن أكثر المجاذيب لا شعور لهم بالله لأن أعظميته اختطفتهم عنه ، وعلى كل حال فإني أتوجه اليكم برحمانية رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرحمانية الشيخ التجاني وبرحمانيتكم أن تقبلوا علينا بمحض الفضل والرضى ، وأن تسامحونا في كل ما صدر اليكم منا ظاهراً وباطناً ، فوالله ما حملنا على دوام التعطش والتشوق إلا حسن الظن ولعلمنا بأن هذه الدائرة دائرة فضل لا يتوقف فيضها على شيء ، فلو كان فيضها معلقاً على شيء من الصدق والمحبة أو الأدب أو العبادة لما كان لنا رجاء به ، ولو اتصفنا بجميع هذه الأوصاف لما كان لنا رجاء أيضاً إلا بفضل الله علينا بكم وها نحن طأطأنا الرؤوس تحت تراب نعلكم .... ونطلب منكم التجديد وضمان أن نموت ونحن على عهدكم ومحبتكم ، وكفانا هذا من المطالب (١).

وبإمكاننا ولو بالنظرة الخاطفة تلقاء هذه الرسالة أن نستنتج الأمور الآتية .

---

١ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٨٥/١ .

أولاً إنه فتح كلامه بالتعجب من رؤية رسالة الشيخ التي يعلن فيها براءته من كل عمل لا يسير على جادة السنة المحمدية ويطلب منهم على وجه التأكيد الاتصاف بأوصاف مخصوصة والاشتراط بشروط مضبوطة .

ثانياً : إنه ذكّر الشيخ في الرسالة بأن المجاذيب — الذين تربوا — لا شعور لهم بالله لاختطافهم بأعظميته عنه ، كأنه يريد بذلك أن يقول إن الذي لا شعور له بالله لا يراقبه ، وبالتالي لا يؤخذ بكل ما صدر منه من المخالفات .

ثالثاً : إنه ذكر الشيخ في الرسالة أيضاً بأنهم أقاموا أمورهم كلها على أساس هذه الدائرة الفضلية التي لا يتوقف فيضها على ما يكررها في رسائله من الصدق والمحبة والأدب والعبادة وما إلى ذلك ويندد بكل ما تساهل فيها .

ومهما يكن من شيء فالذي نتوقعه من الشيخ عندما غيّر منهاج دعوته أن يخرج هذه المبادىء والتعاليم ويكتبها في منشور عام يبعث به إلى جميع الأقطار التي اعتنقت تعاليمه ، معلناً أنه رجع عنها ويطلب من أتباعه الرجوع عنها أيضاً ، ولكنه للأسف ما فعل ذلك حتى مات ، بل إنه بدل ذلك أوصى لكافة أصحابه بالتمسك بالطريقة التجانية التي وصفها بكنز الأحياء والأموات من دون أن يخرج منها تلك المبادىء والتعاليم ، وعلى هذا فإن الشيخ سكيرج العياشي التجاني كان على جانب عظيم من الصواب حيث قال : « وطلب المتصدر للشيوخة للاخذ بيد الكثير من المريدين بادعاء التربية منه لهم يفضي إلى سوء الظن به وهلاك جم غفير على يده من المؤمنين الذين لم يصيروا معه على حال مع أنهم كانوا في غنى عنه بعدم التقيد بحبل عهده وكانوا بأداء فرائضهم دون سيطرته عليهم في سلامة في قربه وبعده كما يجد هذا من نفسه من عامل الله صادقاً ومن اختبر نفسه وخبر ما عليه المريدون لا يدخله ريب فيما قلناه » (١).

بذلك ندرك أنه لولا هذه التربية لما تجاسر الشيخ نفسه على الإدلاء بكثير من مبادئه وتعاليمه تلك ، لسمو أخلاقه وما يتمتع به من فهم في الفقه الاسلامي ، وميله

---

١ — الشيخ أحمد سكيرج : تنبيه الاخوان ١٠٧

الظاهر إلى الإصلاح كما أن أتباعه خصوصاً ذوي العلم والدين منهم ربما يجدون حرجاً شديداً في قبولها منه لولا هذه التربية أيضاً .

وعلى أي حال فإنه لا يسعنا إلا أن نصدق الشيخ إبراهيم تصديقاً جازماً في أن من أهداف دعوته الجديدة بث الشعور بالأخوة الاسلامية في أوساط المسلمين وربط دعوته بالحركات والهيئات الاسلامية في العالم ليتحقق التعاون الذي كان من مقتضيات هذه الأخوة الاسلامية ، والشاهد على ذلك أن الحاج أبا بكر جومى كان معروفاً بمخالفته للشيخ إبراهيم وجماعته ، ولما اجتمع به في المدينة المنورة سنة ١٣٨٤ ــ ١٩٦٤م وتحدثا حول التعاون النشاطي للدعوة الاسلامية في نيجيريا فبمجرد أن آنس الشيخ ابراهيم رغبته في هذا التعاون كتب فوراً إلى أتباعه النيجيريين يحبذ إليهم توحيد حركاتهم مع جمعية الحاج أبي بكر جومى ليكونوا قوة واحدة لدعوة الوثنيين إلى الاسلام ، وسد طغيان التبشير المسيحي في البلاد ، وجاء في الرسالة ما يلي : « فإني هنا بالمدينة أمام الرسول الأعظم أسأل الله تعالى لي ولكم الهداية والتوفيق والنصر والتأييد على خدمة الاسلام والأخذ بأيدي الاخوان والسير بهم على الصراط المستقيم وأرجو الله أن يؤلف بين قلوب المسلمين ونسعى في ذلك ولا نألوا جهداً ، وهذا وعندكم جمعيات للتعاون على خدمة الدين ونشر الدعوة وتحدثنا مع الأخ قاضي قضاة نيجيريا الشمالية فرأيت منه رغبة في تعاون جمعياتكم مع جمعياتهم لتكون قوة كافة للقيام بدعوة الوثنيين إلى الدين وإني لا أرى بأساً في ذلك بعد مشاورتكم ومشاورة كبيركم الحاج محمد السنوسي وأنا مهما اتفقتم على شيء معكم والشاهد يرى ما لا يرى الغائب » (١).

هذا وإذا رجعنا إلى خطبه وإرشاداته التي تلت سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٧ م نجدها كلها تسير حسب هذا المنهج الجديد الذي حدده للصحفي ، فقلما نجده فيها يتعرض للدعوة إلى التجانية كحاله في أول أمره بل نكاد لا نجده يذكر التجانية أو الشيخ التجاني إلا عرضاً لمناسبة تدعو إلى ذلك فمثلاً إنه قال في خطبته التي ألقاها سنة ١٣٩١ هـ

---

١ ــ الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٢/١٢٣ .

١٩٧١ م لمناسبة عيد المولد النبوي : « وعليكم جميعاً التسلح بطرق الصوفيةالابرار عباد الله المقربين الأتقياء الذين أناروا ط.يق السنة المحمدية وحموا بيضة الإسلام عن أيدي الطغاة الغزاة المستعمرين باعتراف هؤلاء وإقرارهم والحق ما شهدت به الاعداء ومن المؤسف حقاً أن يوجد اليوم متعالمون جهلة يشنعون على الصوفية ويذكرون السنة ويدعون الغيرة عليها وهل السنة إلا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم من يتطاول على طريقتنا التي ما نسبت إلى الشيخ الختم التجاني إلا تجوزاً وإلا فإن صاحبها قد كان يصفها بأنها محمدية ابراهيمية وهي الاستغفار والصلاة على رسول الله بأي صيغة ولا إله إلا الله تذكر صباحاً ومساء » (١).

وإذا نظرنا إلى أصناف الناس الذين اجتمعوا في هذه الحفلة نرى أن الشيخ كان مدفوعاً إلى ذكر الطريقة والدفاع عنها بضرورة الحال لأن الحفلة قد ضمت تلاميذه القادمين إليه من كل صوب من أنحاء إفريقيا الغربية وضمت أيضاً وفداً من المملكة العربية السعودية ووفداً من الجمهورية العربية المتحدة الذين يمثلون المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة ، ووفداً من المملكة المغربية وأن الجمع أيضاً يضم بعض هؤلاء الطلاب السنغاليين الذي ينادون بتطهير بلادهم من الطرق الصوفية ، وقد رأينا كيف كان الشيخ أحياناً يفر من الانتساب إلى الطريقة التجانية إذا اشتبك مع بعضهم في مسائل دينية ودعوية وإذا كان لا بد له من الانتساب اليها يلجأ إلى رأي واحد وهو أن الطريقة التجانية إن هي إلا الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله فحسب ونرى هنا أن بعض هؤلاء الذين يباحثونه في أمر الط.يقة قد حضروه في مستقره ووجدوا أن الطريقة قد كانت تقام فعلا في مسجده ، ولا بد له إذن والحال هذه من البيان والدفاع عن ذلك كما أن هناك تلاميذه الذين لا يعرفون شيئاً إلا الطريقة ولا ينظرون إلى أي شيء من أمور الدين إلا من خلال منظار الطريقة فلا بد له أيضاً أن يقويهم ويشجعهم ، وهناك أيضاً بعض أبناء وطنه هؤلاء الذين ثاروا على طرق أبائهم ونددوا بها وبأشياخها على أنهم يفرقون وحدة المسلمين في البلاد ويحرفون الدين الاسلامي السمح وإلى هؤلاء وأمثالهم – في

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : خطبته لمناسبة عيد المولد سنة ١٣٩١ هـ .

أغلب الظن – يوجه الشيخ كلامه : « ومن المؤسف أن يوجد اليوم متعالمون جهلة يشنعون على الصوفية » .

لعلك هنا تدرك معي أن الشيخ ابراهيم استعمل أسلوبه الحكيم في الدفاع وهو ملم بأن جمهور المسلمين التقليديين آمنوا بالتصوف ككل وأن انكارهم إنما يكاد يكون مركزاً على التجانية أكثر من غيرها من الطرق ، ولذلك فتح كلامه بذكر الطرق الصوفية قاطبة ومدحها بما يرى أنه أفعل في قلوب السامعين وأشد اجتذاباً لعواطفهم إليها وهو كونها منيرة لطريق السنة المحمدية وحامية للبيضة الاسلامية عن أن تعبث بها الطغاة الغزاة المستعمرون ، ثم تخلص أخيراً إلى الطريقة التجانية التي كانت هي الغرض الرئيسي لهذا الدفاع وذكر أنها منسوبة إلى النبي حقيقة وإلى الشيخ التجاني مجازاً لأنها عبارة عن الأذكار الثلاثة فحسب .

وهذه الأمور التي ذكرها الشيخ في دفاعه عن الطرق الصوفية هي محل الخلاف بينه هو ومن كان على شاكلته من مشائخ طرق الصوفية من جهة وبين أبنائهم الطلبة الذين تعلموا في الخارج من جهة أخرى وهم الذين يصفهم الشيخ بأنهم متعالمون جهلة.

فهؤلاء الطلبة السنغاليون يصمون شيوخ الطرق بتحريف الدّين الاسلامي ، والشيخ يقول إن الصوفية الأتقياء الأبرار أناروا طريق السنة المحمدية وهم يعيبون هنا شيوخ الطرق أيضاً بممالأة الفرنسيين المستعمرين بل يذهبون إلى أبعد من ذلك فيصفونهم بأنهم أيضاً مستعمرون ، والشيخ يقول إن الصوفية حموا بيضة الاسلام من أيدي الطغاة الغزاة المستعمرين .

هذا يجعلنا نشعر أنه من الأهمية بمكان في هذا الصدد أن نجعل بعض تعاليم الشيخ إبراهيم الأولى – الذي كان يعتبر أكثر اعتدالاً في حركته من بقية زملائه أشياخ الطرق الآخرين – في كفة ثم نضع بعض مآخذ هؤلاء الطلاب على شيوخ الطرق في كفة أخرى كي يظهر الأمر جلياً .

١ – قال هؤلاء الطلبة السنغاليون إن شيوخ الطرق قد جعلوا النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً آخر غير الانسان ، وهو نظير ابن الله تعالى مع أن النبي صلى الله عليه وسلم

ما ادعى قط أنه شيء آخر أكثر من نبي انسان أرسله الله إلى الناس كافة (١).

وقال الشيخ ابراهيم : « وأشهد الله ورسوله والشيخ أي التجاني أن عقيدتي التي أتعبد بها وأطلب من الله أن ألقاه عليها أني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ذاته وصفاته وأفعاله واحد في الألوهية ليس معه شيء أصلاً وأوجد رسوله سيدنا محمداً قبل جميع الكائنات إيجاداً منه بلا واسطة مخلوق وجعله أصل الكائنات ووسيلتهم والسبب في وجودهم » (٢).

٢ ـ قال هؤلاء الطلاب إن شيوخ الطرق قد نصبوا أنفسهم قساوسة الذين يكونون واسطة بين الله وبين عباده وليس في الاسلام مثل هذه الواسطة إذ لا رهبانية في الإسلام » (٣).

وقال الشيخ إبراهيم واعلموا أن المراد بالمشايخ التوسل بهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الوسيلة العظمى » (٤).

٣ ـ قال الطلاب إن عبادة أتباع الطرق لشيوخهم يناقض المبادىء الأساسية للدين الاسلامي ، وإن استغلال هؤلاء الشيوخ لأتباعهم هو الذي أدى إلى الرجعية والركود السياسي والاجتماعي والاقتصادي في أوساط المسلمين في البلاد » (١).

وقال الشيخ إبراهيم :

إن الذيـــن خدمـــوني نالوا	مـــرادهم سعادة ومـــالوا
من عاش شاهداً عيانـــاً ومن	مات يفز وذاك كل الزمن
والموت لا يضر ممّن قد سعدا	بل هوراحة لمن قـــد رشدا(٢)

---

١ ـ Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٥٧

٢ ـ الشيخ ابراهيم انياس : الرحلة الحجازية ٩

٣ ـ Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٥٧

٤ ـ الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٧٧

١ ـ Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٥٨

٢ ـ الشيخ ابراهيم انياس : الرحلة الكناكرية ١٣

وقال أيضاً : « والتزموا خدمة المشايخ ومحبتهم فإنهم يقولون من استخدمناه قدمناه (٣).

٤ – قال الطلاب إن شيوخ الطرق يؤيدون الفرنسيين المستعمرين الذين يحرمون المسلمين حقوقهم الوطنية ، ويقومون علناً بتأييد الكنيسة الكاثوليكية المسيحية وتكفلها بالمساعدات المالية على حساب حقوق المسلمين الكادحين (٤).

وقال الشيخ ابراهيم : « ولا بد من زجر الأحباب عن كل عمل يخالف قوانين أرباب الدولة الفرنساوية ، فموافقتهم واجبة فإنهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم يسمعون في الائتلاف وصيانة النفوس وعافية أهل البلاد (٥).

٥ – قال السيد عبد العزيز سي رئيس الاتحاد الوطني للجمعيات الثقافية الاسلامية السنغالية السابق ذكره : « لا بد من تعميم التعليم لجميع الوطنيين المسلمين في السنغال حتى يعرف الجميع أن عبادتهم لله تعالى لا تتطلب وساطة هؤلاء الشيوخ » (١).

وقال الشيخ إبراهيم : « وأوجد (الله) شيخنا أي التجاني وجعله واسطة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم . بحيث لا مطمع لنا فيما منّ الله إلا بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فكذلك) هو أي الشيخ التجاني الواسطة بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم فلا مطمع لنا في شيء خارج عن هذا » (٢).

٦ – وقد بيّن السيد عبد العزيز تأسفه وخيبة أمله من تفرق المسلمين في السنغال إلى فرق وطوائف ، وفشو الجهل في أوساطهم وهو يرى أن سبب هذا التفرق هو طرق الصوفية (٣).

---

٣ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٢٠

٤ – Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٦٦

٥ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٢٧

١ – Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٦٧

٢ – الشيخ ابراهيم انياس : الرحلة الحجازية الأولى ٩

٣ – Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٦٦

وقال الشيخ ابراهيم : « والعزلة لا أحسن منها إلا إذا كنت مفيداً أو مستفيداً ، مراداً أو مريداً ، ومن كان يصحب مراداً أو مريداً فليكتف بالصادق في الصحبة الحقيقية ، فمن لم يكن له تعلق بالشيخ أي التجاني فصحبته تقطع المريد وتعوق (عن) المراد ، فإن بعض الاجتماعات الدينية والطريقية السر فيها القاح المريد » (٤).

وأمثال ذلك كثير ، فإنما جئنا بهذا القدر القليل للتمثيل فقط ، وكل ذلك قد مر بنا بعضه في الفقرات السابقة آنفاً ، وبعضه في الفصول التي تقدمت .

لعل سبب تعرض الشيخ ابراهيم لذكر الطريقة التجانية والدفاع أصبح واضحاً ، ومن أمثلة ذلك أيضاً أنه قد اضطر إلى ذكر الورد التجاني والتحريض عليه لحضور بعض الأتباع الذين لا يعرفون إلا الطريقة التجانية بل ما جاءوا إليه إلا لأجلها ، أو بعبارة أخرى أن الطريقة هي الرابطة التي تربط بينهم وبينه فقال : « إنني أجدد لكم وصيتي بالجد والاجتهاد في المحافظة على الفروض والسنن والأدب والاذكار والأوراد فإن كثرة الإعراض عن الله والغفلة عن ذكره تشاغلا واكتفاء بقوة الأشباح عن قوة الأرواح (تسقط شرف الانسان) إذ لا شرف للانسان ولا كمال إلا بذكره لله تعالى ، إذ هو الحبل الذي يصل بين العبد وبين ربه ، وقد رفضوا صحبة الصالحين والمشايخ والأولياء والعلماء الأتقياء ، وأنا أرى أيها الأحباب أن من تمسك بالأوراد اشتغل بذكر الله عز وجل ومحبة أوليائه المقربين ، ومن رفض الأوراد ترك ذكر الله وعادى أولياء الله ، وقد خرج البخاري ورفعه (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) وأعني بالأوراد الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الله هذا بعد ما تيسر من القرآن فهو أفضل الأوراد » (١).

وأنت هنا ترى أن الشيخ ابراهيم لم يصرح بذكر الطريقة التجانية وصرح بدل ذلك بأنه يريد بالأوراد الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله

---

٤ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٢٧.

١ – الشيخ ابراهيم انياس : خطبته بمناسبة عيد المولد سنة ١٣٨٠

هذا بعد أن يقرأ الانسان ما تيسر من القرآن الكريم لأنه أفضل الأوراد ، نستنتج من كلامه هذا أمرين :

أولهما : أنه يحرض الحاضرين على ملازمة الأوراد وهي الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله من غير قيد ولا شرط ولا عدد ولا ضبط .

وثانيهما : أنه ينصح الشارع في هذه الأوراد أن يبدأ بقراءة ما تيسر من القرآن أولا لأنه أفضل الأوراد .

ومعنى كل هذا أن الشيخ ابراهيم في الظاهر – لا يريد بهذا الورد الطريقة التجانية لأنه لو كان يريدها لقال بكل سهولة : « أعني بالورد أوراد الطريقة التجانية المعروفة بشروطها المشروطة وبدليل قوله أيضاً : « هذا بعدما تيسر من القرآن فهو أفضل الأوراد ». لأنه ليس من ترتيب الورد التجاني أن يبدأ الانسان بقراءة القرآن أولاً وأما في الباطن فالأمر يبدو أنه يريد بكلامه أوراد الطريقة التجانية بدليل قوله : « إن من تمسك بالأوراد اشتغل بذكر الله عز وجل ومحبة أوليائه المقربين ، ومن رفض الأوراد ، ترك ذكر الله وعادى أولياء الله ، إذ أنه لا لزوم أبداً بين ذكر الله ومحبة الأولياء الصوفية كما لا لزوم بين ترك الذكر ومعاداتهم .

ومعنى كل هذا أنه يريد بالأوراد الأذكار التي تؤخذ من الأولياء المتصوفين أمثال الشيخ التجاني ومن إليه .

فهيا بنا الآن نقارن هذا الكلام الذي قاله الشيخ ابراهيم في سنة ١٣٨٠ هـ –١٩٦٠م مع قوله لأتباعه سنة ١٣٤٩ هـ – ١٩٣٠م أي قبل ذلك بحوالي ثلاثين سنة أو يزيد : « لا تضيعوا حقوق الرب ، فجل الله من أن يخل العبد بحقه وخصوصاً الصلوات الخمس بمراعاة شروطها في أوقاتها في الجماعة والأوراد اللازمة للطريقة وتأكدت الوظيفة وشرطها الجماعة فمن فعلها وحده مع إمكان الجماعة لم تكفه وبها قوام التجانية للمرء ، فمن لم يحافظ على ما ذكر فليس بتجاني ، وإذن لم يشم رائحة الفقر

والتصوف » (١).

لماذا استعمل الشيخ ذلك الأسلوب المتلون ؟ أو بعبارة أخرى لماذا ورّى الشيخ في كلامه بهذه التورية الضمنية ؟ .

ولا شك أن لذلك أسباباً منها : أن المحفل بجانب أتباعه الذين جاءوا لأجل الطريقة قد ضم أصنافاً آخرين من الناس ينظرون إلى الطريقة بالنظر الشذر ، كأمثال الوفود الذين يحضرون من البلاد العربية لإحياء ليالي المولد النبوي تكريماً للشيخ باعتباره داعية كبيراً من دعاة الإسلام في العصر الحاضر فهؤلاء طبعاً يتعجبون إذا وجدوا أنه من أتباع الطريقة التجانية ، لأنهم يعتبرونها بدعة وخرافة وكفراً ، وقد أخبرنا الشيخ إبراهيم نفسه أن عالماً في مكة نصحه بأن يأمر أتباعه بترك الطريقة التجانية لأنها بدعة وخرافة وكفر (٢)، كما أن في المحل أيضاً جماعة من الشبان السنغاليين المثقفين الذين ثاروا على طرق الصوفية وشيوخها وربما كان إليهم يرمز الشيخ بقوله: « وقد رفضوا صحبة الصالحين والمشايخ والأولياءوالعلماء الأتقياء». كما مر ، هذا ماكان من جهة المجتمعين والشيخ طبعاً يحسب لكل طائفة منهم حسابها ، وأما من جهة نفسه فيبدو أن موازين الطريقة أخذت تخف عنده ، وبدأت موازين الدعوة الاسلامية العامة تثقل مكانها ، فلعل من أجل هذا استعمل الشيخ أساوبه الحكيم هذا ليرضي الجميع ويرضي نفسه أيضاً .

وأما فيما عدا أمثال هذه المناسبات فإن الشيخ قلما يتعرض لذكر الطريقة أصلا، فيدعو إليها مادام في وطنه السنغال ، ولذلك إذا استعرضنا خطبه ورسائله التي تلت سنة ١٣٧٧ ﻫ ١٩٥٧ م نجدها كلها تكاد تسير حسب منهاجه الجديد الذي حدده للصحفي دعنا فيما يلي ننقل من خطبته التي ألقاها سنة ١٣٨٣ ﻫ — ١٩٦٣ م كنموذج لما كنا نقرره في هذا الصدد . قال الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي في مدينة كولخ :

« الحمد لله الذي بعث لنا محمداً خير خلقه ، نحمده ونشكره على عظيم امتنانه بخلقه ، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً ، بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو

---

١ — الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/١٠ ٢ — انظر جواهر الرسائل ١/٦٠ .

كره الكافرون » . قال وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ». وقال : لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ».

فهو صلى الله عليه وسلم منة الله على العالمين عامة وعلى الانسانية خاصة وعلى المسلمين بوجه أخص ، فتذكراً لهذه المنة والرحمة العظمى يحتفل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، وبهذه المناسبة أتحدث اليكم أيها السادة الأعزاء فأقول : « إن الاسلام عقيدة راسخة توجب أقوالاً وأفعالاً ونيات وأخلاقاً جاء بها النبي العربي الأمي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ». « والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ». ثم خاطبه ممتدحاً : « وإنك لعلى خلق عظيم ».

الإسلام أيها السادة أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الاسلام طهارة بدناً وثوباً ومكاناً وصلاة ، وهي أعظم فريضة نزلت ، وصيام وزكاة المال ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا ، وصبر على امتثال جميع الأوامر ، وصبر على اجتناب النواهي دائماً وأبداً ، وشكر على نعم الله تعالى التي أعظمها الايمان بالله ، ولا بد من تعلم العلم ، وقدم الأهم فالأهم ، ولا بد من عمل مواظب ، عمل للدين وللدنيا ، واتباع غير مشوب بالابتداع :

فالخـــير كلـــه في الاتبــــاع والشر كلــه في الابتــــداع

إتبع ولا تبتدع ، واتضع ولا ترتفع ، واترع ولا تتسع ، والإسلام أيها السادة دين السلام ، والله يدعو إلى دار السلام ، ودين الحرية والمساواة والأخوة ، كلكم من آدم وآدم من تراب ، يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إنما المؤمنون أخوة ، والإسلام دين الوحدة اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون والاسلام دين العمل فإذا فرغت فانصب ، إن الله يكره العبد البطال كلاً على الناس ، والإسلام دين العدالة ، أعدلوا هو أقرب للتقوى ، حتى مع العدو ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على

أن لا تعدلوا ، ودين مكارم الأخلاق كلها ، بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ودين الكرم والإيثار ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ودين الكفاح والجهاد ، فالمسلم لا يذل نفسه ، ودين التناكح والتناسل ، ولولاهما لخربت الدنيا ، ودين الوفاء ، وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها .

أيها السادة إن الإسلام اليوم محاط بأخطار جسيمة من قبل أعدائه وخصومه ، وهم أقوياء مسلحون بالأموال ، وهي في هذا العصر أقوى من القنابل والصواريخ ، ضد الإسلام والمسلمين ، التبشير المسيحي واسرائيل والاستعمار والشيوعية اللادينية والفرق الضالة داخل دائرة الإسلام على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة كما في الحديث الشريف . والخطر الأكبر متولد من تلك الفرق ، فهي أشد على الإسلام من أعدائه السافرين ، ترى شيخاً يتبعه خلق كثير باسم الدين ، وكل تصرفاته في هدم قواعد الاسلام ، وكل عدو للاسلام يجده جنداً من جنوده الأوفياء ، وأصل هذا الداء العضال هو الجهل الذي اتصف به رؤساء الإسلام ، فهم جهلة يفتون بغير علم ضلوا وأضلوا .

أيها الشبيبة أبناء الإسلام هبوا من الرقاد ، وشمروا لكي تداركوا فإن هذا العصر لا يتأتى أن يبقى فيه أبناء المسلمين جهلة فتنافسوا في العلم ، علم الدنيا والآخرة ، فنحن في عصر الصواريخ وعصر غزو الفضاء ، بفضل العلم الحديث ، فلا تقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذا التقدم البشري ، وإن تقدم العلم والصناعة وإطلاق الصواريخ في الجمهورية العربية المتحدة المسلمة لمما يدعو إلى الفخر والاعتزاز ، كما أن ذلك يرد أساطير أعداء الإسلام الزائفة أن الإسلام ينافي العلم فحفظ الله الرئيس العربي المسلم جمال عبد الناصر وحقق لنا به كل أمل للإسلام وللعرب ولإفريقيا .

وأنت ترى أن الشيخ هنا قد ظهر على المسرح الإصلاحي الاجتماعي بالمعنى الإسلامي العام ، وهو يشارك المسلمين جميعاً في شعور الفرح والترح ، ويعترف لجميع المسلمين بالإسلام ، وأنهم كلهم إخوة لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بالتقوى، بعد أن كان يرى أن كل من ليس له علاقة محبة بالشيخ التجاني هالك لا نجاة له أبداً(١)

---

١ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/ ٨

وهو يحدد الإسلام على ما هو عليه في الحقيقة ، نابذاً الطريقة التجانية وراءه ظهرياً كأن لم يكن في خلده فكر عنها قط ، بعد أن كان يرى أن من ليس له ورد مثل الطريقة التجانية لم يكن من عبيد الله ظاهراً وباطناً (١) وهو يعترف بأن الإسلام دين الوحدة والاتحاد وقرأ : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ». إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ، بعد أن كان يرى أن صحبة كل من ليس له تعلق بالشيخ التجاني تقطع المريد عنه أو تعوقه عن مراده » (٢) وهو يهاجم المستعمرين ويعدهم من أعداء الإسلام والمسلمين » بعد أن كان يرى أن موافقتهم وطاعتهم واجبة لأنهم مصلحون للبلاد » (٣) وهو يهاجم شيوخ الطرق الصوفية المتطرفين ويعدهم شراً على الإسلام من أعدائه السافرين ، كأنه عضو في جمعية أولئك الطلاب السنغاليين الثائرين على شيوخ الطرق .

ومع ذلك كله فإن الشيخ إبراهيم إنياس قد عاش تجانياً ومات تجانياً إلا أن التجانية عنده في أيامه الأخيرة صارت محصورة بين جدران الزاوية كما سبق أن قلنا يأتي اليها في أوقاتها أو في مناسباتها ، ولذلك كان مع سمو أخلاقه ، ووفور علومه ، ومعارفه ، وغزارة ثقافته ، وتجاربه ، وشدة حماسته في الدعوة إلى الإسلام ووحدة المسلمين ، وتنديده بالخرافات المثبطة لتقدم المسلمين إذا خلا مع أتباعه التجانيين وحدهم ينزل اليهم ويروج في أذهانهم من الأخبار الخرافية وأساطير المتصوفين التي لا مغزى لها إلا الدعاية للتجانية فحسب ، وأكثر ما يفعل ذلك في نيجيريا البلاد التي أعتبرت المظهر الحقيقي لفيضته ، ومن أمثلة ذلك أنه قد زار نيجيريا وزار فيها مدينة زاريا ، وذلك بسنتين أو ثلاث قبل وفاته ، وألقى فيها محاضرة على تلاميذه الذين اجتمعوا هنالك وجاء فيها ما يلي :

« وإذا اجتمعنا عند الله تبارك وتعالى أقرب العباد إلى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وأصحاب الشيخ

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١/٢٢

٢ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١/٢٧   ٣ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١/٢٧ .

التجاني ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدهم من أصحابه ، أنا أي الشيخ ابراهيم لا أسمح لأي وني أن يكون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إلا الشيخ التجاني فقط ، ولا أسمح لأي تجاني أن يكون أقرب إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أصحابي ، وكأني أنظر إلى ذلك الوقت واعلموا أنه آت إن شاء الله وإذا جاء (الوقت) وكان هذا الذي قلت كذباً ترون ذلك أرجو الله أن ينفعكم جميعاً وأنتم طالما كنتم تزورونا من هذه الأماكن البعيدة اليوم زرتكم أنا، الزيارة في الله شيء عظيم ينفع سواء (كان) الزائر كاملا أم ناقصاً (وسواء) كان المزور كاملاً أم ناقصاً أعطيكم مثالين على ذلك :

الأول اجتمع نفر من اللصوص فتشاوروا فيما بينهم فقالوا إن الشيخ الفلاني يأتيه جماعة من الزوار نمشي اليه موهمين له أننا أتينا لزيارته حتى إذا تشاغل الزوار نسرق أموالهم وأمتعتهم ، فوصلوا إلى دار الشيخ قبل وصول الزوار ، فقالوا نحن جئناك زائرين ، فرحب الشيخ بهم ، وصنع لهم طعاماً فبعدما أكلوا طلب منهم أن يغسلوا أيديهم في طست قدمه لهم ، فغسلوا فأخذ الغسالة إلى ابن له مريض ، فشرب الغسالة، ومسح بها على جسده ، فبرىء في الحال فجاء إليهم الشيخ فقال لهم أبشروا ، فإنه ببركة زيارتكم لله قد داويت ولدي الذي أعيا الأطباء مرضه بغسالة أيديكم فقط ، فجعل اللصوص ينظر بعضهم إلى بعض ، ثم أجمعوا أخيراً على التوبة فتابوا فأخبروا الشيخ بحقيقة أمرهم ، فهذا دليل على أن الزائر ولو كان فيه نقص له فضل من الله تبارك وتعالى حيث شفى المريض بغسالة أيدي هؤلاء اللصوص الفجرة ».

والمثال الثاني هو قصة عبد العلي كان عبد العلي ولياً مشهوراً بتربية المريدين في زمانه ، فسمع به مريد يحب الله تبارك وتعالى فخرج من بيته بكل ماله إلى عبد العلي، ولما وصل البلدة سأل عن منزل عبد العلي فدله الناس على رجل فاسق اسمه عبد العلي لا يشتغل إلا بأنواع المحرمات من خمر ونحوها ، ولكن الشوق قد غلب على هذا المريد ، فلم يطلع على فسق عبد العلي فسأله أأنت عبد العلي فقال نعم أنا ، فقال المريد وهبت لك نفسي ومالي كله ، ومرني بما تشاء ، فدله على عمل من أعماله ، واستمر

المريد يعمل ليلاً ونهاراً فمات ولي قبل الشيخ التجاني وإذا مات ولي فلا بد من أن ينتخب له خليفة فاجتمع الأولياء لاختيار الخليفة لهذا الولي واتفقوا على أن هذا الذي يخدم هذا الفاسق حباً في الله هو الذي يكون الخليفة ، فجذبه الله إلى حضرته وصار خليفة للولي الذي مات وبعدما فتح عليه تبين له أن هذا الرجل الذي كان يخدم فاسق عدو الله تعالى ولكنه انتفع بنية لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه نرجو الله تبارك وتعالى أن يحقق ظنكم الجميل في العبد الحقير (يعني نفسه) ويجعلنا جميعاً من المتحابين فيه، ويجعلنا خاصة أصحاب الشيخ التجاني ، ومن كان من أصحاب الشيخ التجاني — وهذا الذي أقول أحبه من أحبه وكرهه من كرهه — لا يعذب بالنار ولا يعذب أولاده ، ولا أزواجه ، ولا والديه ، ولا أصهاره، ومن لم يأخذوا الطريقة ولا يحاسبون من أغماض عينهم إلى دخولهم الجنة لا يرون شيئاً يسوء هم وهذا ضمنه رسول الله وهو قوي على أداء هذا الذي ضمن .

كان شيخ من أشياخنا يقال له عبدالله ولد الحاج أحكي لكم حكاية موته قبل أن أحكي لكم قوله » .

وكان في سفر عندما أصابه المرض الذي مات فيه ، فأمر بأن يحمل إلى حيه فكان كلما مر بحي يقول لهم تعالوا لتشهدوا كيف يموت أكابر التجانيين ، فاجتمعت القبائل فقال : دخل الموت قدمي وصل الموت إلى ركبتي ، بلغ الموت صلبي ، ثم قال لمقدم بجنبه جدد لي طريقة الشيخ أي التجاني فجدد له ، فقال : أرسلكم إلى أهل طريقة الشيخ التجاني فإن الموت الآن قد وصل إلى حلقي ، وهذا وقت صدق الفاجر ، الفاجر لا يقول في هذا المقام إلا الحق ، وقولوا لهم إني قلت لهم إن جميع ما قال الشيخ التجاني في الطريقة التجانية حق السلام عليكم ».

الآن أحكي لكم هذه القصة التي نقلتها من هذا الشيخ الذي مات على الكيفية السابقة : قال لأبي يوماً وأنا صغيراً إذ ذاك لا أدري هل أخذت الطريقة التجانية حينئذ أم لا : « قل لولدك هذا يدعو لي أن أموت على الطريقة التجانية » قلت له أنا ضمنت ذلك ، فقال لي حاجة أخرى ، قل لربك يجعل عليّ جميع كبائر أمة محمد صغارها وكبارها وأنا أتحملها إذا مت في الطريقة التجانية ولا يضرني ذلك .

وقال لي مرة أخرى : إن من كرامات الطريقة التجانية أن إبراهيم سالم صار من أهل الجنة مع كونه أميراً ظالماً كافراً فاسقاً في غنار فقال : سلوني لم ؟ قلنا له لمَ ؟ فقال لأنه اغتصب بنت عمر سالم وهي حرام عليه لأنها متزوجة بغيره ، فنزعها من زوجها بقوة وعاشرها معاشرة غير شرعية حتى مات ، ولكن تلك المرأة أخذت الطريقة التجانية ، ومحقق أنها لا تذكر أورادها ولكن ذلك ليس رفضاً لها بل كسلا فقط ، فبسبب هذه المرأة صار ذلك السلطان الكافر من أهل الجنة ».

فقال الشيخ ابراهيم بعد أن روى هذه القصة : « هذا شيء يبهر العقول ، ومن لا يحب أن يسمع هذه القصة أقول له كما قال الشاعر :

عبد شمس جدي لأن كنت غضبـــي   فاملأ وجهك الجميل عمشا (١)

وإن دلت هذه القصص على شيء فإنما تدل :

أولاً على سعة نطاق ما نسجه خيال شيوخ الطرق من هذه الأخبار الخرافية التي كان الهدف منها الدعاية لطرقهم وتسخير أتباعهم لاستغلالهم مادياً .

ثانياً إن مثل هذه القصص لا تلقي إلا في بيئة خاصة التي كان أكثر أفرادها بسطاء العقول ، والمغفلين الذين لا يستطيعون الاحتجاج والاستدلال ، بدليل أن الشيخ إبراهيم – كما رأينا آنفاً في خطبه التي يلقيها على المجتمع السنغالي الذي يتمتع بشيء لا يستهان به من الوعي الديني بفضل جهود شبانه المثقفين الذين ثاروا على خرافات شيوخ الطرق – كان لا يدعو إلى الطريقة التجانية صراحة في مثل هذه المحاضرات العامة فيستعمل مثل هذه القصص .

ثالثاً : يبدو أن الشيخ هنا قد تكلف الإتيان بمثل هذه الخطبة التي شحنها بهذه الأحاديث الخرافية إرضاء لأتباعه البسطاء ، الذين لا يتذوقون منه إلا إياها لعل هذا هو سبب كون لغة الخطبة ركيكة جداً . بحيث أكثر عباراتها لا تستحق أن تنقل بحروفها وألفاظها وتراكيبها إلا بعد إدخال التعديلات فيها ، وذلك طبعاً خلاف

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : محاضرته في زاريا ١٣ وهكذا جاء هذا البيت فيها .

ما تعودناه في خطبه من القوة والجزالة ، كما تتسم أيضاً بالتشاط الظاهر والحماسة الشديدة إلى الدعوة إلى الإصلاح ورفض كافة أنواع البدع والخرافات .

أنظر إلى الخطبة التي ألقاها في مدينة كولخ سنة ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م والتي ألقاها هنالك أيضاً في سنة ١٣٨٣ هـ هل تتوقع أبداً أن من ارتقى إلى هذه القمة السامية من الدعوة إلى الإصلاح الديني يتنزل بعد ذلك بحوالي عشر سنوات إلى الحضيض الأسفل هكذا ويدعو على رؤوس الأشهاد أن ملكاً كافراً فاسقاً ظالماً يدخل الجنة من غير إسلام ولا إقلاع عما كان فيه من الفسق والظلم بتوبة نصوح بل لأجل أنه مع كفره وفسقه وظلمه اغتصب امرأة تجانية متزوجة بغيره وعاشرها طول حياته معاشرة غير شرعية فقط ولكن لا عجب في كل هذا لأننا قد قررنا آنفاً أن الشيخ إبراهيم قد عاش تجانياً ومات تجانياً وأوصى لجميع أهل بيته وكل من يسير على نهجه أن يموت تجانياً ، ومن أجل ذلك لا نذهب في التعليق على قصصه هذه فنضعها في كفة ميزان الشرع أو في محك العقل ، لأننا باحثون عنه ولسنا خصومه .

الباب الخامس

الشيخ ابراهيم انياس بين تلاميذه وخصومه

العلاقة بين الشيخ ابراهيم إنياس بين تلاميذه – في واقع الأمر – روحية خالصة تقوم على أساس ودي عميق ، واعتقاد جازم فليست كلها مادية كما يظنها كثير من الناس ، فإن تلاميذه قاطبة في أي مكان كانوا يوالونه موالاة صادقة ، ويحبونه محبة خالصة ، بقلوبهم وقوالبهم ، ويعتقدون اعتقاداً قاطعاً لاتردد فيه أنه هو قطب هذا العصر ، وغوث هذا القرن ، وأن مفتاح الجنة في يده ، ومن خرج عن دعوته وخلع زمام طاعته فهو هالك لانجاة له أبداً . بل لا يبعد عنه إلا من ختم الله عليه بخاتم الكفر والضلال كائناً من كان ، كما أن من كان من أتباعه وأهل مودته وقربه استراح من ضنك الدنيا وضيق الآخرة وسعد سعادة لا شقاء بعدها أبداً .

حلفت يميناً إنني لا يحبني	سوى أسعد والعكس في حال بغضيا (١)
ومن يحبني ومن رآني	في جنة الخلد بلا بهتان (٢)
قد فاز أحبابي مدى الأزمان	تفضلاً وعداً من الرحمان (٣)

لذلك كان أفظع ما يخافونه ويتقون شره ويسألون الله السلامة منه ويستعيذونه منه هو الخروج من عهده ، والانسلاخ من أوساط حزبه ، والبعد عن جنابه ، وقد مر بنا

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : مجموع الدواوين سلوة الشجون ٩٩

٢ – الشيخ ابراهيم انياس : الرحلة الكناكرية ١٣ ٣ – الشيخ ابراهيم انياس : رحلة نيل المفاز ١١

أن الشيخ محمد المشري الذي كان شريفاً علوياً وابن شيخ الشيخ ابراهيم نفسه كتب اليه يطلب منه أن يجدد له عهده ، ويضمن له هو وأهل بيته أن يموتوا على عهده ، ومحبته ، وصرح بأنهم إذا فازوا بذلك كفا هو جميع المطالب (٤).

وإذا كان تعظيم التلاميذ لشيخهم يتبين في متابعتهم إياه في الأقوال والأفعال والمبادرة إلى امتثال أوامره بكل اخلاص ، وافتخارهم بالإنتساب اليه ، وتكريمهم كل من ينتمي اليه ، وإشادتهم بذكره ، وإفاضتهم في تقريظه ، ومبالغتهم في تقديره وتبجيله ، فقد كان الشيخ إبراهيم إنياس يتمتع بهذه الأمور كلها من قبل تلاميذه ، بشكل يدعو إلى العجب وإليك بعض الأمثلة على ذلك :

قال الشيخ محمد الثاني الكافنغي الكنوي : « وأما والد أرواحنا وشفاء جروحنا فهو شيخ الإسلام وبهجة الأيام مربي المريدين ومرقي الواصلين ، خليفة رب العالمين ، ومحيي سنّة سيد الأنبياء والمرسلين ، مجدد الملة والدين ، وحاميه من محدثات علماء السوء اتباع الشياطين ، صاحب الفيضة التجانية ومدير كؤوسها العرفانية مولانا الشيخ ابراهيم الكولخي ، فسح الله في حياته وأنالنا أو فر نصيب من بركاته » (١) .وقال أيضاً : « وأنا الآن في حجر شيخ الإسلام ، وبهجة الأنام ، غوث العصر ، وحجة الدهر ، مربي المريدين ، ومرقي الواصلين ، مجدد الملة ، والدين ،ومحيي ماالدرس من سنة سيد الأولين والآخرين ، من طار صيته إلى الآفاق ، واتضح لأحبابه علوم الحقائق والدقائق والأذواق ، مولانا الشيخ الحاج ابراهيم الكولخي ، ارتضع من ثديه واهتدي بهديه ، نفعنا الله به ، وأماتنا على عهده وحبه ، رفسح في حياته ، وأعاد علينا من بركاته في حياته ر(بعد) مماته آمين » (٢). رقال في معرض تعداده لما أنعم الله عليهم : « ومنها إننا وجدنا شيخاً جامعاً بين الشريعة والحقيقة كفانا في الباطن كما كفانا في الظاهر وهو .... مولانا الشيخ ابراهيم الكولخي نفعنا الله به ، وأماتنا على عهده وحبه ، فمن أراد معرفة الله تعالى والعمل الصالح فليفر إليه في كولخ ويسلم له القياد تنفتح عليه أبواب الخيرات ، وتنغلق عنه مسالك المضرات،

---

٤ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١ /٨٥ ١ - الشيخ محمد الثاني الكافنغي : سبيل الرشاد ٣٧
٢ - الشيخ محمد الثاني الكافنغي : مرآة الحق ٢

ويمتلىء صدره بالعلوم الدينية ، والعلوم الحقانية ، والاسرار الربانية وتفيض عليه الأرزاق الحسية والمعنوية ، ويبارك له في جميع معاملاته ، ويحفظ من محرمات شهواته، وتنقاد له الناس من جميع جهاته ، فيقودهم إلى طاعة ربه ، فيفوز بقربه ويكونون في ميزانه في الآخرة يفوز بحبه ربه ورضوانه ، فإن لم يستطع الفرار اليه فليفر إلى من شاء من خلفائه المتمسكين بالكتاب والسنة الذين لا يأخذهم في الله لوم الألسنة وهم موجودون في كل بلد من بلاد المسلمين خصوصاً نيجيريا ». (١) وقال كذلك : « إن الشيخ أي ابراهيم إنياس نفعنا الله به مجدد في قرننا هذا جدد لنا الرجوع إلى الشريعة على العهد الذي كانت عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، نرفع أيدينا في المواطن الأربعة ونضع إيماننا على شمائلنا في الصلاة ونكرر قد قامت الصلاة مرتين ونجهر بآمين وغير ذلك مما نبّهنا عليه فجزاه الله عنا خيراً وأطال عمره فينا يسوقنا إلى ربنا ويقودنا إلى متابعة نبينا في سرنا وجهرنا بمَنّه وفضله آمين » (٢).

وقال الشيخ أبو بكر عتيق الكشناوي الكنوي : نحن قد خصنا الله تعالى مع مالنا من الإذن الصحيح والنيابة عن الشيخ أي التجاني بالسند المتصل الذي لا شك فيه بظهور هذه الفيضة الأحمدية في وقتنا ، ولله الحمد وهي التي أخبرنا الشيخ التجاني بوقوعها وظهورها ، فصار أكابر خلفائه من بعده ينتظرونها ، ويتمنون وقوعها في زمانهم ، وقد رزقنا الله بذلك بمنه وكرمه ، وله الحمد والشكر ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

ومن أتـــى فمرحبـــاً ومـــن تـولى فـــإلى
ومن شاء فليؤمن ومن يك جاحـــداً فالحق بان لعارف يقظان (٣)

وقال الشيخ الحاج عثمان القلنسوي الكنوي :

ثم وصلنا لمدينـــة العـــــلا مدينة الفيـــض وسعدنـــا عـــلا
هناك أدينـــا صلاة الجمعـــة يؤمنـــا الغوث العظيم الرفعـــة

١ - الشيخ محمد الثاني : مرآة الحق ٤٣ .

٢ - الشيخ محمد الثاني : فصل المقال ٢٧ ٣ - الشيخ أبو بكر عتيق : الصارم المشرفي ٢٣ .

قدمنا الشيـــخ علي السيـس لحضرة المعظـــــم الرئيـس
هناك سلـمنـــا فكاد الشـوق يطير نا بل هو سحق لحـق (١)

وقال الشيخ يهوذا بن سعد أحد فقهاء زكزك المشهورين يمدح الشيخ ابراهيم إنياس

وإن رمـــت أولي خـير ثقاة وزهـــاداً ونقـــاداً وعـاة
وأشياخـاً غطاريفـــاً سراة وإن رمـت الصـلاح والنجاة
بساحـة كولخـي بـرء الكليم

تفاخر بالجـــدود للغبـــي فخـــذ ذكراً صلاة كل حين
وفي الأخرى ترى عين اليقـين فخار المـرء بالتقـوى وديـن
وبيـس الفخـر بالعظـيم الرمـيم

بشيخـي نسبـتي شيـخ تقـى إمام هـــدى وذي علـم ولي
وزهاد الـورى قطـب ذكـي وعـــزي وافتخـاري بكولخي
ان افتخـروا بقيس أو تمـيم

فلا تطلب سوى مـن راحتيـــه ولا تـنـزل سوى في ساحتيـــه
ونظرك فليكن في وجنتيــــه فخـذ إذنـاً وأسراراً لديــه
وما قد خـذت كن بالمستديـم

وإن صافيتـــه فأخـــذت عنه وإن خالدتـــه ورضيـــت عنه
وإن جالستـــه وحبيـــت منه وإن لاقيتـــه فأخـــذت منه
سلمت من الأباليس الوصيم (٢)

يقول في هذه الأبيات باختصار : « إذا أردت أيها الأخ أن تجتمع بقوم فضلاء ثقاة زهاد حفاظ مدققين وأشياخ غطارفة كرام وإذا أردت أن تفوز بصلاح الأمور والنجاة من غواية الشيطان اللعين فعليك بساحة الشيخ ابراهيم انياس بحضرة كولخ وهنالك تبرأ من كل ما تقاسيه من الداء العضال .

---

١ - الشيخ عثمان القلنسوي : الروائع العنبرية ٧ ٢ - الشيخ يهوذا بن سعد : القصيدة الميمية ٩

ولا تفتخر بالآباء والأجداد حتى يعوق ذلك دون وصولك إلى هذا الشيخ العظيم، فإن ذلك من عادات السفهاء ، فاشتغل دائماً بالأذكار التي تأخذها منه فإنك في النهاية سوف تفوز بالعلم اليقيني لأن المسلم لا يفتخر إلا بالدين والتقوى لا بالعظم الرميم .

وإذا فهمت كل ما تقدم ، فاعلم أن انتسابي أنا إلى شيخي الحاج ابراهيم إنياس ذلك الشيخ التقي والإمام المتهدي ذي العلم الغزير الولي الزاهد والقطب الذكي ، بهذا الامام الكولخي اعتز وافتخر أن افتخر غيري بأبائه وأجداده .

فإذا نزلت بساحة هذا الإمام العظيم فلا تطلب سوى الله تعالى منه ، ولا تنظر إلى غيره أبداً فليكن نظرك مصوباً إلى محياه الوسيم المعبر عن طلعته البهيجة ، فاطلب الإذن والاسرار من لدنه وحده ثم عض بالنواجذ على ما أخذت عنه حتى لا يفلت منك .

فإذا لاحظتك العناية الربانية قد خلت في سلك من يصادقه المحبة والوداد ويرضى عنه حتى ظفرت بالإذن منه ، سلمت من ابليس اللعين الكثير المثالب .

ولعل خير من أخلص المدح وصدق الحب في الشيخ ابراهيم من تلاميذه النيجيريين هو الشيخ أحمد التجاني بن عثمان الكنوي فقال في رحلته الكولخية .

خادمـه الطيب قـد دعانـي ... قال أجـب للشيـخ يا تجانـي
لما أتيـت خرج المعشـوق ... فقمت إجلالاً له المرمـوق
شيخ الشيـوخ قطب القطـوب ... رمـز الوجود منبـع المرغـوب
باب نجـاة اللائـذ العصي ... ومظهـر لا عـدل الوصي
فقال لي يا أحمـد التجانـي ... أهـلاً وسهـلاً مرحباً تجاني
فمد لي يمنـاه يا بشـراي ... قبلتهـا صافحت مع يمنـاي
آنسـني يسألـني عن أهل ... بلدنـا وما جـرى في أهـلي
فعنـد ذا أمـر بالمأكـول ... من جنس ما يأكلـه مأمـولي
أمـرني بأكلـه ناولت ... بين يديـه حبـذا ما نلـت
وهكذا وقـع لي الأكل معـه ... بإذنه حقاً مراراً فاسمعـه (١)

---

١ - الشيخ أحمد التجاني بن عثمان : النفحات الإلهية ٣ .

وهو في هذه الأبيات يستبشر بمصافحة يد الشيخ وتقبيله إياها كما يفتخر بأنه قد ظفر بالأكل معه مراراً من نفس الطعام المعد له وإن الشيخ قد باسطه وآنسه ويقول في قصيدته الميمية في مدحه :

صاح عـج نحو الهمـام ذي الفيوضـات السوامي
فيضــه قد عـم حتى نالـــه كـل الأنـام
قد سرى بــرأ وبحــرأ بـين حيـوان وجـام
في فتــوح وكشـوف وفنــون العلــم نـام
فاض في مــلك ومـال فهــو مروي كل ظـام
كم خديــم صـار مخدو ماً وشيخـاً صار عامـي

إلى أن قال :

إن رضيـتم فمرادي في رضاكـم ومرامـي
فصلـوني وصلـوني دائمـاً هاكـم زمامـي
حبكـم حقـاً براني ومحانـي عـن مقامـي
فهـو روحي وهو راحي وشرابـي وطعامـي
ذكركـم قـوت لروحي فهـو فكـري وكلامي
لا يرى ذكـر سواكـم في ضمـيري زلثامـي
إنـني مهمـا ترانـي شغلـتي في ابراهامـي
فهـو قلبـي ولساني وجلـوسي وقيامـي
حركاتي مع سكونـي ومسـيري ومقامـي
واضطجاعـي وفراشـي يقظـتي ومسامـي
شاهـدي وهو غيوبـي ثم سمعـي ومسامـي
وهو ذوقـي وهو لمسـي وهـو نظـري واشتمامي
وهـو فـوقي وهو تحتي وورائـي وأمامـي
وهـو كلي وهـو جزئـي وصلاتـي وإمامـي

وهـو مأمومـي وفـذي وزكاتـي وصيامـي
وهـو مـالي وكفانـي الـ ـشيخ مـال الانتعامي (١)

وقال في قصيدته الرائية في مدحه أيضاً :

ورؤيتـه فوز كبير ومغنم وسعد لراء لو رآه كفـور
محبته سعد وصحبته هـدى يثوب وما غاب البشير نذيـر
فأهلا بشمس أشرقت من مشارق مشارق أنوار الغيوب تنير
فأوبا بخير خير وسلامـة لنشر ديانات الإلـه بسير
وتبيين مغموض وكشف للابس فأفصح أمي وأبصـر عـور
ليحيي القلوب القاسيات بفيضه يهزم جيوش الغير حين يغير
يوطن دنيا قد تغرب في الورى فطوبى لقاف والبغيض حقير
فيارب بلغه المـراد وابقنا على عهـده ثم الحسود يبور

إلى أن قال :

فكـن لي أيا شيخي ولياً وناصراً حفيـاً معينـاً فالعـدو كثير
رموني وواشوا بي وسبوا وزندقوا بتزويرهـم إني اليـك فقـير
بدون ذنـوب غير أني أحبكم واثركـم قـاف ومـالي غير
وقفوى لكم قفولطـه أحقـه على ذا من الأعـداء بأن نكـير
فكونوا لنا دنيا وأخرى تفضـلاً بلا سبب منا تلـين صغور (٢)

وقال في القصيدة الواوية المقصورة :

وفي ذكر ابراهيم من لالـه شروى فلاح وسعد والنجاة من الأسـوا
ولي جميـع الأولياء بسـره تولوا مقامات لهم فيضه أروى
وتذكار إبراهـيم ذكر لأحمـد وطـه وربي إنه المسند الأقوى
ويكفي سلوكاً عند أهل بصيرة وجذباً بنيل الحب فوق الذي يهوى

ويجتني قلوب العاشقين ويجمع ... على الله جرب كي تصان من الأهوى
يكاشف محجوباً يعرف واصلاً ... يرقى أولى العرفان في الجهروالنجوى
ثناء أبي إسحاق سير مريده ... فلا تقترن عنه إذا تبتغي الأضوا
تنزه به في ذاته وصفاته ... معانيه أن البحر قد أعجز الدلوا
إذا رمته ذاتاً تجده وان ترمـ ... ـه وصفاً وآثار الصفات فلا غروا
لقد جل معنا أن يحاط بكنهه ... وآياته تنبيك ما فيه قد يطوى
غزيرات امدادات مكنون سره ... على نسخ كل السابقات لها يقوى
نتائج فكر القوم طراً كقطرة ... ببحر فراخ القطب ذي الرتبة القصوى
وقد تم في حاليه معنى وصورة ... وزاد تماماً لا يرام ولا يروى

وهكذا إلى أن قال :

عليك به فهو المرادات كلها ... ولا تلتفت عنه به تلق ما تهوى
فأحضره في الأذكار والورد والصلاه ... به كل حين عمر المحق والصحوا

. . . .

تضرع له واخضع وعززه ملقياً ... قياد اتفق من فاق كي تحمد المثوى
فدونك فالزم بابه بشهادة ... وغيب فعند المعضلات ترى النجوى
وكن في ضمان منه إن ضمانه ... ينجي ويكفي مبتغيه لدى الشكوى
وكن معه لله في الله لا تكن ... لغير فإن الشيخ لا يقبل اللهوا

وقال في القصيدة القافية :

قف بالديار وسل عن السباق ... ما بين مستسقيهم والساقي
وكئوسهم وشرابهم والمنتدى ... ثم الندام أحاسن الأخلاق
والوارد المورود كل قد مضوا ... لسبيلهم لم يبق منهم باق
غاضت بحيرتهم ونار القبس قد ... طفئت وسيم بدورهم بمحاق
أفلت نجوم هدى فما من مهتد ... إلا بهدي من أبي اسحاق
بحر العلوم وقطب دائرة الفنا ... نور الزمان وسابق السباق

نسخت به آياتهـــم آياتـــه لا نسخ يدخلها بقـــاء الباقي
شمس الطريق دليلهـا خريتهـا ومحط سالكها بـدون شقـاق
كأس الشراب رحيقـــه المختوم ؛ ـــم نديمه كـل الندامـى ساقي
فالزم حمـــاه أخي واقتبس الهدى واستشف من بلواك بالترياقي
إن كان قد سبقوه وقتـاً قد غـدا في فيضــه أعلى الأعالي راقـي
إن كان صيت عم قطراً في المثـا ت من السنين لغـير ذا الفـواق
ففيوضه أســراره في أيســر الـ أيام عمـت سائر الأفـــاق
عرباً وعجماً بالمشارق والمغـــا رب قلـــدوه لنوره الـبراق

وقد ألف السيد الياس بن محمد تكر الكشناوي قصيدة يستغيث فيها بالشيخ ابراهيم إنياس وسماها كشف الغموم بالاستغاثة بصاحب فيضة القطب المكتوم مولانا الشيخ ابراهيم بن الحاج عبدالله الكولخي وجاء فيها :

أي سيـــدي يا عدتـي برهاما يا من أفـاض الله عنــه نعيمـا
نصراً وعوناً مالنـا من ملجـأ قد كدت ظلماً أن أكـون غريما
ركبت على لـوازم عن حملهـا جبل يدك مكانـــه مهدومـا
برزت على نوائـب لو أنهـــا برزت على الأيـــام عدن عديما
يا منقذ اللهفان يا غوث الورى عوناً لنا كي لا أصنـام يتيمـــا
لطفاً عميماً فوقـــه لطفانٌ في فضل وجود أن أكـون مقيمـا
طب أنت نفساً وقر عيناً لي فقل بشراك يا اليــاس كنت نديمـا
يا سر سر السر يا خـــتم علا يا عـين جـــود الله يا مكتـوما
فعليك يا برهام ربك قد وفـى ذاتاً ووصفاً ثم زاد نعيمـــــا
لولا قيامك عابـــداً وخليفـة ليصير هذا الكـون منه عديمـا
ما أن دعا أحـــد بأي مكانه إلا وكنت مجيبـــه وعليمـــا

---

١ - الشيخ أحمد التجاني بن عثمان : مرواق العشاق ٣ - ١١ .

أيضام عبد في حماك ولم يـــزل	فالمعقود كالمحلول منك عمـــوما
يا شيخنا برهام لم: أك يائســـاً	إذ أنت عين عقيدتـــــي معصوما
شمس بدت من بعد ظلم قد دجي	لله درك راحمـــــاً ورحيمـــا
أنت الصفي أفضت فيضاً لم تزل	بركاتـــــه عم الورى ترحيمـــا
آياتـــــه أن لا يـــرد يد الفتى	صفراً وحاشى أن يرد حميمـــــا
اشتد هذا الأمـــر مالي حيلـــة	إلا التوسل والدعـــاء صميمـــا
ناجيت بالإسم الكريم ولم تـــزل	ألطافـــه بي جامعـــاً معصومـــا
ها أنت يا دستور يا قطب الاجل	حكماً وتصريفاً ملكت زعيمـــــا
هو من ينجي الغريق ولم يـــزل	يحيي القلوب وينجد المظلومـــــا
أقبل وعجّل في الإغاثة سيـــدي	فتحاً قريبـــاً كالفيوض علومـــــا
لك سيدي كل الأمور جميعـــــه	عيناً وغيباً منك كل فهومـــــــا
عاهدت يا برهام طوعاً بالهدى	أبداً المدى إذ لن يزال حريما (١)

لعلك تدرك هنا أن الأخيرين قد أسبغا على شيخهما كثيراً من صفات الله تعالى وخصائصه دون أدنى إكتراث .

ولعل خير ما ألفه النيجيريون في مدح الشيخ ابراهيم بلغة هوسا هي القصيدة المسماة بـ (غوررفيرا) أي كأس الفيضة ألفها رجل اسمه الحاج ابراهيم بلاربي ابن قاضي جيغا من أهل سكتو وبلغ من أهميته هذه القصيدة عند أتباع الشيخ ابراهيم أن لا تخلو مدينة أو قرية مشهورة ممن يحفظها رأساً بل قلما تجد بيتاً من بيوت أشياخ التجانية الكبار إلا وفيه من يحفظها أو يقرأها بطلاقة والقصيدة تحتوي على مايزيد على مائتي بيت ولم يغادر المؤلف شيئاً مما كان يدور في خلده من مناقب الشيخ ابراهيم ومآثره إلا وقد أحصاه في القصيدة بأسلوب أدبي جذاب وجاء فيها :

يَا بَيْتِنَا مِنَ تَرْبِيَا كَمَرْدَ أكى	ثَن زَامَنِنْ شَيْخُنَا نِجَّان مُىْ أنِيَا
مُنْسَامِ لِبَنْ طَرِيقَا يَنْدُ بَاوَ هَلاَ	دَاتَن غَنِنْتَ مُكى أرْبُوتِى كُو مُجِيَا

١ - السيد الياس الكشناوي : مجموع ثلاث كتب ٢٨ .

نَصّى صريحى إذَنْ يَاسَامُ أنكرقا ... وَازَىْ ظيَا إجْتِهَادي دَنْبطرْ أنيَا
يَاصَاحبي كَامَ تربيَا كَسَامِ ربُو ... وَوُتَرْ ضَعيفَنْ نكينتَ كرتَسا كَفِيَا
أمَا إذَنْ كي كُلاَ دأكا بِرتَنْس دَكي ... أيْ وَرْطكَنْس سُيْ سرّى يبوط جيَا
كُومَا كَسُوسُ دَوَاما يَاإشك رَيو ... دُنْيَا وأخرَى دَمَاتَا يكَ هردُ طيَا
حَدَنْكَ إنَ باكَ إيكنْ بِىفكر كمسا ... دووَنْدَ يَجَاد سويا فاطِ ياكريَا
دُومِنْ أكَنْ غَسْكيا سبكى ظاهرنَتَسوا ... سَيْ جاهلي كمبسوبَا كُو دليل طيَا

ومعنى الأبيات باختصار هو : (أن الشيخ ابراهيم) قد بين لنا التربية على ما كانت عليه في عهد الشيخ التجاني ، ففزنا نحن الآن بلباب الطريقة بدون مشقة ، بينما لم يكن حظنا منها قبل ظهوره إلا مطالعتها في الأسفار أو سماعها في الشفاه ، فالنص الصريح إذا جاء لم يبق إلا الأخذ به وطرح الاجتهاد جانباً .

يا صاحبي خذ التربية كي تفوز ولا يسدنك عنها سفاهة ضعفاء أهلها ، وليكن نظرك إلى أكابر أهلها لتحظى بما يفتح عليك من أسرار الفهم بل إن حبهم فقط يكفيك فلاحاً في الدنيا والآخرة ، أنت وأسرتك وإن لم تستطع ذلك فجدك الذي يلزمك الوقوف عنده هو السكوت التام وعدم الإنكار لأن كل من نازع هؤلاء فغايته السقوط والتكسر ، لأنهم كانوا على الحق الصريح فإنه لا ينكر بلا برهان إلا الجاهل .

وعلى هذه الشاكلة استمر أتباع الشيخ ابراهيم يفيضون في مدحه وتقريظه ويبالغون في تقديره وتبجيله وتفانوا في حبة بشكل – كما قلنا آنفاً – يدعو إلى العجب ، بل قد سبق أن قلنا إن الشيخ ابراهيم نفسه قد تعجب مما قابله علماء نيجيريا به من التكريم والتبجيل والوداد الخالص ما لم يكن يتوقعه حتى قال في ذلك :

حين نزلــت ثم قد دهانــي ... ما لم يكــن والله في حسبانــي
وقــد تيقنــت بأن الله ... يجري الأمــور كيفما يراهــا
صرت أقول أين ذا الشيخ الذي ... تعنو له رقبـة كل جهبــذي
واين برهــام وما برهــام ... حتى فنــوا في حبـه وهامـوا

لقد بلغ من احترام هؤلاء النيجيريين للشيخ ابراهيم انياس وتفانيهم في حبه ،

ومبالغتهم في تقديره وحرصهم الشديد على رفع مقامه فوق جميع المقامات أن عمدوا إلى ما الحقه بايرو ثنب لكتاب كنز الأولاد والذراري الذي ألفه والده محمد ثنب بن أحمد بن مجيل فنقلوا منه أبياتاً نظمت في اللغة الفلانية ، ونسبت إلى الشيخ عثمان بن فودي وقد جاء فيها ذكر إبراهيم شرف الدين فأشاعوا أنه شيخهم ابراهيم إنياس وأن الشيخ عثمان بهذا قد بشر أهل بلاد هوسا بظهوره وبالتالي إنه هو مجدد هذا العصر فمن أجل ذلك كتبوا هذه الأبيات مع تفسيرها باللغة العربية في كتيب بعنوان (بشرى الاحباب والخلان بما ثبت في أن الشيخ ابراهيم انياس هو المجدد في هذا الزمان) .

جاء ابراهيم شرف الدين هذا إلى نيجيريا أو بعبارة أخرى إلى أرض هوسا في سنة ١٢٧٢ هـ ١٨٣٧ م أي بعد وفاة أمير المؤمنين محمد بل بحوالي ثماني عشرة سنة ويبدو أن الفوديين في سكتو هم الذين لقبوه بشرف الدين كما لقبه شوا عرب في برنو بأبي شعر ولقبه الكانوريون هنالك أيضاً بـ (مالم دابا) (١) وكما بلقب في بعض الجهات بالمعلم أبو ذبابة (٢) جاء هذا الرجل من الغرب أي من إقليم ماشن في جمهورية مالي حالياً ومر ببلاد هوسا في طريقه إلى الشرق يتبعه جماعة كبيرة من الناس ، ذلك لأنه ظل يعلن للناس – في جميع البلاد التي مر بها – أن وقت ظهور الإمام المهدي قد قرب ، ويدعوهم إلى اتباعه إلى مكة حيث يتوقع ظهوره ، فأصابت دعوته آذاناً صاغية ، وقلوباً طائعة ، فتبعه عوام الناس في بلاد هوسا ، خصوصاً الذين يريدون التخلص من ويلات الدنيا وتكاليف الحياة الشاقة ، وقاد هم نحو الشرق ماراً ببرنو ، حيث مكث في مقاطعة ألو برهة من الزمن يدعو الناس إلى اتباعه ، فانضم اليه آلاف العوام وأخذهم مخترقاً بلاد باغرم ، في توجهه نحو الحرمين ، فحاول سلطان باغرم عبد القادر بن عثمان بن بركو أن يجعل حداً لتقدم سيره هذا ، ولم يتمكن من ذلك ، حيث هزمه شرف الدين ، وبعد أن تقدم قليلا نصب له بعض القبائل الوثنيين كميناً فقتلوه في جنوب باغرم ، فتشتت بعض أتباعه هنالك ، واستمر طائفة منهم في سفرهم إلى الحجاز حيث استقروا أخيراً في شرق السودان المصري ، ورجعت فئة منهم إلى

---

١ – الاستاذ محمد الحاج : The Mahdist Tradion in Northern Nigeria 94

٢ – السيد الطيب عبد الرحيم محمد : بحث عن القبائل الفلاتية وعلاقتها بالفكرة المهدية ٤٤ .

بلادهم » (١).

وقد ذكر السيد ابراهيم صالح – وهو من كبار تلاميذ الشيخ ابراهيم إنياس في برنو – قصة إبراهيم شرف الدين هذا في كتابه (تاريخ الاسلام وحياة العرب في أمبراطورية كانم – برنو) ولكنه للأسف لم ينبه – بعد ذلك إخوانه أهل الفيضة على خطأ ما أفاضوا فيه من إشاعة هذه الدعوى التي لا أساس لها من الصحة أمام أنظار أهل العلم والفكر ، وهو نفسه يقول في كتابه ذاك : « وأمر أبي شعر أي شرف الدين أشهر من نار على علم يعرفه الصغير والكبير إذ لا يزال كثير ممن حضروه باقين على قيد الحياة ». (٢).

وقد جاء ذكر قصة ابراهيم شرف الدين هذا في كتاب تسديد الخواطر للسيد سليمان بن أحمد وقد ذكر القصة أيضاً G. Nachtgal في كتابه الصحراء والسودان صفحة ٧٢٠ – ٢٣ وجاء ذكرها كذلك في كتاب Tomlimson & Lethem صفحة ٢٦ (٣).

ويتضح من هذا أن هذا مثل أكثر أمورهم مبني على الوهم والتخمين فحسب ، لأن لفظ (شرف) فقط هو الذي يدل على التاريخ المراد في البيت وهو سنة ١٢٨٠ هـ وهذا التاريخ مشهور عند علماء القرن العاشر الهجري وما بعده على أنه هو تاريخ ظهور الإمام المهدي ، وقد روى أمير المؤمنين محمد بل في كتابه (القول المختصر في أمر الإمام المهدي المنتظر) عن الشيخ أحمد بن عثمان الشرنوبي المتوفي ٩٩٤ هـ إن خاتم الولاية – الذي يعنى به المهدي – يظهر عام (شرف) من الهجرة النبوية وهو عام ثمانين ومائتين وألف » (٤) وقد أيد هذا أيضاً ما جاء في قصيدة للشيخ عثمان باللغة الفلاتية حيث صرح بأن هذا التاريخ يعني (شرف) مروي عن الشيخ الشرنوبي وهو قوله :

---

١ – الاستاذ الدكتور محمد الحاج : المصدر السابق ٩٤ – ٩٥ .

٢ – السيد ابراهيم صالح : تاريخ الاسلام وحياة العرب في برنو ١٣٣ .

٣ – الاستاذ محمد الحاج : المصدر السابق ٩٤ – ٩٥ .

٤ – أمير المؤمنين محمد بل : القول المختصر في أمر الإمام المهدي المنتظر الورقة ٨

حتى (شرف) كنك عن تغنيتي	تمكه يو تو نب أسفا نيـــتي
علا تيو كنك وعــا ختـــــام	الولئن الله بــــــدو نظـــــام
تون تبليد أحمــــد الشرنوبـــي	تداد تون تكاشف الغيـــوب

يقول في الأبيات : هو (المهدي) يظهر سنة ١٢٨٠ ﻫ وهو المراد بـ (شرف) في مكة هناك يبايع فهو الذي يكون خاتم أولياء الله على النظام – الذي – في قول أحمد الشرنوبي الذي أطلعه عليه كاشف الغيوب . وجاء أيضاً في قصيدة كرامات المهدي للشيخ حياة الدين بن سعيد بن أمير المؤمنين محمد بل قال : المتوقع أن يكون ظهور المهدي في عام شرف وهو ١٢٨٠ ﻫ .

وأما أهل الفيضة أتباع الشيخ إبراهيم إنياس فقد أدخلوا لفظ كنك – الذي معناه (هو) في اللغة الفلاتية – في الرمز فظهر لهم أن ١٣٧٠ ﻫ هو التاريخ المعني في البيت، وظهر بذلك أيضاً جهلهم حتى بتاريخ ظهور فيضتهم نفسها أو بعبارة أخرى ظهور شيخهم ابراهيم انياس كصاحب الفيضة التجانية فإنه قد أظهر أمره في سنة ١٣٤٨ ﻫ وقال الشيخ الهادي – الذي تولى القيام بالتربية التجانية الإنياسية في نيجيريا نيابة عنه – في كتابه (ارشاد السادة إلى مطلع السعادة) « أن الله تعالى قد أمطر أرض القلوب مطر رحمة وسعت كل شيء بظهور صاحب الفيضة عام ثمان وأربعين وثلاثمائة وألف». وقد جاء التصريح بهذا التاريخ أيضاً في كتاب جواهر الرسائل ج ١ – ص ١٣٥ وأما إذا كانوا يريدون بذلك ظهوره في نيجيريا فهو خطأ أيضاً لأنه ظهر في نيجيريا كما سبق سنة ١٣٦٤ ﻫ (١).

هذا كله قل من كثر مما كان يدور في أوساط أهل الفيضة التجانية النيجيريين من النشاطات الواسعة المدى في الاعتقاد بالشيخ ابراهيم إنياس واعتناق تعاليمه ومبادئه ، والتحمس في مدحه ، والدعوة إليه ، والدفاع عنه ، ولكن هذا لم يقتصر على أهل الفيضة النيجيريين وحدهم بل شمل غيرهم في الأقطار الأخرى أيضاً ، وخصوصاً المورتانيين وقد فتح الشيخ الهادي السابق ذكره كتابه المذكور آنفاً بعرض رسالة كتبها

---

١ – السيد الطيب عبد الرحيم : المصدر السابق ٨١ ٢ – السيد الطيب عبد الرحيم : المصدر السابق ٦٥ .

إلى أسرته بموريتانيا عقب خروجه من بيت التربية وجاء فيها : « ولما أتيت إلى كولخ لقيت طبيباً ماهراً عارفاً بجميع الأمراض الظاهرة والباطنة ذاك الشيخ بجميع مرتبه ، ولسان وقته ، ونور زمانه ، ونسيج وحده ، محل نظر الله من خلقه ، والباب المفتوح لكل من يريد الولوج لحضرة قدسه ، فريد دهره في العلم والدين ، وشيخ أوانه في تربية المريدين ، علم المهتدين ، وخاتمة المحققين في القرن الرابع بعد الألف ، بهجة الليالي والأيام وحجة العارفين الاعلام غرة الأمة المحمدية وناصر الطريقة الأحمدية الإبراهيمية الحنيفية وزبدة رجالها ، الأجلة مطلع شمس العلوم والمعارف ، ومجمع بحري الحلوم والعوارف ، الحرز المنيع ، والكهف الرفيع ، درة تاج الصديقين الكرام، وواسطة العقد النفيس من الأقطاب الاعلام ، الرافع رايات المكارم بين الأنام ، الجامع لما اقترف من علوم القوم بأسرها من أول الأمة إلى آخرها ، أخي الأخلاق الحسنة المرضية ، والشمائل القدسية المحمدية ، المنتهي في العلوم الحقانية الوهبية ، والمعارف الربانية الرحمانية ، إلى المرتبة التي يقصر عن وصفها الأطناب والاسهاب ، فضلاً وتفضيلاً من الكريم الوهاب ، عديم النظير والمثال في الحال والمثال ، من تسنم قنن المجد والصفاء والكمال بالوراثة المحمدية ، والتربية الاحمدية الختمية ، المتوج بتيجان الجواهر الحسنة الأنيقة ، صاحب الاشارات الخفية ، والافادات العظيمة ، والعبارات المفهمة ، شيخنا ووسيلتنا إلى الله القطب الفرد الرباني والعارف الكبير الصمداني الشيخ ابراهيم بن الحاج عبدالله التجاني ».

أسامـــي لم تـــزده معرفـــة وإنما لـــذة كتباهـــا (١)

وقال الشيخ من أب المعروف (بالشيخان) العلوي الموريتاني الذي يعتبر أكبر تلميذ للشيخ إبراهيم في موريتانيا يمدحه وقد زارهم وما وصل إلا في الليل :

شمس بدت بالليل طالعها سعد	وما كان شأن الشمس بالليل أن تبدو
أم المزن يحدوها النسيم لسقينـــا	ولا برق فيها تختشيه ولا رعـــد
أم الكل شيخ العصر من عم هديه	جميع الورى ابيضوا جلوداً أواسودوا

١ – الورقة الثانية .

به قد أتت مسلين تسلى بقربـــه فؤاد الذي من بعده شفه الوجـد
ألا أيها الشيخ الذي بقدومـــه تولى ظلام الجهل واتضح الرشد
دنوت دنو الشيخ بالنور فانجلت بنورك أسباب بها يبلغ القصـد
وقربك قرب الشمس والشمس قربها إلى الأرض قرب كان في طيه البعد
وبعدك بعد في الحقيقة مثلهـا وللشمس نور عن حقيقتها بعـد
وإن تكن الافراد لفظاً تعددوا ففيهم لعمري انك الواحد الفرد
وانت الذي بالغيب كنت تمدهم بما تقتضي امدادهم حينما مـدوا
وإن سدت الأشياخ أبواب فيضهم فأنت من الأبواب فاتح ماسدوا(١)

لقد سبق أن قلنا إن الشيخ ابراهيم ولد في قرية طيب انيسين بمحافظة سين سالوم في جمهورية السنغال ولما انتقل والده الحاج عبدالله إلى داخل مدينة كولخ صارت القرية شبه خراب وبعد ظهور الفيضة زارها الشيخ يوماً ومعه تلميذه من آب هذا فوجدوها دراسة ليس فيها الحيوية المرجوة فوجد لذلك (من آب) وأنشأ هذه القصيدة التالية :

هاج في القلب كل شجو دفـين مولد الشيخ عند طيب انيسـين
برزت من حشاي حيث بـدا لي زافرات منوطـــة نأنـين
ولقلبـي لديـــه منه احـتراق ولدمعـــي تحلـــب من جفون
صاح قف بي به أعفر خـدي وجفوني من تربـــه وجبـين
إن من تربـــه بدا كل تـــرب وتبدى من (يونه) كل (يون)
أيها المولـــد الكريـــم فإني بك ذو لوعة وشوق رهـــين
إن تكــن خامــلا فإنـك باع بارز منك كـل راء وسـين
أو يكن فيك بعض رين فكم عن كل قلب بك انجلى كل ريـن
مولد الشيخ إن بينـك يـبدو مع كل البقاء أعظـم بـون
طلعت فيك برج السعود متى ما قد بدا فيك شمس علـم وديـن
وتقـــى واستقامـــة وانتحال للمساكين كل شيء سمـين
حيث للشيخ كنت مسقط رأس وابتهـــاج لعالـم التكويـن

ولعين البطون عـــين ظهـــور   وعين الظهـــور عين بطـــون
ولعلـــم اليقـــين عين يقين   ولعين اليقـــين حق يقـــين
مولد البرزخ الذي جـــل ما أبـــ   ـــديت من خمخم ومن تغـــين
بك قلبـــي يبقى قطيناً إذا مـــا   عندك الجسم كان غـــير قطـــين
فسقاك الإلـــــه كل حبـــي   جاء يحـــدوه كل رعد هتـــون
وصلاة على البطـــون الذي قـــد   كان موجوداً قبل كاف ونـــون

ثم بعد ذلك بنى الشيخ القرية من جديد ، وشيد فيها قصراً فخماً جميلاً ، ومسجداً فسيحاً ، ودوراً حسنة ، فزارها مرة أخرى ومعه تلميذه (من آب) هذا فقال له الشيخ : هذا هو المحل الذي كنت تبكيه من قبل ، يعني بالقصيدة السابقة فأنشأ القصيدة الآتية :

لربـــي الحمد حيث أقر عيـــني   بقصر الشيـــخ في طيب انيســـين
وكان لرسمـــه من قبـــل محـــو   بـــــلاي ما يبـــــين لمستبـــين
وقد ما جئتـــــه فبكيـــــت حزناً   بدمـــع بين أرسمـــــه سخـــين
وصرت ومنيتي أن أرى عيانـــا   عمارتـــــه كما قـــــد أرى بعين
وجئت مع الحبيب إليه أبغـــي   برؤيتـــــه شفا القلـــب الحزين
أشارت قامة الجـــدران منـــــه   إلى كنز اليتيمـــــين الدفـــــين
وبت به قرير العين أسقـــــى   على ظمإ بكـــأس مـــن معـــين
سقاني الكاس مترعة نديمـــــا   مع النحوى عيبـــتي القريـــن
يساقطنـــا الحديث به شبيهـــا   بدر من تساقطـــــه رســـين
عبرنـــا من عبارتـــه بحـــورا   من العرفـــان منـــه على سفـــين
فلله الحميـــــد الحمد في ذا   بعين حميـــــد أو محمود عـــين
فعين العبـــــد حا والباء مـــيم   بلا كيف يقيـــــده أو أيـــــن
به طيب أنيسين تحـــوز فخرا   لساكن سالـــــم أو بلاد سـين
فمطلـــع بدر طلعـــته لديهـــا   ومنبت عـــــود نبأتـــه المكـــين
فحدثنـــــا بـــأن الله لمـــا   أراد به الظهور مـــن البطـــون

رأت أمــه به قمــراً تدلى		فكان لهــا بمنزلــة الجنين
فقيل لها :اكتمــي رؤياك فيهــا		له سر لشانئــه بشــين
بها لعــدوه مــوت بغيظ		وخزي للمعانــد عن يقين (١)

ولا شك أن الشيخ كان يعرف لتلاميذه هذه المحبة الصادقة التي يخلصونها لجنابه، ويقدر لهم ذلك أيما تقدير ، ويبالغ من أجل ذلك في الحفاوة بهم حتى كاد لا يدعو جماعة منهم أينما كانوا إلا بالأحباب :

وقال في أهل كنو نيجيريا :

جئت كانــ وا وبها الأحبــاب		من طيب ختم الأولياء قد طابوا

وقال أيضاً :

حين علوت كانــوا مــن دعائــي		بورك في كــانوا مدى الإناء
فهم أحبتي وهــم أبصــاري		بقوا مدى الدهر بفيض جاري

وقال في أهل زاريا نيجيريا :

حلقــت فــوق زاريــا وقلــت		وددت لو أني بها قــد قلــت
كبيرهــم حبيبنــا يهــوذا		قد فاز من كان لــه تلميــذا

وقال في أهل كشنة نيجيريا :

ثالثــة البلــدان وهي كشنــه		مقر جعفــر بها سنه سنــه
الياس قد بلــغ لي من كشنــه		بيعة من قد أيقظــوا من السنة

وقال في أهل أدماوا نيجيريا وقد بعث اليهم الشيخ أحمد التجاني بن عثمان الكنوي : « أمرتك وضمنتك ذهاباً وإياباً تسافر من فورك إلى أحبابي أهل أدماوا »(٢).

وقال في أهل موريتانيا :

---

١ – أخذت هذه القصائد عند تلميذه الشريف علي المورتاني باذنه .
٢ – الشيخ ابراهيم انياس : رحلة نيل المفاز مخطوطة .

الحمـــــد لله بعـــام كانــا	ســـرت إلى حي مرادي كانا
حي به يفخـــر كل حــــي	أســـــراره فائـــدة للحس
بجبـــه أحيى ويحيـــى حيى	فحيـــــه وحـــي من يحيي
حـــي بني علي بـــني الزاهراء	أصل طريق شيخنا الغـــراء(١)

ويقول في منشور له « أما بعد فسلام سني وتحية حسنى يؤمان جناب أحبابنا حيث قطنوا وأخص منهم أهل مرتان يليه بعد السؤال عن أحو الكم والدعاء لكم أن يحفظكم الله ويحفظ أولادكم ومن تعلق بأذيالكم من مكاره الدنيا والاخرة .... وأن هؤلاء الرجال إخواني في الله وأولاد روحي وأصحابي وأحبائي يسوؤنى ما يسوءهم ويسرني ما يسرهم أولهم الشيخان فكل الوجود يعلم مكانته عندي قبل أن أتخذه نائباً عني وقائماً مقامي في تبليغ أمانة الشيخ رضي الله عنه ولا أحتاج ألى هذا التصريح كما أنه لايحتاج إليه .

وكيف يصح في الاذهان شيء	إذا احتاج النهار إلى دليل

وكذلك السيد الهادي وسيدي جول ومحمد بن انحو وسيدي محمدالمشري وخلفاء الشيخ في جيجب الشيخ محمد عبدالله ، وفي تندغ محمد بن الطلب وفي تجانت ابناء محمد سيدي فمن أخذ عن واحد منهم بغير واسطة أو بوسائط فكأنما أخذ عني وعن الشيخ أى التجاني ». (٢)

هذا وكثيراً ما يدعو أهل الرسوخ والتمكين من كبار تلاميذه بأولاده كما رأيت في المنشور السابق فمثلاً إنه كتب إلى الشيخ من أب (الشيخان) المذكور آنفا وفتح كلامه في الرسالة بقوله : «جناب ولدي الغطريف الشريف المنيف الشيخان من أب »(٣) وكتب إلى أخيه الأكبر منه الشيخ محمد زينب ابن الشيخ عبدالله انياس وكان يعتبر من تلاميذه لأنه قد تربى على يده وقال : « فيصل الكتاب إلى يد أعز الناس وأعلاهم مكانة عندي محل العلوم والأسرار وولدي وعـــهدي الشيخ بجميع

---

١ - الشيخ ابراهيم انياس : ذيل رحلة نيل المفاز ١٠

٢ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٢٨/١ ٣ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١٤/١ .

المراتب صاحب غرائب الاذواق والعجائب من ألهمه الله رشده .»(١) وكتب إلى الشيخ أحمد التجاني ابن عثمان الكنوي فقال : ولد الروح وشفاء الكبد المجروح العلامة العارف بالله الحاج أحمد التجاني ابن عثمان الكنوي.»(٢) بل إن الشيخ لم يكتف بأن تكون العلاقة بينه وبين تلاميذه روحية فحسب حتى جعلها بكل نجاح صلة نسب ومصاهرة .

ومن الجدير بالذكر هنا أن هذه الحقيقة لم تفت الشيخ محمد الثاني الكافنغي الكنوي حتى لاحظها فقال . « فنيجيريا صهر السنغال والسنغال صهرها لتزوج الشيخ منا وتزوجنا منه كما أن العرب أيضاً أصهاره لتزوجهم منه فالعرب- اذن والهاوساويون والسنغاليون متصاهرون ». (٣)

هذا وبامكاننا أن نقسم أتباع الشيخ ابراهيم إلى ثلاثة أصناف تقريباً .

أولا : - قومه السنغاليون ويدخل فيهم طبعاً أهل جامبيا وفي حكمهم أيضاً أهل مالي وغينية لمجاورتهم وتقاربهم في العادات والتقاليد والنزعات .

ثانياً : - المورتانيون وخصوصاً سكان الولاية السادسة منهم .

ثالثاً : - النيجيريون ويدخل فيهم أهل غانة ومن على شاكلتهم لأن أكثرهم كانوا من الهوساويين الذين نزحوا إلى هنالك لأجل التجارة والمغامرات واستوطنوا وفي حكمهم أيضاً أهل جمهورية نيجير ومن إليهم من الكمريين والتشاديين لاتحادهم بالنيجيريين في اللغة والعادات والتقاليد والنزعات بل ولتلمذهم للنيجيريين أيضاً .

فأما قومه السنغاليون فقد أشرنا فيما سبق إلى أنه ورثهم من أبيه أي أن أكثرهم كانوا من تلاميذ أبيه فاستمروا يوالونه بعده وقد أتعبه هؤلاء كثيراً فهم على ضربين.

١ - ضرب عوام يكادون لا يفهمون مراده فيما يلقى إليهم من المبادىء والتعاليم، فهم ينظرون إليه غالباً نظرهم إلى أبيه من قبل يقبلون أقواله على علاتها من دون أن

---

١ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١١/١ ٢ - الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ١٣٢/١ .
٣ - الشيخ محمد الثاني الكافنغي : مرآة الحق ٤٣

يجدوا لذلك شيئاً في نفوسهم فإذا قال لهم مثلاً إنهم وقعوا في دائرة تسمى بالدائرة الفضلية التي كانت من وراء دوائر الأمر والنهي والجزاء وهم ناجون من عذاب الله على أي حال سواء أطاعوه أم عصوه وسواء كانوا على الصراط المستقيم أم تنكبوا عنه (١) لا يفهمون من هذا الكلام إذا استطاعوا أن يفهموا منه شيئاً إلا أنهم جاز لهم أن يعيشوا كما يشاءون من دون مراقبة الله في أوامره ونواهيه ماداموا تجانيين ، وإذا قال لهم أنهم هم الطائفة التي ذكرها صاحب منية المريد أن أقطاب أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كلهم إذا اجتمعوا لا يزنون شعرة واحدة من شعر رأس واحد منهم يشير بذلك إلى ما سبق من قول منية المريد :

طائفة من صحبه لو اجتمع ... أقطاب أمـــة النبـــي المتبع
ما وزنـــوا شعـــرة من فرد ... منها فكيف بالامـــام الفرد (٢)

قد لا يفهمون المراد بذلك إلا أنهم يراد منهم أن لا يحترموا عالماً مسلماً كيف كان، ومهما بلغ ، ولا يقبلوا منه شيئاً ما لم يكن تجانياً ، وإذا قال لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم ظهر للشيخ التجاني في وضح النهار يقظة لا مناماً وأخبره بأن كل من أخذ ورده يغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ويقضي عنهم جميع حقوق عباده التي كانت على رقابهم من خزائن فضله لا من حسناتهم ، وأن الله يرفع عنهم الحساب من وقت موتهم أن يدخلوا الجنة غداً وهم آمنون من كل سوء (٣). لا يفهمون من هذا إلا أن حقوق الناس التي كانت عليهم صارت حلالاً لهم لا يطالبون بها في الآخرة وهكذا ولا بد إذن والحال هذه أن تظهر نتيجة هذه التعاليم وهضمهم إياها في سلوكهم وتصرفاتهم شأن غيرهم من العوام الذين اعتنقوها بعد ، وهذا من شأنه طبعاً أن يزعج الشيخ ابراهيم الذي – فيما يظهر – لا يريد منهم بهذه المبادىء والتعاليم التي يلقيها عليهم إلا أن يفرحوا فقط بهذه الفضائل الجمة البعيدة المدى التي خصصهم الله تعالى بها من دون سائر المسلمين لأجل تعلقهم بالشيخ التجاني ، وهذا طبعاً يدفعهم إلى العض على الطريقة التجانية بالنواجذ والمبالغة في حب الشيخ التجاني وتقديسه هو

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٣٤/١ والسر الأكبر الورقة الرابعة.
٢ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٦/١ ٣ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٣٤/١ .

وجميع خلفائه ورفعه وإياهم فوق الناس جميعاً ماعدا النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر ، ولكنهم يا لأسف أساؤوا فهمه وأفاضوا في سلوك زائغ ففزع الشيخ لذلك فذهب يحاول ردهم إلى الجادة بقوارع العظات على نحو ما مر في بعض الفصول السابقة.

٢ – وضرب متعلم وهو طبعاً بحكم المعاصرة والمجاورة واتحاد اللغة والتقاليد لا ينظر إلى الشيخ إبراهيم نظر المورتانيين والنيجيريين اليه بل إنهم لا يرونه إلا إبراهيم ابن الشيخ عبدالله إنياس وإنما يوالونه لموالاتهم لأبيه ويسلمون له بتسليمهم له أيضاً على طريقة تكاد تكون تقليدية وهؤلاء بعدما تربوا بدأوا يشعرون بأن لامانع لهم من التصدر للمشيخة كما تصدر لها هو إذ لافرق بينه وبينهم في كل شيء في نظرهم وهذا أمر من شأنه أن يجعل الأمر فوضى ولا يرضى به الشيخ ابراهيم طبعاً فذهب جراء ذلك كل مذهب في ردهم إلى الجادة ودعوتهم إلى الخضوع تحت النظام مستعملاً جميع الوسائل الممكنة على نحو مامر في بعض الفصول السابقة ، ومن أجل ذلك كان إذا ظفر منهم بصادق الإرادة يكاد يطير فرحاً ، مبالغاً في الحفاوة به ، ومسبغاً عليه من الخصوصيات ما ترضيه ، كما هو شأن من سماه بالمفسر علي جازك واليه كتب يقول : « وفرحت بوصول كتابكم فرحاً توجهت به همتنا اليكم وقد جددت لك الورد اللازم والوظيفة المعلومة وذكر يوم الجمعة بالإذن الخاص من الشيخ أي التجاني وهنيئاً لك فقد قال الشيخ أي التجاني من وضعنا عليه طابعنا يهنأ منه » (١).

وأما المورتانيون فالعلاقة بينهم وبين الشيخ ابراهيم ودية خالصة واحترامية متبادلة فإنه يضمر لهم الاحترام ، ويبالغ في الحفاوة بهم ، لأنهم أبناء شيوخه ، وشيوخ أبيه ، فقد مر بنا أن شيخه الذي رباه بهذه التربية وأذن له بتربية المريدين ، ورشحه لمنصب صاحب الفيضة التجانية مورتاني ، فصار صغار أبنائه وحفدته كلهم تلاميذ له في التربية ، وكان يعد إقرار بعض المشايخ المورتانيين – مثل الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بد ، والشيخ محمد عبد الرحمن ابن شيخه المذكور آنفاً والشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ ، والشيخ محمد سعيد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ والشيخ محمد الأمين بن الشيخ أحمد بن محمد بد – له بمقام صاحب

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٤٦/١

الفيضة التجانية من علامات صدقه في دعواه للمقام ، وقد مر بنا كذلك أنه طلب الإجازة في الطريقة التجانية من هؤلاء المشايخ وكان من أجل هذا كله يقدر لأبنائهم هؤلاء إيمانهم العميق بالطريقة ومبادئها إذ أنهم لولا ذلك لما سلموا اليه قيادهم في تربية ولا في غيرها لبنوتهم لأولئك الأشياخ الأجلاء الناشرين الأولين للطريقة التجانية.

وهذه الحقيقة يشعر بها الجانبان كلاهما ، فقال الشيخ محمد الهادي في معرض بيانه لاطلاع الشيخ إياه على مرضه الروحي : « وأكرمني الله تبارك وتعالى بأنه أي الشيخ ابراهيم أطلعني على مرض نفسي بعدما أخفاه عني مدة فمكثت أياماً تنازعني نفسي وتغرني كما كانت تفعل بي من قبل وتقول لي إني ليس بي مرض واني لاأحتاج إلى طبيب واني يكفيني كوني إبناً لسيدي مولود قال والشيخ محمد الحافظ وهما من مشايخ الطريقة وساداتها الناشرين الأولين لها في هذه البلاد وهكذا »(١). وقال السيد علي سيس : « هنيئاً ثم هنيئاً لهؤلاء السادات الأعلام أي تلاميذ الشيخ المورتانيين لما تعلقوا بأذيال هذا الشيخ المرشد المربي المرقي الهمام أي الشيخ ابراهيم ، ولم تحجبهم النبوة للمشايخ عن كامل العصر والوصول اليه »(٢) ومهما يكن من شيء فإن رسالة الشيخ ابراهيم إلى تلميذه الشيخ من آب المتقدم ذكره تدل بوضوح على مدى تكريمه لتلاميذه المورتانيين واعترافه بما كان لآبائهم عليه من اليد الطولى وقد جاء في الرسالة ما هذا نصه : « فإلى الحبيب القدير الشيخان (من آب) الخليفة ابن الخليفة محمد بن الشيخ أحمد بن الضيخ محمد الحافظ .

أبوك خليفـــة ولدتـــه أخـــرى وأنت خليفـــة ذاك الكمـــال

.... وجددت لك في كل ما اشتملت عليه طريقتنا التجانية أخذاً وإعطاء تلقيناً تقديماً مطلقاً من غير قيد وأسأل الله تعالى أن يريك قرة العين في أنجالك الكرام علماً وعملا ومعرفة وتحققاً ورزقاً وعافية هذا وقد وعدتني حكومة نيجيريا بمقاعد في طائرة الحج وكتبت إسمكم على رأس القائمة وإن وفت بالوعد فاستعدوا للحج

---

١ – الشيخ الهادي : ارشاد السادة إلى مطلع السعادة ٥

٢ – السيد علي سيس : تصدير كتاب كاشف الالباس .

أو عينوا من شئتم من أنجالكم وفق الله الجميع والسلام » (١).

هذا ما كان من جانب الشيخ وأما ما كان من جانب الموريتانيين فإنهم يعظمونه، ويبالغون في تبجيله ، والوقوف عند إشارته ، والمبادرة إلى امتثال أوامره ، والاعتراف بشيوخته بكل إخلاص ، وقد سألت كثير منهم عندما زرت موريتانيا في أغسطس سنة ١٩٧٧ م ما الذي أعجبهم بالشيخ إبراهيم حتى سلموا له قيادهم .بهذا الإخلاص العجيب ؟ فكانت إجاباتهم كلها تكاد تتفق على أنهم آمنوا به وسلموا له قيادهم لما يتصف به من غزارة العلم وسمو الأخلاق وصحة الدين هذا بالإضافة إلى مافتح الله على يده من معرفته فأكدوا لي أنهم يتبعونه لوجه الله وحده لا لأجل أي شيء آخر ، ولا شك أن سلوكهم ووعيهم الديني يدلان بوضوح على صدق مقالهم ، بل صرح لي بعضهم أنهم يعتبرون تسليمهم للشيخ إبراهيم من كراماته التي أكرمه الله بها ، لأنهم لم يكونوا يتوقعون أن يتتلمذ العلويون لرجل أسود مثله أبداً ، وذلك عندما سألته هل كانت محبتهم إياه لأجل أنه أحيا لهم تراث آبائهم وأجدادهم من المعارف الآلهية والعلوم الربانية فقال : من أماتها حتى يحييها هو ؟ .

وأما النيجيريون فلا علاقة ولا معرفة بينهم وبين الشيخ ابراهيم قبل مجيئه إلى بلادهم ، لأنه ما زار نيجيريا إلا بعد ظهور فيضته بحوالي ست عشرة سنة ، وكان ما يتوقعه منهم أن يعارضوا دعوته بشدة ، لكونه غريباً وأسود مثلهم وأنهم فقهاء تجانيون وهذا غاية ما يكون هو في ظاهر الأمر هذا ، بالإضافة إلى كونهم محترمين في مجتمعهم والمتوقع من كل من كانت هذه حاله أن يعارض كل سلطة من شأنها أن تكتسح سلطته ، ولكن الشيخ وجدهم بالعكس مستعدين لتصديق جميع دعاويه من دون سؤال ولا تهمة وسلموا له قيادهم تسليماً مطلقاً ، بشكل يدعو إلى العجب فقد صرح الشيخ ابراهيم نفسه بتعجبه من ذلك كما تقدم .

فلم تمض مدة طويلة من مجيئه إلى نيجيريا حتى صار الرأي السائد في جميع أوساط أهل الفيضة في كولخ وغيرها أن نيجيريا هي مظهر فيضته ، وهذا حق ظاهر ، وقد

---

١ – وجدت الرسالة عند ـ شيخان ـ في مقابلتي معه في التاريخ السابق .

لاحظ ذلك أحد كبار تلاميذه النيجيريين، وهو الشيخ محمد الثاني الكافنغي الكنوي السابق ذكره فقال : « فليفر أي المريد إلى من شاء من خلفائه أي الشيخ ابراهيم ...»... وهم موجودون في كل بلد من بلاد المسلمين أي في أفريقيا الغربية خصوصاً نيجيريا التي هي بلاد الشيخ أي ابراهيم أطال الله عمره ورفع أمره فلا حظ لغير التجاني الإبراهيمي فيها أي نيجيريا فليذهب إلى جميع الدول من أراد أن يذهب ويأت بالمساعدات ليصرف أهلها عن الشيخ فلا يجد الى ذلك سبيلاً بحوله تعالى فنيجيريا للشيخ أحب أم كره (الضمير هنا يرجع إلى الذي يذهب إلى الدول ليأتي بالمساعدات لا إلى الشيخ)(١) ويدل على صحة هذا الرأي الذي تقرره أيضاً قول السيد علي سيس الذي يلقبونه بقلم الفيضة وبابها : « وخصوصاً سكان نيجيريا ومشرق الأنوار السنية محل العلم والسر أهل التي فيها كنو عاصمة الفيضة التجانية الفضل والخير » (٢).

وهذا حق لا شك فيه لأننا إذا مشينا مع الباحثين الذين يذهبون إلى أن أتباع الشيخ إبراهيم في نيجيريا كانوا أكثر من عشرة ملايين (٣) ندرك بذلك أن تلاميذه في نيجيريا أكثر من سكان السنغال كلهم مسلمهم وكافرهم وطينهم وغريبهم أربع مرات تقريباً لأن عدد سكانه حسب الاحصاء القائم سنة ١٩٦٥ ثلاثة ملايين وبضعة آلاف ، ثم أن البلاد مقسم إلى سبعة أقاليم (٤) وأتباعه منتشرون في اقليم سين سالوم فقط الذي كانت مدينة كولخ عاصمته وهو مع ذلك يقتسم السكان مع غيره من شيوخ الطرق هذا بالإضافة إلى أن هناك عدداً من المسيحيين والوثنيين ثم أن الدلائل تشير إلى أن أتباعه في ذلك الإقليم أيضاً هم الأقلية وهذا يتضح لك بجلاء إذا رجعت إلى الفصل الذي قدمنا أول الباب بعنوان (الطريقة التجانية في السنغال وكذلك في موريتانيا فإن عدد السكان كلهم مليون واحد وأتباعه هنالك كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق منتشرون في الولاية السادسة التي تتاخم السنغال وان دل كل هذا على شيء فإنما يدل على مدى أهمية نيجيريا عند الشيخ ابراهيم وخلفائه وبالتالي على صحة كونها مظهراً لفيضته

---

١ - الشيخ محمد الثاني الكافنغي : مرآة الحق ٤٣ ٢ - السيد علي سيس : ارشاد الاخوان ٣

٣ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١١٩

٤ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٥١

ومركزها الرئيسي ومن أجل ذلك كنا نرى جميع كتبه وخطبه ورسائله ومنشوراته تنشر في نيجيريا تقريباً ثم توزع منها إلى جميع الأقطار الواقعة في أفريقيا العربية حتى السنغال نفسه ، والشيخ ابراهيم نفسه لا يقوم بالدعوة إلى الطريقة على طريق شيوخ الطرق إلا في نيجيريا ومنها تنشر إلى جميع الأنحاء حيث أهل الفيضة التجانية ، فمثلاً إن قصة قربه هو وأتباعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم القيامة وقصة اللصوص مع الولي وقصة عبد العلي ذلك الرجل الفاسق مع المريد الذي انتخبه الأولياء لمنصب الولاية أثر موت ولي وتصريحه أي الشيخ ابراهيم لأتباعه بأنهم لو اعتقدوا في حجر لنفعهم وقصة كيفية موته شيخه وقصة دعائه وهو صغير لذلك الشيخ ليموت على الطريقة التجانية وأنه بذلك يتمكن من تحمل جميع كبائر أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأسرها ، وقصة الملك الكافر الفاسق الظالم الذي دخل الجنة لأجل أنه فسق بإمرأة تجانية متزوجة بغيره (١) قد أدلى الشيخ بها كلها على أتباعه في نيجيريا بحوالي ثلاث سنوات فقط قبل موته ، وذلك بعد أن كان يتحاشى أن يجاهر بالدعوة إلى الطريقة في قلب وطنه وبعد أن كان يفر من ذكر الشيخ التجاني نفسه والانتساب إلى طريقته في مناسبات كثيرة (٢).

وبعد فقد عثرنا على خطاب كتبه الشيخ ابراهيم لبعض تلاميذه النيجيريين الذين زاروه وهو في غانة يومئذ ومن وقف على هذا الخطاب يكاد لا يشك في أنه كان يلاحظ من تصرفات بعض أتباعه النيجيريين محاولة الحصول على حظوظ نفسية وقضاء مآرب إنسانية من وراء انتمائهم إليه وتحمسهم في التقرب إليه فقد جاء الخطاب على الوضع الآتي :

« الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد زارنا صفوة أحبابنا من كنو المقدم البركة فلان والمقدم فلان والمقدم فلان وبصحبتهم الشابان الرابحان فلان وفلان وإني أسأل الله لهم التوفيق ودوام المدد والانتصار والقوة والتأييد لخدمة الإسلام وإنهم في ضماني وإنهم في عين الرضى والسلام ابراهيم انياس » (١) بغير تاريخ .

---

١ – انظر صفحة من هذا البحث ٢ – انظر أيضاً ص من هذا البحث

فصور الخطاب في ذلك الخط المقدس الذي كل من رآه لا يشقى أبداً في بطاقات توزع على الاخوان .

فيجدر بنا ههنا أن نقدم أسئلة طفيفة بين يدي هذا الواقع .

أولا : فإلى حضرة من كتب لهم الشيخ هذا الخطاب أو بعبارة أصح هذه الشهادة.

ثانياً : إذا كان الشيخ يعتقد حقاً أن هؤلاء زاروه لله بالله في الله كما يقولون لأنه وليه المعظم لماذا يكتب لهم هذه الشهادة ؟ أليست شهادة الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء والذي زاروه لأجل ابتغاء مرضاته تكفي من شهادة الناس ؟

ثالثاً : إذا كان الشيخ قد تفضل وكتب لهم هذه الشهادة وهم يعتقدون أنهم زاروه لوجه الله ، لأنه وليه لماذا يصورونها في بطاقات يوزعونها على الناس ليعرفوا أنهم زاروه وفازوا بهذه الشهادة المتضمنة ضمان الشيخ لهم ؟ .

يجاب عن هذه الأسئلة بأجوبة مختلفة ولكن الذي تقتصر عليه نحن هو أن هذا الخطاب يدل بكل جلاء على عظيم موقع الشيخ ابراهيم في نفوس أتباعه النيجيريين وقوة اعتقادهم فيه .

السفر الى كولخ لزيارة الشيخ ابراهيم انياس

لقد أشرنا في بعض الفصول السابقة إلى أن زيارة الشيخ ابراهيم قد تطورت إلى شيء ذي أهمية كبرى عند جميع أتباعه العلماء والأمراء والدهماء على السواء بل هو عندهم بمنزلة الحج الأصغر .

الواقع أن الشيخ ابراهيم هو الذي وضع لهم الأساس الأول لهذه الزيارة ، وأكدها تأكيداً ، وقد جاء في منشور له طويل ضمنه أكثر مبادىء دعوته وتعاليمها : « فيجب على المريد السر إلى من هو كامل العصر للاخذ عنه والتأدب بين يديه وتأكيد العهود المحمدية الاحمدية الابراهيمية وإن خالف والديه في ذلك وقد روى أن السري السقطي أمر الجنيد بأمر وأمره والده بأمر فقدم ما أمر به الشيخ وكان يقول ما أظنني

ربحت إلا بذلك لأن الشيخ هو الوالد الروحاني يربي المريد ويرقيه حتى يرده إلى أصله ويقول له ها أنت وربك ولذلك كان حقه أكبر .. فلا بد للمريد أن يتوجه إلى شيخه بربط قلبه معه ويتحقق أن الفيض لا يجيء إلا بواسطته ، وإن كان الأولياء كلهم هادين مهتدين ، وقد قالوا أن الشيخ في قومه كالنبي في أمته ، فربط القلب بالشيخ أصل كبير في الاستقامة والعمدة القوية وعليكم بكثرة المجالسة مع الأولياء ، وقد رأى بعض الصالحين سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم في المنام فسأله عن أفضل الاعمال فقال عليه الصلاة والسلام وقوفك بين يدي ولي قدر حلب شاة أو ناقة قال قلت حياً أو ميتاً قال حياً كان أو ميتاً :

زيارة أربـــاب التقى مرهم يبري ... ومفتاح أبواب الهدايـــة والخير
وتحدث في الصدر الخلي ارادة ... وتشرح صدراً ضاق من سعة الوزر
وتنصر مظلوماً وترفع خامـــلا ... وتكسب معدوماً وتجبر ذا كسر
. . . .
عليك بها فالقوم باحوا بسرها ... وأوصوا بها يا صاح في السر والجهر
فزر وتأدب بعد تصحيح نيـــة ... تأدب مملوك مع المالك الحـــــر
ولا فرق في أحكامها بـــين سالك ... مرب ومجذوب وحي وذي قبر

وتعطيل المريد الزيارة في غالب الزمان دليل قاطع على عدم صدقه ، وعدم ازدياد المحبة ، وإلا فالمريد نفعه بقدر محبته ، ومواصلته للشيخ ، فعلى المريد الصادق أن يراجع حضرة شيخه للزيادة والاستمداد من فيوضاتها ، والاقتباس من أنوارها ، والاجتناء من ثمراتها ، والتلقي لما يرد منها من المعارف والتجليات والأسرار والإنتفاع بها ، وبذلك يغتنم نتائج الحضرة صادقا في طريق الإرادة ، فاعلموا أن المريد لايترقى بتقرب مثل الزيارة والخير كل الخير فيها والحرمان كل الحرمان في إهمالها لأنه علامة لوقوف السير » (١).

ثم بنى على هذا الأساس الذي أرساه الشيخ ودعمه أيما تدعيم السيد علي سيس

---

١ - الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٣٨

خليفته وأمين سره الملقب عندهم بقلم الفيضة وبابها حيث ألف في ذلك كتاباً خاصاً بعنوان (ارشاد الاخوان إلى ما يجمع القلوب على الرحمان) وجاء في الكتاب مايلي: « وأوجه اليكم هذه التهاني يا معشر الأحباب عموماً وخصوصاً سكان نيجيريا التي فيها كنو عاصمة الفيضة التجانية ومشرق الأنوار السنية محل العلم والسر أهل الفضل والخير الذين قال في حق ساكنيها من لا ينطق عن الهوى وهو صاحب الفيضة أي إن الشيخ إبراهيم إنياس (هو الذي لاينطق عن الهوى) !!!

بكانو لي أحبة ركانوا | أهل هداية رديـن كانـوا

والقائل :

ومن يحبني ومن يراني | في جنة الخلد بلا بهتان

فبهذا غنمتم ما غنمتم وفزتم بما فزتم .... ولا بد من تكرار الرّحال إلى حضرة صاحب الوقت لمن له قدرة عليها ولو مع شق الأنفس لتجديد العهد والمحبة وبه تزداد المحبة وبقدرها يكون النفع ويحصل المدد والمراد قال صاحب الفيضة :

بقدر ما تحبه تنال | أمداده فالقوم هذا قالوا

فلا تعوقكم عن تلك العلائق ولا الهموم ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) وقد مدح الله الصحابة بقوله : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) وقال : (واذكر ربك إذا نسيت) .

لا شك ولا وهم أن المريد إذا حضر بين يدي الشيخ لابد من أن يتذكر الله بقلبه وروحه وسره ، وذلك قصارى ما يطلب من المريد في زيارة شيخه ، قال تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما) وهذه تدل على أن المستفيد المسترشد هو الذي يجيء إلى المرشد المفيد فزوروا لرؤيته والاستمداد منه والتخلق بأخلاقه الكريمة فائزين بالنفع الخاص بمجرد وقوع نظركم عليه ولتجديد الرابطة بينه وبينكم وتجديدها واجب ما تجددت الأحوال، وهو تعالى كل يوم هو في شأن وتجدون العدوى منه عند المقابلة ويخلو وجهه لكم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل فقال جلوسك بين يدي ولي قدر

حلب شاة واعلموا أن المحبة جسم وروحه الزيارة فعلى هذا لا يشغلكم عنها شاغل ، ولا يحول بينكم وبين هذه المنقبة العظيمة التي هي عين الترقي حطام الدنيا وشهواتها... وقد كان القدماء يتفاخرون ويتنافسون برؤية أولياء الله الكرام ، لما فيها من السر الجامع بين العبد وربه وقد حكى أن شخصين اجتمعا في طريق ضيق فقال أحدهما للآخر تقدم فقال له بما استحق التقدم عليك قال لأنك صحبت الجنيد نصف يوم فجعل مصاحبة الجنيد نصف يوم فضيلة يستحق بها المتقدم عليه وقال بعضهم وقع جدب في بعض البلدان فاستسقوا فلم يسقوا ، وخرج إنسان وقال يارب بحق ما في هذا الرأس اسقنا فسقوا وارتووا فقال له بعضهم وما في هذا الرأس قال عينان رآتا أبا يزيد ، فقال له ذلك القائل أنت إذن أحق مني بالإجابة .

فكيف بقلب احتشى بحبه وجواره وكيف بحواس لم تزل ممتلئة بقربه فكن أيها الطالب محباً لهياكل تزينت بهذه القلوب ومبغضاً لأبدان حرمت هذه المحاسن التي ابعدت عن الذنوب .

ويا أيها المحب الصادق السامع لهذه الدقائق عمرك نفس واحد فاجتهد أن يكون لك لا عليك وأن الماضي قد فات والآتي من المؤخرات ، وليس لك إلا الوقت الذي أنت فيه ، فهل أنت مؤثر مولاك بالطاعة » ؟ (١).

بهذا استطاع الشيخ ابراهيم أن يكسب السفر إلى كولخ لزيارته قداسة روحية ويلبسه ثوب الوجوب الديني ، ثم طور ذلك السيد علي سيس ، ودعا اليه بحماسة لا تعرف الهوادة ، كما رأيت ، وأمعن في ذلك حتى جعل له ضوابط وكيفية فقال : « وينبغي أن ينوي المتوجه للزيارة جميع حوائجه عند انتقال رجله اليمنى ، فإنه مجرب لذلك حسبما صرح به غير واحد من الشيوخ ، فلك أيها السيد الماجد والأخ الصادق أن تعمل عليه وجهتك هذه المباركة إن شاء الله يظهر لك أثره ، وتحمد مسعاك فيه بإذن الله ، وكان الله على ذلك مقتدراً فإذا تراءت معالم الديار فإذن سر ثم أطاب الضيافة من الله ، تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن شيخك على الحد الذي

---

١ – السيد علي سيس : ارشاد الاخوان ٣ – ٢٢ .

عرفته ، ثم تقدم على بركة الله إلى الدخول للحضرة الميمونة جازماً بأنك تحظى في ذلك الدخول بما لا غاية له من وجوه الرضا والقبول والعطف التام الكفيل بقضاء كل سؤال ، وبلوغ كل مأمول ، ولا تنس بالفضل منك أن تستحضر نافي بالك وتشاركنا في مقاصدك وآمالك وعلى الله قصد السبيل » (١).

ولا شك أن دعوته هذه أصابت آذاناً سامعة ، وقلوباً طائعة ، فلبي أهل الفيضة التجانية الدعوة واقبلوا من جميع الأقطار الواقعة في إفريقيا الغربية على السفر إلى كولخ ، باعتقاد جازم ، حتى صار يلي السفر إلى الحرمين لأداء المناسك في الأهمية عندهم ، وقد قدمنا أن بعض تلاميذه النيجيريين قد صرح بذلك في معرض رده على من نقدهم في ذلك حيث ألف كتاباً خاصاً لهذا الغرض وأسماه (جواب السائل في كون زيارة الولي قربة عظيمة وأفضلها اليوم بعد الحج والمدينة النبوية زيارة صاحب الفيضة في مدينته الكولخية ».

وقد عد الشيخ محمد الثاني الكافنغي الكنوي زيارة الشيخ ابراهيم في كولخ من جملة ما أنعم الله به عليهم فقال : « ومنها أن المواصلة والزيارة بيننا وبين شيخنا ما انقطعت ، فكنا نزوره وهو أي الشيخ ابراهيم أو أحد أولاده وخلفائه يزوروننا في أمن ، فحكومتنا أيدها الله تعالى وحفظها من كل شر وكيد ، ما سدت طرق المواصلة بيننا بل تساعدنا وتعين . يا حكومتنا جدي وابذلي جهدك في إرضاء الشيخ وخلفائه فإنك إذا فعلت هذا لا شك بمشيئة الله ترأسين على جميع الدول وتنقاد لك وتسمع جميع أوامرك ونواهيك ، والظن بك جميل فالله يساعدك ويؤيدك ويجعل خطاك إلى الأمام ويبارك فيك بمنه وفضله » (٢).

وقال الشيخ الحاج أحمد بابه الواعظ الكوماشي في كتابه (توضيح الأدلة) في باب عقده بعنوان (انكار السفر إلى كولخ لزيارة الشيخ أي ابراهيم إنياس).

« وما على المسافر إلى كولخ لزيارة العالم الولي الكامل والخليفة الاعظم جناح إلا الأجر والامتثال ، ومن المعلوم في هذا الزمان أنه لا توجد بقعة أو بلد يحتفل فيها

---

١ – الشيخ الحاج بابه الواعظ : توضيح الأدلة ٩٨ ٢ – الشيخ محمد الثاني الكافنغي : مرآة الحق ٤٥

الناس فوجاً فوجاً مثل الحج وزيارة الرسول إلا في كولخ ، فترى الوفود متراكمين ومتحركين لله في الله في مدينة كولخ ، وهناك ليس إلا الصلاة والذكر والوعظ وقراءة القرآن .

ثم أن هذا الشيخ لا يزال يرقيك بهمته وعمله إلى أعلى المقامات ، وكذلك أكابر أصحابه وأولاده يوسعونك ترحيباً وسروراً فجزاهم الله عنا خيراً ... وقد اتفق أكثر العلماء العاملين العارفين في هذا الزمان على أن الشيخ إبراهيم الكولخي عبدالله ابن عبدالله تلميذ عبدالله ولي وصالح وغوث وعامل بالسنة وشيخ الزمان وخليفة الشيخ التجاني ، فواجب علينا محبته وزيارته والاحسان اليه وقال صلى الله عليه وسلم إن روح الاسلام حب الله وحب رسوله وحب الصالحين من عباده » والشيخ إبراهيم من الصالحين ... ولا شك ولا جدال أن الشيخ ابراهيم ولي وصاحب الفيضة إن رضي المنكر أو أبى » .

وإن في السر عشرة أوجه ، أولها : زيارة الشيوخ وهي أعظمها بعد الحج وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لما فيها من زيارة فيض الامداد واكتساب الأوصاف المحمودة ، والتخلص من الأوصاف المذمومة ، مع اقتباس العلم والحال ، وفي ذلك من الخير ما لا يعلمه إلا الله ، وكل ذلك أيها الأخ حاصل في زيارة الشيخ ابراهيم بكولخ كما شاهدنا ذلك ولله الحمد » (١).

الشيخ ابراهيم انياس وشيوخ الطرق في السنغال

إذا رجعنا قليلاً إلى المقدمة التي قدمناها بين يدي الباب الثاني – من هذا الكتاب– المخصص لحياته نرى كيف قسم شيوخ الطرق جمهورية السنغال بينهم وجعلوا أهلها شيعاً وأحزاباً كل شيخ يختص بفرقة أو أخرى ويسيطر على إقليم أو آخر وعلى هذا فلا تقع مصادمة بين شيخ أو آخر إلا إذا تدخل أحدهما في منطقة سيطرة ا خر أو استهوى إلى جانبه أتباع ذاك ، وهذا أمر قليل الوقوع في السنغال ، لأن حياة السكان

---

١ – الحاج بابه الواعظ : توضيح الأدلة ٩٤ – ٩٨ .

تكاد تسير على نظام طبقي دقيق بحيث يصعب على الفرد أن يخرج من طبقته إلى طبقة أخرى أومن بيئته إلى بيئة أخرى، أومن وسطه إلى وسط آخر، هذا وقد أشرنا فيما سبق إلى أن تلاميذ الشيخ ابراهيم في السنغال كانوا في الغالب من تلاميذ والده ، وكلهم يسكنون في إقليم سين سالوم تقريباً ومن أجل ذلك يبعد أن يقع التصادم المكشوف بينه وبين شيخ آخر ، وهذا هو سر وقوع هذا الإصطدام بينه وبين بعض إخوانه من رؤساء أسرته لأنه أراد أن يقاسمهم هؤلاء الأتباع .

ومهما يكن من شيء فإن العلاقة بين الشيخ ابراهيم وبين الشيوخ الأخرين هي صداقة وحسن التفاهم نسبيا إلا ما كان من أمر الشيخ أحمد دم الفلاتى كما سيأتى فسرعان ما جعل الشيخ ابراهيم حدا لتفاقم الأمر بينهما لحسن سياسته ، ومما يدل على صحة ما قررنا أن الشيوخ السنغاليين إذا اجتمعوا على أمر جامع من أمور الدين أوما يمس الحياة الاجتماعية السنغالية يجعلون الشيخ ابراهيم سكرتيرهم ، وهو الذي يكتب التقرير على ما اجمعوا عليه ، ثم يقدمه لهم للتوقيع ، وبعد التوقيع ينفذه نائباً عنهم واليك طرفا من التقرير الذي كتبه إلى الحكومة السنغالية بلسان علماء السنغال ومشايخها وقد فتحه بقوله : «الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ،

وبعد فهذا موقف الاسلام من دستور الأحوال الشخصية في السنغال فإننا نحن جماعة الشيوخ المسلمين المؤمنين الموقعين على هذه الوثيقة بعد ان اطلعنا على جانب كبير من مشروع القانون الخاص بتنظيم أحوال الأسرة والذي اعدته حكومة سنغال ووزع علينا السيد رئيس الوزراء نسخاً منه لكي نتدارسه ونبدى رأينا فيه قبل أن يصبح قانونا سارى المفعول .

وبعد مشاورات عدة بيننا في هذا الموضوع الذي يهم كل سنغالي لا سيما المسلمين نظراً لأن قوانين هذا الموضوع تتناول أحوالهم قبل الميلاد واثناء الحياة في الدنيا وبعد الممات ، وهى احوال تناولتها شريعة الاسلام بشمولها ، ومرونتها وربانيتها ، وخلودها ، وحرصا منا على التعاون مع كل من يعمل لخدمة الشعب السنغالي وتسهيل اسباب التقدم السليم له، تعاوناً مبنياً على التجرد والصراحة والاخلاص لله ولرسوله ، واستجابة منا لرسالة الاسلام التي يتحمل العلماء في ظلالها مسئولية نصح الامة وارشادها ، نظرا لما وفقهم الله له من فقه تعاليم الدين والتفرغ لحمل

تراث الانبياء والمرسلين ، كما تخصص غيرهم من افراد الشعب في الطب والهندسة وغيرهما من الفنون مثلا

ووفاءً للجماهير السنغالية المسلمة الذين وضعوا فينا ثقتهم الكاملة لقيادتهم في الطريق الى الله عزوجل ناقلين اليهم تعاليم الاسلام سليمة أصيلة كما تلقيناها عن السلف رضوان الله عليهم ، نقول بناءً على هذه الاعتبارات العامة قررنا ما يلي :

أولا إننا نقدر الجهود الكبيرة التي بذلت في سبيل إعداد هذا المشروع ألذي يحتوي على ثمانمائة وأربع وخمسين مادة كما نشجع الحكومة على اخذها بمبدأ الحوار والشورى مع المشايخ والعلماء قبل البت في قضية اساسية حساسة كهذه.

ثانيا نلتمس من الحكومة السنغالية أن تترجم لنا مشروع القانون بنصه الكامل إلى اللغة العربية ترجمة دقيقة لكي يدرسه كل واحد من علماء السنغال مباشرة ، بلغة ثقافية ، ونحن نعتبر هذا الملتمس جديراً بالاستجابة العاجلة ، حرصا منا على الاستيعاب الذى لامحيد عنه إذا أريد لحوارنا أن يعطى ثمرته العلمية الكاملة .

ثالثا ومع تقديرنا للجهود المذكورة وفي انتظار صدور الترجمة العربية للمشروع نبادر لتسجيل الملاحظة التالية وهى :

إن من جملة ما طالعنا من مشروع القانون أبوابا ومواد تتعلق بالنكاح والطلاق ومدة الحمل والميراث وثبوت النسب وهى قضايا واحكام قد فصلت في الشريعة الاسلامية تفصيلا لا مزيد عليه ولا داعى لتطويره ولا يجوز لمسلم الخروج فيها عن دائرة الشريعة الاسلامية فيمصادرها الأربعة المعروفة الكتاب والسنة والاجماع والقياس على تفصيل في ذلك يعرفه أهل الاختصاص إلى أخره وهو طويل ثم وقع عشرة من المشايخ السنغاليين على التقرير وهم على الترتيب الآتى

١ ـ أكبر مشايخ السنغال الحاج سعيد النور طال .

٢ ـ الخليفة العام التجاني الحاج عبد العزيز حمد .

٣ ـ الخليفة العام المريدي الحاج الشيخ أمبك .

٤ ـ الامام الأكبر بدكار الحاج أحمد الأمين جين .

٥ – القاضي الأكبر الحاج شمس الدين جاج .

٦ – كبير الطريقة القادرية الحاج علي سلك غوران .

٧ – كبير التجانيين بكاسماس الحاج محمد سعيد .

٨ – كبير آل الامام لاي الحاج مجون لاى .

٩ – شيخ آل جاسان الحاج السيد الأمين كنت .

١٠ – أحد العلماء الحاج ابراهيم إنياس .

فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على رفعة شأن الشيخ ابراهيم عند هؤلاء المشايخ ومدى ثقتهم به .

هذا وقد بذل الشيخ ابراهيم – فيما يبدو – مجهوداً لا يستهان به في ملاطفة بعض الشيوخ والتآلف معهم ، وتطييب خواطرهم بالبشائر الجذابة لاكتساب ثقتهم به ، ومحبتهم إياه ، وخلق حسن التفاهم بينه وبينهم ، قدر الامكان ، ومن أمثلة ذلك حسب ما أخبرني به الشريف العلوي محمد فال ابن دهاه أن الشيخ ابراهيم قد عاد صديقاً له مريضاً وهو من شيوخ الطريقة القادرية في المستشفى فقال له الشيخ ابراهيم لا شك أن الرابطة التي تربط بينك وبين الشيخ عبد القادر الجيلاني قوية جداً لأنني رأيته معك عندما جئت هنا ففرح الشيخ المريض فرحاً شديداً وقال الآن لا أخشى من الموت ، ثم أوصى وأكد بأن الشيخ ابراهيم هو الذي يصلي عليه إذا مات (١) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً أن الشيخ أحمد دم الفلاتي السابق ذكره كان يعادي الشيخ ابراهيم ويكتب لأجل الطعن فيه هو وأتباعه فحضر الشيخ تفسيره تكريماً له ، ففرح بذلك ، وسكنت ثائرته ، وكف عن الكتابة وعن نشر ما كتب ، واستراح الشيخ منه (٢).

ومع ذلك لا تفقد هنات بين الشيخ ابراهيم وبين كبار بيوت الطريقة التجانية في

---

١ – في مقابلتي معه في التاريخ السابق .

٢ – أخذت هذه المعلومات من السيد ابراهيم جوب في مقابلتي معه في التاريخ السابق .

السنغال وربما كان الشيخ ابراهيم نفسه هو سببها وقد مر بنا أن أكبر بيت للطريقة التجانية في السنغال هو بيت السيد مالك سي ، وبيت الشيخ سعيد النور طال ، وقد رأينا فيما سبق كيف قام السيد مالك سي بمجهود جبار في جمع كلمة شيوخ التجانية وإيجاد رابطة الصداقة بينهم ، وكيف استطاع أن يقنع الشيخ عبدالله إنياس والد الشيخ ابراهيم ليزوره في مقره بتواون فاعتبرت الزيارة بمثابة بيعة من الشيخ عبدالله إنياس للسيد مالك سي فاستمرت هذه الصداقة بين البيتين فمضى بيت الشيخ عبدالله يعترف لبيت السيد مالك بالخلافة العامة للطريقة التجانية في البلاد كلها شأن غيره من بقية بيوت التجانية .

وأما الشيخ سعيد النور طال فقد سبق أن قررنا أن السيد مالك هو الذي رباه صغيراً بوصية والده حتى بلغ أشده فزوجه ابنته فكانت أهميته في السنغال تتبلور من ناحية أنه هو رئيس قبيلته تكولا (الطورية الفلاتية) وهو أيضاً حفيد الشيخ عمر الفوتي الناشر الأعلى للطريقة التجانية لا في السنغال فحسب بل في غرب إفريقيا بأسرها، وعلاوة على هذا فإن الحكومة الفرنسية قد عينته رئيساً لجميع التجانيين الكائنين تحت سيطرتهم في إفريقيا الغربية (١).

والشيخ ابراهيم نفسه يشعر بعلو مرتبة البيتين من بين بيوت التجانية في السنغال ويتبين ذلك بكل جلاء في تقريره السابق حيث كان أول من وقع عليه هو الشيخ سعيد النور هذا بلقب أكبر مشايخ السنغال ثم الحاج عبد العزيز سي بلقب الخليفة العام التجاني.

ولكنه مع ذلك كله انتقد منصب الخليفة العام الذي يحتله عبد العزيز سي ابن السيد مالك بحجة أنها ليست خلافة شرعية واجبة الاتباع بحيث أن من نزع يده في طاعتها يعد خارجاً عليها ومن ثم رفض أن يعترف بسلطة هذا البيت كما نقد أيضاً بشدة وبصراحة المناورات السياسية التي يقوم بها الشيخ سعيد النور طال (٢).

وهذا من شأنه طبعاً أن يخلق كراهية شديدة بينه وبين البيتين ، ولا بد إذن والحال هذه من قيامهما والمنتمين إليهما برد فعل شديد تجاه تصرفه هذا نحوهما ثم بدعاية

---

١ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ٣٣ و ٥١

٢ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ٣٣ و ٥١

عدائية ضده على نحو ما قرره الشيخ أبو بكر عتيق الكشناوي الكنوي بقوله « ولو دخل الواحد بلاد السنغال وسأل عن أهل التربية لدل على حضرة الشيخ ابراهيم مالم يكن المسؤول من منكريه وحسدته ، لأنهم كثيرون هنالك بل هم الغالب فقلما دخل بلاد السنغال زائر الشيخ من غير أن يجتمع بهم وذكروا له من المعائب التي هو بريء منها فلا يزالون به حتى ينسلخ عن عقيدته (١).

خصوم الشيخ ابراهيم انياس

يعتبر الشيخ ابراهيم إنياس من القلائل الذين كتب الله لهم الشهرة وانتشار الصيت من دون أن يقاسوا عناء شديداً من قبل الحساد والمنافسين ولم يكن له حتى في قلب وطنه ناقد أو منافس يعتد به إلا قليل جداً ، وربما كان ذلك للسبب الذي قدمنا آنفاً ولأن سلوكه أيضاً وسمو أخلاقه وسعة خبرته ومهارته في إجراء الأمور ومعرفته – كما يقال – من أين توكل الكتف وتأخر أكثر خصومه عنه – فيما يبدو – علماً بالإمور التي يدعيها وعدم إلمامهم بحركة الاصلاح الديني الدائرة في المغرب ومصر وجميع أنحاء العالم الإسلامي قد ساعد على سد أفواه خصومه وكف أيديهم .

ومع ذلك فبإمكاننا أن نقسم خصوم الشيخ ابراهيم إلى ثلاثة أنواع : –

١ – خصومه من أسرته .

٢ – خصومه من قومه السنغاليين .

٣ – خصومه من خارج السنغال .

فأما خصومه من أسرته فإن الشواهد تدل على أنه ما قاسى عناء شديداً وقلقاً عظيماً مثل ما قاساه من عداوة إخوته له ، وقد بلغ به الحال إلى أن يتمنى الموت حيث صرح بأنه قد سئم الحياة ، وقد جاء في رسالة له رد بها لرسالة كتبها اليه أخوه السيد محمد الهادي مع بعض تلاميذه فقال : « حضرة الأخ الولد العارف بالله الهادي ابن الحاج عبدالله التجاني سلام ممتزج بالشوق أنت ومن معك من الأحباب محمود جوف وأحمد سام وابو بكر مريم لتعلم بأني وقفت على كتابكم وما هالكم مما شاهدتم وسمعتم

---

١ – الشيخ أبو بكر عتيق : الجواب الخالص الصميم ٢

من المنكر والسحر فاعلموا أني – ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سمعت من لسان من لا ينطق عن الهوى أن لا يضرني مخلوق أصلاً كائناً من كان ، وقد أعطيت من العمر أطول مما أعطي لوالدي رحمة الله عليه ، وهذا لولا كوني مراداً لله فلا أحبه أي طول العمر لأني سئمت من هذه الدار لما فيها من الأكدار ، لكن الخير فيما اختاره رب العالم ، وأبشركم بهذا لتعلموا أنه لا يقع بي شيء إلا ما تحبون » (١).

فقد بدأ توتر الحال بينه وبين إخوته بمشاحنة قلبية في خلافة الحاج محمد إنياس يشعر به الشيخ ابراهيم ومن معه من قبل الأول تظهر أحياناً في بعض تصرفاته مثل الحجر على استعمال ما هو من قبيل المرافق العامة المشتركة بين الجميع كالكتب المحبوسة من جهة الوالد على الأبناء جميعهم ، وربما كان سبب ذلك غيرته على ما يتمتع به الشيخ ابراهيم من القبول المشوب بالاحترام ، والاعتراف الذي لم يقتصر على بعض تلاميذ والدهم فحسب ، بل قد شمل بعض الاخوة أبناء الشيخ عبدالله أيضاً ،واستمر الحال على ذلك حتى توفي الخليفة الأول الحاج محمد إنياس ، وعندما تسلم الحاج عمر إنياس عرش الخلافة اندلعت نار الفتنة بين الأخوين ، ذلك لأن نفوذ الشيخ ابراهيم قد تزايد منذ قبيل موت الحاج محمد إنياس ، فحاول الحاج عمر إنياس أن يجعل حداً على تزايد نفوذ أخيه الصغير القوي هذا حتى لايطغى على سلطته ويقضي عليها من أساسها فتفاقم الأمر حتى أفضى إلى القتال المكشوف المباشر سنة ١٩٥٧ م ١٣٧٧ هـ وكان مع الحاج عمر الخليفة أبناؤه وأبناء أخيه الخليفة السابق ، وربما كان معه أيضاً بعض الأخوة وبعض التلاميذ طبعاً ويؤيد الشيخ ابراهيم تلاميذه وبعض إخوته أيضاً وقد عدهم كالآتي : « الحاج محمد زينب والسيد محمد محمود ومحمد الهادي ومحمد الشفيع وأبو بكر » (٢). وكان النصر في هذه الآونة حليف الحاج عمر الخليفة حيث تمكن من دحر الشيخ ابراهيم وأنصاره واخماد ثورته ، ثم اصطلحا أخيراً فثاب السلام إلى الأسرة من جديد واستقامت أواصر المحبة وصلة الرحم بينهما حتى كان الخليفة الحاج عمر إنياس يحضر المهرجان الذي يقيمه الشيخ ابراهيم لإحياء ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم (٣).

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل .

٢ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٢/١١٣

٣ – Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ٧١

وقد جاء ذكر هذه الأمور كلها في بعض أشعار الشيخ ابراهيم صراحة أو تلميحاً ومن ذلك قوله :

لائمي فارث لحالي ... قد دهاني ما دهاني
كم خليل قد جفاني ... لغرامي ورماني
رب صنو كنت أرجو ... وصله ثم جفاني
ونهاني ولحاني ... وشجاني ونفاني
ليس لي اليوم خليل ... غير ما منك أتاني
غير هذا قد قلاني ... عاذلا لي كل ءان
مزقور جلدي جهارا ... أخرجوني من مكاني
دون ذنب غير أني ... حب طه في جناني
وأراني لست ألفي ... تائباً مر الأواني
وأراني لست ألفى ... تائباً مر الأواني
وأرى لو مزقوني ... بمواضي الهندراني
لم ينالوا ما أرادوا ... قد مضى ذا وكفاني (١)

ويقول أيضاً مخاطباً أتباعه :

لا تضربوا أبداً لا تشتموا أبداً ... وان ضربتم فصبراتكم صبر
إذا نظرتم إلى من قبلكم من تقا ... ة قد عفوا وصفوا إذ غيرهم مكروا
هديتم لصراط النصر فاصطبروا ... فالنصر في الصبر والأعلون من عفروا
إذا منعنا مساجد الإ له فما ... هذا بأوله والقوم قد صبروا
نحذو كحذو الذين قبلنا فلنا ... بالمصطفى أسوة والحق ينتصر (٢)

هذا وقد عد الشيخ ابراهيم مآخذ إخوته عليه في رسالة له إلى الحاج سالم مقدم زاوية فاس حيث قال : « واعلموا أني على صغر سني وقصور علمي وضعفي في الدين أوذيت في الله حق الإذاية ورموني بالكفر والتفسق وتحليل الحرام وقطع الأرحام وإفساد طريقة الشيخ أي التجاني بإدخال «ما ليس فيها وافتراء الكذب على الله والسحر

١ – الشيخ ابراهيم انياس : مجموع قصائد المولد ١٦
٢ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٥٢

والجنون وفعل بي من الأفعال ما لا يفي بها قلبي فصبرت لله واحتسبت » (١)؛

وأما خصومه من السنغاليين فقد أشرنا آنفاً إلى من يسمى بالشيخ أحمد دم الفلاتي وكان هذا الشيخ يسكن في قرية (سوكون) وكان من الذين جاهدوا الشيخ ابراهيم بالعداوة من شيوخ السنغال وقد ألف الشيخ أحمد كتاباً وسماه تنبيه الغافلين وكان يعني بذلك الشيخ ابراهيم وأتباعه وأرسل بالكتاب إلى الحاج محمد إنياس الخليفة فقرظ الكتاب ، ثم أرسل الكتاب مع تقريظ الخليفة إلى الشيخ ابراهيم فكتب اليه الأخير ما يلي : « فإلى الأخ العلامة الحاج أحمد دم السلام علينا وعليكم وعلى عباد الله الصالحين يليه أن تعلم أني رأيت تأليفك ولم أنتفع به لتناقض مبانيه ومعانيه ، بادي الرأي ورأيت نقل كلام الكتب وسبا مخصوصاً بطائفة لا أدري من تعني بهم فإن كان أنا العبد الجاني فأحمد الله كثيراً على ستره الجميل والله حسيب المفتري وإن كان أصحاب الشيخ التجاني الذين معي هم المعنيون بذلك فالحمد لله الذي غض بصري عن مشاهدة ما تدعي عليهم ورزقني حسن الظن بالله وبعباده في سائر البلاد ، إلا أني أعلمك بأني لا أرى لكتابك جواباً ولو سألتني عما أشكل عليك لكان الجواب واجباً أو تقرر شيئاً مخالفاً للكتاب والسنة ليس افتراء وأنا أتضرع إلى الله متوسلاً برسول الله وأصحابه وآله وأسأله أن يحق الحق ويبطل الباطل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم وتسلمت ما كتب الخليفة الحاج محمد في شأنك وشأن كتابك وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » (٢).

وعلى أي حال فإن تلاميذ الشيخ ابراهيم قد أفاضوا بحماسة شديدة في الرد على الكتاب ولكن رأى أن المصلحة في ملاطفة الشيخ الفلاتي فزاره ليسمع تفسيره بطريقة تعبر عن الإكرام فكف بذلك عن إظهار العداوة واختفى الكتاب كما قدمنا .

وأما في نيجيريا التي تعتبر مظهر فيضة الشيخ ابراهيم ومركز دعوتها فالظاهر الذي يبدو أنه ليس فيها خصم ظاهر ينقده صراحة إلا الحاج أبا بكر جومي وحده فيما وقفت عليه حتى الآن .

لقد زرته يوم السبت ٢٧ لمايو ١٩٧٨ م بمقره في كدونه ولم يكن يعرفني من قبل

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس: نفس المصدر ١٩/١ . ٢ – الشيخ ابراهيم إنياس: جواهر الرسائل ١١٥/١

فعرفته بنفسي ثم أخبرته بأني باحث من قسم الدراسات الإسلامية جامعة بايرو بكنو أكتب رسالة الماجستير عن الشيخ ابراهيم إنياس الكولخي التجاني ومن أجل ذلك جئت لأقف على حقيقة رأيك فيه .

فقال : « أنا لا أريد أن تدخلني في هذا الأمر ».

فقلت : « أنت أدخلت نفسك فيه أكرمك الله ولذلك لا أتمكن الآن من إخراجك منه ، ذلك لأنك قد اجتمعت به كثيراً وانتقدته هو وطريقته في غير ما مرة ، وعلى هذا فكان من اللازم أن أقابلك قبل أن أقرر أي رأي في هذا المجال .

ثم قلت له أريد من فضلك أن أعرف حقيقة رأيك في الشيخ ابراهيم وحركته في نيجيريا.

فقال : « رأيي فيه أنه لم يدخل نيجيريا بنفاق أبداً وإنما دخلها بكفر صريح مكشوف ينادي به علناً وعلى رؤوس الأشهاد » . ثم طفق يشرح لي وجهة نظره في ذلك وأوقفني على مسائل في جواهر المعاني والرماح وفي بعض كتب الطريقة التجانية وما قرره الشيخ ابراهيم نفسه ، وفي كتب تلاميذه ، وذلك كله يكفر معتقده في نظر السيد أبي بكر جومى ، وقد أوردت بعض ذلك في بعض الفصول السابقة وانظر أيضاً كتابه العقيدة الصحيحة (١).

ثم قلت له هل كانت بينك وبين الشيخ ابراهيم صداقة من قبل ثم فسد ما بينكما فيما بعد ؟ لأنني وقفت على رسالة كتبها الشيخ ابراهيم إلى تلاميذه الكنويين مضمونها أنك اتصلت به في المدينة المنورة وأبديت له رغبتك في الاتحاد مع تلاميذه أولئك لتوسع مدى الدعوة الاسلامية التي تقوم بها الرسالة مؤرخة بـ (١٣٨٤ هـ) أي بحوالي أحدى عشرة سنة من الآن .

فقال : « ومن عادتي أن أتصل بكل من بلغني أنه عالم لأستفيد منه وهذا هو سبب إتصالي بالشيخ ابراهيم وعندما تبين لي أنه كافر تبرأت منه ، وابتعدت عنه ، وأما اتخاذ حركتي مع حركة تلاميذه والتعاون معهم فلا أرى أنني أحتاج إلى ذلك حتى أطلب إليه أن يكتب بذلك إلى تلاميذه لأن حركتي هي جماعة نصر الاسلام وهي ليست لي وإنما هي لجميع المسلمين ، وكل من يريد أن ينصر الإسلام فالباب مفتوح لا يحجبه شيء ».

---

١ – الحاج أبو بكر جومى : العقيدة الصحيحة ٤٤

ثم قلت له ماهو رأيك في قول الشيخ ابراهيم : « إن الله تعالى قد ساق الوجود بأسره مساق الهلاك في هذا الزمان فلا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجاني » (١).

فقال : « إنه يريد بذلك أن يقول ومن يبتغ غير التجانية ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ».

ثم قلت له ما رأيك في قوله أيضاً أي الشيخ ابراهيم إن جبريل مجاز لا حقيقة والكتاب في يدي فأريته المحل فلما قرأه هز رأسه متعجباً متأسفاً ولم يحر جواباً (٢).

وأنت هنا ترى أن السيد الحاج أبا بكر جومى قد شدد في نقده لحركة الشيخ إبراهيم حتى كفره صراحة ولكن ليس هو أول من كفره وإنما كفره قبل ذلك منافسوه من قومه حسب ما قرره بنفسه في رسالته السابقة إلى السيد سالم مقدم زاوية فاس هذا من جهة وإذا نظرنا إلى ردود فعل الشيخ ابراهيم نفسه تجاه خصومه من جهة أخرى ندرك أن السيد الحاج أبا بكر جومى قد رد عليه بالمثل أو بعبارة أخرى كال له بمثل ما يكيل هو لخصومه ، والأمر إذن من قبيل ما يقال فكما يدين تدان ، حيث إن الشيخ إبراهيم نفسه لا يتورع عن تكفير خصمه إذا يئس منه أياً كان فقد كفر رجلا مورتانياً يدعى الشيخ كابر لأنه ينكر عليه ، وذلك عندما بلغه أن الشيخ كابر هذا قد ورد إلى نيجيريا وخاف من أن يفسد عليه أتباعه الحادثين فكتب منشوراً عاماً إلى كافة أتباعه في نيجيريا وجاء فيه : « ولي مقدمون في هذه الأقطار كل واحد منهم كنار على علم بارك الله فيهم فمن أخذ عن واحد منهم فكأنما أخذ عني وأما الدجاجلة المطوفون على البلاد للتكالب على الدنيا (ككافر) لا أقول (كابر) وأمثاله فليس بيني وبينهم شيء » (٣).

فأنت هنا ترى أن الشيخ ابراهيم قد جعل الشيخ كابر من جملة الدجاجلة الذين يطوفون على البلاد للتكالب على الدنيا ثم كفره حيث دعاه كافراً بدلا من كابر .

وهذا لا ينبغي أن يصدر من مثل الشيخ ابراهيم ولو في جانب مسلم عادي ولا

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس جواهر : الرسائل ١ /٨

٢ – جاء تصريح الشيخ ابراهيم بهذا الكلام في الجزء الأول من كتاب جواهر الرسائل صفحة ٨٧ .

٣ – منشوره العام الذي كتبه لتكفير كابرو

سيما في جانب رجل عالم مثل الشيخ كابر .

الشيخ كابر هذا شريف حسني تجاني من أهل شنجيط وهو عالم كبير اجتمعت به شخصياً وأنا في (أزري) حينئذ وذلك في حدود ستينات هذا القرن الميلادي ، وأعجبت بعلمه ، ودينه ، وقد رحل من (أزري) إلى (أدماوا) عندما ورد منشور الشيخ ابراهيم ذلك ، فبدلا من أن يتقزز هؤلاء الشيوخ من هذا الأمر البشيع الذي صدر من شيخهم من تكفير مسلم بغير حجة شرعية ذهبوا يهزون رؤوسهم إعجاباً بشيخهم إبراهيم إنياس قائلين إن أمره في الولاية عظيم حيث استطاع أن يتصرف على حفيد النبي صلى الله عليه وسلم ويسلب إيمانه .

ومن أمثلة ذلك أيضاً أنه أي الشيخ ابراهيم قد جعل رجلاً في جامبيا يدعى (بيرانجاي) عدو الله ورسوله لأنه يعاديه ، وقد قال في رسالة له إلى تلاميذه هنالك: « إلى إخواننا وأحبابنا الذين قطنوا بنجل ذكورا وإناثاً صغاراً وكباراً أخص منهم ولدي الأرضي وخادمي المرتضى القائم بأمر المسلمين سيدي ابراهيم جمعمت حفظه الله وكذلك منزلي الكريم داود جاك ومحبي قديماً عبدالله انجاي والحسين طور وكبيبا وأحمد جنق وابراهيم شك ومصل سل ومن في معناهم كل باسمه وعينه رضيت عنكم رضى تاماً وأوصيكم أن تقوموا على ساق الجد في إصلاح ذات بينكم وأترك العدو الذي يسعى في تفرقة جماعتكم (عدو الله ورسوله بيرانجاي) أخزاه الله تعالى وما قال كل ما قال سوى أنه يعاديني ويحاربني فقد كذبوا : « سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » (١) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً أنه بلغه أن رجلاً من تلاميذ والده يدعى سعيد آو قال فيه كلاماً مكروهاً فكتب اليه رسالة شديدة اللهجة يدعو عليه فيها بدعوات سيئة وكتب الرجل إليه يلاطفه ويبرأ مما نسب إليه من أكاذيب السعاة وينصحه بأن يتخلق بأخلاق والده الحاج عبدالله انياس فلانت بذلك عريكة الشيخ وهدأت ثائرته وكتب إلى الرجل مرة أخرى يلاطفه ويقبل عذره ويبرأه مما أشيع عنه ويؤمنه من تأثير دعائه عليه لأنه أطلقه أي الدعاء لأجل المحبة لا للعداوة ، وقال في الرسالة : « وقد برأتك مما زخرفه الناس عنك وما اتهمتك قط منذ عرفتك ، وأما اللاسطنتان فما فيهما كبير شيء لأنهما

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/٤٠ .

صيغتان للنهي والدعاء ، وكل ذلك باعثه مني محبتي فيك ... وإذا خلوت مع بعضهم ولو لم تقل لهم شيئاً إذا خرجوا يشيعون بأن آو هذا قال كذا وكذا وإذا سمعه من له تعلق بي يكتب إلى بما قال هؤلاء عنك وهو محض كذب وما كتبت إليك ما كتبت إلا بعدما تعين على لأن الناس يكادون يسيئون الظن فيك إنك لست من أحبائي وأما وصيتك لي فنعمت الوصية هي من أخ صالح بارك الله فيك وزاد في أمثالك والتخلق بأخلاق والدي هو غاية مطلبي » .

ولا شك أن هذا القدر الذي قدمنا يعطي صورة صادقة لردود فعل الشيخ ابراهيم تجاه خصومه ومنتقديه ، فإذا كان هو نفسه شديداً على خصومه الذين يشس منهم ، فلا مانع إذن من أن يشدد عليه بعضهم .

الشيخ ابراهيم انياس والسياسة الوطنية في السنغال

إذا نظرنا إلى حياة الشيخ ابراهيم انياس نرى أن السياسة عنده تكاد تكون غريزة فطر عليها ، بل لا شك أنه سياسي محنك موهوب ، إذ لا يتأتى لمن لم تكن له موهبة سياسية وحنكة قيادية أن يكون لنفسه مركزاً دينياً هاماً ، ويستهوي إلى جانبه أتباعاً كثيرين من شتى القبائل ومختلف الأجناس ، يحملون اسماً خاصاً بهم اخترعه لهم وقادهم بكفاءة فائقة منذ أن كان ابن ثمان وعشرين سنة حتى وفاته وهو ابن خمس وسبعين.

لقد استطاع الشيخ ابراهيم بهمته العالية وعزيمته القاهرة وبصيرته الناقدة أن يجعل بيتهم في صفوف البيوت المشهورة في السنغال بشكل لم يستطعه والده وأخواه من قبل حتى صار يتسامى بيت السيد مالك سي وبيت الشيخ أحمد بمبا وغيرهما من البيوت البارزة ، فأكسبه نفس الاعتبار الذي تتمتع به تلك البيوت الرفيعة ، ثم بعد ذلك كله أخذ البيت وزج به في ثبج غمار السياسة الوطنية السنغالية حتى علا صوته في مقاعد البرلمان ولجان الوزارات، مثل كل بيت عال في البلاد، ولم يكتف بذلك حتى أعلن ثورته المكشوفة على منصب الشيخ سعيد النورطال حفيد الشيخ عمر الفوتي نفسه وخليفته .

وعندما رأى الشيخ ابراهيم أن أمره ينتشر بسرعة وأتباعه يتكاثرون بتزايد خرج من بيت أبيه وكون مركزه خارج مدينة كولخ في مكان سماه المدينة الجديدة كما سبق ثم أسس جمعية باسم جماعة أهل الفيضة التجانية ، فكان الأساس الذي بنيت الجمعية

عليه هو أن الشيخ ابراهيم هو مجدد الطريقة التجانية في هذا القرن حيث إن لكل قرن مجدداً ولما كثر أتباعه في داخل السنغال وخارجه أسس جمعية أخرى باسم جمعية أنصار الدين » (١).

لقد بدأت مساهمة التجانيين في الحياة السياسية السنغالية منذ أواسط ثلاثينات هذا القرن الميلادي ، عندما أيدوا جلندو ديوف الممثل السنغالي في مجلس الأمة الفرنسية الذي تم انتخابه للمرة الأولى في مايو سنة ١٩٣٤ م عقب موت بلايس دياغني أول ممثل سنغالي إفريقي في ذلك المجلس ، ثم أعيد انتخاب ديوف هذا في ١٩٣٦ م فقابل ديوف تأييد التجانيين له بالحسنى حيث استمر يدافع عنهم عند الحكومة ويقوم على تحقيق مصالحهم في غير ما مرة .

وما كادت الحرب العالمية الثانية تنتهي حتى ظهرت على مسرح سياسة السنغال جمعيتان متنافستان وهما الجمعية التي أسسها جلندو ديوف المذكور آنفاً التي تتمتع بتأييد التجانيين والحكومة الفرنسية والجمعية الاشتراكية السنغالية بزعامة لمين غابي التي يؤيدها المريدون (٢).

ثم انفصل ليوبود سنغور من جمعية لمين غابي الاشتراكية وأسس جمعية أخرى مستقلة باسم الجمعية الديموقراطية السنغالية فصارت تعارض الجمعية الاشتراكية التي يرأسها لمين غابي .

وعندما أسس ليوبود سنغور تلك الجمعية أعلن خليفة التجانية العام الحاج أبو بكر سي تأييده لها ذلك ليستمر في معارضته للجمعية الاشتراكية التي يرأسها لمين غابي بتأييد المريديين حيث أن جمعية جلندو ديوف انحلت وتلاشت بموته وكان بين الخليفة التجاني وبين أخويه السيد محمد المنصور سي والسيد عبد العزيز سي عداوة لدودة كالتي بين الشيخ ابراهيم انياس وبين أخويه كما سبق فأظهرا تأييدهما للجمعية الإشتراكية التي يؤيدها المريديون ليسيئا إلى أخيهما الخليفة بمخالفتهما إياه وانضم اليهما الشيخ ابراهيم انياس مؤيداً الجمعية الإشتراكية لأجل سوء التفاهم الذي كان بينه وبين الخليفة التجاني أيضاً ، فلما كان الخليفة لا يريد أن يتدخل في نزاع سياسي مكشوف انقطع

---

١ – الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٤٦ ٢ – الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٤٧

عن الحركة السياسية في الظاهر وتقدم ابنه الشيخ أحمد التجاني سي مكانه معلناً تأييده التام لجمعية سنغور تلك التي يميل اليها والده الخليفة .

ولكن الشيخ سعيد النورطال حفيد الشيخ عمر الفوتي وخليفته وأكبر شيخ للطريقة التجانية في السنغال على الإطلاق الذي تربى صغيراً في حجر السيد مالك سي والد الخليفة العام التجاني أعلن تأييده التام للشيخ التجاني سي ابن الخليفة ، ولذلك لما جاء الانتخاب سنة ١٩٥١ م نجحت جمعية سنغور الديموقراطية لما تتمتع به من تأييد الخليفة وابنه بمساندة الشيخ سعيد النورطال على جمعية لمين غايبي الإشتراكية التي يؤيدها المريديون والشيخ ابراهيم انياس وأخوا الخليفة السيد المنصور سي والسيد عبد العزيز سي .

ثم حدث انتخاب آخر في مارس سنة ١٩٥٢ م فتجدد النزاع الذي بين الخليفة ومؤيديه الذين كانت هواهم مع جمعية سنغور من جهة وبين أخويه ومعهما الشيخ ابراهيم انياس الذين يميلون إلى جمعية لمين غايبي من جهة أخرى ، ولكن الشيخ سعيد النورطال مع الخليفة طبعاً فانتصر جراء ذلك ليوبود سنغور على لمين غايبي أيضاً فزاد هذا النجاح والانتصار من هيبة الخليفة التجاني عند الشعب السنغالي (١).

وعندما مات الخليفة العام الحاج أبو بكر سي في ٢٥ مارس سنة ١٩٥٧ م أراد ابنه الشيخ أحمد التجاني سي السابق ذكره أن يخلفه معتقداً أن الرئيس ليوبود سنغور طبعاً يؤيده في تحقيق أمنيته لموالاته هو وأبيه إياه ولكن سنغور طبعاً لايريد أن يتدخل في أمر يكاد يكون دينياً صرفاً كهذا وهو غير مسلم فخلى سبيله فانتصر عليه عمه السيد عبد العزيز فصار خليفة بعد أخيه فاغتاظ لذلك الشيخ التجاني سي فسيب جمعية سنغور وأراد أن يستقل بنفسه سياسياً فوافقه على ذلك الشيخ ابراهيم انياس وأيده .

وهناك أيضاً رجل تاجر مهم في كولخ يسمى الحاج ابراهيم سعيد أندو وكان يشاطر الرأي مع الشيخ ابراهيم إنياس في تأييد جمعية لمين غايبي الإشتراكية ثم غير رأيه وانضم إلى جمعية الرئيس سنغور فتخلى عنه الشيخ ابراهيم انياس وكان هذا الرجل

---

١ - الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٤٩

ينافس رجلا آخر يدعى (فلديودبو انداي) في جمعية سنغور على كرسي الحاكم المدير لولاية سين سالوم التي كانت مدينة كولخ عاصمتها فمال الرئيس سنغور إلى الأخير وضعف جراء ذلك ثقة الحاج ابراهيم سعيد به حتى انفصل عنه أخيراً وأسس جمعية سياسية مستقلة باسم جمعية اتحاد السنغاليين فانضم اليه الشيخ ابراهيم انياس والشيخ التجاني سي (١).

وإذا نظرنا إلى الشيخ ابراهيم انياس نرى أنه انضم بالأمس إلى السيد المنصور سي والسيد عبد العزيز سي ضد أخيهما الخليفة العام الحاج أبي بكر سي وابنه الشيخ التجاني صديقه هذا واليوم عندما صار السيد عبد العزيز سي صاحبه بالأمس الخليفة العام تخلى عنه فجعل ينصر عليه ابن أخيه الشيخ التجاني سي الذي كان ضدهما معاً بالأمس .

لماذا كان الأمر كذلك إذن ؟ .

السبب واضح فإذا رجعنا إلى الوراء قليلاً نرى أن الشيخ ابراهيم انياس لايخاصم أحداً في السنغال إلا الخليفة العام والشيخ سعيد النورطال ذلك لأن كل من صار خليفة في بيت السيد مالك سي ينظر إلى جميع التجانيين في السنغال – ماعدا الشيخ سعيد النور طال – تحت سيطرته بطبيعة الحال بما فيهم الشيخ ابراهيم نفسه وأهل بيته جميعاً وهو لا يرضى بذلك طبعاً لأنه يعتقد أنه هو شيخ جميع التجانيين في العالم على الإطلاق والشيخ سعيد النورطال هو المسؤول عن جميع التجانيين الذين يعيشون تحت سيطرة الفرنسيين بأسرهم في إفريقيا الغربية السنغاليين وغيرهم والشيخ ابراهيم طبعاً لايرضى بذلك أيضاً لأنه يرى نفسه أحق بهذا المنصب من جميع شيوخ الطريقة التجانية قطعاً .

ومهما يكن من شيء فإن الجمعية التي أسسها الحاج ابراهيم سعيد اندو الكولخي بتأييد الشيخ ابراهيم إنياس والشيخ أحمد التجاني سي لم تنجح قط ولذلك اضطر الأخيران إلى أن يظهرا ولاءهما للرئيس ليوبود سنغور حتى لا يفوت كثير من مصالحهما

---

١ – Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٤٩

فأعلنا للجمهور أنهما يواليانه الشيخ ابراهيم انياس للمرة الأولى والشيخ التجاني سي للمرة الثانية (١).

فكان ليوبود سنغور هو رئيس الدولة السنغالية وهناك أيضاً رجل آخر مسلم يدعى محمود ديا وهو رئيس الوزراء فحدث شقاق بين الرئيس الكافر ورئيس الوزراء المسلم لأجل المحاولة على السيطرة على زمام الحكم بصفة انفرادية نسبياً فاستعمل سنغور مناورة سياسية فأبعد مؤيدي محمود ديا من الحكومة وأبقى مؤيديه فقط ثم دعا المجلس إلى التصويت لعدم الثقة بالحكومة ولما رأى محمود المكيدة التي دبرها سنغور لإسقاط حكومته حل البرلمان وذهب إلى شيوخ الطرق يستنجد بهم على منافسه الغير المسلم ، ولكنه لسوء حظه بدأ بخليفة التجانية العام السيد عبد العزيز سي فأيده فعلا وإن كان هو لايريد أن يتدخل في أمور سياسية علناً ولما فهم خليفة المريدية العام الشيخ فضل أمبك أن خليفة التجانية قد أيده تخلى عنه وناصر الرئيس سنغور وهكذا حتى انتهى الأمر بالقاء القبض على رئيس الوزراء المسلم ،في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٦٦ م فهاجت البلاد وماجت وبدأ الأمن يضطرب ولما رأى ذلك الخليفة المريدي الشيخ فضل أمبك ذهب توا إلى الإذاعة الوطنية وأعلن لجمهور الشعب أنه يوالي الرئيس سنغور ضد خصمه رئيس الوزراء وتبعه في ذلك الشيخ ابراهيم إنياس فأعلن هو الآخر تأييده لسنغور ضد محمود ديا وربما كان بين محمود ديا هذا وبين الشيخ سعيد النورطال سوء التفاهم ولذلك انضم هو أيضاً إلى مؤيدي سنغور فأعلن أنه يوالي الحكومة التي يرأسها الرئيس فتمكن بذلك من الإطاحة بمنافسه المسلم بتأييد رجال الدين المسلمين فخلا الجو لسنغور بحكم البلاد وحده تقريباً حتى الآن (٢).

---

١ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ٩٥

٢ - Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق ١٠٢

الباب السادس

أثر الشيخ ابراهيم انياس وانجازاته
ولا سيما في نيجيريا

لقد تأثر التجانيون النيجيريون بالشيخ ابراهيم انياس وحركته تأثراً عميقاً ذلك لأنهم اعتقدوا قطبا نيته اعتقاداً جازماً لا تردد فيه والقطب موقعه عظيم عند جميع أتباع الطرق الصوفية ولا يقل في بعض الأحيان عن مقام نبي إذ يجعلونه معصوماً (١). ولذلك دهبوا يقلدونه في جميع حركاته وسكناته ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، ومن أجل ذلك جاء تأثرهم به من طريق مباشر أحياناً ومن طريق غير مباشر حيناً آخر ونريد بالطريق المباشر ما أخذوه عنه مباشرة من أفعاله وأقواله أو ما سطره في كتبه ورسائله ومنشوراته ، وبالطريق غير المباشر ما أخذوه جراء احتكاكهم بأسرته وتلاميذه السنغاليين والمورتانيين الذين يردون إلى نيجيريا بشكل يكاد يكون مستمراً وزياراتهم هم الآخرون إلى الديار السنغالية أيضاً وما نتج فيهم من طول ممارستهم لتعاليمه واختصاصهم به وما يقرع أسماعهم دائماً من المحاضرات الدعائية المتتالية .

ولما كانت محاولة إحصاء جميع الأمور التي تأثر فيها التجانيون النيجيريون بالشيخ ابراهيم تكاد لا تدخل في حيز الامكان نكتفي باثبات أهم الأمور الشائعة الذائعة التي يعرفها العام والخاص بحيث لا نضطر إلى الإدلاء بالحجج والبراهين لتحقيقها ولا

---

١ – الشيخ عمر الفوتي : رماح حزب الرحيم ١/١١٧ و١٢٧ .

نلجأ في إثباتها إلى تعيين المراجع والمصادر وأما غير ذلك من الأمور السرية التي لايطلع عليها إلا الخواص فلا شأن لنا بها ولا نتعرض للبحث عنها ، فضلا عن إثباتها في هذا البحث ، ومهما يكن من شيء فإن هذه الأمور تنحصر حسب ما يمكننا إيراده في النقاط التالية : —

١ ـ أ — قبض اليدين في الصلاة (١) .

ب — رفع اليدين في المواضع الأربعة (٢).

جـ — الجهر بالتأمين للامام والمأموم (٣).

د — تكرار قد قامت الصلاة مرتين في الإقامة (٤).

هـ — والجلوس على أطراف القدمين عند التشهد (٥).

لقد ألف الشيخ ابراهيم كتابه رفع الملام عمن رفع وقبض اقتداء بسيد الأنام ليؤكد لتلاميذه التمسك بالقبض وما اليه من الأمور التي سبق ذكرها إلا أنه قد تكلم في الكتاب على القبض والجهر بالتأمين ورفع اليدين في المواضع الأربعة وبعض موضوعات أخرى وسكت عن تكرار قد قامت الصلاة في الاقامة وعن الجلوس على أطراف القدمين عند التشهد .

وعلى أي حال فإن هذه الأمور الخمسة كلها لم يتعودها النيجيريون علماؤهم وعوامهم لأن ظاهر المذهب المالكي لا يشجعها وكان ذلك من أسباب حدوث هذه الضجة العظيمة التي تفاقمت بين القابضين والسادلين في نيجيريا وقد سبق أن الشيخ

---

١ — وهو وضع باطن كف اليد اليمنى على ظاهر كف اليد اليسرى عندما استوى المصلي قائماً وقبل أن يشرع في القراءة ويستمر كذلك إلى أن ينتهي من القراءة حيث يرفع يديه حذو منكبيه ثم يهوي للركوع .

٢ — وهو أن يرفع المصلي يديه حذو منكبيه عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع وعند الرفع منه وعند القيام من التشهد الأول .

٣ — وهو أن يرفع المأموم صوته بقول آمين جهراً عند قول الإمام ولا الضالين آمين في آخر الفاتحة .

٤ — وهو قول من يقيم الصلاة قد قامت الصلاة مرتين .

٥ — وهو أن ينصب المصلي ركبتيه وأطراف أصابع رجليه إلى الأرض ويفضي باليتيه على عقب قدميه .

محمد الثاني الكافنغي الكنوي قد عدها – ماعدا الجلوس على أطراف القدمين – من الأمور التي جددها لهم الشيخ ابراهيم إنياس .

٢ – الاقتعاط (١) في التعمم وكان التحنك (٢) وهو الشكل السائد عند النيجيريين ولما جاء الشيخ ابراهيم وكان يقتعط في اعتمامه قلده في ذلك الكثيرون من أتباعه على عادتهم معه .

٣ – ارسال اللحية .

وكان ارسال اللحية عند بعض مسلمي نيجيريا يكاد يكون جارياً على مقتضى العادات والتقاليد ، فإن الرجل لا يرسل لحيته أو بعبارة أخرى لا يترك حلقها إلا إذا تقدم به السن حيث بدأ يشعر بأنه ينبغي له أن يبتعد عن اللعب والعبث اللذين لايصدران غالباً إلا من أحداث السن ومن أجل ذلك كثيراً ما تجد بعضهم يريد إرسال لحيته ويمنعه من ذلك كون أخيه الأكبر أو أحد أعمامه أو من في حكمهما من أفراد أسرته وأقرانه لم يرسلها .

ولما ظهر أمر الشيخ ابراهيم في نيجيريا فشا إرسال اللحى في أوساط أتباعه حتى صار من الشارات المميزة لهم عن غيرهم لعلهم اتجهوا إلى هذا الاتجاه ليمتازوا عن غيرهم أولا وليحققوا دعواهم أن الشيخ ابراهيم جاء ليحيي السنة النبوية ثانياً .وقد مر بنا الكلام على القبض وما إليه وقال السيد محمد المصطفى كما مر في معرض رده

---

١ – هو أن يتعمم الرجل ولا يدير طرف العمامة تحت حنكه .

٢ – وهو أن يتعمم الرجل ويديرها تحت حنكه وهو ما يسفل من مقدم اللحيين ويفهم من عبارة الشيخ محمد فتحا بن عبد الواحد النظيفي أن التحنك واسدال العذبة سنة والاقتعاط مكروه (كتاب طيب الفائح ص١١٥)وقد أثار هذه المسألة أيضاً الشيخ محمود السبكي المصري وكفر كثيرين من العلماء المعاصرين له لتركهم ارسال العذبة في التعميم بدعوى أنهم أخلوا بسنة سيد الأولين والآخرين ورد عليه أحد تلاميذه وهو الشيخ مصطفى أبو يوسف الحمامي حيث قرر أن كلا النوعين من التعمم سنة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد فعله بل أن السواد الأعظم من الصحابة كانوا لا عذبة لهم ومنهم الشيخان أبو بكر وعمر ولم ينقل فعلها إلا عن أفراد من الصحابة والتابعين (كتاب استكشاف السر المقصود ٥٦) وجاء في كتاب احياء السنة للشيخ عثمان بن فودين : « اقتعاط العمائم هو أن يعتم الرجل بالعمامة دون حنك وهو بدعة مكروهة لمخالفته فعل السلف الصالح » (١٩٨) .

على الشيخ الناصر الكبراوي الكنوي : « ألم يكف من الشيخ كرامة كثرة أتباعه في كافة أنحاء العالم الإسلامي وكثرة أتباعه للسنة المظهرة » (١).

٤ – التشيخ .

الشيخ في اللغة العربية هو من استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب ويطلق على سبيل المجاز على زوج المرأة وعلى الأستاذ والعالم وعلى كبير القوم ورئيس الصناعة وعلى من كان كبيراً في أعين القوم علماً أو فضيلة أو مقاماً أو نحو ذلك (٢).

والشيخ عند المتصوفين هو الإمام الذي يرجع اليه في كل أمر وخصوصاً أمر التربية والمعارف الآلهية أو كما عرفه الشيخ ابراهيم انياس : « وأما حقيقة الشيخ الواصل فهو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظراً عينياً وتحقيقاً يقينياً » (٣).

التشيخ هو ادعاء هذا المقام وقد يكون المدعى محقاً وقد لا يكون وقد حذر كثير من شيوح التجانية المريدين التجانيين من ادعاء الشيوخة ، وقد نقلنا فيما سبق كلامهم من هذا القبيل ولما ظهر الشيخ ابراهيم كان كل من دخل تحت تربيته إذا أذن له هو الآخر بالقيام بتربية تلاميذه صار شيخاً ، وعلى هذا النحو كثر الشيوح في نيجيريا

---

١ – السيد محمد المصطفى : قول السداد ٤١ .

٢ – لعل كلام أئمة الفقه الإسلامي لم يختلف في أن ارسال اللحية من السنن النبوية التي ينبغي للمسلم مراعاتها وقد جاء في رسالة الامام ابن أبي زيد القيرواني : « وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تعفى اللحية وتوفر ولا تقص قال مالك ولا بأس بالأخذ من طولها إذا طالت كثيراً وقاله غير واحد من الصحابة والتابعين . (نشر أحمد أحمد أبو السعود وعثمان طيب ٥٠٠) .

وقال الشيخ عثمان بن فودين : « ومن طريق السنة اعفاء اللحى وجوباً وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهكوا الشوارب واعفوا اللحى (احياء السنة ١٨٧ نشر الحاج عبد البسار) وجعلها بعض علماء أصول الفقه من سنن العادات فقال الاستاذ محمد أبو زهرة : « وهناك أمر يعده الناس من قبيل المندوب وهو الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في شؤونه العادية التي لم تكن ذات صلة بالتبليغ عن ربه وبيان شرعه كلبسه عليه السلام ومأكله ومشربه وارسال لحيته وقص شاربه الكريم ـ محمد أبو زهرة كتاب أصول الفقه ٣١) .

٣ – الليويس معلوف : المنجد المعجم المدرسي للغة العربية ٤٢٢ .

بشكل مرعب ، بحيث لا تخلو مدينة أو قرية مشهورة من شيخ أو شيوخ ، ولا شك أن بعض هؤلاء الشيوخ يستحقون مقامهم لغة واصطلاحاً ، والشيخ إبراهيم نفسه كان يحذر المتشيخين بلا إذن من تلاميذه من سوء مغبة إدعاءاتهم (١).

٥ – زيارة الشيوخ لقرى مريديهم لإلقاء الخطب عليهم وعقد المجالس العرفانية فيهم وجمع الهدايا والتبرعات منهم ولم تكن هذه العادة منتشرة في نيجيريا قبل ظهور
فيهم وجمع الهدايا والتبرعات منهم ولم تكن هذه العادة منتشرة في نيجيريا قبل ظهور
الشيخ ابراهيم وأما بعد ظهوره وبعد انتشار التربية فكان لكل واحد من كبار الشيوخ كما سبق منطقة اختصاص سيطرته ويعتبر المريدين المستوطنين هناك تلاميذه وخصوصاً إذا كان أكبر المقدمين في هذه المنطقة قد تربى في يده ومن أجل ذلك يظل الشيخ يتعهدهم من وقت لآخر ليجدد لهم النشاط بمواعظه وارشاداته .

٦ – استعمال اللغة العربية في محاضراتهم العامة .

كان الشيخ ابراهيم وتلاميذه السنغاليون الذين يردون إلى نيجيريا لا يعرفون اللغة المحلية النيجيرية خصوصاً لغة هوسا ومن أجل ذلك كانوا يخاطبون الناس باللغة العربية التي كانت لهم فيها شيء لا يستهان به من الطلاقة بفضل ثقافتهم الإسلامية ومعلوماتهم العربية العامة والناس يعجبون بهم لكونهم سوداً يتكلمون العربية وهذا طبعاً أكسبهم قبولا واحتراماً عند الناس ولعل هذا هو الذي حمل بعض من يأنس في نفسه بقوة الارتجال في اللغة العربية من تلاميذه النيجيريين على إلقاء محاضراتهم على أتباعهم – الذين كانوا هوساً وبين مثلهم – باللغة العربية يترجمها لهم أحد تلاميذه ليكسب كلامه رواجاً وقبولا ولشخصيته مهابة وإجلالا .

٧ – رفع الصوت بالهيللة في بيوت الشيوخ .

كان ذلك في أول انتشار التربية فكان هناك طائفة من المريدين الذين تخصصوا في هذا النوع من الذكر في بيت كل شيخ من كبار شيوخ التجانية حتى كان وجودهم من العلامات الدالة على أن الشيخ من شيوخ التربية الذين كانوا مقصد السالكين ،وكان

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ١/١ .

الذاكرون في أغلب الأوقات يذكرون قياماً بصوت مرتفع يسمع من بعيد ، وكان هذا أمراً جديداً في نيجيريا لم يعرف ، إلا بعد الشيخ ابراهيم وانتشار تربيته ، والناس غير التجانيين أو بعبارة أخرى غير أهل الفيضة يتضايقون بذلك كثيراً لعدم تعودهم به ، وكثيراً ما أرسلوا إلى أهل مصر يستفتوهم في ذلك ، فتأتي إجابة المصريين موافقة لما يهواه منكرو الذكر ، فيستغلون ذلك للهجوم على الذاكرين ، فتجرد لهم الشيخ أبو بكر عتيق فكتب رسالة في ذلك سماها (إفادة المعتقدين بأدلة صحة ماعليه عمل الذاكرين) وأورد فيها من أدلته ما يشجع به الذاكرين ويقوي عزيمتهم على الاستمرار في ذكرهم قياماً وقعوداً وفي الطرقات والاسواق وهلم جرا .

٨ — انتشار ألفاظ عربية جديدة في لغة الهوسا متداولة بين أهل الفيضة مثل :

١ — أهلي = الأهل .

وهو لقب يطلق على كل فرد من أتباع الشيخ ابراهيم وعلى هذا فإن التجاني الذي لم يسلم له بالزعامة في الطريقة التجانية أو لم يرض بقطبانيته لايسمى (أهلي) .

٢ — منكري = المنكر .

وهو من لم يرض بصحة الطريقة التجانية أصلا ويشمل في عرف أهل الفيضة التجاني الذي لم يذعن لسلطة الشيخ ابراهيم الروحية .

٣ — شيهي = الشيخ .

هو لقب يطلق على الشيخ ابراهيم كما يطلق أيضاً على كثيرين من كبار تلاميذه .

٤ — غوسي = الغوث .

هو لقب لا يطلق إلا على الشيخ ابراهيم وحده .

٥ — مريدي = المريد .

وهو كل فرد من أفراد أتباع الشيخ ابراهيم حتى كبار تلاميذه بالنسبة إليه رهم بالنسبة لتلاميذهم شيوخ لا مريدون .

٦ — فيرا (١) = الفيضة .

هي لقب لحركة الشيخ ابراهيم انياس بأسرها .

٧ — ين فيرا (٢) = أهل الفيضة .

هم أتباع الشيخ ابراهيم إنياس وحدهم دون بقية التجانيين .

٨ — مجلسي = المجلس .

وهو الحلقة التي يعقدها أحد الشيوخ الزائرين ليذاكر فيها مع الأخوان الحاضرين أمور الطريقة ، حيث يدعو إلى الطريقة التجانية بكل ما يستطيع به من قوة ، ويشيد بذكر مآثرها ومناقبها وفضلها على جميع الطرق الصوفية ، وفضل مؤسسها على جميع الأولياء ، وفضل أتباعه على جميع الناس ، ثم ينحى عادة على المنكرين عليهم باللائمة ، بحيث يسفه أحلامهم ، وينعتهم بالغباوة ، وطمس البصيرة تارة ، وبالحسد والحقد طوراً ، وهكذا ثم يظهر لهم — إذا أمكنه — مواهبه العلمية والعرفانية والذوقية ومدى تجاربه في الحياة التصوفية ، حيث يدخل فيهم النشاط والتصميم على التمسك بأهداب الطريقة التجانية بعزم وحزم وهكذا .

٩ — واسلي = الواصل .

وهو كل مريد تجاني سلك التربية ونجح في الوصول إلى الغاية المنشودة وقد عقدنا فيما سبق فصلا مستقلا عن التربية .

١٠ — ممتهني = الممتحن .

وهو الذي وكله الشيخ على أمر التربية فيتعهد السالكين الذين لا يزالون تحت تربية الشيخ ويلقى اليهم الأسئلة من وقت لآخر ليقف على تطورات أحوالهم وما يحتاجون إليه من توجيهات .

١١ — عارفي = العارف .

وهو الرجل الواصل الذي أبدى شيئاً من الذوق والذكاء في فهم اشارات آيات

---

١ — تقرأ بتفخيم الراء

٢ — تقرأ بتفخيم الرآ كذلك .

الذكر الحكيم والحديث وكلام القوم وهلم جرا .

١٢ ـ فنائي = الفناء .

وهو الفناء الصوفي الإصطلاحي المشهور وهو فقدان شعور الفاني بوجود نفسه لاصطلامه في ذكر الله .

١٣ ـ بقائي = البقاء .

وهو رجوع ذلك الفاني إلى الشعور بذاته ووجود نفسه مع بقاء تجاربه التي أكسبها في حال فنائه (١).

١٤ ـ هالي = الحال .

وهو ما ينتاب المريد في حال اصطلامه في ذكر الله حتى يفقد وعيه وشعوره.

١٥ ـ ذكري = الذكر .

المراد به رفع الصوت بالهيللة جماعة أو وحدانا .

١٦ ـ هديا = الهدية .

وهو كل ما قدم للشيخ من الهدايا والتبرعات على سبيل التبرك والتطييب لخاطره.

١٧ ـ ين قبر (٢) = أهل القبض .

وهم الذين يقبضون أيديهم في الصلاة والمراد بهم أتباع الشيخ ابراهيم ويقابلهم (ين سدل) أي الذين يسدلون أيديهم في الصلاة وهم الذين لا يخضعون لسلطة الشيخ إبراهيم غالباً .

١٨ ـ تبركي = التبرك .

هو طلب البركة من الشيخ بتقديم الخدمة له بدنياً كان أو مالياً .

١٩ ـ هدما = الخدمة .

---

١ ـ انظر السر الأكبر الورقة التاسعة

٢ ـ تقرأ بتفخيم الراء .

هي الخدمة التي يقدمها المريد طلباً لبركة شيخه كما تقدم آنفاً هذا معروف في أرساط المتفقهين قبل ظهور الشيخ ابراهيم في نيجيريا ، إلا أن ظهوره وانتشار تربيته قد أكسب الكلمة لوناً آخر جديداً ، حيث خصصت بجانب شيخ التربية فحسب إذ أن شيخ التعليم لم يكن يعتبر شيخاً بعد .

٢٠ — سلماوا — التسليم .

يقال عادة لمن كان عالماً له جماعته وأتباعه ثم دخل في زمرة الشيخ ابراهيم .

٩ — تفاقم أمر مهرجان ذكرى مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم فإن إقامة المهرجانات لذكرى مولد النبي صلى الله عايه وسلم أمر عريق في نيجيريا ، ولا زال يعد عيداً عظيماً في بعض جهاتها حتى الآن ، وكان الهوساويون يسمونه (تاكتها) لقد جاء هذا المولد في كتاب إحياء السنة للشيخ عثمان بن فوديى حيث بين حكمه شرعاً فقال : إذا خلا عن كل معصية فهو بدعة مكروهة على قول ، وبدعة حسنة على قول آخر ، وصوب هذا الرأي الأخير . ومشى على عكس ذلك صاحب المدخل فقال : « إن ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين وأتباع السلف أولى بل هو أوجب (١).

وعلى أي حال فإن ذكرى المولد النبوي هذا لم يكن فاشياً في أوساط التجانيين في نيجيريا قبل ظهور الشيخ ابراهيم وإنما كان يقوم به سنوياً بعض الحكومات المحلية التي ذكرنا آنفاً أنها اتخذته عيداً لها ، وكذلك بعض المدارس الحكومية أيضاً فإنها تقوم بذكرى المولد فتدعو بعض كبار العلماء لإلقاء المحاضرات في السيرة النبوية والأمور الدينية لتلاميذهم وهكذا .

ولما ظهر الشيخ ابراهيم كانت ذكرى المولد النبوي من أهم المواسم الدينية عنده، حيث يجتمع بحضرته جماعة كبيرة من تلاميذه القادمين إليه من شتى الأقطار لسماع محاضراته ومواعظه ، فذهب تلاميذه التجانيون يقتدون به في ذلك ، فكان أكثرهم يقومون بذكرى المولد سنوياً على شاكلة ما يفعله الشيخ ابراهيم ، فانتشرت ذكرى

---

١ – احياء السنة ١٤٢ المدخل لابن الحاج ١/١١ .

المولد على هذا الشكل حتى عم جميع الأوساط في ديار نيجيريا التجانية وغيرها، فكانت كل فرقة تقيم المولد في محلها ، فكانت حركة المولد تبتدىء من اليوم الثاني عشر لربيع الأولى حتى آخره تقريباً في بعض المدن الكبار .

١٠ – كتابة الرحلات :

لقد تعود الشيخ ابراهيم انياس – أن يقيد كلما سافر – الاحوال والأحداث التي وقعت له في سفره وأحياناً كان يكتب ذلك نثراً ومن ذلك رحلته الأولى إلى الحجاز ولكن أكثرها يكتبها نظماً ومنها رحلته الموسومة بنيل المفاز التي نظمها ليلخص فيها ما وقع له في رحلته الثانية إلى الحجاز التي مر فيها بنيجيريا ونظم أخرى لبيان سفره إلى الديار المورتانية وسماها ذيل نيل المفاز .

وقد تأثر به في ذلك كله تلاميذه النيجيريون فنظموا رحلاتهم على نمطه ، فكتب الشيخ أحمد التجاني بن عثمان الكنوي رحلته إلى كولخ وسماها (النفحات الإلهية في الرحلة الكولخية) وفتحها بقوله :

الحمـــد لله عـــلى الفـرار	إليـــه مـــن توهـم الأغيار
أشكـــره إذ جعـــل الفرارا	لكامـ--ـل العصر لـه فـرارا

أي إن سفره إلى كولخ كان فراراً من النفس والشيطان إلى الله كما قال الشيخ ابراهيم في كتاب السر الأكبر : « والفرار إلى الله هو الفرار إلى كامل العصر »(١).

وله أيضاً أرجوزة أخرى نظم فيها سفره إلى برننكد وسماها الفتوحات العلوية في السياحة الكدوية فتحها بقوله :

حمـــداً لمـن أمر بالمســير	للاعتبـــار ثم بالتذكــــير
وجعـــل الجهـاد باللســان	مساوي الجهـــاد بالسنـان
ثم صلاتـــه على مـــن أسرى	به وبحـــراً للعلـــوم أجرى
ثم الرضى عمـى إلى الصحاري	غدا لــذا مسافراً مـــرارا

---

١ – انظر كتاب السر الأكبر في الورقة الثانية .

شيخي إمامي أحمد التجاني وحجتي حقاً لدى الرحمان
ثم على الشيخ أبي اسحاق خليفة التجاني بالإطلاق
عزمت يومي الخروج من كنو لحي من لحبه قد ركنوا
همتهم قد جذبت ذا الجاني لحبهم في شيخنا التجاني
مودعاً أهلي بيوم الجمعة مرتحلا بعد صلاة الجمعة
أقصد برننكد فيما ظهرا وقصدي الإله فيما استترا

ونظم الحاج الشيخ عثمان القلنسوي الكنوي رحلته إلى كولخ أيضاً وسماها (الروائح العنبرية في بيان الرحلة القلنسوية وجاء فيها :

ثم وصلنا لمدينة العلا مدينة الفيض وسعدنا علا
هنالك أدينا صلاة الجمعة يؤمنا الغوث العظيم الرفعة

فكتب الشيخ أبو بكر عتيق الكشناوي كتابين تبيان سفره إلى مدينة فاس ازيارة الشيخ التجاني وسمى الكتاب الأول نشر طيب الآس في الرحلة ازيارة سيدنا أبي العباس بفاس) وضمنه أخبار سفره الأول والثاني ثم كتب كتاباً آخر وسماه تفريح قلوب أطايب الأنفاس بذكر العودة لزيارة القطب المكتوم سيدنا أبي العباس أحمد ابن محمد التجاني بفاس واحتوى الكتاب على أخبار سفره الثالث إلى مدينة فاس أيضاً».

١١ – اعتقاد أن الشيخ الذي تربيت على يده خير من الشيخ الذي أخذت عنه العلوم الشرعية .

فإن اعتقاد أن شيخ التربية أفضل من شيخ التعليم ليس أمراً جديداً في نيجيريا ، أي لم يكن من اختراع الشيخ ابراهيم ، بل لم يكن من نظريات الطريقة التجانية وحدها ، وإنما هو من المسائل التي كاد أن يجتمع عليها الصوفية المتأخرون قاطبة ، لذلك عندما أراد الشيخ ابراهيم أن يقرر هذا الرأي في كتاب كاشف الالباس ما وسعه إلا أن ينقل من الذين سبقوه ، فنقل من الشيخ أبي مدين وابن عطاءالله الاسكندري ، ومن أجل ذلك قسموا الشيوخ إلى ثلاثة : شيخ التعليم ، وشيخ التربية ، وشيخ الترقية ، وقد مر بنا أن الشيخ عثمان بن فودي قد تبرأ من أن يكون شيخ التربية أو شيخ الترقية

وبين بكل صراحة أنه شيخ التعليم ليس إلا .

والظاهر أن علماء التجانية النيجيريين كانوا ملمين بهذه التقسيمات الثلاثة قبل ظهور الشيخ ابراهيم ، إلا أنه لا يسعهم إلا أن يؤيدوا وجهة نظر الشيخ عثمان في أنهم كلهم شيوخ التعليم فحسب لبعد مرام مقام شيخ التربية والترقية في نظرهم عندئذ.

وعندما جاء هم الشيخ ابراهيم بالتربية وأذن لهم في تربية تلاميذهم ، أدركوا فوراً أنهم دون أدنى شك في ذرى قمم هذا المقام السامي ، ومن ثم ذهبوا يقررون لتلاميذهم آداب شيوخ التربية ويطالبونهم بتطبيقها عليهم ، وهي أن يكون المريد بين يدي شيخه كالميت بين يدي غاسله ، وأن لا يسأله بلِمَ وكيف لأن من قال لشيخه لم لا يفلح أبداً، وانه لا يجوز لأحد أن يبدل شيخه المربى بشيخ آخر ، وان علم الظاهر أنزل من علم الباطن بدرجات ، لاجل ذلك قد يكون المريد أعلم من شيخه المربى ، ولكن لا يعترض على شيء من تصرفاته حتى مالا يتفق والمبادىء الشرعية (١) ، بل ان الشيخ أبا بكر عتيق ذهب إلى ابعد من ذلك حيث قرر أن الولي أى شيخ التربية ربما تقع منه المعصية ظاهرا فيما بيننا وبينه وفي باطن الأمر ليست بمعصية (٢) .

إنجازات الشيخ ابراهيم

وأما إنجازات الشيخ ابراهيم فلاتعدو في ظاهر الأمر هذه التأثرات التي تركها في اتباعه ، حيث انه نفسه لا يرى أنه أتاهم بشيء أكثر من تربيته التي يعبر عنها بالفتح تارة ، وبالفيضة طورا ، وبالمعرفة حينا ، ومن ذلك قوله كما سبق :

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : ذيل كاشف الالباس ٤٨ .

٢ – انظر كتابه مفيد الخلان ١١– هذا من تعاليم الباطنية دون شك انظر الجزء الأول من كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة صفحة ٦٥ – ٦٦ ولكن الشيخ أبا بكر عتيق في أغلب أخذ ذلك من كتاب الرماح للشيخ عمر الفوتي حيث قرر أنه إذا أراد الله تعالى شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بالولي سخره الله سبحانه فيما هم فيه من قبح ومخالفة فيظنون أنه على شاكلتهم وليس كذلك حتى أنه يتصور في صور الولاية أي يقعد الولي مع قوم يشربون الخمر وهو يشرب معهم فيظنون أنه شارب الخمر وإنما تصورت روحه في صورة من الصور وأظهرت ما اظهرت وفي الحقيقة لا لشيء وإنما هو ظل ذاته تحرك فيما تحركوا فيه مثل الصورة التي تظهر في المرآة جا – ص ١٢٧ .

« والذي رقع (الآن) من كثرة الفتح في اصحاب الشيخ – التجانى – ويريد بذلك أتباع طريقتــه والمعرفة بالله والاستغراق في الله برفض كل ما سواه ما وقع (مثله) في طريقتنا قط فيا اعلم منذ بروزها إلى يومنا هذا . » (١) والى ذلك أيضا يرمي بقوله : « والحكمة في ظهور هذه الفيضة في هذا الزمان الفاسد ، ضعف الإيمان في قلوب الناس وكثرة الفرق الضالة المضلة وهذه الامة امة مرحومة فأفيضت عليهم المعارف والحقائق كى يرجعوا لأصل فطرة الايمان فافهم . » (٢)

ويعني بالرجوع إلى أصل فطرة الايمان التربية والوصول فيها الى اعتقاد وحدة الوجود ، وهذا مأخوذ من جواهر المعاني حيث قال المؤلف كما تقدم : « إعلم أن علماء الشريعة والطريقة لما رأوا أن الوجود نزل من الوحدة بالتجلي الى منتهى النزول ، فحصلت الكثرة ورأوا أن الأهم والاتم هوالعروج إلى البداية ليتم ظهور الكمالات الاسمائية اشتغلوا في بيان ما هو الأهم من كيفية اصلاح العروج عاجلا أو آجلا . » (٣) وقد بينا في تعليقنا على هذا الكلام أن هذا ليس من عقيدة الاسلام في شيء فيدعو اليه علماء الشرع الاسلامى وإنما هو عقيدة الفلاسفة الذين يعتقدون بقدم العالم وأنه الواجب الوجود ، وأن الله اسم فكري فقط وأن هذه الكثرة المشاهدة من العالم إنما حصل من طريق الفيض والصدور الذهنى ليس إلا (٤) وقد اتفق أهل السنة من علماء الشرع الاسلامى على أن من اعتقد هذا كافر قطعا (٥)

ومن ذلك أيضا قوله اى الشخ ابراهيم يدافع تهمة السذاجة عن اتباعه : « ومن ظن بهم السذاجة والطيش وظن أنهم على استعداد للتخلي عن خبرات تحققوها ويقين تشربته قلوبهم فأقل ما يقال فيه إنه لا يعرف المجتمع الافريقى . » (٦)

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٤٠ .

٢ – الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٤١

٣ – السيد علي حرازم : جواهر المعاني ١/ ١١٩ .

٤ – انظر المدخل لفلسفة ابن سينا لتيسير شيخ الأرض ٢٢٦ .

٥ – انظر الفرق بين الفرق ٣٢٨ – وانظر أيضاً جواهر الإكليل شرح مختصر الجليل ١/ ٢٧ .

٦ – الشيخ ابراهيم انياس : رسالته إلى نيامي ٥ .

ومراده بخيرات تحققوها ويقين تشربت قلوبهم هوهذه التربية وما تتضمنه من مباحث وحدة الوجود التي يسمونها العرفان ،

ومن ذلك أيضا قوله للسيد عبد الكريم تيازى مراسل جديدة البلاد بمكة المكرمة في مقابلته معه عندما سأله عن اهداف دعوته : « ومنها الجد والاجتهاد في توعية المسلمين ونصحهم وارشادهم بمختلف الوسائل حتى يستمر سيرهم الى الله ، وليزدادوا إيمانا مع ايمانهم. »ولا يريد بالجملة الأخيرةإلا التربيةومعارفها الباطنيةوهكذا لو تتبعنا أقوال الشيخ ابراهيم لرأينا أنه لايعتقد أنه أتى لاتباعه بخير أكثر من تربيته هذه.

وعلى هذا فإنه لم ينجز شيئا جديداً في حياته اكثر من نشر التربية التجانية لأتباعه ، ولايفتخر إلابذلك ، ومن أجل ذلك عندما ذهب الشيخ محمد الثانى الكافنغي الكنوى ليعدد ما استفادوا منه لم يجد ما يكتب بجانب التربية إلاالقبض في الصلاة ، ورفع اليدين وتكرار قد قامت الصلاة في الاقامة ، والجهر بأمين خلف الامام ، فمثلا إنه قال في تعداده لما اسبغه الله عليهم من نعمه في كنو : ومنها أننا وجدنا شيخاً جامعاً بين الشريعة والحقيقة كفانا في الباطن كما كفانا في الظاهر ، وهو الشيخ الجامع والمرشد النافع العالم المحقق المدقق والمجتهد المطلق مربى المريدين ومرقى الواصلين محى السنة والدين وخليفة رب العالمين مولانا الشيخ ابراهيم الكولخى نفعنا الله به واماتنا على عهده وحبه ، فمن اراد معرفة الله تعالى والعمل الصالح فليفر اليه في كولخ ويسلم له القياد تنفتح عليه ابواب الخيرات وتنغلق عنه مسالك المضرات ويمتليء صدره بالعلوم الدينية والعلوم الحقانية والاسرار الربانية وتفيض عليه الارزاق الحسية والمعنوية ، ويبارك له في اوقاته وفي جميع معاملاته ويحفظ من محرمات شهواته وتنقاد له الناس من جميع جهاته . »(١)

وانت ههنا ترى ان الشيخ محمد الثاني لم يبين لنا ما استفادوا من شيخهم غير هذه التربية وسعة الارزاق الحسية والمعنوية وانقياد الناس اليهم من جميع الجهات»

ويستفاد أيضاً من كلام الشيخ ابى بكر عتيق كما سبق أن الشيخ ابراهيم لم يزد لهم شيئاً على ما كان عندهم الا هذه التربية التي سماها بالفيضة وهو قوله: « قد خصنا

---

١ – الشيخ محمد الثاني الكافنغي : مرآة الحق ٤٣ .

الله تعالى–مع ما لنا من الاذن الصحيح والنيابة عن الشيخ– التجانى – بالسند المتصل الذي لا شك فيه – بظهور الفيضة الاحمدية في وقتنا ولله الحمد وهى التي اخبر الشيخ – التجانى – بوقوعها وظهورها فصار أكابر خلفائه من بعـده ينتظرونها ويتمنون وقوعها في زمانهم . » (١)

ولما وصف الشيخ محمد الثانى الكافنغى شيخه الحاج ابراهيم انياس بالمجدد ذهب لينسب اليه أعمالا توءهله لمقام التجديد في الدين ولما لم يجد إلا إحياء قبض اليدين في الصلاة ورفع اليدين وتكرار قـد قامت الصلاة والجهر بآمين فقال : « ان الشيخ نفعنا الله به اى الشيخ ابراهيم مجدد في قرننا هذا جدد لنا الرجوع الى الشريعة على العهد الذي كانت عليه زمن النبى صلى الله عايه وسلم نرفع ايدينا في المواطن الأربعـة أيماننا على شمائلنا في الصلاة مرتين ونجهر بآمين وغير ذلك . » (٢)

والذي يفهمه القارىء من عبارته أن الشريعة في عهد النبى صلى الله عليه وسلم وسلم هى هذه الأمور الأربعة التي عدها والتي استحق شيخه–في نظره–أن القرن بإحيائها ودعوتهم إلى اقامتها والواقع أن الأمر ليس كذلك فإن هذه الأمو رليست ذات أهمية في الدين بحيث يعد القائم بها سنيا وتاركها بدعيا وبالعكس حتى يأتى شيخ عظيم لتجد يدها ودعوة المسالمين إلى احيائها والقيام بها ومن اجل ذلك رد عليه السيد على الكماشى بقوله : « هذا جهل بما يصح ان يكون تجديدا واسمع ما قاله المحققون ان أكثر صور الاختلاف بين الفقهاء لا سيما في المسائل التي ظهر فيها أقوال الصحابة في الجانبين مثل الأذان والجهر بالبسملة والقنوت في الفجر والتسليم في الصلاة ورفع الأيدي فيها ووضع الأكف فوق الاكف ومثل التمتع والافراد والقـراءة في الحج وتكبيرات التشريق وتكبيرات العيدين ونكاح المحرم وتشهد ابن عباس وابن مسعود والاخفاء بالبسملة وبآمين وبالاشفاع والايتار في الإقامة ونحو ذلك انما هو ترجيح أحد القولين وكان السلف لا يختلفون في أصل مشروعية ذلك وانما خلافهم في أفضل الأمرين وأولادهما وموجز القول ان النصوص الشرعية قسمان عند الأئمة راجح ومرجوح لا يعتبر أحدهما نص شرعي والآخر بدعي (٣).

---

١ – الشيخ أبو بكر عتيق : الصارم المشرفي ٢٣ ٢ – الشيخ محمد الثاني الكافنغي : فصل المقال ٢٨ .
٣ – السيد علي الكماشي : دليل السادل ٢٧

ويقول السيد محمد المصطفى بن محمد الثاني الكنوي : « ألم يكف من الشيخ كرامة كثرة أتباعه في كافة أنحاء العالم الإسلامي وكثرة أتباعه للسنة المطهرة وكثرة أمداحه للنبي صلى الله عليه وسلم بالدواوين المتعددة وظهور الفيوضات الربانية في الطريقة التجانية على يديه وانتشار القبض واحياء سنته في هذه البلاد على يديه » (١).

فيمكننا اذا جمعنا كلام هؤلاء المؤلفين من تلاميذ الشيخ ابراهيم أن نحصر انجازات الشيخ ابراهيم في نظر تلاميذه في النقاط التالية : —

١ — ظهور التربية التجانية على يديه .

٢ — احياء سنة القبض ورفع اليدين في المواضع الأربعة والجهر بآمين وتكرار قد قامت الصلاة مرتين .

كثرة أمداح النبي صلى الله عليه وسلم .

٤ — كثرة الاتباع في العالم الإسلامي .

٥ — وفور رغد العيش والرفاهية عند كبار تلاميذه من جراء انتشار فيضته فيهم بما يغدقه عليهم الاتباع من الهدايا والتبرعات .

هذا وبإمكاننا أن نزيد رقمين آخرين على الخمسة التي استنتجناها من كلام تلاميذه.

أولا : تشجيعه للغة العربية فلا شك أن الشيخ ابراهيم قد شجع اللغة العربية في أوساط أتباعه بما يكتبه لهم من الرسائل والخطب والمنشورات وتعلموا من جراء ذلك كثيراً من الكلمات العصرية الحديثة فمثلا زار الشيخ الحاج آدم الدمغراوي رحمه الله(٢) مدينة كنو يوماً ونزل كعادته في بيت صديقه المرحوم الشيخ أبي بكر عتيق وزرته هنالك فبينما نحن جلوس والشيخ آدم يقرأ بعض رسائل الشيخ ابراهيم اذ عثر على

---

١ — السيد محمد المصطفى : قول السداد ٤١ .

٢ — هو الحاج أدم بن أبي بكر الدمغراوي من دماغرم (زندد) في جمهورية نيجير وهو من حفاظ القرآن المجيدين الذين يكتبونه عن الذاكرة دخل نيجيريا منذ عهد شبابه وسكن قرية (أزري) في ولاية بوش إلى وفاته وقد ترك أولاداً كباراً وأحفاداً وكان جل تعليمه في كنو متردداً بين مدرسة مدابو ومدرسة المعلم محمد سلغا وقد زار مدينة زاريا للتعليم أيضاً .

تعبير (نيجيريا المتحدة) وهو لا يعرف معنى كلمة المتحدة فسأل الشيخ أبا بكر عتيق عنها وفسرها له بلغة هوسا وقال : (مَكَطَيْشِيَا) أي واحدة فدل هذا على أنه أيضاً لا يعرف معناها بالضبط وهذا من الشواهد الواضحة على أنهم استفادوا من قراءة رسائله ومنشوراته وخطبه كلمات عصرية جديدة كثيرة كما شجعهم ذلك أيضاً على الكتابة للدفاع عن طريقتهم أو للدعاية لها أو لإصلاح ذات بينهم وهكذا .

ثانياً : يعتبر الشيخ ابراهيم انياس من الذين لعبوا دوراً فعالاً في الدفاع عن الإسلام وساهموا بقسط كبير في الدعوة اليه والى احترام مقدساته وقد ألف كتابه الموسوم بنجوم الهدى في كون نبينا محمد أفضل من دعا الى الله وهدى ليرد به الشبهات المضلة التي بدأ بعض جهال المسلمين غير المخلصين لدينهم ينسجونها حول شخصية الرسول الأعظم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وفي ذلك الكتاب يقول : « ان التفاضل بين الأنبياء مذكور في القرآن العزيز ومحمد أفضل الأنبياء والمرسلين وهذا أوضح من النهار فلا يحتاج للدلالات قال الشاعر :

فكيف يصح في الأذهان شيء ... اذا احتاج النهار الى دليل

وحيث أن المخاطبة مع غبي من الأغبياء نكتب مجاراة مع غباوته بنصب الدلائل والآيات فنقول نص القرآن أن محمداً رحمة للعالمين وصح أنه الشفيع فيهم يوم القيامة وسيد ولد آدم ، فآدم ومن دونه تحت لوائه يوم القيامة ، وأنه خاتم النبيين وامامهم ، ودينه أفضل الأديان ، وأمته أفضل الأمم ، وكتابه أفضل كتاب نزل من السماء ، انه أول من تنشق عنه الأرض ، وأول من يدخل الجنة ، وله الوسيلة ، وعظمه الله بما لم يعظم به غيره ، ورفع ذكره ، وفتح له ، وغفر له ، وأذهب الرجس عن أهل بيته ، وأسرى به وأقسم بحياته ، وعصره ، وبلده ، وأعطاه الكوثر ، وبقيت آياته مستمرة ، ونسخ دينه الأديان ، وبعث الى كافة الخلق » (١).

ومن ذلك أيضاً رده على رئيس أساقفة دكار لفيفر الذي نشر مقالة في المجلة الفرنسية المسيحية في ديسمبر سنة ١٩٥٩ م يهجم فيها على الإسلام ، وجاء في معرض

---

١ - الشيخ ابراهيم إنياس : نجوم الهدى ٢

رده ما يلي : « فإني وقفت على خطاب مفاجىء كتبه رئيس أساقفة دكار لفيفر ونشرته بمجلة (فرنسا المسيحية) في شهر ديسمبر الجاري عام ١٩٥٩ م بمناسبة عيد الميلاد المحترم خطاب يمس كرامة الإسلام ، وكرامة الوطن ، أعني افريقيا السوداء ، وقد أمعنت النظر في بعض فقراته ، فإذا هي في غاية التعصب والتعسف ، وبدأ في رد تلك الفقرات بذكر شيء من آي الذكر الحكيم : « دستور الملة الإسلامية الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون . قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ».

فبالآية الأولى يتحقق الإنسان أن الملك لله في افريقيا وغيرها يولي من يشاء ويعزل من يشاء وكذلك بالآية الثانية وزيادة أن العاقبة للمتقين وبالثالثة رفض كل ما سوى الله سواء في ذلك الكوكب والقمر وأحرى الصليب وبالآيات الأخيرة أنه تعالى الواحد الفرد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . وهكذا يتحقق أن البارىء تعالى وهو المنان لأفريقيا وغيرها وهو الشافي والمعافي ولكل وطن قوم ولكل قوم وطن ونحن قوم افريقيا فإفريقيا لنا ونحن لإفريقيا وكل وطن سوف يحكم فيه أبناؤه ان عاجلاً أو آجلا مهما تآمر أعداء الجنسية الإفريقية .

فهذا القرن العشرون تدفق فيه تيار الحرية والوطنية ولا يقف أمام هذا التيار شيء فإذا البلاد كلها سوف يتولى حكمها أهلها سواء كانوا مسلمين أو مسيحين أو شيوعيين والشعوب أقوى من الحكومات فعلى كل حال حكم الأجانب في بلاد الأجانب مضى الى غير رجعة فإفريقيا للافريقيين .

على أن تولي الحكم شيء والتمسك بالديانة شيء آخر وأن رجعنا الى الديانة فهذا اعلان القرآن آخر كتاب جاء من عند الله ان الدين عند الله الإسلام ومن لم يومن بإعلان القرآن فيؤمن بالله وحده كما قدمنا يؤمن بشيء لا يسمع ولا يبصر جماد من صنع الله

أو من صنع الإنسان نفسه كالصليب والصور المجسدة الله أكبر !!

ومن أراد أن ينصف يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال فالرجال في كل دين فيهم الكمل والناقصون وان ألحقت نقائص بعض المسلمين بالإسلام فذلك جور وتعد ، وظلم وعدوان .

وأما أن الشيوعية توجد حيث يوجد الإسلام فإن ذلك بهتان عظيم فإن الشيوعية أشد انتشاراً في البلاد التي لم تعتنق الإسلام بعد والحق هو أن الإسلام ضد الشيوعية والشيوعية ضد الإسلام ، وهل الشيوعية في أوروبا سببها الإسلام ؟ كلا فالشيوعية ما طرأت في افريقيا – ان فرضنا أنها طرأت فيها – الا من تلك البلاد التي أهلها غير مسلمين وبلادنا هذه دخلها الإسلام ان لم نقل نشأ فيها – عدة قرون قبل دخول الأوربيين وما دخلتها الشيوعية بل ولا المسيحية إلا بعد تمكن الأوربيين فيها ، فعلى هذا فتحرر البلاد من حكم غير أهلها لا يحقق وجود الشيوعية فيها بل العكس .

وأما استعباد الناس فنتسائل هل بعض الأوربيين المسيحيين الذين غزوا إفريقيا واستعمروها هم الذين حاولوا استعبادهم أم العكس ؟ وان كان بعض بني الإنسان يستعبد بعضاً فهذا إعلان القرآن دستور الإسلام (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله).

وإن كان بعض الإمتيازات لبعض أبناء الجنس من ملوك وشيوخ هو المعبر عنه باستعباد الناس فإن الامتيازات في غير إفريقيا وفي غير المسلمين سواء من جهة الملك والحكم أو الدين أشد وأعظم خطراً على الضعفاء والعمال .

قال كاتب مسيحي : « هل أقيم حد المساواة في الغرب الا بعد الثورة الفرنسية واعلان حقوق الإنسان ثم قال »« ألا يزال للملوك امتيازات والاشراف امتيازات ولأصحاب الرتب والألقاب امتيازات ولرجال الدين امتيازات ولحاشية الملوك والأشراف تفضيل وامتيازات أمام القانون العام ؟ .

ألا ينسج لهؤلاء أمام القانون العام–أثواب غير الأثواب التي تنسج للشعب المسكين؟

ان هؤلاء لا يدفعون المكوس والضرائب ، ثم قال ألا تحسون أن تلك الدول الغربية تميز فريقاً كبيراً من رجال الدين يملكون ثلث أرض البلاد وثلث عقارات الوطن أرضهم معفاة من مكوس الجمرك يعفون منها وتحمل اليهم مستورداتهم ضعف أضعاف ليتاجروا بالزيادة ويجمعوا ذهباً هذا ما قاله كاتب مسيحي ، وهكذا استعباد الناس فالعمال المساكين والفلاحون البائسون يدفعون الضرائب المتزايدة والرهبان الكسالى البطالون توفر أموالهم لهم حتى ان لكل واحد منهم أكثر مما عند ألف مواطن من أبناء الشعب ، هذا مع دعوى العدل والإنصاف والمساواة فشتان ما بين هذا وبين فرض الزكاة على الأغنياء وردها الى الفقراء .

وأما التعليم والتربية والثقافة التي بذلها رسل المسيحية كما يدعي الكتاب — فعشرة في المائة بالنسبة الى تعليم مشائخ الإسلام في أكثر نواحي افريقيا اللهم الا اذا كان لا تعليم الا تعليمهم ، ولا تربية الا تربيتهم ، ولا ثقافة الا ثقافتهم ، والا فالمساجد والجوامع والمدارس التي يدرس فيها المتطوعون ضعف أضعاف الكنائس ، ولا يوجد في كل مساعدات الحكومات بل اعتماد المسلمين في كل ذلك على الله وعلى أنفسهم ، بخلاف مدارس غير المسلمين فهكذا المساواة ومراعاة حقوق الانسان .

ولقد صرح كاتبه من غير استحياء بما نصه : « فالتقليد الأعمى والتبعية الحمقى واستعباد الضعفاء هي تقاليد الإسلام ».

فحبك الشيء حجاب عن مساويه ، وبغضك الشيء حجاب عن حسناته ، ولهذا وصف الإسلام بوصف دينه فهم الذين قالوا الدين فوق العقل حباً منهم لإنقياد الناس لهم ، ولا يبحثون عن حقائق دينهم بل تقليد أعمى وتبعية حمقى » (١).

---

١ — الشيخ ابراهيم إنياس : رسالة الإفريقيا للافريقيين .

الباب السابع

الشيخ ابراهيم انياس كشيخ التربية في الطريقة التجانية

وقبل أن نخوض في صميم هذا الموضوع يجدر بنا أولاً أن نناقش التربية الصوفية في الطريقة التجانية قبل الشيخ ابراهيم .

التربية في اللغة مصدر ربا وربى وأربى يقال ربوت ، وربيت ربوت في بني فلان أي نشأت فيهم وربيت في حجره أي غذاني واعتنى بي حتى كبرت والى هذا المعنى يهدف الشاعر بقوله :

فمن يك سائلاً عني فإني ... بمكة منزلي وبها ربيت

ويقال ربيت فلاناً أربيه تربية وتربيته وربيته وربّيته بمعنى أي غذوته وهذا مطرد في كل ما ينمو كالولد والزرع ونحوه .

وأما في الاصطلاح الصوفي فهي كما عرفها السيد عبيدة في ميزاب الرحمة : « ان التربية عبارة عن تلقين الشيخ مريده أو الأخ أخاه دينه شيئاً فشيئاً لإزالة حجبه الحاجبة له عن مشاهدة مولاه فيأفقيأ بمداواة أدواء نفسه حتى يتقيأها على حسب تطوراته طوراً فطوراً .

أي فكما أن تربية الولد تأخذ وقتاً طويلاً حسب نموه الجسمي وتطوراته العقلية والروحية الى أن يبلغ أشده ويأتيه رشده ، كذلك التربية الصوفية قد لا يتم في مدة

وجيزة ، ولا بد من أن تقطع مراحل متعددة قبل أن ينتهي المريد الى الغاية المنشودة، فعلى هذا ان الفرق بين التربية الاصطلاحية الصوفية وبين التربية العادية موضوعي .

ومهما يكن من شيء فيبدو أن فكرة التربية الصوفية هذه قد نشت في أوساط المتصوفين المتأخرين خصوصاً أهل الطرق منهم ، وقسموا المشايخ جراء ذلك الى ثلاثة : شيخ التعليم ، وشيخ التربية ، وشيخ الترقية ، وقد نفى الشيخ عثمان بن فودين اشاعات بعض الناس عنه أنه شيخ التربية الصوفية وقال في كتابه (تحذير الإخوان من ادعاء المهدية) وأما التربية فغاية ما عرفته في نفسي أني أربي الناس على باب التقوى ، الذي هو امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، وعلى باب الاستقامة الذي هو التخلق بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما القول بأني أربي الناس على باب الكشف كما يفعل الكمل من الأولياء فباطل قطعاً ، والشيوخ كما قال العلماء ثلاثة شيخ التعليم وشيخ التربية وشيخ الترقية (1) وان دل كلامه هذا على شيء فإنما يدل على الأمور التالية : —

١ ـ ان فكرة التربية الصوفية كانت معروفة في نيجيريا قبل أن يؤسس الشيخ التجاني طريقته ، وليست الطريقة التجانية اذن أول طريقة تصوفية أدخلت الفكرة في نيجيريا .

٢ ـ ان هذه التربية أمر في غاية الغموض حيث تبرأ الشيخ عثمان منها وعزاها الى الكمل من مشايخ الصوفية .

هذا ومما هو جدير بالتنبيه عليه هنا هو أن كلام الشيخ عثمان السابق من شأنه أن يوهم القارىء أنه لم يكن ملماً بالتربية الصوفية وما يدركونه فيها من علومهم الباطنية لا ، وكلا فإن الشيخ كان ملماً بذلك الماماً تاماً حيث فصل الكلام — في كتابه أصول الولاية — حول التربية وشروط الشيخ المربي وشروط آداب المريد ، وكيفية السلوك والرياضة ، وكيفية تدريج المريد في المجاهدات والرياضات ، وآداب المريد مع الشيخ

---

1 ـ الشيخ عثمان بن فودين : كتاب تحذير الأخوان من ادعاء المهدية الورقة ٢٠ .

والاخوان ، واذكار أهل التصوف التي يستعملونها في مقصودهم وما الى ذلك (١).

وعلى أي حال فإن لم يكن في الكتاب الا قوله : « ان أصول الولاية مبينة على ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمان المشايخ ورؤية اعدام الخلق والمداومة على الأوراد وترك الرخص (٢) يكفي به دليلاً على ما قررناه .

٣ ـ ان الشيخ عثمان يعتبر نفسه شيخ التعليم ليس الا ، من أجل ذلك بين وظيفة شيخ التعليم حتى لا يختلط الأمر على العامة والطلاب .

وأما في الطريقة التجانية فإن السيد عبيدة بن محمد الصغير بن انبوجه قد قسم التربية الى ثلاثة أنواع في كتابه ميزاب الرحمة .

النوع الأول : من طريق أذكار الورد التجاني ويتحقق ذلك بالتدريج من مقامات الدين الثلاثة يعني بها الإسلام والإيمان والإحسان .

الثاني : من طريق السلوك بالصلوات الخمس .

الثالث : من طريق السلوك بصلاة الفاتح .

ويذهب المؤلف الى أن هذه الطرق الثلاثة كلها كانت مأخوذة من كلامه الشيخ التجاني لأن الطريقة الأولى جاءت حسب ترتيب الورد التجاني والثانية مندرجة في اطار الورد التجاني على سبيل الإجمال لا على سبيل التنصيص وأما الثالثة فقد أشار الشيخ التجاني اليها بإشارة موجزة ثم فضل المؤلف الطريقة الأولى التي تتحقق بواسطة الورد التجاني على الطريقة الثانية التي تتم من طريق السلوك بالصلوات الخمس ، وعلى الطريقة الثالثة أيضاً التي تكون من طريق السلوك بصلاة الفاتح ، وحجته في ذلك أن الطريقة الأولى هي الباعثة للمريد رأساً على الدخول الى حضرة الشيخ التجاني (٣).

اذا رجعنا الى تعريف المؤلف للتربية نرى أنه يعبر عنها بتلقين الشيخ مريده أو الأخ أخاه دينه لعله يريد بالدين هنا ما نعته بمقامات الدين الثلاثة وهي الإسلام والإيمان

---

١ ـ الشيخ عثمان بن فودين : أصول الولاية ١٦   ٢ ـ الشيخ عثمان بن فودين: أصول الولاية ٢ .
٣ ـ الشيخ عبيدة التشيتي : ميزاب الرحمة ٥٧ ـ ٥٨ .

والاحسان كما مر وربما كان يهدف في كلامه الى أن التربية تبدأ بتدريب المريد في مقام الإسلام أولا حتى اذا أتقنه ترقى به شيخه الى مقام الايمان واذا رسخت قدمه فيه أخذ بيده الى النهاية وهي مقام الإحسان .

وحقيقة هذه التربية كما بيّنها هي حمل السالك على ما ليس فيه مشقة من أمور الدين وأعمال العبادة وتدريبه على ضبط النفس وكفها عن الإنهماك في ملذات العوائد والزامه عدداً من الاذكار التي يجب عليه في أثنائها أن يصور في نفسه صورة مقدمة الذي يتربى على يده ثم يشخص الشيخ التجاني جميع المقدمين الذين كانوا في سلك سلسلة سنده الى الشيخ التجاني ويعتقد أن مدده يأتيه من عندهم وأن اعتقاده نفس اعتقادهم .

ويبدأ هذا السالك بالإستغفار ، يقول استغفر الله فقط لا يزيد على ذلك حتى يتم عدداً معلوماً يحدده له مقدمه حسب القواعد المرسومة عنده ولكن لا يستغفر بسرعة بل يتراخى بين كل استغفار ريثما يقول له مرشده قل أي كأنه بين يدي ملقنه يأمره بالاستغفار في كل مرة ولكن يشترط عليه أن يشرع في هذا الاستغفار بنية التوبة من المخالفات حتى اذا ختم عدد الاستغفار يدخل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ولكن يجب عليه أن يقتصر في الصلاة عند سيدنا محمد ولا يزيد على ذلك حتى يأتي بعدده المعلوم حسب ما يحدده له ملقنه ومرشده واذا انتهى من الصلاة يأخذ تواً في الهيللة يقول لا اله الا الله فقط ولا يزيد على ذلك ويعتقد عندما يدخل في الهيللة أنه يخرج بها من الكسر الى الإسلام كما يعتقد بصلاته أنه يتوسل بها الى الله في قبول توبته واجابة استغفاره ورفع الحجاب عنه .

هذا ما يلتزمه السالك من الأذكار عندما كان في تربية مقام الإسلام ولمقام الإسلام هذا ثلاثة مواقف .

الموقف الأول موقف التوبة المراد بها هنا الرجوع من كفران النعم بالمخالفات بشكرها بالطاعات وهي على ثلاثة أقسام :

توبة من تضييع الواجبات بفعلها .

توبة من التلبس بالمحرمات بتركها .

توبة من حمل المظالم بردها شكراً .

الموقف الثاني من مواقف تربية الإسلام (الاستقامة) وهي على قسمين : —

١ — إستقامة خاصة وهي استقامة السر نحو المشاهدة من غير التفات لغير الله تعالى، وليست هذه المقصودة هنا ، لأنها مخصوصة بالذين بلغوا مرتبة المشاهدة .

٢ — استقامة عامة وهي اعتدال السر نحو السنة بإقامتها من غير إنحراف عن سواء السبيل ، من غير تبديل ولا تغيير ، وهذه هي المقصودة هنا لأنها من شروط التمكين في هذا الموقف .

الموقف الثالث من مواقف الإسلام (التقوى) فالتقوى على ثلاثة أقسام :—

١ — تقوى الإسلام بحراسة الجوارح من العصيان اتقاء سخط الملك الديان .

٢ — تقوى الإيمان بحراسة الباطن من العدوان ابتغاء رضا الرحمن .

٣ — تقوى الاحسان بحراسة السر مما سوى الله تعالى مع الانفاس .

وهذا القسم الثالث هو المختص بأهل هذا الموقف هذه المواقف الثلاثة التوبة الاستقامة ، فالتقوى هي الأحوال التي تجب على السالك وهو في تربية مقام الإسلام أن يحققها ويحافظ عليها حتى تكون له غريزة ، وإذا اتقن مقام الاسلام وتمكن فيه أخذ مرشده بيده ويترقى به إلى مقام الإيمان ولهذا المقام أيضاً ثلاثة مواقف يجب عليه وهو فيه أن يحققها ويحافظ عليها زيادة على أحوال مقام الاسلام وهي : —

أولاً : الإخلاص وهو تصحيح الوجهة إلى الله تعالى في جميع الحركات والسكنات.

ثانياً : الصدق وهو صفاء المعاملة مع الله تعالى من امتزاج الخواطر الجلية والخفية

ثالثاً : الطمأنينة وهي هدوء تسود نفس السالك لتيقنه بالوصول إلى المراد لشمه رائحة توحيد الصفات .

وهذا أول قدم يضعه السالك في مقام تربية الاحسان وإذا تم له الرسوخ والتمكن في تربية مقام الإيمان بموافقة الثلاثة ترقى به مربيه إلى تربية مقام الاحسان وهو أيضاً على ثلاث مراتب .

الأول : المراقبة وهي عبارة عن تمكين يقين الروح بإطلاع الله عليه فيتجه نحو الله دائماً مرتقباً كشف الحجاب عن وجه القلب ومن هنا ينتقل إلى المشاهدة وهي : —

الثانية : المشاهدة عبارة عن رؤية الحق من غير ريبة ولا تهمة وذلك كما يقال أن الروح إذا تطهرت وصفت من جميع آثار الأوهام انجلت مرآتها بحيث لا ينعكس عليها إلا السر الإلهي القدسي المصون فعندئذ تشرق شمس المعرفة في سمائها بكامل ضيائها وتنقشع أسرار المشاهدة باهرة فينجلي الحق سبحانه لمرآة الروح من غير تحديد ولا تكييف ولا تشبيه ولا إحاطة ولا مقابلة حتى إذا استقر في هذا الموقف يترقى إلى المعرفة وهي :

الثالثة : — المعرفة وهي المرتبة الثالثة والأخيرة من مراتب تربية مقام الإحسان ، المعرفة عبارة عن تمكن حال المشاهدة بحيث لا يستطيع التفرقة بين صفات الله وذاته وهو تحقق عن الجمع المعبر عنه بالخلاص التام .

وكان لكل مقام من المقامات السابقة شروط وأداب أضربنا عن ذكرها مخافة التطويل ومجانبة الإسهاب والإطناب ولكننا هنا نرى أهمية ذكر شروط مقام المعرفة وآدابها إتماماً للفائدة ولأنها هي الغاية القصوى في كل ما نقرره حتى الآن فنقول إن للمعرفة أربعة شروط .

الأول : ملازمة القرب من الله بحيث لا يشهد غير الله تعالى ولا يرجع إلا اليه سبحانه .

الثاني : العجز المؤذن بالإدراك .

الثالث : المحافظة على حفظ الرسوم الشرعية وإقامة الوظائف الدينية .

الرابع : صيانة ما حصل عليه من المعارف بحيث لا يتحرك ولا يسكن ولا ينطق ولا يسكت إلا بالله وعن الله وفي الله وإلى الله ومع الله .

وأما آدابها فأربعة أيضاً وهي :

١ – مخاطبة الناس على قدر عقولهم .

٢ – حفظ أسرار الحق حيث يكون مع الخلق بجسمه ومع الله بالله .

٣ – الرجوع إلى البقاء بعد الفناء التام للقيام بوظائف العبادة .

٤ – العطش الدائم إلى زيادة الترقي في الله إلى أقصى الغايات في المعارف وكشف الأسرار القدسية (١).

الناظر لهذا الباب وما جاء فيه من المقامات وكيفية تدرج السالك فيها بطريق مصطلح منظم قد يذهب إلى أن هذه الطريقة التي رسمها الشيخ عبيدة للتربية هي طريقة التربية في الطريقة التجانية من أيام الشيخ التجاني وإلى هلم جرا والواقع أن الأمر ليس كذلك بل إن الشيخ التجاني وأصحابه الأقربين اليه لم يكونوا ملمين بهذه الطريقة قطعاً وإنما هي طريقة التربية عند الشيخ الساحلي فنقلها الشيخ عبيدة برمتها في كتابه ميزاب الرحمة الربانية وعزاها إلى الطريقة التجانية بعد أن لونها بلونه الخاص وألبسها لباس الطريقة التجانية وقد صرح في نهاية الباب الخامس بصفحة ١١٦ بأنه قد اعتمد في غالب الأحوال على كتاب الساحلي الموسوم ببغية السالك ثم أدرك أنه بهذا التصريح قد ناقض نفسه في عزو الطريقة إلى الطريقة التجانية إذ أنها في الواقع حسب تصريحه طريقة التربية عند الشيخ الساحلي لا طريقة التربية في الطريقة التجانية ، ولذلك رجع إلى نفسه ثم فكر وقدر واخترع أموراً سبعة – كلها خالية أو تكاد تكون – تميز في نظره طريقة التربية التي رسمها في ميزابه عن طريقة التربية التي قررها الساحلي في بغيته وقد صرح بذلك أيضاً في نفس الصفحة وقال ما هذا معناه إن الفرق بين التربية بالطريقة التجانية وبينها بطريقة الساحلي سبع مسائل حسب ما وقف عليه بعد طول التفتيش وبذل المجهود في البحث والتنقيب وهاهي قد فصلتها في الجدول التالي : –

طريقة الساحلي	طريقة السيد عبيدة التجانية
١ – الخوف مبنى هذه الطريقة	١ – وهذه تبنى على الشوق
٢ – هذه الطريقة تعتمد على الخلوة	٢ – وهذه لا تعتمد عليه بل تخلو منه.
٣ – المريد في هذه الطريقة يتوقع الفيض من الله	٣ – وأما في هذه فيكفيه أن يستحضر صورة الشيخ التجاني ويرفع اليه شكواه.
٤ – المريد في هذه الطريقة يغمض عينيه عند الذكر لاستحضار الفكر	٤ – وأما في هذه الطريقة فطلعة هيئة الشيخ تكفي في امداده بالفكر .
٥ – يستحضر المريد معنى ما يذكره من الأوراد من أول الأمر في هذه الطريقة	٥ – وأما في هذه الطريقة فلا يكون الاستحضار إلا بعد أن يقع ما يلفظه اللسان في السمع .
٦ – لهذه الطريقة أنواع من الأذكار حسب تطور المريد من مرتبة إلى أخرى	٦ – وأما في هذه الطريقة فإن الإذكار في الغالب تكون بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .
٧ – إن نهاية هذه الطريقة الوقوف على حقائق المعارف الربانية من غير تصريح بمعرفة بعض أسرار الحقيقة المحمدية وما في معناه	٧ – وأما الغاية في هذه فهو ما أشار الله الشيخ التجاني في آخر جوهرة الكمال من قواه صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه.

الناظر لهذه الفروق والمميزات التي رسمها السيد عبيدة يدرك بكل سهولة أنها كلها تقع خارج إطار الطريقتين كلتيهما إذ أنها كلها تكاد تكون نظرية خيالية بحتة حيث إنها لا تهدم ركناً من أركان الطريقة الساحلية أي أنها لا تتطرق إلى تغيير شيء من المقامات والاحوال التي رتبها الساحلي بل الظاهر أن الشيخ عبيدة قد أدرك أن الطريقة التجانية كانت خالية خلواً تاماً من نظام قائم للتربية فظن أن هذا يعد غضاً للطريقة التجانية وطلب من أخيـــه الأكبر الشيخ محمد بن محمد الصغير الشنجيطي التشيتي أن يضع نظاماً خاصاً للتربية بالطريقة التجانية موطأ للسالكين من مريدي التجانية

ولم يظهر له أخوه حماسة ولا ميلاً إلى إسعاف طلبه بل ربما كان ممن يذهب إلى أن التربية ممنوعة في الطريقة التجانية لعله من أجل ذلك كان يجيبه بإجابة فيها شيء من الغموض وعدم الوضوح إذ يقول له : « إنه تستروح من هذا الشرط »(١). وقد فسر الشيخ عبيدة قول أخيه فقال : « يعني المحافظة على الصلاة تربية الشيخ التجاني للمريدين به » (٢). وإن دل كلامه هذا على شيء فإنما يدل على الأمور التالية :

١ – إنه ليس للتربية في الطريقة التجانية نظام مصطلح معروف مأثور عن الشيخ التجاني .

٢ – إن الشيخ التجاني كان يربي مريديه بالصلاة .

٣ – إن الشيخ عبيدة لم يضع طريقة تربيته هذه إلا بعد أن يئس من إسعاف أخيه وشيخه لطلبه .

٤ – وإنه هو الآخر لم يستطع أن يجد للطريقة التجانية صيغة للتربية خاصة بها ولذلك اضطر إلى أن يأخذ طريقة الساحلي ويلبسها لباس التجانية .

الراجح أنه ليس للطريقة التجانية نظام مصطلح خاص للتربية أي ولم يؤثر عن الشيخ التجاني نظام أو صيغة معينة للتربية غير أوراد الطريقة اللازمة ويؤكد ذلك قول السيد العربي ابن السائح « ومدار التربية والتزكية في طريقتنا هذه على إقامة الورد الأصلي المعلوم وكذلك توابعه من الأذكار المشمول باللزوم معه وهي الوظيفة المعروفة وذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة والمحافظة على الصلوات الخمس بآدابها على الحد المحدود لها شرعاً ثم عمارة ما يقدر على عمارته من الأوقات والساعات بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم خصوصاً بصلاة الفاتح لما أغلق على طريقة المحبة والشكر والاعتماد على الفضل المحض من غير التزام خلوة ولا كثرة مجاهدة ولا غير ذلك مما اصطلح عليه في التربية من بعد الصدر الأول إذ هذه هي طريقة سيدنا يعني الشيخ التجاني التي سلكها وأمره بالسلوك بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم » (٣). أي

---

١ – السيد عبيدة التشيتي : ميزاب الرحمة ١٢٣ . ٢ – السيد عبيدة التشيتي : ميزاب الرحمة ١٢٣ .
٣ – السيد العربي ابن السائح : بغية المستفيد ١٧٢ .

إن هذا الذي رتبه السيد العربي هو كل ما في الطريقة التجانية من نظام للتربية والسلوك وبالتالي لا ينبغي للتجانيين أن يتركوه إلى نظام آخر لما فيه من سوء الأدب نترك الصيغة المأثورة عن النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم إلى صيغة أخرى وضعها غير المعصوم.

ومع كل هذا كان لزاماً على شيوخ التجانية اللاحقين أن يستنبطوا لأنفسهم نظاماً إضافياً لتربية مريديهم حيث ثبت أن أوراد الطريقة وحدها لا تفي بالغرض المنشود.

ولعل خلو الطريقة التجانية من أي نظام تربوي مصطلح مأثور عن الشيخ التجاني وتصريح الشيخ التجاني نفسه بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أمره بالاقتصار على الترتيب الذي قدمه ابن السائح آنفاً المبني على المحافظة على الصلوات الخمس وأداء الأوراد اللازمة للطريقة جعل بعض شيوخ الطريقة التجانية القدامى يذهب إلى أن التربية ممنوعة أصلاً في الطريقة التجانية ولكن السيد العربي قد شدد النكير عليه (١).

موقف شيخ التربية في نظر شيوخ التجانية القدامى

أول ما نلاحظه هنا قبل أن نخوض في صميم الموضوع هو أن الشيخ ابراهيم انياس علق أهمية كبرى لظهوره على الفيضة التجانية التي بشر الشيخ التجاني أصحابه بإتيانها، وأنه أي الشيخ ابراهيم إنما جاء ليظهرها وينشرها بين أهلها، وأن الفيضة في نظره عبارة عن كثرة الفتح على أهل الطريقة التجانية، ولا يتم هذا الفتح إلا من طريق التربية، والتربية إذن هي العمود الفقري للفيضة التي جاء بها الشيخ ابراهيم إنياس.

فالشيخ إبراهيم إذن شيخ تربية قبل أن يكون مفَضّ فيضة فيجدر بنا والحال هذه أن ننظر إلى موقفه كشيخ التربية في الطريقة التجانية في نظر شيوخ الطريقة التجانية الذين سبقوه.

يقول السيد العربي بن السائح: «إن التربية في طريقتنا ليست ممنوعة وإنما الممنوع التظاهر بدعواها على رسم المتشيخين في هذه الأزمنة وقبلها ... وأن ترك العارفين،

---

١ – السيد العربي ابن السائح: بغية المستفيد ١٧٢

فتح هذا الباب في هذا الزمان هو الصواب فلا يفتحه الآن إلا من أعمى الله بصيرته من هؤلاء المدعين للمراتب المتنازعين » إلى أن قال : « وحاصل هذه المسألة أن هذه الطريقة المحمدية يوجد في أفرادها من يفتح له في التربية بها ، أي بتلقين وردها وجميع اذكارها ، بالشروط المشروطة والكيفيات المضبوطة ، بحيث لا يخرج عما حده الشيخ في ذلك مما تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم » (١).

ولقد اعتنى القاضي الحاج سكيرج العياشي من متأخري شيوخ التجانية بأمر التربية وفصل الكلام – في كتابه تنبيه الاخوان – حول التربية والترقية وموقف الشيخ التجاني والمقدمين التجانيين منها وطبيعة الطريقة التجانية في التربية والترقية وحالهما فيها وهكذا .

ومن أجل ذلك يجدر بنا أن ننقل من عباراته ما يساعدنا في تحقيق القول فيما نقرره من ا راء في هذا المجال قال : « والقائمون بأعباء التربية في طريقتنا والحمد لله كثيرون ، ولم يخل منهم منذ توفي الشيخ رضي الله عنه زمان ولا قطر ، بل ظهر منهم عدد في حياته رضي الله عنه كما لا يخفى ، إلا أنهم لا يتظاهرون بذلك لما لا يخفى من حكم الوقت فلا يعثر عليهم إلا من قيض الله له الانتفاع بهم وذلك لما خصوا به ببركة أستاذهم من حالة الكمال المسماة عند أهل التحقيق من أهل هذا الشأن بالغيرة على الحق وهي كتمان السرائر والأسرار وهي حالة الأخفياء الأبرياء من الملامتية المجهولة مقاماتهم » (٢).

وقال : « وكلما ارتقى مقام الشخص في المعرفة باعد نفسه عن مزاحمة الشيخ الذي انتسب إليه في التظاهر بالمشيخة ، وكل شيخ ثابت القدم نصح لمريديه بأن لا يدعوا المشيخة في طريقته ولهذا لا تجد من يدعي المشيخة في الطريقة التجانية مع أنهم باعتبار تلقينهم للمريدين شيوخ وهم في الطريقة مقدمون لا غير ، ولو بلغوا ما بلغوا في المعرفة بالله ، لكون الدعوى لا يقبلونها ولا تقبلهم ، وكلهم في السلوك على قدم واحد، وإن كان لهم تفاوت في المرتبة والخصوصية ، وأن التسليك المعروف بالاصطلاح

---

٢ – السيد العربي ابن السائح : نفس المصدر ١٩ .

١ – القاضي سكيرج العياشي : كتاب تنبيه الإخوان ١٦٧

مفقود من جل الشيوخ المتصدرين للتربية منذ زمان خصوصاً فيمن تصدى للأخذ بيد العدد الكثير من المريدين فلم يبق التسليك إلا لأقل القليل لأقل قليل وطلب المتصدر للشيوخة للأخذ بيد الكثير من المريدين بادعاء التربية منه لهم يفضي إلى سوء الظن به وهلاك جم غفير على يده من المؤمنين » (١).

وقال : « وليست تعطى هذه الطريقة لمريدي الدخول فيها على وجه التبرك كما توهمه غير أهلها ، وإنما تعطى على سبيل التربية القلبية ، بالهمة والحال والترقية الباطنية ، ولا ننكر على من تظاهر بالتربية بالاصطلاح فيها أو في غيرها من الطرق، وإن قيل بانقطاع ذلك كما تقدم التنبيه إلا أن الانكار منوط بجانب من خرق صف ذوي الكمال العارفين بأحوال الرجال ، فاعتمد المرور بين يدي المصلين في مضمار السلوك في طرق الجد ، تبعاً لأوهام عارضة في يقظة أو منام »(٢).

وقال : « إن الطريقة التجانية ليس فيها إذن على وجه التبرك وإنما هي طريقة سلوك وتربية بالهمة والحال ووردها الخاص لها كفيل بالترقية » (٣).

فإن هذه النصوص المنقولة من كتاب تنبيه الاخوان للقاضى سكيرج العياشي تدل بوضوح على الأمور التالية .

١ـ إن التربية موجودة في الطريقة التجانية ، وإن القائمين لهـا في الطريقة كثيرون موجودون في كل زمان ومكان .

٢ ـ إن القائمين بتربية المريدين في الطريقة التجانية مستورون ولا يتظاهرون للعامة ، ولذلك لا يعرفهم إلا من قدر الله له الانتفاع بهم

٣ـ إن هولاء المربين في الطريقة كانوا على قدم الطائفة الملامتية من الصوفية الذين يعاشرون العامة ويخالطونهم كأنهم منهم وهم على اعلى المراتب في المعارف الآلهية لأن مقامهم مجهولة ومستورة عن ادراك العامة .

---

١ ـ القاضي سكيرج العياشي : نفس المصدر ١٠٦ ٢ ـ القاضي سكيرج العياشي : نفس المصدر ١٦ .
٣ ـ القاضي سكيرج العياشي : نفس المصدر ١٢٩

٤ – إن التظاهر بالمشيخة من أتباع طريقة ما يعتبر مزاحمة لمقام شيخ هذه الطريقة ولأجل هذا لا يوجد من يدعي المشيخة في الطريقة التجانية .

٥ – إن التربية بالاصطلاح المعروف مفقود من اكثر المتصدرين للتربية قديما وحديثا ،خصوصا عنا من تصده للأخذ بيد العددالكثير من المريدين والتربية إنماتوجد عند عدد قليل من المشايخ يربون عدداً قليلا من السالكين بالهمة والحال لا بالاصطلاح

٦ – المدعي لمقام الشيوخة والتصدر للأخذ بيد الكثير من المريدين للتربية غايته إهلاك جماعة عظيمة من المومنين واضلال طائفة كبيرة من المسلمين .

٧ – التربية في الطريقة التجانية إنما تكون بالهمة والحال لامن طريقه الاصطلاح المعروف ، ومن ادعى القيام للتربية من طريق الاصطلاح في الطريقة التجانية أو في غيرها يناط به الإفكار والملام من جانب كونه خرق صفوف ذوي الكمال العارفين بأحوال الرجال .

إذا نظرنا إلى هذه النقاط السبعة التي استنتجناها من النصوص المنقولة من كتاب تنبيه الاخوان ندرك أن شقة الخلاف واسعة بين القاضي سكيرج العياشي التجانى وبين الشيخ ابراهيم انياس السنغالى التجانى في شأن التربية في الطريقة التجانية .

أولا – ان القاضي سكيرج يرى أنه لا يجوز لأحد من أتباع طريقة ما أن يسمى نفسه شيخا مهما ارتقى مقامه في المعرفة حتى لا يزاحم شيخ الطريقة التي ينتمي اليها في مقامه ، ونزه جانب التجانيين قاطبة من ادعاء المشيخة وصرح بأنهم في الطريقة مقدمون لا غير ولو بلغوا في ميدان المعارف الآلهية ما بلغوا.

وأما الشيخ ابراهيم انياس فلا يرى ما ارتآه سكيرج بل إنه يذهب إلى أن كل من اشتهر من علماء التجانية شيخ وليس مجرد مقدم وان أعجبه فقطب يقول مثلا بعد ان نقل كلاما للشيخ عمر الفوتى : « تأمل كلام هذا القطب الفوتى . » ويقول

في شأن شيخه : « القطب الرباني الحاج عبد الله بن الحاج العلوي. » (١)

فإن الشيخ الأكبر ابن عربى الحاتمى ذهب إلى أن القطب الغوث هو الذي يمد الاقطاب الذين يقعون دون مطاره وهو يستمد من خضم بحر النبى صلى الله عليه وسلم بواسطة روحانية أربعة من الانبياء

ولكن الشيخ ابراهيم انياس يرى أن هذا الرأى الذى ذهب اليه الحاتمى خطأ وجهل منه بمقام الشيخ التجانى ، فإن الحق في المسألة كما يراها هو أن القطب الغوث يستمد من النبى صلى الله عليه بواسطة الشيخ التجانى الذي هو القطب المكتوم .

ومعنى كل هذا أنه اى الشيخ ابراهيم هوالقطب الغوث في هذا الزمان واستمداده يكون من الشيخ التجانى مباشرة لاغيركما توهمه الشيخ الحاتمى في نظره (٢) وقد صرح بذلك في أخر كتاب كاشف الالباس بقوله : « وانتسا بنا اليوم حقا وسندنا عن الشيخ الختم التجانى من غير وسطة إذ هو ولله الحمد حاضر معنا دائما . (٣) وقد اشار ايضا بذلك لتلميذه وخليفته بالمورتانيا الشيخات من آب في آخر رسالة له إليه فقال : واما عمدتي في طريقتنا فانظر آخر كاشف الالباس وافهم جدا . » (٤)

والى تحقيق كل ما تقدم يهدف بقوله في منظومة رحلته الموسومة بنيل المفاز .

وجدت عند كلهم مبشرة	تكون لي طول الحياة تذكرة
رأى الحفيدان من أرادا	الشيخ التجاني ادرك المرادا
ها هو في مكة يومي حاضر	وهو يشير لى وانى شاكر
وبعضهم يقول قد رايت	أحمد عند القطب ثم جئت (٥)

أى ان في هذه الابيات روءيتين مفادها أن الشيخ ابرهيم انياس هو خليفة الشيخ التجانى وبالتالى هو قطب هذا العصر

وقال في منظومة رحلته الموسومة بالكناكرية

---

١ – الشيخ ابراهيم إنياس : كاشف الإ لباس ١٢ – ١٦.
٢ – الشيخ ابراهيم إنياس : كاشف الإلباس ٧٥   ٣ – الشيخ ابراهيم إنياس : نفس المصدر ١٠٩ .
٤ – الشيخ ابراهيم إنياس : جواهر الرسائل ١٣/١   ٥ – الشيخ ابراهيم إنياس : رحلة نيل المفاز ١٤ .

قد خصنى بالعلم والتصريف ان قلت كن يكن بـلا تـسويـف
لوشئت عم فيضـه البسيـطة وادركـوا أسـراره المحيـطـة

إلى أن قال

ومرة أخرى ترون العجـبـا مـن سـر ذا الختم الامـام الـنجـبا
علم ذلك فـلان وفـلان كـذا فـلان ما السماع كالعيـان (١)

ومعنى هذه الأبيات أنه هو القطب الغوث الذي كان في يده تصريف الأمور الكونية والشئون الخلقية .

وقد ايده في هذه الدعوى جميع تلاميذه وقال أمين سره وخليفته بعده السيد على سيس في ترجمته له : « فهو الشيخ بجميع مراتبه ولسان وقته . . . محل نظر الله من خلقه والباب المفتوح لكل من يريد الولوج لحضرة قدسه صاحب الاشارات الخفية والافادات العظيمة والعبارات المفهمة شيخنا ووسيلتنا إلى الله القطب الفرد الربانى والعارف الكبير الصمدانى الشيخ ابراهيم بن الحاج عبد الله التجانى .» (٢)

وقرر الشيخ أحمد التجانى بن عثمان الكنوى هذا المعنى في قصائده التي مدحه بها وقال في القصيدة الميمية

كم نـصارى اسلـموامـن فيـض ذا الـقـطـب الامـام

وقال في القصيدة الرائية

فـكـ به علم رجـاه وإمـرة وغـوثـية فـالـخـيـر فيه غزير

وقال في القصيدة الواوية المقصورة

نتائج فكـ القوم طـرا كقطرة ببـحر فراخ القطب ذى الرتبة القصوى

. . . .

فإن مقـام الختم والكتم ذاقـه خلافة مـن لم ينح غيـر له نـحوا

---

١ - الشيخ ابراهيم اناس : الرحلة الكناكرية ٦ ٢ - الشيخ ابراهيم إنياس : كاشف الالباس ١.

ومن رام إحداثا لغير الذي جرى ... به حكم وقت فاته‌ها هنا الجدوى
فـذا جهله والشيخ جهـل مركب ... واجهل مـنه من له يقصد المحوى

وقال في القصيدة القافية

فالنفس تلك هى المـراد فإن صفت ... يسرى الصفـاء لسائر الاعـواق
إن كان في الكون المجازى كشفهم ... فمريـده ذاالغوث‌عن‌ذاواقى (١)

واذا نظرنا إلى هذه الابيات ندرك إن السيد احمد التجانى بن عثمان لم يكتف بتنفيل شيخه مقام القطبانية والغوثية فحسب بل نفله نفس المقام الذي اختص به الشيخ التجانى وهو الختمية والكتمية المقام الذي‌تفوق به في نظرهم على جميع أقطاب أمة النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم وأقطع من هذا كله أنه حلف به .

وهذا كله خلاف للقاضى سكيرج العياشي الذي‌يرى أن الشيخ ابراهيم ومن سبقه ومن سيأتى بعده من‌اساطين الطريقة التجانية لم يكونوا ولا يكونون ولن يكونوا إلامقدمين لتلقين الطريقة ليس إلا، ولا يستحقون لقب الشيخ حتى لا يزاحموا الشيخ التجانى في مقامه كشيخ الطريقة

ثانيا — إن الشيخ العياشي سكيرج يوافق الشيخ ابراهيم في‌أن القائمين بالتربية في الطريقة التجانية كثيرون وموجودون في كل زمان ومكان ولكنه يخالفه في أنه يرى أن كثرتهم إنما هى لوجودهم في كل زمان ومكان من عصر الشيخ التجانى إلى يومنا هذا وذلك يتحقق بوجود واحد فقط في‌كل زمان أو مكان والى هذا يرمى بقوله في الفقرة السابقة : «فلم يبق التسليك الا أقل القليل لأقل قليل» .

ثالثا ان الشيخ ابراهيم انياس يرى أن كثرة تسليك اهل الطريقة التجانيـة في التربية وتقديمه لخواص أصحابه للقيام بها علنا في كل قطر من تمام انتشار الفيضة التي بشر الشيخ التجانى اهل طريقته بإتيانها اليهم : والى كل هذا يهدف بقوله «وقد دخل الناس في هذه الطريقة أفواجا ور بما كان المراد بنسخها للطرق الصوفية

الأخرى إنما يكون بخلو هذه الطرق ممن يقوم بالتربية فيها وقد شاهد الناس في هذا العصر من الضيق والشدة ما لم يشاهده كثير من أكابر التجانيين الذين أدركناهم وقد تحققت الفتح في أهل الطريقة التجانية ووصل كثير منهم إلى مرتبة المعرفة بالله والاستغراق فيه ورفض كل ما سواه بشكل لم يتحقق في هذه الطريقة قط فيما أعلم منذ ظهورها إلى يومنا هذا وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (١) كما نسب أصحابه الذين قدمهم في الأقطار لتسليك المريدين في التربية إلى نفسه بدلا من نسبهم إلى الطريقة التجانية ويقول في بعض رسائله : « ولي مقدمون في هذه الأقطار كل واحد منهم كنار على علم بارك الله فيهم فمن أخذ عن واحد منهم فكأنما أخذ عني » (٢) .

ويبدو أن الشيخ ابراهيم كان ملماً بهذه النزعة الإستقامة في شأنه فقام بتبرير ذلك واستخدم لهذا الغرض بعض أجوبة الشيخ التجاني في هذا الصدد كما استشهد أيضاً بقول الشيخ محمد الحافظ لتلميذه الشيخ مولود قال : « ان قلت أن الشيخ التجاني شيخك فهو شيخك وان قلت أنا شيخك فما ضللت » (٣). إلا أن الشيخ التجاني في هذا يؤيد وجهة نظر القاضي الحاج سكيرج العياشي حيث قال بصراحة – إثر مشاحنات وقعت بين كبيرين من أصحابه فأثر ذلك في أتباعهما حتى رفعوا الأمر اليه – : « من يعرفني يعرفني وحدي » (٤).

لعل هذه النزعة الاستقلالية الظاهرة في حركة الشيخ ابراهيم هي التي جرت له الانتقاد الشديد من قبل المنافسين له من إخوته حيث وصموه بإفساد الطريقة التجانية وتشحينها بما ليس فيها وقد صرح بذلك في رسالة له كتبها إلى أهل مدينة فاس : « واعلموا أني على صغر سني وقصور علمي وضعفي في الدين أوذيت في الله حق الإذاية ورموني بالكفر والتفسق وتحليل الحرام وقطع الأرحام وإفساد طريقة الشيخ

---

١ – انظر كاشف الالباس ٤٠

٢ – انظر الذي أرسل به عقب عودته من الحرمين .

٣ – انظر رسالة النجاة من الخسران ٩

٤ – انظر نفس المصدر ٧ .

بإدخال ماليس فيها وافتراء الكذب على الله والسحر والجنون وهلم جرا» (١) .

هذا كله خلاف للقاضي سكيرج العياشي الذي يذهب إلى أنه يجب أن يكون المربون في الطريقة التجانية مستورين لا يعثر عليهم إلا أفذاذ قليلون ممن كان لهم الاستحقاق لهذا الشأن ، وبالتالي يرى أن الأخذ بيد الكثير من المريدين في التربية لا يؤدي إلا إلى إلقائهم إلى التهلكة ويقول في هذا الصدد : «المتصدر للشيوخة والأخذ بيد الكثير من المؤمنين الذين لم يصيروا معه على حال مع أنهم كانوا في غنى عنه بعدم التقيد بحبل عهده وكانوا بأداء فرائضهم دون سيطرته عليهم في سلامة في قربه وبعده ، كما يجد هذا من نفسه من عامل الله صادقاً ومن اختبر نفسه واختبر ماعليه المريدون لا يدخله ريب فيما قلناه» (٢).

ويقول أيضاً : «لو أنكرنا من عندياتنا على من قام يدعى أنه شيخ تربية في هذا الزمان وبعده بل وقبله بزمان مضى وأتينا في هذا البساط بالدليل لقام علينا بالنكير كل من ادعاها من كبير أو صغير ولو وجد أعواناً وأنصاراً ممن على شاكلته يؤيدون مقاله ليتأتى لهم ولمن حام حول حماهم ادعاء الحصول على مقامها (٣).

هذا يفضي بنا إلى ظاهرة هامة يجب أن لا نغفلها في هذا الصدد وهي أن الشيخ سكيرج لا يعرف بوجود هذه الفيضة التي يدعيها الشيخ ابراهيم إنياس ولا يعرف صاحبها الذي تظهر على يده ولا وقت ظهورها وطبيعتها إذا ظهرت وهكذا».

رابعاً : – لقد قرر الشيخ أحمد زروق أن التربية بالاصطلاح قد انقطعت منذ منذ سنة ٨٢٤ هجرية ولم يبق إلا الافادة بالهمة والحال وانكر ذلك عليه الشيخ ابن عجيبة الحسي في شرح المباحث الاصلية وانكر عليه أيضاً الشيخ المختار الكنتي في كتاب جنة المريد وأيدهما الشيخ ابراهيم (٤) .

ولكن الشيخ سكيرج العياشي يخالفهم جميعاً ويؤيد زروق تأييداً تاماً وذهب إلى أن التربية بالإصطلاح قد ارتفعت بنص مقرر من المشايخ المعتبرين عمدة لهذا الشأن وأن

---

١ – الشيخ ابراهيم إنياس : جواهر الرسائل ١٩/١

٢ – انظر تنبيه الإخوان ١٠٧

٣ – نفس المصدر ٣٤

٤ – انظر كاشف الإلباس ٤ وذيله ٢ .

من ادعى وجود التربية بالاصطلاح في الطريقة التجانية أو في غيرها من الطرق كان مثله مثل من مرّ بين يدي المصلين عامداً لأنه خرق صفوف ذوي الكمال العارفين بأحوال الرجال ، وقرر جراء ذلك أن التربية في الطريقة التجانية من أصل وضعها إنما تكون بالهمة والحال ، لا بالاصطلاح ويقول في هذا الصدد : إن الطريقة التجانية طريقة سلوك وتربية بالهمة والحال ووردها الخاص بها كفيل بالترقية » (١).

وقال أيضاً : « ان الشيوخ نصوا على انقطاع التربية بالاصطلاح لانغلاق بابها في وجه المدعي ، ولم يبق إلا شيخ الترقية بالهمة والحال في طرق الشيوخ المقتدى بهم بشروط مقررة كل من خلا من واحد منها فهو مدع يستحق النكير عليه »(٢) وقال أيضاً : « وأما شيخ الطريقة وهو المربي بالهمة والحال مثل هذه الطريقة الأحمدية التجانية فهي طريق ترق وتربية بالهمة والحال من الشيخ أي التجاني ولو بواسطة أو وسائط إلى يوم القيامة » (٣).

هذا رأي القاضي سكيرج العياشي في انقطاع التربية بالإصطلاح وقد سئل الشيخ التجاني عن ذلك فأدلى باجابة تؤيد وجهة نظر سكيرج من جهة كما تؤيد حركة الشيخ ابراهيم التربوية من جهة أخرى جاء في كتاب (الجامع لما افترق من درر العلوم الفائض من أسرار القطب المكتوم) للسيد محمد بن المشرى أحد كبار أصحاب الشيخ التجاني. قال : « سئل وسيلتنا أي الشيخ التجاني عن قول القطب سيدي أحمد زروق انقطع شيخ التربية وعن قول سيدي ابراهيم التازي في قصيدته اللامية .

وقد عدم الناس الشيـوخ بقطرنـا وأخرهم شيخي ومعظم إجلالي
وقد قال لي لم يبق شيخ بغربنـا وذا منذ أعوام خلـون وأحوالي

فقال : « هذا كان في سنة أربعة وعشرين من القرن التاسع ، وأما الآن فما بقي إلا الإفادة بالهمة والحال ، لكون الله تعالى سامح النفوس فيما تخوض فيه ، وغفر لها ، ومع هذا يقع لهم الفتح والوصول ، مع أن الأوائل كانوا لا يسامحون التلميذ في أقل

---

١ - القاضي سكيرج العياشي : تنبيه الإخوان ١٢٩ ٢ - القاضي سكيرج العياشي : نفس المصدر ٣٤
٣ - القاضي سكيرج العياشي : نفس المصدر

قليل ولو وقع منه فلتة لطردوه إلا أن تدركه عناية إلهية يعامل بالتوبة ، غير أهل هذا الوقت فإنهم يسامحون في الأمور العظيمة ، ولم يقع لهم طرد فسبحان المتفضل على من شاء بما شاء كما شاء من عبادة ، يختص برحمته من يشاء ، لا يسأل عما يفعل ، لا لعلة سبقت ولا لأجل مانع بل بمحض الفضل والجود والكرم » (١).

هذا والناظر إلى العبارات السابقة المقتطعة من كتاب تنبيه الاخوان للقاضي سكيرج قد يذهب إلى أنه كان يعرض في كلامه بالشيخ ابراهيم وحركته ، كلا فإنه لا يعرض به لأن الطبعة الأولى من الكتاب قد ظهرت والشيخ ابراهيم انياس في التاسع عشر من عمره ، سيما وقد صرح سكيرج بأنه ألف الكتاب رداً على رجل آخر إلا أنه جد ممكن أن يكون الشيخ ابراهيم ملماً بالكتاب وبما يحتوي عليه من الآراء ، وكان جراء ذلك على وعي تام بالخلاف الدائر بينهما في وجهة النظر حول مسائل كثيرة في الطريقة خصوصاً إذا نظرنا إلى أن الشواهد تدل على أن سوء التفاهم كان يلمح من ستار شفاف بينهما في أول أمر الشيخ ابراهيم ، وإن كان ذلك قد زال تماماً فيما بعد ، وقد ناقشنا ذلك بشيء من التوسع في محله » (٢).

التربية عند الشيخ ابراهيم انياس

هذه وجهة نظر شيوخ التجانية السابقين تجاه التربية في الطريقة التجانية وأما الشيخ ابراهيم فإنه يرى أن التربية تبتدىء من يوم انتبه المريد من نوم غفلته ، وهذا الانتباه عبارة عن تفقد المريد أحوال نفسه ، والنظر إلى علاقته مع خالقه ، فيدرك أن الحضرة الإلهية تطالبه بتحقيق العبادة لها بإخلاص ، كما تطالبه في نفس الوقت بملازمة التقوى في الظاهر والباطن ، حتى إذا تم له ذلك ، يبدأ بالبحث عن الوسيلة التي يتوسل بها إلى الله تعالى ، وهذه الوسيلة في رأيه تدور على ثلاثة أقطاب : —

الأول : متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في القول والعمل .

---

١ — السيد محمد بن المشرى : الجامع .

٢ — انظر هذا البحث صفحة ١٢٠ .

الثاني : ملازمة الذكر بالإذن الصحيح من الكمل .

الثالث : مصاحبة العارف بالله .

فإذا تم للمريد كل هذا تعظم رغبته في الإنخراط في سلك الطريقة التجانية ، فبذلك يحصل له كمال اليقظة ولم يبق له بعد ذلك إلا الفرار من النفس ، وهواها ، والدنيا والشيطان إلى الله ، والفرار إلى الله هو الفرار إلى كامل العصر ، فيأتي إلى خليفة الشيخ التجاني الذي ورث أسراره ، وينسلخ من جميع إرادته ويتأدب ظاهراً وباطناً ويلتزم الوفاء بكل ما ألقي اليه من الشروط باعتقاد صحيح سليم من الانتقاد والإعتراض والسؤال بلمَ وكيف والحاصل أن كل من كانت هذه حاله يجب عليه أن يلقي نفسه بين يدي هذا الخليفة الكامل العارف بالله كالميت بين يدي غاسله لا حركة له إلا بتحريكه إياه ، ولا إرادة ولا اختيار ، وليس له إلا الطاعة العمياء والسكوت التام ، فيأخذ عنه الورد اللازم للطريقة التجانية وهو الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله ثم آيات قرآنية يختم بها ، ويداوم على هذا الورد بالغداة والعشي وهذا أول قدم يضعه المريد في التربية بالطريقة التجانية ثم قرر أيضاً أن هذه التربية في الطريقة التجانية تقوم على أسس ثلاثة وهي :

١ – إقامة الصلوات الخمس بشروطها المشروطة .

٢ – وإدامة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم آناء الليل وأطراف النهار .

٣ – التزام الورد التجاني اللازم من دون التزام خلوة ولا مجاهدة كبيرة ولا غير ذلك من وجوه الرياضات المعروفة في اصطلاح من بعد الصدر الأول .

فإن المريد إذا داوم على ذلك على الوجه الموصوف فإن فتحه يكون على ضربين :

الأول : أن يفاجأه الفتح أو يهجم عليه هجوماً مباغتاً .

الثاني : أن يمن الله تعالى عليه برفع الحجاب عن عيني قلبه فيصير يجتمع بروحانية الشيخ التجاني أو روحانية النبي صلى الله علية وسلم فعلى هذا تكون تربيته إما من طريق الاستفاضة من أحدهما أو منهما معاً .

وهذا الفتح يحصل للمريد على حسب صدقه في الطريقة فالصادق ربما قطع العقبات في لحظة أو ساعة أو يوم أو يومين أو قليل من الأيام ، ومنهم من يقطعها في شهر أو في سنة أو سنتين أو سنين ، ومنهم من يقطعها في سبعين سنة ، وذلك كله بحسب الصدق .

والصادق في الطريقة التجانية على حد تعبيره هو من أراه الله الورد اللازم للطريقة التجانية ، هو أكبر الأسرار والشيخ التجاني عين السر فلا يتشوق إلى الغرائب والغيوبات ، فان حصل هذا الصدق قطع المقامات آمناً من العثرات في أسرع مدة ممكنة ، والمقامات هي إسلام وإيمان وإحسان ، أو إن شئت فقل شريعة وطريقة وحقيقة ثم أن هناك تسعة منازل كل مقام يختص بثلاثة منازل : مقام الاسلام يختص بالتوبة والاستقامة والتقوى ، ومقام الإيمان يختص بالصدق والاخلاص والطمأنينة ، ومقام الاحسان يختص بالمراقبة والمشاهدة والمعرفة .

وقد شرح هذه المنازل بقوله وحقيقة التوبة من التوبة ، وحقيقة الاستقامة البقاء بعد الفناء ، وحقيقة التقوى عدم خطور السوي بالخاطر ولو لحظة ، وحقيقة الصدق إفراد الوجهة إليه ، وحقيقة الإخلاص أن ترى أن العمل لا منك ولا إليك ولا لك ، وحقيقة الطمأنينة أن لا تتمنى زوال ما كان ، ولا وجود ما لم يكن ، وحقيقة المراقبة تعلق القلب بالله دائماً ، وحقيقة المشاهدة رؤية الحق عياناً ، وحقيقة المعرفة شهود الكمال الذاتي .

ثم صرح أخيراً بما يفيد أن هذا الذي رتبه إنما هو طريقته الخاصة للتربية ، ولم ينقله عن أحد ، وإنما أنزله الله على قلبه إنزالاً من طريق الوارد (١).

وهذا الانتباه من نوم الغفلة يقتضي للمريد الفرار من النفس والشيطان والدنيا إلى الله ، وهذا يوجب له أن يطلب شيخاً محققاً مرشداً ، الذي انتهى من تأديب نفسه وتخليصها من الهوى ليصاحبه ويسلم اليه نفسه ، ويلتزم طاعته ، والانقياد اليه ، في كل ما يشير به عليه من غير ارتياء ، ولا تأويل ، ولا تردد ، لأن القاعدة المطردة عند القوم تقول إن من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان .

---

١ – الشيخ ابراهيم إنياس : السر الأكبر الورقة الثانية كاشف الإلباس ٥٩

وهذا الشيخ يجب أن يكون شيخاً واصلاً ، ووليا كاملاً دل الله المريد عليه ، وأطلعه على ما أودعه من الخصوصية لديه ، فطوى عنه شهود بشريته في وجود خصوصيته ، فيلقى اليه قياده ليسلك به سبيل الرشاد ، ويعرفه برعونات نفسه في كمائنها ودفائنها ويدله على الجمع على الله ، ويعلمه الفرار عما سوى الله ، ويسايره في طريقه حتى يوصله إلى الله ، ويوقفه على إساءة نفسه ، ويعرفه بإحسان الله اليه ، فيستفيد من معرفة إساءة نفسه الهرب منها وعدم الركون اليها ، ويستفيد من العلم بإحسان الله اليه الإقبال عليه والقيام بالشكر اليه ، والدوام بين يديه على ممر الساعات .

وأنت ربما تشعر بصعوبة الحصول على هذا الشيخ ، ولذلك عرفك بشخصيته ثم نفحك بعلامات يمكنك أن تستدل بها على العثور عليه ، وقال : « الشيخ الواصل هو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية ، نظراً عينياً ، وتحقيقاً يقينياً ، وبإمكانك أن تقف عليه بسهولة إذا كنت صادقاً في طلبه ، لأنه يهديك لأنه يهذبك بأخلاقه ، ويؤدبك بإطراقه ، وينير باطنك بإشراقه ، ويجمعك في حضوره، ويحفظك في مغيبه ، بحيث نشهد له ذاتك بالتقديم ، وسرك بالتعظيم ، لأنه جمع علماً صحيحاً ، وذوقاً صريحاً ، وهمة عالية ، وحالة مرضية ، وبصيرة نافذة .

ولما رأى أن الشيوخ انقسموا إلى شيخ التعليم ، وشيخ التربية ، وشيخ الترقية ، وفهم أنه ربما يلتبس الامر على المريد فيذهب إلى أن شيخ التعليم هو المقصود بهذا الأمر الجسيم وليس هو بين له الأمر على وجهه حيث صرح بأن الشيخ التعليم ليس هو المعتبر وإنما المراد هو شيخ التربية فقال :

« ليس شيخك من سمعت منه وإنما شيخك من أخذت عنه .

وليس شيخك من واجهتك عبارته ، وإنما شيخك الذي سرت فيك إشارته .

وليس شيخك من دعاك إلى الباب ، وإنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب .

وليس شيخك من واجهك مقاله ، وإنما شيخك الذي نهض بك حاله .

شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى .

شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك .

شيخك هو الذي نهض بك إلى الله فنهضت إليه .

شيخك هو الذي سار بك حتى وصلت إليه .

شيخك هو الذي لازال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه .

شيخك هو الذي زج بك في نور الحضرة فقال لك ها أنت وربك .

وهذا النوع من الشيوخ هو الذي تشق المهامه من أجل طلبه لأنه هو الذي نال كمال الاذن من الحق سبحانه إذناً خاصاً في هداية عبيده ، وتوليته عليهم بارشادهم إلى الحضرة الإلهية ، وهذا الشيخ هو المعبر عنه عند القوم بالكبير ، ومتى عثر المريد على من هذه صفته فالواجب عليه أن يلقي نفسه بين يديه كالميت بين يدي غاسله لا اختيار له ولا إرادة ولا إعطاء له ولا إفادة .... ومتى أشار اليه بفعل أو أمر فليحذر من سؤاله بلم وكيف ؟ وعلامَ ولأي شيء ؟ فإنه باب المقت والطرد وليعتقد أن الشيخ أعرف بمصالحه منه ، وأي مدرجة أدرجه فيها ، فإنه يجري له في ذلك كله على ما هو لله بالله بإخراجه عن ظلمة نفسه وهواها .

والشيوخ المتصفون بهذه الصفات كثيرون ، وأغلبهم في المدن الكبار فإنها مقرهم ، وأما معرفتهم والاتصال بهم فإنه عسير ، أغرب وجوداً من الكبريت الأحمر ، لأنهم اختلطوا بصور العامة ، وأحوالهم ومن سألهم عن هذا الحال نفروه وطردوه وحلفوا له ما عندهم من هذا الأمر شيء والعلة الموجبة لهم بهذا أنه قد فسد نظام الوجود بمشيئة الحق سبحانه وتعالى التي لامنازع لها ، وليس لكل آدمي إلا السعي في أغراضه وشهواته، بالاعراض عن الحضرة الإلهية ، وما تستحقه من توفية الحقوق والآداب ، وليس للعامة في هذا الوقت من السعي للأولياء إلا لأغراض فاسدة يريدونها من التمتع بالدنيا، ولذاتها وشهواتها (١) .

ويجب على المريد إذا منّ الله عليه بالوصول إلى هذا النوع من الشيخ أن يلزم الأدب ، وهو أن لا يمشي معه وفي رجليه نعل ، وأن لا يلبس شيئاً من الثياب التي تدل على الرفاهية إلا باذنه له لعذر ، ولا ينام معه في بيت واحد ، ولا يبصق ولا يتمخط ولا يمد رجليه ولا يكثر الالتفات بحضرته ، ولا يجلس على بساطه ولا يتنفس

نفساً إلا بإذنه ، ومعنى كل هذا أن يطيع المريد هذا الشيخ طاعة عمياء ، ولا يخالفه في شيء ، لأنه من خالف شيخه سراً أو جهراً لا يشم رائحة الصدق ، فإن صدر منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه الشيخ إلى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة ما يحكم به عليه .

ومن الآداب المطلوبة أيضاً احترام كل ما ينسب إليه ولو كلباً ، وحب مريده ، وقرابته ، وأحبابه ، ومحبوباته ، حتى من المطاعم والملابس ذلك لأن كل تعظيم واحترام لهذا النوع من الشيوخ فهو لله على الحقيقة .

ويجب على المريد أن يستحضر النية في قلبه عند ملاقاته مع هذا الشيخ وكذلك عندما يسمع شيئاً منه ، وإذا امتحنه وجب عليه أن يثبت تحت مرارة امتحانه حتى يكون الشيخ هو الذي ينقذه من سجن الامتحان ، كما أن علم المريد بأن امتحان الشيوخ هو عين المنة يسهل له احتمال مضض امتحانهم .

ثم إنه يجب على المريد أن يعلم أنه لابد من صدور أربعة خصال من هذا الشيخ وهي الأذى ، والاكرام ، والإساءة والإحسان فيقابل :

١ ـ أذاه بالصبر لا بالجزع .

٢ ـ وإكرامه بالثناء من دون إطراء .

٣ ـ وإساءته بالعذر من غير نزاع ولا ازدراء .

٤ ـ وإحسانه بالموافقة من غير توقف .

ويستحب للمريد أن يتبرك بثياب الشيخ وفضل وضوئه وريقه الشريف ، وعرقه ودابته ، وإناء شربه ، ومواضع صلاته ، وخلواته ، ويعتقد أن فيها تأثيرات في دفع الأدواء الجسمانية والاسواء الروحانية .

هذه التربية التي يقوم بها هذا الشيخ لا تنقطع أبداً لأن الله تعالى قبل أن يبعث سيدنا محمداً عليه صلوات الله وسلامه كان يرسل الأنبياء بالتربية ، فكان كلما خلا رسول يأتي بعده آخر بالتربية من الله تعالى ولما بعث الله خاتم الرسل والأنبياء صار يبعث الأولياء الكاملين أولي الإذن الخاص بهذه التربية ، فكما مضى ولي عارف

كامل مرشد جاء بعده آخر وهلم جرا ، إلى أن يرث الأرض خالقها ، ومصداق ذلك أن الأرض قد بكت حينما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا إلهي وسيدي صرت بوفاة خاتم أنبيائك لا يمشي على ظهري نبي إلى يوم القيامة ، فأوحى الله تعالى اليها أن اصبري فسأجعل على ظهرك من هذه الأمة عباداً لي كانت قلوبهم على قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تخلين منهم إلى يوم القيامة(١).

هذا موجز رأى الشيخ ابراهيم انياس في التربية الصوفية بالطريقة التجانية وإذا أمعنا النظر فيه ندرك أنه كان مترددا بين رأى الكتاب التجانيين الذين أيدوا رأى الشيخ زروق الجازم بانقطاع التربية الصوفية بالاصطلاح انقطاعاً كلياً وبين راي بعض الشيوخ المتصوفين غير التجانيين شددوا النكير على الرأى الذي يقرر انقطاع التربية بالاصطلاح ذلك لاننا قد قررنا في الفقرات السابقة أن السيد عبيدة بن محمد الصغير ابن أنبوجة الشنجيطى قد حاول أن يأتى بنظام مضبوط للتربية في الطريقة التجانية إلا أنه لم يستطع أن يأتى بجديد ، حيث عمد إلى كتاب الساحلى الموسوم ببغية السالك ونقله نقلا يكاد يكون كلياً ثم جاء بعده السيد العربى ابن السائح وصرح بأن الطريقة التجانية كانت خالية من أى نظام مصطلح للتربية من النوع الذى حاول أن يدخله فيها السيد عبيدة وقرر أن الورد اللازم للطريقة وحده كفيل بالتربية في الطريقة وليس فيها الخلوة واعتزال الخلق والمجاهدات وغير ذلك ثم جاء بعده القاضى الحاج احمد سكيرج العياشى وأيده وصرح هو الاخر بانقطاع التربية بالاصطلاح وقرر أن التربية في الطريقة التجانية إنما تكون بالهمة والحال لا بالاصطلاح المعروف عند السادة الصوفية القدامى

فجاء الشيخ ابراهيم انياس بعد هؤلاء كلهم ووقف على اوجه نظراتهم المختلفة واضطربت أقواله في امر التربية بالطريقة التجانية كما أشرنا إلى ذلك آنفاً ، والذى يفهم من اقواله في مقدمة كتاب كاشف الالباس وكلامه في مقدمة ذيله أنه يوءيد ابن عجيبة في الفتوحات الآلهية شرح المباحث الاصلية والشيخ المختار الكنتى في كتابه جنة المريد في أن التربية بالاصطلاح لا تزال قائمة إلى ان يرث الارض ربها . وكان

---

١ – الشيخ ابراهيم إنياس : كاشف الإلباس ٨٤

مفاد كلامه ان زروق وشيخه إما إنهما لا يريد ان بكلامهما ظاهره واما انهما مخطآن (١) ثم عقد فصلا في الكتاب نفسه حيث ايد فيه رأى السيد العربى ابن السائح المصرح بأن التربية في الطريقة التجانية كانت خالية من كل صفات التربية القديمة المصطلحة ، القائمة على اساس المجاهدات والرياضيات والخلوات واعتزال الخلق وهلم جرا وإنما هي قائمة على اسس ثلاثة وهى إقامة الصلوات الخمس ومداومة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وملازمة الورد التجــانى ثم كرر ذلك في كتاب السر الاكبر (٢)

ولعل الشيخين ابن عجيبة والمختار الكنتى كانا لبعد عصرهما عن عصر التربية بالاصطلاح والدراسة اندراسا يكاد يكون تاما لا يدركان حقيقته وذهبا جراء ذلك يظنان أن المراد بالاصطلاح هو هذه الالفاظ الصوفية المصطلحة مثل المقامــات والاحوال ومثل القبض والبسط والهيبة والانس والتواجد والوجد والجمع والفرق والفناء والبقاء والغيبة والحضور والصحو والسكر والذوق والشرب والمحور والاثبات والستر والتجلى والمحاضرة والمكاشفة والمشاهدة والمعاينة وهلم جرا كما يدل عليه مضمون رد ابن عجيبة لتصريح زروق بانقطاع التربية بالاصطلاح ، بــل إن القارىء ربما يتعجب إذا رأى كيف اساء الأول فهم عبارة الثانى مع وضوحها وخلوها من التعقيد والغموض حتى على غير الصوفي سيما شيخ جليل من الشيوخ المتصوفين مثل ابن عجيبة ، وإلا فإن الشيخ زروق لا ينكر – فيما نقل عنه ابن عجيبة ، نفسه وجود التربية الحرة المطلقة ، ولا استمرارها إلى ما شاء الله ، كما أنه لا ينكر وصول السالك أيا كان الى الحضرة القدسية أو حضرة الطمس والعمى كما كانوا احيانا يقولون وإنما ينكر وجود هذه التربية بالاصطلاح الذي كان يعرفه ربما اكثر من كل من انكر عليه . (٣) بل ربما كان إنكار الشيخين لرأي زروق في انقطاع التربية بالاصطلاح ليس مبنيا على أساس جهلهما بحقيقة الاصطلاح الذي يهدف اليه وإنما كانا مدفوعين إلى الإنكار بضرورة أن تأييدهما لرأيه قد يفضي إلى هدم شخصيتهما ، كشيخى تربية

---

١ – الشيخ ابراهيم إنياس : نفس المصدر ٤
٢ – الشيخ ابراهيم إنياس : نفس المصدر ٥٨
٣ – الشيخ احمد بن عجيبة : الفتوحات الإلهية بحاشية ايقاظ الهمم ١٢٦ .

إن ربما يسيء المريدون فهم المراد بانقطاع التربية الاصطلاحيــة ويذهبون إلى ان التربية قد انقطعت انقطاعا يكاد يكون كلياً ، حيث لا يكو ن لها وجود البتــة ، وبالتالى لا وجود للشيخ الذي يقوم بها ، سيا أن زروق قد أكد كلامه بما يوهم ذلك حيث أخذ بلحيته وقال لا شيخ بعد هذه اللحية يريد نفسه (١)

ولا غرو اذن والحال هذه أن يميل الشيخ ابراهيم انياس إلى رأي الكنتى وابن عجيبة لأنه كان مدفوعا إلى ذلك بمثل دافعهما إذ أنه لو لم يوءيــد هما لوجب عليه أن يترك التربية للورد اللازم للطريقة التجانية ويصير موجها أو ممتحنا بحكم مقدميته في الطريقة فحسب ، هذا على رأى السيد العربى ابن السائح (٢) ولا يستحق حتى لقب الشيخ فضلا عن قطب أو غوث على مقتضى رأى القاضى سكيرج العياشى لان التربية في الطريقة التجانية كما يصورها تقوم بهمة الشيخ التجانى وحاله في حيــاته وبعد مماته ، بل إن الشيخ التجانى لا يموت في عقيدة القاضى سكيرج فجميع المقدمين في الطريقة يعتبرون وسائط ليس الا ، ولذلك لا تلقن الطريقة منذ البداية الابقصد التربية الخاصة بالورد اللازم لاغير (٢)

والشيخ ابراهيم طبعا لا يسلم لجميع الآراء وهو يهدف إلى كل مقام يتمتع به جميع المنتهين في الطريقة الصوفية بما فيهم الشيخ التجانى نفسه،لأنهبريء حسب ما تقدم أنفا في رأيه في التربية أن مقامه هذا جاء من الله تعالى والنبى عليه الصلاةوالسلام لان الله تعالى كان يرسل الانبياء بالتربية،ولما بعث خاتم الرسل والانبياء صار يرسل الأولياء العارفين، وروى لنا حديثاً بشر فيه الأرض بإتيان هؤلاء الأولياء واستمرار مجيئهم وبقائهم عليها الى الابد الآباد وهو يعتقد انه منهم(٣)

وقد تلقى أصحابه وتلاميذه ذلك منه بكل ايمان وبكل اخلاص ونقلوه جراء كل مقام احتله كل امام متصوف حتى مقام الختمية التي تخص – في نظر التجانيين الشيخ التجانى وحده كما قدمنا في الفقرات السابقة .

---

١ – القاضي سكيرج العياشي : تنبيه الإخوان ٣٨ ٢ – القاضي سكيرج : تنبيه الأخوان ١٦٦
٣ – الشيخ ابراهيم إنياس : كاشف الإ لباس ٨٥

ويبدو أن الشيخ ابراهيم قد فهم هو الآخر الاصطلاح هو هـذه الالفاظ الاصطلاحية كما فهمه ابن عجيبة فقرر أن المريد التجانى السالك في التربية يقطع مقامات ثلاثة ، وكل واحد منها يقع دون ثلاث مراحل لا بدله من قطعها أيضا قبل الوصول إليه، ونفسه في غضون ذلك تتطور حسب تنقلاتها من مقام إلى آخر ، ومن مرحلة إلى أخرى ، فتصير أمارة بالسوء ، ثم لوامة ، ثم ملهمة ، ثم مطمئنـة ، ثم راضية ، ثم مرضية ، ثم كاملة ، وان المريد لا يحتاج في حال قطعها إلى كثرة المجاهدات النفسية ، وإنما يكفيه فقط أن يكون صادقا ، وهذا الصدق كما يصوره عبـارة عن أعتقاد المريد أن الورد اللازم للطريقة هو اكبر الاسرار ، كما يجزم بأن الشيخ التجانى هو عين السر فإذا حصل له هذا النوع من الصدق يقطع المقامات في اسرع وقت ممكن حسب صدقه هذا (١)

ولكن الشيء الذي يدعو إلى العجب والذي لا يسعنا إغفاله هنا وهو أن الشيخ ابراهيم قد صرح بأن الوارد هو الذي انبأه بهذه المقامات والمنازل التي رتبها في كتابه السر الاكبر كأنه يريد بهذا أنه لم يسمعه من أحد ، ولم ينقله من كتاب احد ، مع انها ليست أمراً جديداً مبتكرا ، وكتب المشائخ الصوفية طافحة بذكرها وتفصيل الكلام عليها ، كما أننا لا نبعد أن يكون قد نقلها من كتاب ميراب الرحمة للسيد عبيـدة الشنجيطى ، ومهما يكن من شيء فإن هذا الكلام يدل على الامور التالية : —

اولا — على صدق ما قررنا في الفقرات السابقة من ان الشيخ التجانى لم يضع نظاماً مضبوطا خاصاً بالتربية في طريقته ، فكان من أجل هذا يلزم كل من يأنس في نفسه بقوة السمو الى مرتبة شيخ التربية من شيوخ التجانية أن يخترع لنفسه منهاجه ينهجه في تربية مريديون ثم لا حرج بعد ذلك أن ينسبه إلى التجانية ما دام هو نفسه ينتمى اليها

ثانيا — إن ورد اللازم للطريقة التجانية وحده لا يكفي في تربية المريدين التجانيين بل لا بد من إضافة بعض الاذكار الية وانتهاج طريقة خاصة لذلك مع استخدام بعض

---

١ — الشيخ ابراهيم إنياس : السر الأكبر الورقة الرابعة .

الوسائل التي من شأنها أن تساعد في الوصول الى الغوض المقصود .

ثالثا – إن نظام التربية التي رسمها الشيخ ابراهيم انياس في كتاب السر الاكبر وكاشف الالباس تعتبر طريقته الخاصة به وان كانت ملفقة من عدة مصادر لأنها تمثل حقيقة مذهبه في التربية دون اى مذهب من المذاهب التجانية وغيرها، ذلك لأن التجانيين – كما تقدم – انقسموا تجاه التربية في الطريقة التجانية الى قسمين قسم ينكر وجودها في الطريقة بتاتا وقسم ينكر إنكارها وجودها ويذهب الى انها موجودة إلا أنها كانت تجر ي في الخفاء تحت ستار كثيف بحيث لا يستطيع أن يطلع عليها من ليس من أهلها .

رابعاً – إن الشيخ إبراهيم كان يعتبر نفسه شيخاً مستقلاً في آرائه ومذاهبه ولعل هذا هو مراده بأنه استلهم هذه الطريقة التربوية – التي نظمها – من الوارد بل ربما إلى ذلك يهدف بقوله في وصف الفصل الرابع من كتاب السر الأكبر ولم أسلك فيه مسلك المصنفين من جلب كلام المحققين لأنه ليس موضوعاً للمنتقدين بل إنما هو للمحقين المحققين المعتقدين ولا أقرر فيه إلا ما حدثني به قلبي عن سري عن ربه تعالى بارتفاع الوسائط .

وهناك أيضاً حقيقة واحدة لا يسعنا إغفالها في هذا الصدد وهي أن الشيخ ابراهيم إنياس لم يتصدر للأخذ بيد المريدين للتربية والإرشاد إلا بعد صدور الإذن إليه من شيخه ومربيه الحاج عبدالله بن الحاج العلوي المورتاني ، وقد جاءت هذه العبارة في صلب الإجازة « فقد أمرني شيخي ووالدي ومرشدي الحاج عبدالله بن الحاج أن أكتب لابراهيم ابن الحاج عبدالله أنه أذن له في إرشاد الخلق وتربيتهم بالقول والعمل ثم ختمها بقوله وكتب شاهداً على جميع ذلك محمد عبد الرحمن ابن الحاج عبدالله ابن الحاج عام ١٣٤٥ ». ٥٢ أي كان ذلك والشيخ ابراهيم في الخامس والعشرين من عمره .

الشيخ عمر بن سعيد الفوتي وقال في معرض إجابته عن سؤال وجهه اليه الشيخ أحمد ابن محمد العلوي : وأما الفيضة فأرجو من الله اليكم أن يكون المراد بها أنا العبد الفقير والامام الفاطمي رضي الله عنه ، وادعاها لنفسه أيضاً الشيخ محمد الحافظ بن خير العلوي ، وقال في نظم له مشيراً إلى بعض أوصاف صاحبها :

هب أنني أنا الـذي قد ظهـرا ... من الألى أمْرهم قد اشتهـرا
وصاحب الفيضـة آخر الزمان ... وفائق الرجـال في علم القـرآن
وأفـردني في الثلاثـين سنـة ... وأيقظ القلوب بي مـن السنـة

وأدعاها لنفسه كذلك الشيخ الحاج عبدالله بن الحاج العلوي قال إنه كوشف له عن الفيضة ورآها لنفسه وصار يطلبها في كل من وجد من التلاميذ ، ولما علم بقرب وفاته ولم تقع ، علم أنها تبقى في تلامذته فصار يكثر التقديم حرصاً على التوسط فيها وذلك سبب جولانه » (١) .

وعلق الشيخ إبراهيم في كاشف الالباس على أجوبة الشيخ الفوتي قائلاً : «ووقفت على زيادات السيد العربي بن السائح على أجوبة الشيخ عمر حيث قال : « فقد رأينا أصحاب الشيخ الكبار الذين أدركناهم يختلفون فيها هل وقعت أم لا ؟ وكان بعض من مال إلى أنها وقعت ، يقول : هي التي وقعت ببلاد شنجيط على يد الشيخ محمد الحافظ ، وكان الآخرون يقولون إنها لم تقع لأن الشيخ قال : يدخل الناس في طريقتنا أفواجاً ولم يخص بلداً ولا إقليماً بذلك ، والكل متفقون على أنه كان يستبعد زمنها والذي نتعقله فيما بلغنا عن الشيخ أنها إلى الآن لم تقع وإنما يكون وقوعها عند ظهور المنتظر حيث تصير الطرق طريقاً واحداً » (٢).

هذا هو حال الفيضة التجانية قبل الشيخ ابراهيم ، وهذه أوجه نظر شيوخ الطريقة التجانية تجاهها ، ولما جاء الشيخ ابراهيم ادعى أنه هو صاحب هذه الفيضة الحقيقي ، وأن كل من ادعاها قبله فإنما ادعاها مجازاً فقط ، وألف لأجل ذلك كتابه المذكور آنفاً وقال كما سبق : « قال لي الشيخ الهمام والعارف الإمام السيد عبد الله بن الحاج

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٤٠
٢ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٤٠

العلوي : « تأتي الفيضة على يدك حقيقة لا مجازاً ، وعلى يد غيرك من كل من يدعيها مجازاً ، وترى من الحسد ما لم يره أحد قبلك ، وقال لي : أنت كبير الطريقة التجانية في زمنك ، وأشياء كل قلمي عن كتبها حياء ، وهو كلامه يبرز من حسن ظنه بربه وبعباده ، وإلا فما أنا إلا عبد جان متلطخ بالجرائم والاوزار » (١). ثم استمر يعدد أسماء مشايخ التجانية الموريتانيين المعاصرين له الذين اعترفوا له بتسلم هذا المقام الرفيع ، وقطعوا له بظهور الفيضة على يده ، وقال : « وممن جزم بوقوع الفيضة التي ذكرها الشيخ العارف بالله السيد محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الملقب ببد حسان الطريق ، ومنهم السيد الأجل محمد عبد الرحمن بن الحاج العلوي المتقدم الذكر ، ومنهم الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ ، وأما الشيخان الأكبران الشيخ محمد سعيد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد حافظ والشيخ محمد الأمين بن أحمد بن محمد حسان الطريق ، فما صرح كتصريح هؤلاء ولكنهما أقرانا على ما نحن عليه وحمدا الله على ما بلغهما وأمد بالدعاء وبكل مدد متعنا الله بهما » (٢) .

ولما تم له ذلك التفت نحو الذين أنكروا عليه أن يكون هو صاحب هذه الفيضة فأنحى عليهم باللائمة وقال : « هؤلاء هم مشايخ الاسلام ورجال طريقنا فمن عداهم عيال لهم وكلهم أقروا بوقوع الفيضة على يد العبد الجاني جامع هذا المجموع المبارك التجاني فأنشد لسان حالي :

ما كنت أهـلا وهم رأونـي لذاك أهـلا فصرت أهـلا

ثم استمر يقول : «وهؤلاء الذين وقعت فيهم هذه الفيضة شغلهم دائماً الله ورسوله والشيخ التجاني استغرقهم الشيخ استغراقاً كلياً ، فلا يفعلون إلا له وبه ، وهم القائمون بتعمير زواياه بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار ، بالذكر والصلاة على قدوتهم العظمى ، ووسيلتهم الأسمى ، وتتبع سنته وأخلاقه وآثاره وآدابه ، قد عيرهم أهل الغفلة الذين لم يرفعوا الشأن الامام رأساً وليس لهم من التجانية إلا مجرد الأخذ بأنهم ليسوا بالتجانيين فاستغربت ضحكاً وقلت كما قال الشاعر المعري :

إذا عـير الطائي بالبخل ما در وعير قسا بالفهاهـة باقـل

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٤٣ .
٢ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٤٤

وقال السها للشمس أنــت صغــيرة وقال الدجى للبدر ضوءك آفل
فيا موت زران الحيـــاة ذميـمـــة ويانفس جدي إن دهرك هازل

ثم جلب آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأرغمها على تأييد وجهة نظره في المسألة وقال : « وأما الدليل من الكتاب فقد قال تعالى « ما نَنْسَخْ مِن آية أو نُنْسها نأت بخير مِنْها أو مِثْلها » (١) وقال تعالى « فَسَوْفَ يأتي الله بقَوم يُحِبّهُمْ ويحبّونه »(٢) وقال : « فَقَدْ وكَلْنا بها قَوْماً لَيْسُوا بها بكافرين » (٣) وقال : « وآخرين منهم لمّا يَلْحَقُوا بهمْ وقال : « إذا جاء نَصْرُ الله والفَتْحُ » (٤). وقال : « ويَخْلُق ما لا تَعْلَمُون » (٥) ثم أعقب ذلك بقوله فهنا إشارات لمن نور الله بصبرته تؤيد ما تقدم وإليك استخراجه وسلم تسلم ».

ثم طفق يأتي بالأحاديث قائلاً : وأما السنة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيأتي زمان للعامل فيه أجر خمسين قالوا يارسول الله منا أو منهم ؟ قال : « بل منكم » (٦) وقال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى أن يأتي أمر الله » (٧) وعن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » . وقال : « أمتي كالمطر لا يدري الخير في أوله أم آخره » (٨). وقال : « خير أمتي أولها وآخرها وفي الوسط الكدر » (٩) وقال والذي نفسي بيده ليدركن عيسى ابن مريم في امتي خلفاً من حوارييه . » (١٠) وغير ذلك من الأحاديث .

---

١ – البقرة ٢ : ١٠٦ ٢ – المائدة ٥ : ٥٤
٣ – الأنعام ٦ : ٨٩ ٤ – الجمعة ٦٢ : ٣ ٥ – النحل ١٦ : ٨
٦ – لم أجد لهذا الحديث مصدراً حسب بحثي .
٧ – البخاري وأحمد عن معاوية : كشف الخفاء ومزيل الالباس ٢/ ٥٢٩ .
٨ – الترمذي وأبو يعلى والدار قطني .
٩ – الطبراني بلفظ خيار أمتي أولها وآخر نهج أعوج ليسوا مني ولست منهم .
١٠ – لم أجد لهذا الحديث مصدراً من كتب الحديث .

والظاهر أنه لاحظ أن القارىء قد يستشعر بأن الآيات والآحاديث قد أرغمت على حمل معان لا يدل عليها ظاهر ألفاظها فبادر إلى استدراك ذلك ، ونبه القارىء عليه : « وإن لم تدرك يا أخي حقائق الآيات المستجلبة والأحاديث فلا يصدنك ذلك عن تلقيها بالقبول قال شيخنا أي التجاني كما في جواهر المعاني : « فعليك بالتصديق والتسليم لهذه الطائفة ولا تتوهم فيما يفسرون به الكتاب والسنة ، إن ذلك إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن لظاهر الآية أو الحديث مفهوم بحسب الناس وتفاوتهم في الفهم ، فمن المفهوم ما جلب له الآية أو الحديث ودلت عليه في عرف اللسان ، وثم أفهام آخر باطنة تفهم عند الآية أو الحديث لمن فتح الله عليه ، إذ قد ورد في الحديث النبوي أن لكل آية ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً إلى سبعة أبطن وإلى سبعين ..» (١) فافهم يا أخي ولا يصدنك عن تلقي هذه المعاني الغريبة عن فهوم العموم من هذه الطائفة الشريفة قول ذي جدل ومعارضة » (٢).

ثم تسلى في خاتمة مطاف كلامه في الموضوع بذكر طائفة كبيرة من المشايخ الصوفية الذين اجتازوا امتحان تحمل انكار المنكرين ونقد الناقدين واضطهاد المضطهدين وقال بعد أن نقل كلام أئمة التصوف : « إذا تحرر هذا وثبت فهمه في ذهنك فاعلم أن الرجل مبتلى على حسب دينه ، فلكل نبي وصدّيق عدو فقد كان لآدم إبليس ، ولداوود جالوت ، ولإبراهيم نمرود وهلم جرا (٣) .

ولكن يجدر بنا أن نرجع قليلا لنلقي نظرة ولو عابرة تلقاء ما يذهب إليه الشيخ في كاشف الإلباس من تفسير صاحب الإفادة للفيضة وإجابة الشيخ عمر الفوتي على شأنها وتعليق السيد العربي بن السائح على الإجابة الفوتية كي نستخرج من مضمون كل ذلك أموراً كانت على جانب من الأهمية تجاه هذا الموضوع ، إذ عليها تنبني أكثر المعاني التي تأتي في الفقرة التالية من هذا الباب .

---

١ – الشيخ ابراهيم إنياس : كاشف الالباس ٤١ .

٢ – بحثت في جواهر المعاني ولم أعثر على هذا الكلام وربما كان موجوداً في بعض الصفحات فزاغت عنه البصر ولكن الحديث موجود في الجزء الأول من كتاب احياء علوم الدين للغزالي في صفحة ٩٩ وكذلك أيضاً جاء في كتاب سر الأسرار للشيخ عبد القادر (٢٠).

٣ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٤٩ .

١ – إن معنى هذه الفيضة هو كثرة الفتح على اتباع الطريقة التجانية .

٢ – إن من علامات وقوعها دخول الناس في الطريقة التجانية أفواجاً في وسط شدة وضيق .

٣ – إن زمن وقوعها بعيد عن عصر الشيخ التجاني حسبما فهمه أكثر أتباعه من سياق كلامه .

٤ – إنها على رأي السيد العربي بن السائح لا تقع إلا عند ظهور المهدي .

٥ – إن صاحب الفيضة ليس شخصاً واحداً لإقرار الشيخ عمر الفوتي بها لنفسه وللإمام المهدي الفاطمي المنتظر (١).

---

١ – انتشرت بين المسلمين – بعد انحراف الحكم فيهم عن طريق العدل – فكرة ظهور المهدي المنتظر فظهرت أولا بين طائفة الشيعة من العلويين والعباسيين والعلويون يزعمونه منهم والعباسيون يزعمونه منهم حين آل الأمر إليهم ولهم فيه أحاديث مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد استوفى ابن خلدون في مقدمته الكلام عليها وأثبت فيها ضعف أسانيدها ولكنها مع هذا اشتهرت بين جمهور العامة حتى تناقلوا فيما بينهم أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة على أثره ثم ينزل عيسى عليه السلام من بعده فيقتل الدجال . وقيل إنه ينزل معه ويساعده على قتله ويأتم به في صلاته وذكروا أن اسمه يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم وأن اسم أبيه يوافق اسم أبيه (أنظر كتاب المجددون في الإسلام) وعلى أي حال فقد اهتم علماء القرن العاشر الهجري بأمر المهدي وألفوا في ذلك كتباً ومنهم الحافظ السخاوي في كتاب سماه (ارتقاء الغرف) ومنهم ابن حجر الهيثمي في كتاب سماه (القول المختصر في أحوال المهدي المنتظر) ومنهم الشريف نور الدين السمهودي في كتاب سماه (جواهر العقدين في فضل الشريفين) ومنهم السيوطي في كتاب سماه (العرو الوردي في أخبار المهدي) ومنهم الشعراني في كتاب (اليواقيت والجواهر) في بيان عقائد الأكابر (وأفرد الشريف البرزنجي له باباً واسعاً في كتاب) الإشاعة لأشراط الساعة » وكذلك الشربنجي في كتاب (نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار) ومن هؤلاء أخذ الشيخ عثمان بن فودين مواد كتبه في ظهور المهدي وأشراط الساعة .

هذا موجز تاريخ فكرة المهدي عند عامة المسلمين قبل الشيخ التجاني ولما جاء أخبر أتباعه بأن المهدي إذا جاء يأخذ عنهم بعد موته ويكون أخاً لهم في الطريقة انظر الباب الأول من هذا الكتاب=

٦ - إننا إذا جمعنا كلام الفوتي وابن السائح حسب ما جاء في كاشف الالباس نخرج بنتيجة أن المهدي المنتظر هو صاحب الفيضة الحقيقي وأن كل من ادعاها فإنما ادعاها مجازاً فقط .

٧ - إن شيوخ التجانية الذين سبقوا الشيخ ابراهيم والذين وصفهم بأصحاب الشيخ التجاني وخلفائه لا يعرفون حقيقة وقت وقوع هذه الفيضة ، ولا من تقع على يده ، بدليل اختلافهم في ذلك وانقسام آرائهم في أمرها إلى قسمين ، قسم يقول إنها وقعت ببلاد شنجيط على يد الشيخ محمد الحافظ ، وقسم يرى أنها لم تقع حتى الآن لأن الشيخ التجاني قال : يدخل الناس في طريقتنا أفواجاً ولم يخص بلداً ولا إقليماً بذلك .

٨ - إن بعض شيوخ الطريقة الذين سبقوا الشيخ ابراهيم ادعوا هذا المقام لأنفسهم فلم تثبت لهم .

٩ - إن الطرق الصوفية كلها تنسخ وتصير مندمجة في طريقة واحدة ، وهي الطريقة التجانية ، وبذلك تتم الفيضة التجانية .

١٠ - إن دعوى الشيخ ابراهيم نفسه لمقام صاحب الفيضة التجـانية مشكوك فيها لأنه لم يستند فيها على نص صريح من الشيخ التجانى ، وإنما اعتمد فيها على ما اخبره به شيخه الحاج عبدالله بن الحاج العلوي وهو واحد من هؤلاء الشيوخ الذين ادعوا مقام الفيضة لأنفسهم ، فلم تثبت لهم على راى الشيخ إبراهيم ثم انه لم يقدم لنا حجة نعتمد عليها في ترجيح كلام شيخه على كلام أولئك الشيوخ الذين سبقوه .

يبدو ان الشيخ ابراهيم كان منتبها لهذه الأمور ويدرك أنها قد تقف كحجر عثرة

= صفحة ٢٤ ولما جاء الشيخ ابراهيم إنياس أشار أولا بما يفيد أنه المهدي نفسه ثم عدل عن ذلك وصرح بأنه هو شيخ الإمام المهدي ومرشده إذا ظهر انظر صفحة ٨٨ من هذا الكتاب أيضاً ولكنه للأسف مات قبل أن يحين الوقت الذي حدده لخروج المهدي في كتابه كاشف الا لباس انظر مقدمة كاشف الإ لباس صفحة ١٠ طبع دار البيضاء .

امام دعواه بمقام صاحب الفيضة وتشكل اعتراضاً لأدلته في تلك الدعوى، وهذا طبعاً من شأنه أن يضعضع مركزه ويجعله في تناقض ظاهر ، ولذلك اندفع يجيب عن كل نقطة الواحدة تلو الاخرى، كل ذلك بلباقة فائقة، تكاد لا تشعر بأنه يجيب عنها إذ جاء بها عرضاً في ضمن أدلته وأحيانا في معرض تقريره لمسألة أخرى ، واليك تفصيل ذلك .

إذا نظرنا إلى تفسير السيد الطيب السفياني للفيضة التي رواها عن الشيخ التجاني ندرك كما سيأتي أنها مجموع أمرين هما حصول الفتح على عدد كثير من أصحاب الشيخ التجاني الذين عاشروه وعاشوا معه ، ودخول الناس افواجا في الطريقة التجانية على ايديهم ، أي إن المراد بهذا الفتح هو كثرة دخول الناس في الطريقة التجانية على ايديهم وبذلك تتم الفيضة .

فهذا طبعا لا يوءيد الشيخ ابراهيم في دعواه أنه هو صاحب هـذه الفيضة الذي تظهر على يديه ، ولذلك حرف عبارة السفياني وجعل معناه أن يكثر الفتح على اتباع الطريقة التجانية في آخر الزمان ، وهو يريد بالفتح هنا التربية والوصول فيها عكس معناه عند السفياني (١) ثم ثنى بقوله : « وقد شوهد في هذا الزمن من الضيق والشدة ما لم يشاهده كثير من الكبار الذين ادركناهم، والذي وقع من الفتح كثرة في أصحاب الشيخ والمعرفة بالله والاستغراق في الله برفض كل ما سواه ما وقع في طريقتنا قط فيما أعلم منذ بروزها إلى يومنا هذا، وذلك فضل الله يوءتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم(١) .

وأما عن كون علامة وقوع الفيضة أن يدخل الناس في الطريقة التجانية أفواجاً فأجاب عن ذلك بكل سهولة وقال : « قد دخل الناس في الطريقة افواجا .» (٢)

وأما عن احتمال أن يكون زمن وقوع هذه الفيضة بعيداً من عصر الشيخ التجاني فقد أعتبر أن عصره هذا زمن وقوعها المشار إليه وقال : « والحكمة في ظهور هذه الفيضة في هذا الزمان الفاسد ضعف الايمان في قلوب الناس ، وكثرة الفرق الضالة والمضلة ، وهذه الأمة أمة مرحومة فأفيضت اليهم المعارف والحقائق ، كي يرجعوا

---

١ - انظر كاشف الالباس ٣٩ ثم انظر الافادة الأحمدية ٤٦ ٢ - انظر كاشف الالباس ٣٩

لأصل فطرة الايمان فافهم . (٣)

وأما عن النقطة الرابعة والخامسة والسادسة فأجاب عنها بإجابة واحدة توهم, اولا كما اشرنا إليه في الباب الثانى من هذا البحث – أنه هو الامام المهدي نفسه الذي يرفع به هذا الجور العظيم الذي خيم على العالم بأسره بسبب انتشار حضارة الأوربين وأنه هو الذي يبطل أمرهم ابطالا تاما حتى يعيد الى العالم العدل والهدوء والرشاد ، وهكذا ثم رفض هذا الرأى وتبنى رأياً آخر أشد من الاول صرامة ، حيث صرح بأنه هو شيخ الإمام المهدي ومرشده بحيث لا يتصرف الإمام المهدي إلا في حدود إذنه وحير رضاه ، (٤) هذا كله بعد أن حدد وقت ظهور المهدي وعيسى عليه السلام تحديدا دقيقا (٥) .

والشيخ ابراهيم بهذا طبعا يشير إلى انه هو صاحب الفيضة أولا وأخير وأن أمره سوف يستمر الى الظهور المهدي ونزول عيسى وأنه هو المحور الذي تدور عليه جميع أمورهما وبذلك تتم فيضته .

ثم جاء الى النقطة السابعة التي تقترح أن اصحاب الشيخ التجانى أى شيوخ طريقته لا يعرفون حقيقة وقت وقوع هذه الفيضة ولا من تقع على يده ، وأثبت ذلك وقال كما تقدم : « وهذه الفيضة التي ذكرها شيخنا قد تكلم أصحابه وخلفاوءه وورثة أسراره بعده عليها وكثير منهم ادعاها لنفسه فوقع في كلامهم اضطراب . (١)
وهذا بعينه هو الجواب عن النقطة الثامنة .

وأما عن النقطة التاسعة فيقول : « ولعل معنى نسخ الطرق هو عدم وجود من يقوم بالتربية فيها . » (٢)

وأما عن النقطة العاشرة والاخيرة فلم يكتف بما اخبره به شيخه فحسب بل أورد أسماء جماعة من المشايخ العرب الموريتانيين الذين أقروه على دعواه واعترفوا له بوقوع هذه الفيضة على يده ، ثم دعم ذلك بما جلبه من أشعارهم في مدحه هو وفيضته ثم سلى

١ – انظر كاشف الالباس ٤١ ٢ – انظر مجموع الدواوين ١٢٩ ٣ – مقدمة كاشف الإلباس ١٠ .
٤ – انظر كاشف الالباس ٤٠ ٥ – انظر كاشف الالباس ٤٠

نفسه اخيراً عن ما يجده من مرارة انكار المنكرين عليه بذكر طائفة كبيرة من المشايخ الصوفية الذين اجتازوا امتحان تحمل انكار المنكرين ونقد الناقدين واضطهاد المضطهدين وهلم جرا(١)

هذا وقد جاء في قصيدة الياقولة الفريدة في المناقب الطريقة التجانية ، للشيخ محمد بن فتحا بن عبد الواحد السوسى النظيفي ما يوءيد ظاهره الشيخ إبراهيم في دعواه إذ يقول فيها

تدوم وتبقى مع دهور طويلة ... وفي آخر الزمان يأتى بفيضة

فيدخلها الورى أفاويج رغبة ... لما شاهدوه من لوائح وصلة

تعود اليها فيه كل الوسائل ... كما ملل غدت إلى الحنفية

(فيأخذها المهدي عند ظهوره) (لدى من له الإذن الصحيح بطيبة) (٢)

ولكنه قبل هذه الابيات التي تشير بكل جلاء إلى ان الفيضة التجانية سوف تأتي في آخر الزمان وان الامام المهدي يكون من رجالها — قال البيت التالي في نص القصيدة المجرد عن الشرح

(وأسأل ربى أن يمن بفضله) ... (وفضل ورسوله علي بفيضة)

ولكن هذا البيت لم يرد في الشرح بل جاء بدله بيت آخر يضارعه في المعنى وهو كالآتى

(عسى الله أن يفيض أحسن فيضة) ... (على به من ابحر لدنية) (٣)

والظاهر أن الموءلف عدل الفاظ هذا البيت الأخير بعد فراغه من الشرح وأدخله في نص القصيدة وأنت تلمح فرقا بسيطا في معنى البيتين إذ أنه في البيت الأول يسأل الله أن يتفضل عليه بوجود الفيضة ، بينما يرجو ويتمنى من الله تعالى في البيت الثانى أن يفيض عليه احسن فيضة من بحار فضائله اللدينة ، وفرق بين إعطاء الفيضة

---

١ — انظر كاشف الالباس ٤٩ . ٢ — الشيخ محمد فتحا النظيفي : قصيدة ياقوتة الفريدة ٩

٣ — الشيخ محمد فتحا النظيفي : الدرة الخريدة ١/ ٣٤ .

وبين إفاضتها إذ يستطيع أن يتصرف فيها بالمعنى الأول ولا يستطيع ذلك بالمعنى الثانى ، وهل نفهم من ذلك أن الشيخ النظيفي عندما يوءلف الشرح كان يتمنى أن تغمره هذه الفيضة إذا ظهرت في آخر الزمان ويكون من رجالها أى من اصحاب صاحبها فضمن ذلك البيت هذا المعنى ؟ ثم قوى ظنه بعد الفراع من الشرح حتى رجا ان يكون هو صاحبها الذي تظهر على يده فعدل من جراء ذلك الفاظ البيت وصاغه في قالبه الحالي ثم ادخله في نص القصيدة وهذا لاشك سؤال ليس من الميسور الاجابة عنه في هذه الآونة حتى نقف على كتابات النظيفي كلها .

ومع هذا كله فإن النظيفي لم يصرح فيشرح هذه الابياتبشيء يشير الىأن هذه الفيضة تختص برجل واحد عند ظهورهاأى لا يفهممن مضمون كلامه أن هذهالفيضة تظهر على يد رجل واحد من رجال التجانية وحتى الإمام المهدي إنما يفمهم أن من تمام الفيضة أن يأخذ الطريقة التجانية عند ظهوره فقط وقد استدل هو الآخر على ظهور هذه الفيضة بما رواه السيد السفيانى في الافادة الأحمدية عن الشيخ التجانى من قوله : « تأتي فيضة على أصحابي الخ . » كما استدل بها الشيخ ابراهيم أيضا ولكن يجب عليها أن لايقيدا ظهور هذه الفيضة بأخر الزمان الا إذا كان لهما مصدر ظاهر ومرجع واضح يعتمد عليه غير هذه الرواية واما تصريحها بأن هذه الفيضة تأتى في آخر الزمان معتمدين على هذه فنوع من المجازفات لأن مضمون الرواية لا يدل على ان الفيضة المذكورة فيها تتعدى عصر اصحاب الشيخ التجانى الذين عاصروه وعاشروه .

ولكن ربما كان الشيخ النظيفي ينظر هوالآخر الى هذه القضة بتلك العين التي ينظربها اليها الشيخ ابراهيم أى إنه يرى أن الفتح ضتى أيامه لما يكثر على التجانيين بشكل يجدر أن يوصف بالفيضة التي يهدف إليها الشيخ التجانى ، وقد سبق أن نقلنا عن الشيخ ابراهيم قوله : « والذي وقع من كثرة الفتح على اصحاب الشيخ أى اتباع طريقته والمعرفة بالله والاستغراق في الله برفض كل ما سواه ، ما وقع مثله في طريقتنا قط فيا أعلم منذ بروزها الى يومنا هذا (١)

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٤٠

على أن رواية السيد الطيب السفياني في كتابه الافادة الأحمدية جاءت واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض قال : «[الشيخ التجاني] تأتي فيضة على أصحابى حتى يدخل الناس في طريقنا أفواجا تأتى هذه الفيضة والناس في غاية ما يكونون عليه من الضيق والشدة .» ثم فسر ذلك بقوله : «وكان يعني بهذه الفيضة انه يفتح على عدد كثير من اصحابه وكان لا يستبعد زمنها .» (١)

ولكن للأسف مع هذا الوضوح الذي تتمتع به عبارة السيد السفيانى خالفه الشيخ ابراهيم والنظيفي حيث ذهبا الى ان هذه الفيضة تأتي في أخر الزمان ، نعم ان رواية النظيفي في الدرة الخريدة لا تختلف عن رواية السفيانى في الافادة الا انه أى النظيفى أغفل تفسير السيد السفيانى لنص كلام الشيخ التجانى الذي يفيد أن هذه الفيضة تأتي في زمان أصحابه الذين عاشوا معه ولكن رواية ابراهيم في كاشف الالباس قد حرفت تفسير السفيانى في الافادة تحريفاً تاما حيث وجهت معناه صوب ما يرمي الشيخ ابراهيم الى تحقيقه عن نفسه فحسب ، ويظهر ذلك جليا بالموازنة بين العبارتين جاءت عبارة السيد السفيانى في تفسيره لكلمة الفيضة التي وردت في كلام الشيخ التجانى على الوضع التالي :

وكان يعنى بالفيضة أنه يفتح على عدد كثير من أصحابه وكان لا يستبعد زمنها .» (٢)

وجاءت عبارة الشيخ ابراهيم في كاشف الالباس على النحو الأتي «وقال صاحب الإفادة : «وكان يعنى بالفيضة أن يكثر الفتح عن أصحابه وكان يستبعد زمنها .» (٣)

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الإلباس ٣٩ .

٢ – السيد الطيب السفياني : الافادة الأحمدية ٤٦ ٣ – الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٣٩.

هيا لنضع العبارتين في جدول تسهيلا للموازنة

عبارة الافادةالاحمدية	وكان يعنى	بهذه الفيضة	انه يفتح	على عددكثير
عبارة كاشف الالباس	وكان يعنى	بالفيضة	أنيكثرالفتح	

عبارة الافادةالأحمدية	من اصحاب رضي الله عنه	وكان لا	يستبعد زمنها
عبارة كاشف الالباس	عن أصحابه	وكان	يستبعد زمنها

واذا نظرنا إلى عبارة السيد الطيب السفيائى نرى أن معنى كلمة الفيضة عنده هو مجموع أمرين هما حصول الفتح على عدد كثير من اصحابه الشيخ التجاني الذين عاشروه وعاشوا معه ، ودخول الناس أفواجا في الطريقة التجانية على أيديهم أي إن المراد بالفتح عنده هو كثرة دخو ل الناس في الطريقة التجانية على ايدي اصحاب الشيخ التجانى وبذلك تتم الفيضة ، ومعنى ذلك كله هو ان الفيضة هى أن يدخل الناس في الطريقة التجانى وبذلك تتم الفيضة، ومعنى ذلك كله هو ان الفيضة هى ان يدخل الناس في الطريقة التجانية أفواجاً ، والفتح أن يكون ذلك على ايدي اصحاب الشيخ التجانى الذين عاشوا معه .

وأما معنى الفيضة في عبارة الشيخ ابراهيم فهو بكل سهولة أن يكثر الفتح على اتباع الطريقة التجانية في آخر الزمان لأنه زمان فاسد ضعف فيه الايمان في قلوب الناس، وكثرت فيه الفرق الضالة والمضلة ، والامة التجانية مرحومة فأفيضت من اجل ذلك عليها المعارف والحقائق كي ترجع الى اصل الفطر (١) وهو إذن يريد بالفتح كثرة التربية والوصول فيها خلاف معناه عند السفيانى

وهناك شواهد توءكد صحة الرواية التي جاءت في كتاب الافادة الاضمدية .

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٤١ ٢ – الشيخ ابراهيم انياس : نفس المصدر ٣٩ .

منها ان الشيخ ابراهيم نفسه قد أقر بأنه نقل تفسيره الذي اورده في كاشف الإلباس من كتاب الإفادة الاحمدية حيث قال « قال صاحب الافادة : (٢) ثم إننا لننفي ريب احتمال أن يكون التحريف إنما دخل في النسخة التي طبع منها الافادة فيمكن ان تكون النسخة التي في يد الشيخ ابراهيم هى الصحيحة قارنا بين ما جاء في نص الافادة الاحمدية مع ما جاء في كشف الحجاب للقاضي سكيرج العياشي — فوجدنا نسخة القاضي سكيرج توافق النسخة المطبوعة من كتاب الافادة الاحمدية التي في ايدينا بينما تخالف رواية الشيخ إبراهيم في كاشف الالباس ، ولايمكن أيضا احتمال ان يكون أنه أخطأ في النقل بمعنى انه لم يتعمد تحريف تفسير السفياني لكلمة الفيضة لأنه قال صراحة والكل متفقون على انه اي الشيخ التجانى كان يستبعد زمنها اي الفيضة (١) فهذا التصريح يدل بوضوح على ان هذا التحريف صدر عن وعي منه وإلا فما معنى الإتفاق عنده إذن ؟ أو من هم هوءلاء الذين اتفقوا كلهم على ان الشيخ التجانى كان يستبعد زمن هذه الفيضة بعد ان اتفق السيد السفياني راوي العبارة عن الشيخ التجانى والشيخ سكيرج أشهر كتاب التجانية المدافع عنها ، على ان الشيخ التجانى كان لا يستبعد زمنها ؟

ومنها ما روي عن الشيخ التجانى من انه قال : « اذا فتح الله على أصحابى فالذي يجلس منهم في البلد الذي أنا فيه يخاف على نفسه من الهلاك. » قال لهم ذلك يوم الاحد ثم قال يوم الاثنين : الخوف المذكور هو لمن أذن له من أصحابى في التصرف والتربية للخلق وأما غيره فلا خوف عليه جانبي . » (٢)

وكان السيد العربى بن السائح يرى أن ذلك هو سبب تفرق أصحاب الشيخ التجانى الكبار وارتحالهم عن حضرته مثل السيد على حرازم والسيد محمد بن المشرى وقال بعد ذكر قضيتها : « وسافر عن الشيخ ممن كان حريصا على مجاورته والمقام لديه رجال آخرون يغلب على أنهم انما سافروا عنهم اى الشيخ التجانى من اجل ما ذكر .

وهذا من دون ريب من أسباب انتشار الطريقة التجانية وكثرة دخول الناس فيها

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٣٩ ٢ – الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الإلباس ١٧٢

أفواجا انظر كيف انتشرت الطريقة على يد صاحب الشيخ التجاني السيد محمد الغالي خاصة في افريقيا الغربية بواسطة مريده الشيخ عمر بن سعيد الفوتي بدرجة انه استطاع ان يؤسس أول حكومة تجانية في افريقيا جنوب الصحراء الكبرى لعل ذلك هو السبب عدم تردده في غدو مقام الفيضة لنفسه عندما سأله احمد بن محمد العلوي عنها هذا ان صح ما قاله كاشف الالباس .(١) » وقد لاحظ كل هذا القاضي سكيرج العياشي فقال في ترجمة السيد محمد محمد الغالي في كشف الحجاب : « فهو احد اركان طريقتنا وممن انتشرت على ايديهم بالمغرب والمشرق . » (٢)

ومنها ما روي عن الشيخ اليتجاني ايضا أنه قال : « إن طائفة من اصحابه لو اجتمع أقطاب الأمة المحمدية كلهم ما وزنوا شعرة مما اختص به الواحد منهم من المقامات الرفيعة والاحوال السامية وروى عنه كذلك أن عدد هؤلاء الطائفة تزيد على الستمائة وجاء عنه ايضا من طريق آخر أن عدد هم ستمائة من الانس وثلاثمائة من ا لجن (٣)

وهذا وبإمكاننا أن نذهب حسب ما وقفنا عليه في امهات الكتب التجانية التي وصلت -حتى الان- إلى ايدينا إلى ما روى هذه العبارة من اصحاب الشيخ التجاني أحد غير السيد الطيب السفياني وان كتاب الافادة هو منبعها الاصلي ، ومصدرها الاول والاخير ، وأن كل من تكلم عن الفيضة التجانية بهذا المعنى فإنما استقاها من ذلك المنبع. وإذا كان الأمر كذلك فيجدر بنا أن نتساءل ونقول وهل صحيح أن الشيخ التجاني قال هذه العبارة (ثاني فيضة الخ...) وإذا صح أنه قالها فما مدى أهميتها عنده هو نفسه وعند أصحابه ومن تبعهم من شيوخ الطريقة التجانية خصوصاً أرباب القول والقلم منهم وأثر ذلك في أوساط اللاحقين بهم من الأجيال التالية ؟

فأما عن السؤال الأول فإن القاضي سكيرج قرر في كتابه الموسوم بـ(جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب الى الشيخ التجاني)ما هذا نصه : « هذا الكتاب يعني الافادة الأحمدية مشهور بين الاخوان جامع لبعض المقالات الصادرة من الشيخ أي التجاني وأسبابها جمع فيه مؤلفها ما سمعه بنفسه من الشيخ أي التجاني مشافهة أو بلغه

---

١ – الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٣٩ ٢ – السيد العربي بن السائح : بغية المستفيد ١٧٢ .
٣ – القاضي سكيرج العياشي : جناية المنتسب ٦١

على لسان من سمع منه ذلك ورتبه على حروف المعجم وقد أدخل جله السيد العربي بن السائح في بغيته وفي بعض مكاتبه كما فعل ذلك العلامة أكنسوس في بعض مؤلفاته مما يقول فيه غالباً بلغني عن سيدنا أي الشيخ التجاني وقد اختصرته في كشف الحجاب على وجه مناسب ، وجعلت عليه شرحاً لطيفاً سميته بالإجابة على الإفادة ، وقد اضطربت فيه أقوال المنتقدين ، ووجدوا مجالا للقول فقالوا وتقوّلوا على حسب ما ظهر لهم والله حسيبهم وقد بلغني عن المقدم بصري المكناسي أنه جمع عدداً من نسخها لئلا ينتشر في يد العامة فيطلع عليها من لا يستحقها

ثم جاء في التعليق على هذا الكلام بأسفل الصفحة ما يلي : « ذكر السيد أحمد سكيرج أن السيد العربي بن السائح كان يرى أن السيد الطيب السفياني صاحب الإفادة روى بعض الكلام عن الشيخ التجاني بواسطة بعض الأصحاب ، وبعضهم لم يضبط كلام الشيخ التجاني بعينه ، فروى القدر الذي فهمه عنه ، ويصح أن يكون مقصد الشيخ غير ما فهم هذا الناقل عنه » (١) وكذلك جاء في التعليق بأسفل الصفحة ١٧٦ من كتاب كشف الحجاب للشيخ سكيرج ما نصه : « ذكر المؤلف أي سكيرج لبعض أصحابه أن السيدي العربي ابن السائح صاحب بغية المستفيد كان لا يوافق على بعض ما جاء في الافادة الأحمدية ويشك في أنه منقول بنصه عن الشيخ التجاني ولذلك كان المؤلف أي سكيرج لا يعتمد من الافادة إلا على ما نقله السيد العربي في البغية (٢).

فبناء على هذا الذي سبق يمكننا أن نذهب إلى أن نسبة هذه العبارة إلى الشيخ التجاني مشكوك في صحتها لا سيما أن ما نقل عن الشيخ سكيرج في التعليق السابقين يدل على أنه لا يرى صحتها لتصريحه بأنه لا يعتمد في ما جاء في الإفادة إلا على ما نقله السيد العربي في بغيته ولم ينقل هذه العبارة فيها .

وأما عن السؤال الثاني فالظاهر الذي تؤيده الشواهد أن هذه العبارة ليست ذات أهمية عند أصحاب الشيخ التجاني لعدم تناولهم إياها أثناء مناظراتهم ومناقشاتهم للمسائل التي تكلم عليها الشيخ التجاني ، وسكوت أكثر أمهات كتبهم عن ذكرها

---

١ – الشيخ سكيرج العياشي : جناية المنتسب ٦١ ٢ – الشيخ سكيرج العياشي : كشف الحجاب ١٧٦

والتعليق عليها ، كما يدل على قلة أهميتها أيضاً سكوت التابعين لهم من كبار شيوخ التجانية مثل الشيخ عمر الفوتي عن ذكرها في مؤلفاته وخصوصاً الرماح مع تصريح كاشف الالباس بأنه ادعاها لنفسه عندما سئل عنها ولعل سكوت الشيخ أحمد سكيرج العياشي عن ذكر هذه الفيضة حتى بالمعنى اللغوي في جميع كتبه التي وصلت إلى أيدينا مما يدل على عدم أهميتها عنده وبالتالي عدم أهميتها في أوساط شيوخ التجانية القدامى.

نعم إن الشيخ النظيفي قد اهتم كثيراً بكلمة الفيضة حتى ذكرها في أربعة مواضع في تائيته حيث صرح كما مر بأن الطريقة التجانية تأتي بفيضة في آخر الزمان ولكنه بالأسف استدل على ذلك في الدرة الخريدة بالعبارة المروية في الإفادة الأحمدية التي هي موضوع نقاشنا ولكن مضمون معنى العبارة كما قدمنا لا يدل على اختصاص الفيضة بالظهور في عصر متأخر جداً عن عصر أصحاب الشيخ التجاني .

والواقع أن الموريتانيين من شيوخ التجانية هم الذين اهتموا بأمر هذه الفيضة ، وعنهم أخذ الشيخ ابراهيم فترة فيضته ، وقد سبق أن قررنا أن هذه الفيضة قد فشا ذكرها في بيت والده ، بدليل أنه ذكر شيخين علويين موريتانيين عاصرا والده وهما الشيخ محمد الحافظ بن خير العلوي والشيخ عبدالله بن الحاج العلوي (١) وكلاهما ادعى أنه هو صاحب الفيضة التجانية ، وقد أدركهما وهو صبي وتلميذ لأحدهما وهو الحاج عبدالله بن الحاج العلوي .

ولكن المشكلة تدور حول كلمة (أصحابي) الواردة في كلام الشيخ التجاني لأنه كثيراً ما يبشر أصحابه الذين يعاشرونه بما سيسبغه الله عليهم من المناقب والفضائل، فيفهمون بطبيعة الحال أنه لا يهدف بأصحابه إلا اليهم وعندما جاء متأخروا شيوخ التجانية فرأوا هذه الفضائل والمناقب الجمة المتضمنة في البشارة ، شق عليهم أن يكون مبلغ حظهم في الطريقة أن يشتركوا مع عامة التجانيين في الفضائل العامة المخصصة لهم فحسب مع أن منهم من بلغ ما بلغ في علوم الطريقة بل منهم من يرى أنه قد أدرك أكثر بكثير مما أدركه بعض أصحاب الشيخ التجاني أنفسهم فذهبوا جراء ذلك إلى

---

١ – انظر صفحة ٨٢ من هذا الكتاب

فرض أن مراد الشيخ التجاني بأصحابه أهل طريقته قاطبة ، كي تعمهم المناقب المتضمنة في الكلمة بل ليتمكنوا من القيام بالدعاية لأنفسهم وللطريقة أيضاً ، ومن أمثلة ذلك أن الشيخ عمر الفوتي روى في رماحه عن السيد محمد الغالي أن الشيخ التجاني قال : « إن جميع الأولياء يدخلون زمرتنا ويأخذون أورادنا ويتمسكون بطريقنا من أول الوجود إلى يوم القيامة حتى الامام المهدي إذا قام آخر الزمان يأخذ عنا ويدخل زمرتنا بعد مماتنا وانتقالنا إلى دار البقاء » (١) وروى الشيخ النظيفي أيضاً في الدرة الخريدة عن السيد محمد الغالي أنه قال : « إن واحداً من أصحاب الشيخ التجاني قال له قد بعثت ولدي إلى معلم يعلمه فقال له الشيخ التجاني : ألا تخاف أن يذبحه الامام المهدي ؟ وقال الشيخ التجاني لم يذبحه ياسيدي ؟ فقال الشيخ التجاني إن الإمام المهدي يبدأ بذبح علماء السوء فقال للشيخ التجاني إن الإمام المهدي يذبحنا إذا ظهر ؟ فقال له الشيخ التجاني : لا يذبحكم لأنه أخ لكم في الطريقة وإنما يذبح علماء السوء ، ثم قال إذا جاء المنتظر يطلب من أصحابنا الفاتحة (٢).

القصتان كلتيهما مرويتان عن السيد محمد الغالي أحد أصحاب الشيخ التجاني المقربين إليه وأنه لفي مقدورنا ولو بالنظرة الخاطفة تجاههما أن نستنتج النقاط التالية :

١ ـ إن جميع الأولياء من أول الوجود إلى يوم القيامة يأخذون عن الشيخ التجاني ويدخلون طريقته وينضمون إلى زمرته وحزبه .

٢ ـ وأن الامام المهدي إذا ظهر يأخذ الطريقة التجانية .

٣ ـ وأن أخذ الإمام المهدي للطرقة التجانية يحصل على أيدي أصحاب الشيخ التجاني .

٤ ـ وان ذلك يكون بعد وفاة الشيخ التجاني وانتقاله إلى دار البقاء .

٥ ـ إن الشيخ التجاني لا يشجع أصحابه على تعلم العلوم الشرعية إذ لا لزوم بين التعلم وبين كون الطالب من علماء السوء ولا سيما أن الشيخ التجاني لم يأمر صاحبه ذاك بأن ينقل ابنه إلى معلم آخر بحجة أن المعلم الأول من علماء السوء .

---

١ ـ الشيخ عمر الفوتي : الرماح ٢/ ٢٩   ٢ ـ الشيخ محمد فتحا النظيفي : الدرة الخريدة ١/ ١٢٢.

٦ — وان الامام المهدي يدرك ابن صاحب الشيخ التجاني ذاك .

٧ — إن ذبح علماء السوء يكون من المهمات التي يقوم بها الامام المهدي إذا ظهر .

٨ — وان المهدي لا يذبح التجانيين لأنه أخ لهم في الطريقة .

وأنت ترى أن في الروايتين ما يوهم أن الامام المهدي يأتي بعد وفاة الشيخ التجاني مباشرة تقريباً بحيث أنه يدرك بعض أصحابه حتى يأخذ الطريقة التجانية من أيديهم ، وهذا هو ما فهمه السيد محمد الغالي صاحب الشيخ التجاني ، ومن أجل ذلك رحل إلى المدينة المنورة ومكث هنالك منتظراً ظهور المهدي لينخرط في الطريقة التجانية على يده وقد جاء في كتاب الرماح للشيخ عمر السوتي ما نصه : وقد أخبرني أيضاً ونحن بالمدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة وازكى السلام بأنه إنما جاور الحرمين الشريفين لأمور منها أنه يترصد ظهور الإمام المهدي وهو حاضر لعل الله يمن عليه بأخذ الإمام المهدي هذه الطريقة على يديه وقد تركته هناك مجاوراً (١).

ولا شك هنا في أن السيد محمد الغالي قد فهم أن الشيخ التجاني يهدف بكلمة (أصحابي) إليهم أصحابه الذين عاصروه وعاشوا معه ولما انسلخت السنون وانقرض أولئك الأصحاب ولم يظهر المهدي فهم التجانيون المتأخرون أن مراده بأصحابه أهل طريقته قاطبة .

وقد لاحظ هذا كله السيد العربي ابن السائح فقال : « الصحب جمع صاحب ويجمع على أصحاب وصحابة والأصل في هذا الاطلاق أن يراد به من حصل له رواية ومجالسة ويطلق مجازاً على من يذهب بمذهب من مذاهب الأئمة فيقال أصحاب الشافعي وأصحاب مالك وأبي حنيفة وابن حنبل والمراد هنا الاطلاق المجازي فيشمل الاتباع وإن لم يحصل لهم معاصرة فضلا عن الرواية والمجاورة (٢).

---

١ — الشيخ عمر الفوتي : الرماح ٢/ ٤٤. ٢ — السيد العربي : بغية المستفيد ٢٢٩.

الباب التاسع

مؤلفات الشيخ ابراهيم انياس
وأصول أفكاره وكراماته وتقديره ووفاته

مؤلفاته :

حدثني الشريف علي المورتاني عن بعض أقرباء الشيخ أنه قال : « إن الشيخ إبراهيم انياس قد مات وهو ابن خمس وسبعين سنة وخلف خمساً وسبعين ولداً ما بين الذكر والأنثى و ألف خمساً وسبعين كتاباً ».ولكن ما مدى صحة هذه الرواية وهو نفسه لا يدري وأما كون الشيخ قد عاش خمساً وسبعين سنة فليس محل شك وإنما يحوم الشك حول عدد أبنائه ومؤلفاته فقط .

ومهما يكن من شيء فإن الشيخ إبراهيم قد كتب كثيراً وهذا أمر طبيعي لكل من مدت الشهرة يمينها اليه في الدعوة الدينية وأحاط به طلاب الفرائد ورواد المنافع ، وكان كعبة الزائرين وقبلة المسترشدين ، إلا أن هذه الشهرة كثيراً ما تعوق عن القيام بأعمال علمية مهمة ، هذا بالضبط هو الذي حصل له حيث كانت أكثر مؤلفاته عبارةعن كراريس وكتيبات لا تتناول في الغالب إلا موضوعات تمس الطريقة التجانية والدعوة اليها ، أو منشورات عامة موجهة إلى الأتباع لغرض أو آخر أو لشرح وجهة النظر التجانية في المسائل الدينية ، وقلما تجده يتناول موضوعاً علمياً صرفاً في مؤلفاته

كما فعل غيره من الأشياخ المرشدين كالشيخ عثمان بن فودين ، والامام محمد بن علي السنوسي ، مثلا ، بل لم يصل إلى علمي من كتبه ما ينحو هذا النحو إلا كتابين الأول الكتاب الذي سماه رفع الملام عمن رفع وقبض اقتداء بسيد الأنام ، وهو أيضاً لم يكن قد توخى البحث العلمي المجرد في تأليفه ، وإنما كتبه ليحل لأتباعه مشكلة القبض والسدل في الصلاة ، تلك المشكلة التي اندلعت بين أتباعه الذين يقتدون به في ذلك ، وبين إخوانهم المسلمين الذين لم يتعودوا ذلك من قبل ، ومع ذلك إن الكتاب لم يتخلص من الدعوة إلى الطريقة التجانية (١) ثم الكتاب الآخر الذي ألفه في علم الصرف بعنوان تحفة الأطفال في حقائق الأفعال ، وكما ترى إن عنوان الكتاب يدل على أنه كتيب صغير حرره الشيخ لتدريب الأطفال والمبتدئين في ذلك الفن » . وما عدا هذين الكتابين فجميع كتبه ورسائله تسير نحو وجهة واحدة تقريباً وهي الدعوة إلى الطريقة التجانية ، أو شرح بعض المسائل الدينية التي تمت اليها بصلة ، اللهم إلا الكتيب الذي كتبة في مسألة تحويل مقام إبراهيم من مكانه أو بعض ما تناوله من المسائل الفقهية إجابة عن سؤال وجه اليه أو رأي فقهي أدلى به اشتراكاً في مساجلة أو دفاعاً عن جانبه أو عن حوزة الطريقة التجانية أو عن أهلها وهلم جرا .

هذا وقد كان للشيخ رسائل كثيرة كتبها إلى تلاميذه في شتى البلدان وخطب عديدة ألقاها في المجتمعات والحفلات والمناسبات وفتاوى مختلفة تتناول موضوعات متباينة فقد جمع بعض هذه كلها تلميذه الحاج أحمد البرناوي في جزأين ، وسماه جواهر الرسائل ، ولهذا المجموع أهمية كبرى للباحث عن حياة الشيخ وتعاليمه ، وأهدافها وبعض إنجازاته في دعوته،وهكذا وهو لا يزال مخطوطاً ولكنه نشر بالطبع التصويري.

ومهما يكن من أمر فلعل أول كتاب ألفه الشيخ في الدعوة إلى فيضته هو أرجوزته التي سماها روح الأدب لعل الغرض في نظمها هو بيان آداب السلوك لمريد التربية فجاءت في مائة وإحدى وعشرين بيتاً نظمها في حدود ١٣٤١ هـ – ١٩١٢ م تقريباً وهو حينئذ ابن احدى وعشرين سنة أي بسبع سنوات قبل أن يظهر فيضته ، أو بعبارة أخرى قبل أن يظهر كصاحب الفيضة التجانية ، ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً حتى

---

١ – أنظر صفحة ١١٤ من كتاب رفع الملام

الآن ثم ألف كتابه كاشف الالباس عن فيضة الختم أبي العباس ، وهو أهم كتب الشيخ كلها ألفه سنة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١م وهو ابن ثلاثين من عمره حينئذ فضمنه أدلته وبراهينه التي تنفي الريب في نظمه عن كونه صاحب مقام الفيضة التجانية الحقيقي، يشتمل الكتاب على ثلاثة أبواب ومقدمة وخاتمة ، وينقسم كل باب إلى عدة فصول ثم ذيله في السنة التالية ١٣٥١ هـ بكتاب آخر يبدو أنه استدراك لما فاته في أصل الكتاب، وجاء هذا الذيل أيضاً في حجم الاصل ، والظاهر أن ترتيب الكتاب منطقي لأنه تكلم في الباب الأول على حقيقة التصوف والذكر وفضيلته والاجتماع للذكر وحجج ذلك وهكذا ، وتناول في الباب الثاني الكلام على الفيضة التجانية وصاحبها الحقيقي الذي تظهر على يده وعلى علوم الصوفية ومصادرها وعلى التربية وما تهدف إليه في الطريقة التجانية ، وأما موضوع نقاشه في الباب الثالث فهو التحذير من الإنكار على أهل الخصوصية ووجوب طلب شيخ مرشد كامل وصفته وإثبات الرؤية لله التي يدعيها رجال من الصوفية .

وأما في ذيل الكتاب فقد تناول زيادة على ما في أصل الكتاب موضوعات جديدة مثل بيان أوراد الطريقة التجانية وكل ما يمت إلى ذلك بصلة ، وأن سواد الجسم لايمنع من التقرب إلى الله ، وكذلك الأنوثة لا تمنع من اللحوق بعباد الله المصطفين الأخيار .

يبدو أن الشيخ كان معجباً بهذا الكتاب وقال في كلمته الختامية إن من نظر إلى الكتاب بعين الرضى يرى أنه من فيض الختم التجاني صاحب السر الرباني لكونه جامعاً لزبدة الكتب المؤلفة في هذا الفن ، وقل أن تجد مجموعاً يحتوي على ما احتوى عليه هذا المجموع فمن دقق النظر وأنصف يعلم يقيناً أنه ألفه الشيخ التجاني بيده ». هذا كله بعد أن بين أنه سوده في تسعة أيام (١).

وقد طبع الكتاب أولا في المطبعة العربية بدرب غلف بالدار البيضاء المغرب طبعه ونشره الشريف الفاسي محمد بوطالب الساكن بكولخ سنغال في ٩٨ صفحة والذيل في ٩٣ صفحة وكلاهما بدون تاريخ ، ولكن يظهر أن الطبع قد تم في ما بين سنة ١٣٥٢ هـ - ٥٤ وذلك قبل أن يظهر أمره في نيجيريا أو بعبارة أخرى قبل أن

---

١ - انظر كاشف الالباس ٩٨

يعرفه النيجيريون لأننا وجدناه في منشوره الذي كتبه إلى كافة أتباعه بمناسبة دخول شهر رمضان سنة ١٣٥٤ هـ .

يأمرهم بشراء هذا الكتاب كي لا تلحق ناشره الخسارة وهذا نص كلامة : « وسيأتيكم نسخ تأليفنا كاشف الالباس الذي طبع على نفقة الشريف الفاسي محمد بوطالب والمطلوب منكم حيث أعوزكم شراؤه في الزمن الماضي أن تبادروا لشراء النسخ لئلا تلحق صاحبه خسارة بخدمة طريقتنا » (١) ثم طبع للمرة الثانية في مطبعة مصطفى البابي بمصر على نفقة الحاج أحمد رفاعي الكتبي أوكيبنى أو بيجى نيجيريا سنة ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م أي بعد حوالي تسع عشرة سنة بعد الطبعة الأولى ثم طبع للمرة الثالثة بمصر في تلك المطبعة أيضاً على نفقة الحاج محمود سلغا بمشاركة الحاج بابا كابو كنو نيجيريا سنة ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م أي بعد الطبعة الثانية بحوالي عشرين سنة وبحوالي تسع وثلاثين سنة بعد الطبعة الأولى .

ثم بعد تأليف ذيل كاشف الالباس بسنة واحدة ألف كتابه السر الأكبر الذي ضمنه تعاليمه الباطنية وهذا الكتاب يدل بوضوح على مدى ما بلغه الشيخ ابراهيم في العلوم التصوفية وتجاربه العرفانية والذي يبدو أن الكتاب عبارة عن أفكار منفصلة كانت ترد عليه في أوقات متفرقة فجمعها في غضون سنتين ابتداء من سنة ١٣٥٠ — ١٣٥٢ هـ بل هناك ما يدل على أن بعض مواد الكتاب كانت موجودة قبل ذلك التاريخ بوقت طويل مثل بعض الأبيات التي تدل ركاكة نظمها على أنه قد نظمها في حداثته وقبل نضوج فكره فإنه قد انتهى من تأليف الكتاب سنة ١٣٥٢ هـ راجع تعليقنا على الكتاب (٢) والكتاب لا يزال مخطوطاً حتى الآن .

وفي نفس هذه السنة أيضاً ألف كتابه الذي سماه تنبيه الأذكياء في كون الشيخ التجاني خاتم الأولياء ، فحاول في الكتاب أن يثبت أن الشيخ التجاني هو خاتم الأولياء لا الشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي وسلك في تحقيق ذلك مناهج مختلفة وجلب أقوالاً شتى يدعم بها رأيه ثم أعقب كل ذلك بذكر عدد من علماء المغرب الذين ذكروا اسم

---

١ — انظر جواهر الرسائل ١/٤٤

٢ — انظر هذا البحث صفحة

الشيخ التجاني في مؤلفاتهم وأثنوا عليه وقد طبع الكتاب بمصر في مطبعة المصطفى البابي سنة ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م على نفقة الحاج أحمد الرفاعي بن عبد الكريم المقدم أدوجي أوكيبى السابق ذكره .

هذا وقد شرع الشيخ ابراهيم في غضون هذا الوقت في تأليف كتاب بعنوان تبصرة الأنام في جواز رؤية الله في اليقظة والمنام وقد جاء ذكر هذا الكتاب في ذيل كتاب كاشف الإلباس (١) رالذي يظهر لي أن الشيخ ما كمل تأليف هذا الكتاب فعدل عنه لصعوبة مسلك الموضوع ووعورة مرتقاه وأخرجه في كتاب آخر بعنوان تبصرة الأنام في أن العلم هو الامام يحتوي الكتاب على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة يدور نقاشه في المقدمة حول بيان أن الفضيلة في الدين بالاكتساب لا بمجرد الانتساب وفي الفصل الأول حول بيان فضيلة العلم والعلماء وفي الفصل الثاني حول ذم الجهل وفي الفصل الثالث حول آداب المعلمين والمتعلمين وفي الخاتمة حول الحث على إنشاء المدارس والمعاهد للتعليم الإسلامي وتربيته ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً أيضاً .

ومن مؤلفاته المفيدة كتاب نجوم الهدى في كون نبينا أفضل من دعا إلى الله وهدى، بين الشيخ أن سبب تأليف الكتاب هو أنه بلغه أن أحد غواة المسلمين يشيع أنه لايوجد دليل على أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم هو الأفضل من جميع الأنبياء والمرسلين فخاف من أن يستهوي هذا المبطل إلى جانبه العوام الجهلة بخزعبلاته هذه ، فقيد لهم لأجل هذا الكتيب المختصر على قدر هممهم الفاترة ، وجلب كل ما يمكنه جلبه من الآيات والأحاديث في تحقيق أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين وقد طبع الكتاب بمطبعة غولو شي بشارع نيجيريا في سابون غرى بمدينة كنو طبعه ونشره الحاج عبد اليسار بدون تاريخ .

وكذلك من كتبه ذات الأهمية كتاب رفع الملام عمن رفع وقبض اقتداء بسيد الأنـــام وقد سبق أن ذكرنا سبب تأليفه ولا داعي لإعادته وقد ناقش الشيخ فية موضوعات ذات مساس بسبب تأليف الكتاب فقط ، ولعل الشيخ نفسه هو الذي تولى نشر هذا الكتاب وقد طبع في الدار البيضاء بالمغرب بمطبعة الأطلس بدون تاريخ.

---

١ – انظر ذيل كاشف الا لباس ٦٦

ومن مؤلفاته الكتاب الموسوم بإفادة المريد عن أسئلة السيد محمد العيد وهو عبارة عن أجوبة لأسئلة في فقه الطريقة التجانية قدمها إليه السد المذكور في العنوان فأجاب عنها في كتيب يتداوله أتباعه وهو أيضاً مخطوط .

ومن مؤلفاته كتيب سماه سبيل السلام في إبقاء المقام وقد ألفه ليدلي برأيه في أمر مقام إبراهيم وذلك أن الحكومة السعودية استفتت العلماء حول نقله من مكانه توسيعاً للمطاف فكتب الشيخ ضد تحويله ، وجعل الكتاب في مقدمة وبابين وخاتمة وقدمه لرابطة العالم الإسلامي ، ولعل الرابطة هي التي تولت نشره حيث لم يذكر اسم المطبعة التي نشرته ولا الذي تولى نشره ، ولا تاريخ طبعه .

ومن مؤلفاته الكتاب المسمى (البيان والتبيين في التجانية والتجانيين) وقد حاولت قدر الإمكان أن أحصل على الكتاب ولم أتمكن من ذلك ، ولعل سبب إخفائهم للكتاب ومنعهم غير التجاني من الاطلاع عليه ، هو أن انتشار الكتاب بين الجمهور يشكل خطراً عظيماً على الطريقة التجانية نفسها لأنه يعتبر من طريق أو آخر كشفاً لعوراتها حيث إن الشيخ إبراهيم حاول فيه أن ينكر بعض ما كان ثابتاً في كتاب الجواهر المعاني من المبادىء والتعاليم ، بدعوى أن عنده النسخة الأصلية المخطوطة ، وكانت خالية من تلك الأمور التي يريد إزالتها منه ، وهذا يرجع بنا إلى الباب الرابع من هذا الكتاب حيث قررنا أن شهرة الشيخ ابراهيم وانتشار صيته وكثرة أسفاره وتنقلاته في الأقطار واتصاله برجال ذوي ثقافات إسلامية أخرى غير تصوفية واحتكاكه أيضاً برجال آخرين كانوا متحمسين في محاربة البدع وما كان يقرأه في كتبهم وما يقرع سمعه باستمرار في محاضراتهم من الكلام على الإسلام وعقائده وتعاليمه الصحيحة كل ذلك قد غير من فكرة وجعله يدرك بيقين أن الطريقة التجانية كانت قائمة على أسس وقواعد أكثرها مضادة لعقائد الإسلام وهدامة لمبادئه وتعاليمه ، فبدأ من جراء ذلك يفكر في طريقة إصلاح الطريقة التجانية وتعديل ما يمكن تعديله من مبادئها ، ولعل هذا من أسباب تأليف هذا الكتاب ، ولا تنسى ما قدمنا من الأمثلة على أنه كان يتحاشى أن أن ينسب نفسه إلى الطريقة التجانية إذا زار العالم الإسلامي .

ومن مؤلفاته مسرة المجامع في مسائل الجامع ولم يصل هذا الكتاب إلى يدي وإنما

ذكره السيد علي سيس في تصديره لكتاب كاشف الالباس ، وله أيضاً مؤلفات أخرى لم تصل الينا ومن ذلك كتاب الفيض الأحمدي في المولد المحمدي .

هذا وكانت له دواوين شعر كثيرة وأغاب موضوعها مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومدح الشيخ التجاني وقد وصل الينا منها : —

١ — الخمر الحلال في مدح سيد الرجال .

٢ — تيسير الوصول إلى حضرة الرسول .

٣ — نور البصر في مدح سيد البشر .

٤ — إكسير السعادة في مدح سيد السادا ت .

٥ — سلوة الشجون في مدح النبي المأمون .

٦ — أوثق العرى في مدح سيد الورى .

٧ — شفاء الاسقام في مدح خير الأنام .

٨ — مناسك أهل الوداد في مدح خير العباد .

٩ — كنز العارفين في مدح سيد الأولين والآخرين .

١٠ — جبر الكسر في مدح شفيع يوم الحشر .

١١ — مفتاح العطية في الاستغاثات بخير البرية .

١٢ — هذا ما عدا قصائد أخرى متفرقة قالها في مناسبات شتى ومن قصائده في مدح الشيخ التجاني وطريقته وأشياخها :

١ — طيب الأنفاس في مدح الختم أبي العباس .

٢ — روض المحبين في مدح سيد العارفين .

٣ — النور الرباني في مدح السيد أحمد التجاني .

٤ — روح الحب في مدح القطب .

٥ – تحفة أطايب الأنفاس في مدح القطب أبي العباس .

٦ – جلاء الصدور في مدح الشيوخ البحور .

وله دواوين أخرى تتناول موضوعات شتى مثل ديوان نوادر الحكم ومثل ديوان الكبريت الاحمر في التوسل بأوائل السور .

هذا وكان من عادة الشيخ إذا سافر أن يقيد بعض وقائع هذا السفر تارة نثراً وطوراً نظماً وهو أغلبه ويسميه بالرحلة ومن الأول كتاب رحلته الحجازية الأولى الذي ضمنه أخبار سفره من مغادرته بيته إلى رجوعه وما حصل له فيه وما حققه فيه من نجاح وهكذا ومن الثاني :

١ – منظومة رحلته الموسومة بنيل المفاز التي نظمها في سفره الثاني إلى الحجاز .

٢ – منظومة رحلته التي سماها كناكرية في سياحته في أرض بمكو وكن .

٣ – منظومة رحلته إلى مورتانيا المسماة بذيل نيل المفاز .

وهناك رسائل وخطب كثيرة قد جمع بعضها في كتاب ذي جزأين بعنوان جواهر الرسائل كما قررنا فيما سبق وهذه الدواوين كلها قد نشرت بالطبع التصويري في كنو نيجيريا تولى نشر أكثرها أو كلها الحاج عبد اليسار الكنوي النيجيري .

أصول أفكاره ومصادر تعاليمه

ومهما يكن من شيء فإن أصول أفكار الشيخ ابراهيم تجانية بحتة ، وهي أي الطريقة التجانية مبنية على أساس عقيدة غلاة الشيعة الاسماعيلية الباطنية ، ومن أجل ذلك كنا نجد هذة للعقائد تظهر جلياً في ضمن تعاليمه التي يقررها في كتبه ورسائله مثل فكرة الأب الروحي فإننا نجده يدعو تلاميذه بما فيهم إخوته من أبيه وأولاده وهذا من تعاليم الشيعة الباطنية المعروفة بهم (١) وكذلك الاستدلال بآيات قرآنية على صحة

---

١ – حنا الفاخوري : تاريخ الفلسفة العربية ٢٠٢ .

عقيدة باطنية مضادة لتعاليم الاسلام من طريق التأويل الباطني (١) مثل استدلالهم بالقرآن على وجود دائرة وهمية تدعى بالدائرة الفضلية التي تقع وراء دوائر الشرع الإسلامي كلة ، ومن دخل فيها على حد تعبيرهم فهو ناج على كل حال ، إذ لايحاسبه الله على أعماله خيراً أو شراً ، وهو يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب ، سواء وفى بعهد الله أم لا ، وسواء أطاع الله أم لا ، وسواء كان على الصراط المستقيم أم حاد عنه إلى الطريق الوخيم ، فإن الشيخ عمر الفوتي عندما أورد هذه الدائرة في رماحه استدل على ثبوتها بآيات قرآنية ثم أوردها الشيخ ابراهيم أيضاً في كتابه السر الأكبر واستدل هو الآخر بهذه الآيات التي استدل بها الفوتي (٢).

ومن العجب أن يكون الذي وقع في تلك الدائرة التي تقع خارج الإسلام هو الناجي الذي يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب .وفي الزمرة الأولى مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وأعجب من هذا أن تكون الآيات القرآنية هي الدالة على صحة وجود هذه الدائرة ، وأعجب من ذلك كله أن يكون الذي اختلق هذه الدائرة هو أعظم أولياء الله على الاطلاق وأشدهم اتباعاً لسنة رسوله وأتقى الأتقياء في نظر أتباعه ، وهذا يصدق بكل صراحة ما قاله شيخ الإسلام عبد القاهر بن طاهر البغدادي : « أن الباطنية لما تأولت أصول الدين على الشرك احتالت أيضاً التأويل احكام الشريعة على وجوه تؤدي إلى رفع الشريعة » (٣).

وسنناقش أمر هذه الدائرة بشيء من التوسع في تعليقنا على كتاب السر الأكبر إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك فكرة استمرار النبوة إلى ما لانهاية قال شيخ الإسلام عبد القاهر البغدادي في كلامه على الركن السابع من الأركان التي أجمع أهل السنة على أن كل من خالفهم فيها فهو كافر ضال : « إن أهل السنة أجمعوا على أن أول الرسل آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ... خلافاً لمن زعم من الخرمية أن الرسل

---

١ – انظر كتاب تلبيس ابليس (١٠٨) ، الفرق بين الفرق (٢٩٣) .
٢ – انظر كتاب السر الأكبر الورقة الثالثة وكتاب الرماح ٢/ ٣٠   ٣ – انظر الفرق بين الفرق ٢٨٦ .

تترى لا آخر لهم (الخرمية) اسم من أسماء الباطنية (١) وتظهر عقيدة استمرار النبوة هذه بشكل واضح في تعاليم التجانيين ومن ذلك قول الشيخ ابراهيم انياس في كاشف الالباس : « ويروى أن الأرض لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت فقالت إلهي وسيدي بقيت لا يمشي على ظهري نبي إلى يوم القيامة ، فأوحى الله اليها (سأجعل على ظهرك من هذه الأمة من قلوبهم على قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا أخليك منهم إلى يوم القيامة) (٢) ومعنى أنهم أيضاً يتلقون الوحي من الله كما يتلقاه الأنبياء لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بشر مثل جميع الناس لا فرق بينهم إلا أنهم يتلقون الوحي من الله بقلوبهم فقط وقال الله تعالى : « قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (٣) وقد صرح السيد العربي ابن السائح في بغية المستفيد بهذه العقيدة حيث قال : « وروى بعض الأخبار إذا أراد الله بقوم سوءاً يوحي إلى قلوب أوليائه : لا تسألوني في أمر القوم فإني عليهم غضبان فيجيبونه بطلب النجاة لأنفسهم اللهم سلم سلم » (٤) . هذا غاية التصريح بأن أولياءهم يتلقون الوحي من الله بالأمر والنهي مثل الأنبياء تماماً وقد صرح بذلك الشيخ عمر الفوتي في كتاب الرماح حيث قال : « إن جميع أهل الفتح يشاهدون الملائكة ، والكامل بينهم ينزل عليه ملك بالأمر والنهي ولا يلزم من ذلك أن يكون ذا شريعة » (٥) ومعنى ذلك أنه يلزم أن يكون ذا نبوة إذ لم يكن ذا شريعة حيث أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول ، والظاهر أن هذا هو قصده حيث اقتصر على نفي رسالة التشريع فقط . وهذا أيضاً هو مراد الشيخ التجاني بقوله في جواهر المعاني أن صلاة الفاتح لم تكن من تأليف البكري ولكنه أي البكري توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات وطال طلبه مدة ثم أجاب الله دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور » (٦) .

---

١ – انظر كتاب تلبيس ابليس لامام ابن الجوزي ١٠٥
٢ – انظر كاشف الالباس ٨٥ .
٣ – سورة ابراهيم ١١
٤ – بغية المستفيد ١٨٤ .
٥ – انظر كتاب الرماح ٢/ ١٤٥ .
٦ – انظر كتاب جواهر المعاني ١٣٨/١

ومعنى هذا كله أن التجانيين يعتقدون باستمرار النبوة إلى ما لانهاية ، وهو جوهر عقيدة الشيعة الاسماعيلية الباطنية وكل من اعتقد ذلك فهو كافر ضال باتفاق أهل السنة (١) ولذلك جاء في جواهر الأكليل شرح مختصر الخليل في بيان الأمور التي يرتد المسلم عن الاسلام بارتكابها : « وكذلك من ادعى أنه يوحي اليه وأن لم يدع النبوة أو ادعى أنه يدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون النبي صلى الله عليه وسلم (٢).

ومن ذلك فكرة الظاهر والباطن ، وهو أيضاً من تعاليم الباطنية المشهورة بهم ، قال الشيخ محمد أبو زهرة عند كلامه على أسباب تسمية هذه الفرقة بالباطنية : « ومن الاسباب أيضاً أنهم يقولون إن للشريعة ظاهراً وباطناً وأن الناس يعلمون علم الظاهر وعند الامام علم الباطن ، بل إن عنده باطن الباطن وأولوا على هذا الفاظ القرآن تأويلات بعيدة بل أول بعضهم بعض الألفاظ العربية تأويلات غريبة وجعلوا هذه التأويلات هي ما عند الامام من أسرار – علم باطن وقد شاركهم الاثنا عشرية في هذا الجزء الخاص بعلم الظاهر والباطن وأخذت عنهم طوائف من الصوفية ذلك (٣) وقال الشهرستاني : « وأشهر ألقابهم الباطنية ، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلا » (٤).

وقد ظهر ذلك بكل جلاء في تعاليم الشيخ ابراهيم إنياس ومن ذلك استدلاله بآيات قرآنية وأحاديث نبوية على صحة ظهور الفيضة التجانية على يده مصرحاً بما يدل على أنه استقاها من جواهر المعاني حيث قال : « قال الشيخ التجاني كما في جواهر المعاني : فعليك يا أخي بالتصديق والتسليم لهذه الطائفة ولا تتوهم فيما يفسرون به الكتاب والسنة إن ذلك إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن لظاهر الآية أو الحديث مفهوم بحسب الناس وتفاوتهم في الفهم ، فمن المفهوم ما جلب له الآية أو الحديث ودلت عليه عرف اللسان وثم افهام آخر باطنة تفهم عند الآية أو الحديث لمن فتح الله عليه إذ قد ورد

---

١ – انظر كتاب الفرق بين الفرق ٣٢٣ .

٢ – انظر جواهر الإكليل ٢/ ٢٧٨

٣ – انظر الجزء الأول من تاريخ المذاهب الإسلامية ٦٥ .

٤ – انظر الملل والنحل ١/ ١٩٢

في الحديث النبوي « أن لكل آية ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً إلى سبعة أبطن وإلى سبعين »(١) .

وأحياناً يعبرون عن الظاهر بالشريعة ، وعن الباطن بالحقيقة ، والشريعة : هي ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الأحكام والعقائد ، والحقيقة أو الباطن هو ما يدركونه في تجاربهم الذوقية ويعبرون عنه بالعرفان،أو علم الباطن، وهو كله يدور حول نظرية وحدة الوجود ، فالحقيقة أو الباطن عبارة عن تعليمات هي كفر صريح، إلا أنها تستر عن أن يطلع عليها أهل الظاهر أو غير الناضج في عقائدهم ، وقد ظهر ذلك جلياً في تعاليم الشيخ ابراهيم فمثلا إنه قال في معرض كلامه على الجذب الذي فسره بالوصول والفناء والفتح : « وصاحب هذا المقام كافر شرعاً لنفيه الأسماء والصفات ، وقتله الأنبياء ، وهو المؤمن حقيقة لأنه أثبتها حقيقة وقتله الأنبياء مثل بالحق لا بغير الحق ، وهذا المقام عظيم الغرر وغرره على العقائد وهو أعظم ما لم يلق عين الرحمة ففيه ما يهود وينصر ويمجس الخ » (٢).

وقد تكلمت بشيء من الاسهاب على هذا الكلام في تعليقي على كتاب السر الأكبر ومما جاء في كلامي مما يناسب هذا المحل هو قولي : « وإذا صدقنا الشيخ ابراهيم أو كل باطني على أن دين الاسلام منقسم إلى ظاهر وباطن أو شريعة وحقيقة، الشريعة أو الظاهر هو الاسلام ، والحقيقة أو الباطن هو الكفر الصريح ، وهو الحق كما وصفه الشيخ آنفاً فيترتب على ذلك نتيجة خطيرة هدامة لأركان الاسلام جميعها، لا مفر لنا من التزامها ، وهي أن النبي صلى الله علية وسلم علم علماء الشرع شيئاً مجازياً لا حقيقة موهماً لهم أنه هو الحقيقة القطعية وتركهم يتمسكون بالوهم ويعتقدون الجهل الصريح علماً ثم علم الصوفية الحقيقة التي هي العلم الصحيح المطابق للواقع الذي لا وهم فيه فأغرى بذلك أولئك الجهال الوهميين على هؤلاء العلماء العارفين المحققين يقتلونهم ويكفرونهم ويضللونهم وهلم جرا (٣).

ومن ذلك أيضاً عقيدة الحلول وإلهية الأئمة وهذه العقيدة هي الأساس الأول

---

١ – انظر كاشف الا لباس ٤١ .

٢ – انظر كتاب السر الأكبر الورقة العاشرة

٣ – انظر صفحة من هذا الكتاب .

الذي أقيم عليه صرح الطريقة التجانية ، وهو من صميم عقيدة الشيعة الإسماعيلية القرمطية الباطنية . قال العلامة ابن خلدون : « ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك ، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة – اعتقاد وحدة الوجود – وملأوا الصحف منه مثل الهروري في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن عربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الاسرائيلي في قصائدهم ، وكان سلفهم مخالطين للاسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وآلهية الأئمة مذهب لم يعرف لأولهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر ، واختلط كلامهم وتشابهت عقائد هم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان (١).

فهيا نرى ما يتمتع به هذا القطب من الأوصاف الإلهية والخصائص الربانية في الطريقة التجانية قال الشيخ التجاني : « اعلم أن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود جملة وتفصيلا ، حيثما كان الرب إلهاً كان هو أي القطب خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من عليه الوهية الله تعالى ، ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق وبين الخلق فلا يصل إلى الخلق شيء كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب ، وتوليه ونيابته عن الحق في ذلك وتوصيله كل قسمه إلى محالها ، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلا ، فترى الكون كله أشباحاً لا حركة لها وإنما هو الروح القائم فيه جملة وتفصيلا » (٢).

هذه هي عقيدة التجانيين في القطب عموماً وهو نفس عقيدتهم في شيخهم التجاني خصوصاً قال السيد علي حرازم : « ومعنى قول الشيخ أي التجاني اللهم ألحقني بنسبه هو كونه أي الشيخ التجاني خليفة عن الله في جميع المملكة الإلهية بلا شذوذ متصفاً بجميع صفات الله وأسمائه حتى كأنه عينه » (٣).

---

١ – أنظر مقدمة ابن خلدون ٣٥٢

٢ – انظر جواهر المعاني ٢/٨٩ – ٩٠

٣ – انظر نفس المصدر ١٤٥

التجانيون كلهم علماؤهم وعوامهم يدينون بهذه العقيدة أي عقيدة الحلول وإلهية الإئمة وجاء في جواهر المعاني . « وشرطه الخاص به أي الورد التجاني لمن قدر عليه استحضار صورة القدوة أي الشيخ التجاني بين يديه وأنه جالس بين يديه من أول الذكر إلى آخره ويستمد منه » (١). المسلم لا يعتقد أنه في عبادته يستمد شيئاً من أحد على ظهر الغيب إلا من الله تبارك وتعالى وحده .

وقال الشيخ عمر الفوتي في الرماح في معرض بيانه لاستحضار المريد التجاني صورة النبي صلى الله عليه وسلم أثناء الورد : « واستحضاره حقيقته الكاملة الموصوفة بأوصاف الكمال الجامعة بين الجلال والجمال المتحلية بأوصاف الله تعالى الكبير المشرفة بنور الذات الإلهية آباد الآباد فإن لم تستطع فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم الروح الكلي القائم بطرفي حقائق الوجود القديم والحادث فهو حقيقة كل من الجهتين ذاتاً وصفات لأنه مخلوق من نور الذات الجامع لأوصافها وأفعالها وآثارها ومؤثراتها حكماً وعيناً » (٢).

وهذه هي عقيده الحلول بعينها حيث صرح بأنه صلى الله عليه وسلم هو الروح الكلي القائم بطرفي حقائق الوجود (القديم والحادث) وأما النبي صلى الله عليه وسلم فهو بزيء من هذه العقيدة الفاسدة التي تدعو إلى الوثنية بشكل علني ولم يطلب النبي صلى الله عليه وسلم من أحد من أصحابه أو من المسلمين أن يستحضر صورته في أي نوع من أنواع العبادات التي علمهم إياها وما قال لأحد منهم إن فيه جزءاً إلهياً بل بدل كل ذلك أمره الله بأن يعلن للناس جميعاً أنه إنسان مثل جميع الناس ليس إلا . وإن العبادة الخالصة المقبولة هي الموجهة إلى الله وحده وقال الله تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما الهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » (٣) .

وعلى هذا النحو استمر شيوخ الطريقة التجانية يدعون بكل صراحة إلى إلهية الشيخ التجاني وقال السيد عبيدة بعد أن قسم التربية إلى ثلاثة أنواع ، التربية بالورد التجاني

---

١ – انظر جواهر المعاني ١/١٣٣   ٢ – انظر الرماح بهامش جواهر المعاني ١/ ١٢٥ .

٣ – سورة الكهف ١١٠

والتربية بالصوات الخمس والتربية بصلاة الفاتح : « فالأولى – التي تتم بالورد التجاني – جامعة على الشيخ والنبي معاً وكلاهما نائب عن الله ووجه تقديمها على أختيها كونها الباعثة للمريد رأساً على الدخول لحضرة الشيخ أي التجاني » (١).

وأما النبي صلى الله عليه وسلم فما ادعى قط أنه الله أو نائبه وقد برأه الله من ذلك في آيات كثيرة ومنها ما سبقت آنفاً .

وقال السيد عبيدة أيضاً عندما يعدد الفروق والمميزات التي بين طريقة التربية عند الشيخ الساحلي وبينها في الطريقة التجانية « ثالثها المقصد ، فإن مقصد تلك الطريقة أي طريقة الساحلي إيراد الخطاب من المولى أي الله بما هو مطابق لحال السالك في موقفه ومقصد هذه أي التربية بالطريقة التجانية استحضار صورة القدوة والصورة الكريمة بين يديه وأفصح المريد بما حصل من الشكوى لديه » (٢).

يعني أن مقصد المريد في التربية بطريقة الساحلي هو الاستفاضة من الله تعالى ، وأما في الطريقة التجانية فيكفي المريد أن يستحضر صورة الشيخ التجاني فقط ويرفع اليه شكواه .

وقال الشيخ محمد الحافظ الجزائري نزيل مصر في تحقيقه لمجموعة أوراد الشيخ التجاني الذي طبع في مصر سنة ١٣٨٧ : « وأما كيفية استشارته أي الشيخ التجاني فإنه قال : « من أراد أن يشاورني وكان بيني وبينه بعد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ثم يذكر حاجته وهو مشخص نفسه بين يدي فالجواب مايقع في قلبه » .

ومعنى ذلك أن الشيخ التجاني هو إلههم الذي يقضي لهم حوائجهم على ظهر الغيب ، ولذلك يتوسل المريد التجاني اليه بالصلاة على النبي ليجد حاجته .

وقال الشيخ محمد الحافظ بعد أن أورد هذه الاستشارة : « وذكر بعض الخواص ممن لقيناهم أنه يقع للانسان عند استشارته غفوة يصحبها حال روحية يتجلى له فيها

---

١ – انظر ميزاب الرحمة ٥٧
٢ – نفس المصدر ١١٦ .

الأمر الذي يطلبه » (١).

وقد ظهر ذلك أيضاً بكل وضوح في تعاليم الشيخ ابراهيم إنياس وقال في السر الأكبر والشيخ المربي للمريد حقيقة هو الشيخ التجاني ومعه دائماً ما تذكره بقلبه وأعتقد أنه بين يديه » . وقال أيضاً : « إذ مطلب المريد الشيخ التجاني لا غير » . وقال أيضاً : « إن الشيخ التجاني حاضر مع المقدم والمريد دائماً » (٢). المسلم لايعتقد أن أحداً يكون معه دائماً ما تذكره بقلبه واعتقد أنه بين يديه وهو مطلبه لا غير إلا الله تعالى وحده .

ولا تنسى أيضاً أن الشيخ ابراهيم إنياس روى عن شيخه الحاج عبدالله ولد الحاج أنه طلب اليه أي الشيخ ابراهيم وهو صغير يومئذ أن يدعو الله له ليموت على الطريقة التجانية ثم يدعو له ثانياً أن يجعل الله عليه ذنوب أمه النبي بأشرها صغارها وكبارها يتحملها عنهم إذا مات على الطريقة التجانية ، وروى عنه أيضاً أنه قال : « إن من كرامات الطريقة التجانية أن إبراهيم سالم صار من أهل الجنة مع كونه أميراً كافراً فاسقاً ظالماً وسبب ذلك أنه اغتصب امرأة متزوجة بغيره ونزعها من زوجها بقوة وعاشرها طول حياته معاشرة غير شرعية حتى مات ولكن تلك المرأة أخذت الطريقة التجانية ، ومحقق أنها لا تذكر أورادها ولكن ليس ذلك رفضاً لها بل كسلا فقط فبسبب هذه المرأة صار ذلك السلطان الكافر الفاسق الظالم من أهل الجنة بغير اسلام ولا توبه » (٣).

أليس كل هذا استهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم وبدينه وشريعته وبالتالي استخفافاً بعقول المسلمين جميعهم .

وهذه أمثلة يسيرة على كون الطريقة التجانية مبنية على أساس عقيدة غلاة الشيعة الاسماعيلية الباطنية وسنتكلم على ذلك بشيء من التفصيل أيضاً في خاتمة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

---

١ – الشيخ محمد الحافظ : أحزاب وأوراد القطب الرباني ٣٠

٢ – كتاب السر الأكبر الورقة الرابعة والسادسة .

٣ – انظر صفحة من هذا الكتاب

فإننا إذا نظرنا إلى الشيخ ابراهيم إنياس نرى أنه رجل جاء ووجد أمامه ميداناً واسعاً للعمل أي أنه وجد أعمالا عظيمة باهرة تنتظر من يقوم بها لصالح الإسلام والمسلمين مثل الإصلاح الديني والإجتماعي ونشر العلوم والثقافات الإسلامية ومحاربة الاستعمار ومقاومة التبشير المسيحي وطغيان حضارة الافرنج وعاداتهم وتقاليدهم على عادات المسلمين وتقاليدهم وأثر ذلك الشيء على أولاد المسلمين وما إلى ذلك ثم وجد فرصة سانحة للقيام بهذه الأعمال لو أراد ذلك وهي وجود أتباع مخلصين مستعدين للاندفاع بكل ما يملكونه من قوة إلى ما دفعهم اليه من أعمال بإيمان وإخلاص هذا بالإضافة إلى أنه رجل موهوب لا شك في ذلك وقد توفر فيه كثير من الصفات التي تؤهله للقيام بهذه الأعمال على أكمل وجه لو أراد ذلك مثل شخصية قوية وهمة عالية وذكاء مفرط وحسن السياسة في معاملة الناس والفوز بالقبول منهم ولكنه للأسف ما حاول أن ينجز شيئاً من هذه الأعمال العظيمة التي ذكرناها وعلى الوجه الذي يستحق التقدير لمثله .

فمثلاً كان له مجال واسع في ميدان الإصلاح الاجتماعي وخصوصاً في وطنه إذ يمكنه أن يحاول بنجاح تغيير بعض عاداتهم القبيحة التي لا توافق سنة النبي صلى الله عليه وسلم مثل تبرج نسائهم واختلاطهم بالرجال الأجانب ، وما يحيط بذلك من التقاليد التي تقع بعيدة عن مجرى تعاليم الإسلام ، وقد قال الله تعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم : « قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » (١) وعن أم سلمة قالت : « كنت أنا وعائشة مع النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذن ابن أم مكتوم فقال : احتجبا فقلنا أوليس أعمى فقال أفعمياوان أنتما » (٢) والظاهر أن الشيخ لم

---

١ – سورة النور ٣٠

٢ – الشيخ عبدالله بن فودي : ضياء التأويل ٣/

يكن يعتبر هذه المسألة من الأمور الجديرة بالاهتمام ، وعلى أي حال فإن سكوته التام عنها وإباحة ذلك لنفسه ولأسرته وتلاميذه قد أدى إلى أن يتخذ ذلك بعض تلاميذه سنة متبعة في غانا وغيرها من الأقطار فأباحوا لنسائهم التبرج كما يفعله السنغاليون (١).

وكذلك الأمر في نشر العلوم والثقافات الإسلامية فإن الشيخ إبراهيم لم ينتهز تلك الفرصة الوافرة التي يتمتع بها في طول المدة التي قضاها معززاً محترماً بين أتباعه المنتشرين في طول غرب إفريقيا وعرضها ليؤسس لهم مدارس ومعاهد لتخريج الطلاب التجانيين المتضلعين بشتى الفنون والثقافات الإسلامية وغير الإسلامية كأن يؤسس لتلاميذه في كل قطر مدارس ابتدائية وثانوية ثم يؤسس معهداً كبيراً في كولخ يؤمه الطلاب المتخرجون من تلك الثانويات ومن ثم إلى الجامعات الكبيرة في العالم الإسلامي للتعليم العالي وكان بامكانه أن يحقق ذلك بشيء من النجاح لو حاول لأنه كان محترماً عند جميع حكومات غرب إفريقيا والعالم الإسلامي وخصوصاً العالم العربي ، بحيث إذا مد يده اليها لطلب المساعدات في إنشاء هذه المدارس لا تعود خائبة هذا بالإضافة إلى ما رزقه الله به من التلاميذ الأغنياء الكثيرين المستعدين للقيام بكل أمر من شأنه أن يكسبهم رضاه عنهم ، وهذا أيضاً ما عدا التبرعات التي تجمع من أصحاب النيات الطيبة من المسلمين حتى غير التجانيين والمبالغ التي تؤخذ من آباء التلاميذ شهرياً أو سنوياً أو عند انتهاء كل فترة دراسة ، ولو فعل الشيخ ذلك لقدم للإسلام ولأفريقيا خدمة مشكورة لا تنسى مدى الدهر ولعد ذلك عملاً باهراً لا يقوم به إلا مصلح إجتماعي كبير .

وأما محاربة الاستعمار فليس ذلك من ضمن جدول أعمال الشيخ أصلاً بل هو خارج من برنامجه الدعوي لأنه مثل جميع شيوخ الطريقة التجانية الكبار لا يرى إلا مسالمة المستعمرين ، وتقديم الولاء الخالص لهم ، وقد مر بنا أنه أمر خلفاءه بزجر تلاميذهم من مخالفة المستعمرين الفرنسيين الذي نعتهم بالمصلحين للبلاد والساعين في إئتلاف السكان ، وصيانة نفوسهم وعافية البلاد ، فقرر أن موافقتهم واجبة(٢) ومن

---

١ – مقابلة مع الزميل أبي بكر جبريل هنا في قسم الدراسات الإسلامية في ١٤/ ١ ١٩٧٩ م.
٢ – انظر جواهر الرسائل ١/ ٢٧

كان هذا رأيه في المستعمرين واستعمارهم لا يحاربهم بأي نوع من أنواع المحاربة .

وكذلك مقاومة التبشير المسيحي وما إليه من طغيان عادات الغربيين المسيحيين وأفكارهم على نشء المسلمين فما وجدنا للشيخ نشاطاً في ذلك الميدان أيضاً والمنطق يقتضي ذلك طبعاً لأن الذي دعا بجد إلى موافقة المستعمرين والبعد من مخالفتهم معتقداً وجوب ذلك لا يدعو إلى محاربة دينهم .

ولو أنجز الشيخ هذه الأمور التي ذكرناها نفاً أو بعضها لعد مجدداً دينياً ومصلحاً إجتماعياً عظيماً ، ولكنه للأسف لم يحاول ذلك ولكنه معذور على أي حال لأنه إنما جاء ليجدد الطريقة التجانية فحسب ، وهي لم تؤسس ابتداء للاصلاح الديني أو الاجتماعي وإنما أسست للدعوة إلى عقيدة مستقلة استقلالاً تاماً عن عقيدة الإسلام ، ونشر تعاليم مضادة لتعاليم الإسلام في ثوبه . روى الدكتور جميل أبو النصر في كتابه (التجانية طريقة صوفية في العصر الحديث) أن الشيخ محمد بن عبد السلام الناصري قابل الشيخ التجاني عند مقدمه مدينة فاس سنة ١٢١٣ هـ — ١٧٩٨ م فناقشه حول حياة المسلمين الاجتماعية يومئذ فكان رأي الشيخ التجاني هو أن يلغي جميع العلوم الدينية لفساد الوقت ويعتمد على ما ينزله الله على قلوب المشايخ الصوفية من أمثاله (١) وجاء مصداق ذلك في كتاب الإفادة الأحمدية حيث قال الشيخ التجاني : « ما أحوج الناس في هذا الزمان إلى عالم أو علماء ينقحون لهم كتب الفقه من الحشو الذي فيها » (٢). ومن ذلك أيضاً قوله لبعض أتباعه عندما سأله أن يدعو الله له بالاستقامة : « من يريد الاستقامة في هذا الزمان كمن يريد أن يبني سلماً إلى السماء »(٣). ولا تنس أن الشيخ التجاني قد دعا على وطنه الجزائر المسلم بأن يحتله الكفار أعداء الله والدين وأن يسد الله أبواب رحمته في وجوه حكامهم (٤) وإذا جمعت هذا الدعاء وكلامه الذي سبقه تدرك تماماً أن الشيخ التجاني لا يهمه الإسلام ولا شيء من تعاليمه وإنما تهمه طريقته التي أسسها وقام ينشرها على حساب دين الإسلام فقط ، ومن أجل ذلك لم يطلب التقوى والاستقامة من أتباعه ، وما دعاهم إلى ذلك وإنما طلب منهم دوام محبته بلا

---

١ — انظر صفحة ٢٠ من ذلك الكتاب

٢ — السيد الطيب السفياني : الإفادة الأحمدية ٨٠

٣ — السيد الطيب السفياني : نفس المصدر ٧٩ .

٤ — انظر هذا الكتاب صفحة

انقطاع إلى الممات فقط ، وإذا حصل ذلك يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب ، ولو عملوا في الذنب كل جريمة وبلغوا من المعاصي ما بلغوا »(١). وقد مر بنا نفاً إن الشيخ إبراهيم روى عنه أنه قال إن طريقته نشأت في دائرة تسمى بالدائرة الفضلية التي تقع وراء دوائر الشرع الإسلامي كلها أي إن التجانيين ليسوا مكلفين بأداء الفرائض والواجبات ولا اجتناب المنهيات والمنكرات لأنهم ناجون على كل حال سواء أطاعوا الله أم عصوه ، وسواء كانوا على الصراط المستقيم أو حادوا عنه إلى الطريق الوخيم لايسألهم الله عن أعمالهم أياً كانت وإنما يدخلهم الجنة بغير حساب ولا عقاب فقط وحتى عباداتهم إنما يقومون بها شكراً لله ليس إلا لا أداء لما فرضه الله عليهم من الواجبات الدينية التي يعاقب تاركها حسب ما عرف في الشرع .

وكل من كان هذا رأيه فلا يهتم – طبعاً – بالاصلاح العام لحياة المسلمين الدينية والإجتماعية وكان خلفاء الشيخ التجاني على رأيه لا يرون وجوب إصلاح أحوال المسلمين الاجتماعية حتى تجري حسب أوامر الشرع وعلى مقتضى تعاليم الدين ،وقد أرسل بعض الأصحاب إلى خليفة الشيخ التجاني القطب علي التماسيني يطلب اليه النصيحة والإرشاد وجاء في رده اليه ما يلي : « أما قولك أحببت النصيحة لله ولرسوله فهذه الساعة التي نحن فيها لم تبق فيها نصيحة ولا عمل لأن الله تعالى حكم على عباده بفساد الأرض وأهلها ولم يبق شيء من العمل إلا الذي رزقه الله محبة سيدنا – يعني الشيخ التجاني – ظاهرة وباطنة » (٢) وأخذ الشيخ ابراهيم إنياس ذلك عنه فقال كما سبق : « واعلموا أن الله ساق الوجود في هذا الزمان مساق الهلاك ولا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجاني » (٣).

ومن أجل ذلك إذا نظرنا إلى حركة الشيخ ابراهيم لا نرى فيها محاولة إصلاح الأحوال الاجتماعية ، وحمل المجتمع على السير على جادة الشريعة الإسلامية ، بل نرى أنه قسم الناس إلى ثلاثة أقسام :

---

١ – انظر جواهر المعاني ١/ ١٢٩ و٢/ ١٧٦ .

٢ – الشيخ سكيرج العياشي : كشف الحجاب ١٥٤ ٣ – انظر جواهر الرسائل ١/ ٨ .

١ – أتباعه من التجانيين الذين سماهم أهل الفيضة التجانية .

٢ – التجانيون الذين لا يؤمنون به ولا بدعوته .

٣ – المسلمون الذين لا يتقيدون بالطريقة أصلاً .

فأما أتباعه فيعتبرهم المسلمين الخلص الناجين على كل حال وهم الذين وقعوا في الدائرة الفضلية السابقة ، وهم الطائفة الذين لا يبلغ أقطاب أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كلهم أجمعون أكتعون شعرة واحدة من رأس واحد منهم وهلم جرا .

وأما التجانيون الذين لا يؤمنون به ولا بدعوته فلم يعترف هو بتجانيتهم كما تقدم فصار يدعوهم أحياناً بالعوام الذين لم يجتمعوا لطاعة الله وحذر أتباعه من مجالستهم (١) وسماهم أحياناً بأهل الغفلة الذين لم يرفعوا الشأن الشيخ التجاني رأساً ونفاهم من التجانية على رغم كونهم متمسكين بها بإذن صحيح (٢) كما دعاهم أحياناً بالذين لاناقة لهم في الطريقة ولا جمل واستعاذ بالله منهم ثم طردهم من الطريقة أيضاً مصرحاً بأن ليس لهم حظ في الطريقة إلا مجرد الأخذ فقط (٣) هذا وقد مر بنا أنه كفر بعض شيوخ التجانية لأنه ينكر عليه أمره كما جعل بعضهم أيضاً عدو الله ورسوله لأنه يعاديه ويحاربه (٤) هذا كله بالنسبة للتجانيين الذين لم يؤمنوا به ولا بدعوته وأما غير التجانيين من المسلمين فقد طبق عليهم حكماً واحداً وهو أنهم كلهم هالكون لا ينجو منهم أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجاني (٥).

ومن هذا كله ندرك أن الشيخ ابراهيم لم يكن مجدداً دينياً ولا مصلحاً اجتماعياً وإنما هو شيخ كبير من كبار شيوخ الطريقة التجانية ليس إلا ولكنه يتميز عن الشيوخ التجانيين الذين ينتجعون نيجيريا منذ تأسيس الطريقة التجانية إلى يومنا هذا حاملين معهم تعاليمها وأسرارها إلى النيجيريين الذين اعتنقوها بأنه أول من حاول بنجاح أن يفسر لهم الطريقة التجانية على حقيقتها وبين لهم أهدافها وغاياتها كما سبق أن قررنا (٦)

---

١ – انظر جواهر الرسائل ١/ ١٠

٢ – انظر كاشف الالباس ٤٧ .

٣ – انظر صفحة من هذا الكتاب

٤ – انظر صفحة من هذا الكتاب .

٥ – انظر جواهر الرسائل ١/ ٨

٦ – انظر صفحة من هذا الكتاب .

كرامات الشيخ ابراهيم انياس

يبدو أن الشيخ ابراهيم نفسه لا يشعر بأن له الكرامات التي من جنس خوارق العادات ومن أجل ذلك ذهب يكرر ويؤكد أن الطريقة التجانية بنيت على أساس الطريقة الملامتية الصوفية فكان دأبهم من أجل ذلك ستر مقاماتهم ورفض الكرامات المادية المعتمدة على خوارق العادات والمكاشفات الكونية وقال في هذا الصدد : « فنحن السادات الملامتية شأننا ستر المقامات وترك الكرامات فكل ذي حرفة في حرفته وكل ذي شغل في شغله لا ندعي الدعاوى ولا مزية ولا خصوصية ولا نهتم بخرق العوائد والأخبار بالكشوفات لأن ذلك حيض الرجال وأن المعتبر عندنا الكشف النوراني . لا الظلماني فآياتنا في قلوبنا كما أن آيات غيرنا في الآفاق » (١).

وبهذا استراح من أن يكلف نفسه إظهار خوارق العادات لأتباعه وهم أيضاً استراحوا من اختلاق الكرامات الخيالية واختراع الخوارق المزورة ينسبونها إليه ليسدوا بها أفواه الخصوم إذا اشتبكوا معهم في مناظرات جدلية فتعلقوا جراء ذلك بما قرره لهم شيخهم في هذا الصدد فمثلاً إن الشيخ محمد الناصر الكبراوي زعيم القادرية في كنو طعن في صحة قطبانيه الشيخ ابراهيم وولايته فقدم بين يدي ذلك حججه منها قوله : « من ادعى مقام القطبانية فليظهر لنا شيئاً عجيباً من الكرامة نصدقه في ذلك ونسلم القياد اليه وأما قول الرجل أنا كذا وكذا من دعوى المقامات بين أتباعه وتلاميذه الذين سلموا إليه القياد المحبين له المصدقين لكلامه فليس بشيء ولا يعتبر به مهما لم تظهر عليه الكرامة ولو قلت بين تلاميذي وأتباعي أنا كذا وكذا لصدقوني في ذلك لمحبتهم إياي » وعندما ذهب الشيخ محمد الثاني الكافنغي ليرد عليه لم يجد إلا ما قرره شيخه ابراهيم إنياس آنفاً فقال : « والشيخ لم يدع الولاية ولا شيئاً من مقاماتها فيطلب ببينة من الكرامات الحسية ونحن لا نعمل على الكرامات الحسية والكشوفات الكونية فنحن مشتغلون بالله تعالى فقط ومشتغلون (أيضاً) بخدمة رسوله

---

١ – انظر جواهر الرسائل ١/١٠

بمدحه وإحياء سنته وإصلاح قلوب من تعلق بنا من أمته والكرامات الحسية عندنا حيض (١) .

وورد عليه أيضاً السيد محمد المصطفى بن محمد الثاني الكنوي بقوله « انظر ياأخي كلام هذا المتعصب الغبي كيف صدر منه هذا الكلام الساقط الذي لا يصدر إلا من العامة الجهال الذين لم يميزوا صحيح القول من عليله ، ولم يذوقوا شيئاً من علوم الرجال ، ولم يعلموا إلا ما ظهر لهم من خوارق العادات ، وهو مع ذلك ينسب نفسه إلى العلماء ويدعي بلسان حاله أنه لا أعلم منه في هذه البلاد ويعجب بنفسه في ذلك وهماً وغلطاً فاسداً منه ومراده وقصدده بهذه الأقوال من أن القطب كذا وكذا تعريض لجانب الشيخ ابراهيم يعني أنه ليس كما يزعمه الناس من أنه قطب ينكر ذلك على الشيخ لقد جهل هذا المتعصب حد الكرامة وانقسامها إلى حسية ومعنوية وأكبرها وأفضلها إتباع السنة النبوية المطهرة : ألم يكف من الشيخ كرامة كثرة أتباعه في كافة أنحاء العالم الإسلامي وكثرة أتباعه للسنة المطهرة وكثرة أمداحه للنبي في الدواوين المتعددة وظهور الفيوضات الربانية في طريقة التجانية على يديه وانتشار القبض وإحياء سنته في هذه البلاد على يديه وغير ذلك من كراماته المعنوية ولكن هذا المتعصب لا يفطن بذلك ولا يتبصر لانطماس عين بصيرته من الحسد » (٢).

ومما يعتبر من كرامات الشيخ ابراهيم إنياس أيضاً اسلام ذلك المبشر المسيحي الأبوي النيجيري على يده وذلك أن مبشراً مسيحياً في شرق نيجيريا اسمه ــ كما أثبته الشيخ التجاني إنياس ابن الشيخ ابراهيم ــ وثاني أغوماغور رأى الشيخ ابراهيم في المنام يدعوه اليه فتعجب من ذلك لانه لم يكن يعرفه من قبل ولم يسبق له به لقاء أبداً هذا كله بالإضافة إلى انه مسيحى لا علاقه له بشيخ مسلم فطفق يبحث عنه حتى عثر على صورته عند بعض التجانيين هنالك في شرق نيجيريا فسألهم عن خبره فزوده بمعلومت كافية عنه فعزم من حينه على المسير اليه فرحل توا إلى السنغال حتى وصل إلى المدينة كولخ والتقى به في داره واخبره بكل ما كان من امره فسر به الشيخ ابراهيم سروراً عظيما وضمه إلى صدره وقبله ثم أسلم وسماه الشيخ بإسمه إجابة لطلبه ووكل له من يعلمه بقرأة القرآن

١ ــ انظر سبيل الرشاد ٤٢ .

٢ ــ انظر قول السداد ٤١

ومبادىء الدين ومكث هنالك بحضرة الشيخ في كولخ مدة طويلة فعندما آنس الشيخ نضوجه في الدين ورسوخ العقيدة الاسلامية في ذهنه أذن له بالعودة إلى وطنه لدعوة قومه إلى دين الاسلام والطريقة التجانية ، وفعل ذلك بنجاح تام ثم اخذه الشيخ بعد ذلك إلى رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمه وعرفه برئيسها وأمينها وبوجوه اعضائها حتى قررت له الرابطة مساعدة سنوية ثم كتب له امين الرابطة توصية الى جميع دول العربية والاسلامية يدعوهم الى مساعدته .

لقد جاء ذكر هذا الرجل في كتيب نشر في الكويت بعنوان (رجـال ونساء اسلموا) وقد اشار الكتاب إلى أن هذا الرجل قد اتصل برجل عربى سوري تاجر في نيجيريا ودعاه الى التخلى عن الطريقة التجانية ويتحول الى داعية الى الاسلام وحده بدلا من حياة الدروشة الانعزالية فلبى دعوته ثم زوده التاجر بشيء ذى بال من ماله ليستعين به على المضى على ما عزم عليه من دعوة قومه الى الاسلام (١) وقد جاء في كلام الشيخ التجانى اناس المذكور آنفا ما يدل على صحة هذا القول حيث قـرر ان الرجل بقي على عهد الشيخ ابراهيم حتى عنـدما طاب منه ان يزوجه إحدى بناته وكان الشيخ قد وعدها لبعض التلاميذ قبل ذلك فأمره بأن يعين غيرها من بقية البنات فأمتنع ومن هنا وقع له ما وقع حتى انضم الى صفوف المرجفين فإن دل هذا الكلام على شيء فإنما يدل على أن الرجل قد قبل نصيحة التاجر العربى فتخلى عن الطريقة التجانية فظن أهل الفيضة أن ذلك كان لأجل فوات الزوجة منه كيف يكون ذلك والرجل قد اسلم وحسن اسلامه وكان مخلصا لدينه وثابت في عقيدته حيث أن السفارة الاسرائيلية في نيجيريا بعثت اليه - وهو في لحظة كان يحتاج فيها الى المال - رجلا منافقا يظهر إسلامه فقال له إن السفارة الاسرائيلية على استعـداد لتمنحك ٥٥٠٠٠ دولار شريطة ان يتحول قاديانيا فما كان من ابراهيم اناس الابوى هذا الا ان رفض وقال ان معى ربى يغنيني عنك وعنها . » (٢)

وقد ذكر الشيخ أبو بكر عتيق الكشناوي التجانى امر ابراهيم اناس الابوى هذا مستدلا بذلك على صحة كون الشيخ ابراهيم صاحب الفيضة التجانية التي بشر الشيخ

---

١ - عرفات كامل العشي : رجال ونساء أسلموا ١٦٥ .   ٢ - نفس المصدر ١٦٧

التجاني أهل طريقته بإتيانها فقال : « وهذا رجل واحد غير مسلم أتاه فأسلم على يديه وأخذ الورد وتربى فأذن له بالرجوع إلى أهله والدعوة إلى الإسلام وهاهو قد أسلم في يده أكثر من سبعة » لاف نفس وذلك بين أربعة أشهر في عامنا هذا أعني عام ١٣٧٨ م » (١).

وأما كرامة الشيخ ابراهيم عند عوام السنغاليين بل وحتى بعض مثقفيهم هي أنه يتمتع بقوة سحرية خارقة يستطيع أن يتخلص بها من أعدائه جميعهم فمثلوا لذلك أنه كان هناك رئيس قبيلة عارضة في أمر سياسي فأرسل عليه الشيخ ابراهيم إنياس سحره فأحرقه حياً (٢).

ولا شك أن نسبة السحر إلى الشيخ إبراهيم أمر شائع في أوساط العامة ومن على شاكلتهم في المجتمع السنغالي بدليل أن الشيخ نفسه قد أورد ذلك في جملة مآخذ قومه عليه في رسالته السابقة وعلى أي حال فإننا نكل الأمر إلى الله وهو العالم بالسرائر وخفيات الأمور .

هما إثنان كان عوام السنغاليين وبعض مثقفيهم يخافونهما ويعتقدون أنهما يستطيعان التخلص من أعدائهما بواسطة قوتهما السحرية الشيخ إبراهيم إنياس والشيخ طاهر دي كوري ابن شيخ الطريقة الحملية التجانية السنغالية الشيخ دو كوري(٣).

ويتلخص من كل هذا أن كرامات الشيخ ابراهيم عند أتباعه معنوية وليست حسية وهي تنحصر في إحياء سنة القبض ورفع اليدين في المواضع الأربعة والجهر بالتأمين وتكرار قد قامت الصلاة مرتين وكثرة الاتباع والتلاميذ في العالم الإسلامي وظهور الفيوضات الربانية والمعارف الإلهية على يديه وكثرة أمداحه للنبي صلى الله عليه وسلم بالدواوين الكثيرة الطويلة وإسلام الكفار على يديه .

تقديـره

يعتبر الشيخ ابراهيم إنياس من أعظم الشخصيات الإسلامية التي ظهرت في إفريقيا

---

١ – انظر الصارم المشرفي ٢٣

٢ – Mrs. L. C. BEHRMAN : المصدر السابق٥١

٣ – Mrs. L. C. BEHRMAN : نفس المصدر ٥١ .

الغربية في هذا القرن العشرين ، وقد جمع إلى همته العالية وعزيمته القاهرة قوة روحية مؤثرة ، وحنكة سياسية قوية ، وقد آمن الشيخ ابراهيم بأن ما فتحه الله على يديه من تربيته هذه قد هله لمقام كامل العصر ، أي هو القطب الفوت الذي أظهره الله للناس في هذا القرن وهو الذي يلجأ إلى كنفه كل من يريد الدخول إلى حضرة الله القدسية ، كما اعتقد أيضاً بكل ثقة أنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم في وضح النهار يقظة لا مناماً منذ بدء أمره حتى مماته أنظر اليه وهو يقول في المستشفى بباريس في مرضه الذي مات منه :

رأيت رسول الله جهـــراً ويقظــة بباريز هل ذلك المحل محلــه (١)

فهذه التربية وما يعتقده من أنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وما نتج من ذلك من اعتقاده أنه كامل العصر ومحل نظر الله من خلقه والباب المفتوح لكل من يريد الولوج إلى حضرة الله جعله يثق بنفسه ثقة تامة بدرجة أنه يؤمن بأن كل من خالفه ورفض دعوته لا يعد من جملة المسلمين حتى ولو كان تجانياً وقد مر بنا آنفاً وفي مواضع أخرى من هذا الكتاب أنه طرد – من التجانية – كل من لم ينتظم في سلك أتباعه كما كفر أيضاً بعض من رفض دعوته من شيوخ التجانية صراحة ، وذلك كله يرجع إلى ما تقدم من الأهمية العظيمة التي أعطاها لتربيته الصوفية هذه ، حيث يعتقد أن كل من لم يجتز امتحانها هالك لا نجاة له أبداً ، وهذا معنى قوله : « إن الله ساق الوجود في هذا الزمان مساق الهالك فلا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجاني » لأنه فسر ذلك بقوله : « وذلك لابد أن يكون غارقاً بالله بضمان سيد الوجود صلى الله عليه وسلم » (٢) أ إن التربية والوصول إلى المعرفة التي يكتسب من طريقها هو نتيجة محبة الشيخ التجاني وأن كل من لم يرزق محبة الشيخ التجاني محروم من ذلك وهذا لا شك هو الرأي السائد في أوساط أتباعه ، فقد صرح لي تلميذه الأكبر الشيخان (من آب) بمنزله في حاضرة برين بمورتانيا بأن من لم يدخل تحت تربيته أي الشيخ إبراهيم التصوفية التجانية لن يدخل الجنة ، لأن عبادته كلها موقوفة وليست مطلقة

١ – وجدت القصيدة التي جاء فيها هذا البيت عند السيد محمد الهيبة بن الطفيل بمورتانيا .
٢ – انظر جواهر الرسائل ٨/١

بإطلاق ذات الله تعالى ، كما هو حال عبادة العارف الذي تربى ، وأن من أراد الله أن يدخله الجنة من عباده الذين لم يجتازوا التربية في الدنيا يربيه في المحشر قبل دخوله الجنة (٢).

وقد استطاع الشيخ ابراهيم – مع اعتقاده أن كل من لم يعتنق الطريقة التجانية ويدخل تحت تربيته التصوفية التجانية هالك لا نجاة له – أن يعامل هؤلاء المسلمين الذين يعتقد أنهم هالكون كأنه واحد منهم مع صداقة خالصة وتفاهم حسن ، فأحبوه بدورهم محبة صادقة ، واحترموه لسمته الحسنة ، ومكانته من العلم والدين وقدموه في مواقف اسلامية حساسة كثيرة ، وكان نائباً لرئيس الرابطة الإسلامية منذ إنشائها ، وهو العضو الثاني في المجلس التأسيسي لها ، وهو عضو في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ، وشارك في مؤتمري كراتشي ، وترأس أحدهما وهو الذي عقد سنة ١٩٦٤ م .

وبالجملة فإن الشيخ إبراهيم قد استطاع بفضل همته وقوة شخصيته وحسن سياسته أن يخرج من قفص الطريقة التجانية إلى الفضاء العام الإسلامي ويعامل المسلمين كفرد منهم ، ثم يعود إلى قفصه متى شاء ، بل قد استطاع أن يكون رجل العالم في حياته ولا أدل على ذلك(١) من قصيدته التي نظمها سنة ١٣٨٣ هـ يمدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم وجاء فيها :

فغادرت أوطاني وأهلي وأسرتي	أجوب الفلا لم أشك قط كلالا
بكولخ طوراً أو بيوف ومـــرة	بباريس دار الفاسقين كســـالا
ببلجيكا يوماً ثم يومـــاً تجولا	بغامــــرة أبغـــي هناك جمـــالا
لعبـــد المليك القرم قد جئت موهنا	وما لندنا أبغي فهبهـــا خيـــالا
ببيروت أنحو الصين بالشرق خادما	رسول إله العرش وهو تعـــالى
كراتشي بها خلفت أهل مودتي	هم نصروا دين النبي فعـــالا
قد اعتصموا بالحبل حبل محمد	كباراً وأطفالا نسا ورجـــالا
بدار علوم الدين أدركت نزهتي	فقد شيدت مجداً يفوق مقـــالا

---

١ – في مقابلتي معه في التاريخ السابق .

لمركز انعام الإلـه تشـوقي — فقد شاد مجداً إذ أتـاح مجـالا
بكلكت بالهند القديم عمـارة — مسيري إلى مولى وجـل جـلالا
لهتكوك من بنكوك جاء خديمكم — يوالى لك الاسفار وهو أطـالا
... ...
علوت البحار الزاخرات واني — علوت القرى والمدن بله الجبـالا
أروم رضى الباري لنصرة دينـه — وأبرز للجيل الجديد مثـالا
ضعيف عليل شائب متحمس — لينصر ديناً لا يريد قتـالا (١)

ولا شك أن الطريقة التجانية هي سبب شهرة الشيخ ابراهيم إنياس حتى علا صيته ، وانتشر ذكره في الآفاق ، ولكنها في الوقت نفسه هي التي عاقته دون أن ينفع المسلمين ، أو بعبارة أخرى أن ينتفع المسلمون بمواهبه التي أسبغها الله عليه ، ولا أعني بالمواهب تربيته تلك وما شاكلها من الأمور الخيالية التي يسمونها بالفيوضات الربانية، وإنما أعني بالمواهب هذه الأوصاف الجميلة التي يتمتع بها من القوة الشخصية ،والهمة العالية ، والعزيمة القاهرة وتوقد الذكاء ، ونفوذ البصيرة ، والقبول التام من الناس على اختلاف ميولهم وتباين طبقاتهم ، أضف إلى ذلك كله ما يتجلى به من الوعي الديني لأننا لو رجعنا قليلاً إلى بدء شأنه وأول أمره لرأينا أنه في نفس الوقت الذي كان يؤسس جمعيته الأولى التي سماها جماعة الفيضة التجانية (٢) كان الشبان السنغاليون من أبناء شيوخ الطرق الذين رجعوا إلى وطنهم – بعد أن كملوا تعليمهم العالي في مصر والمغرب وبقية أقطار العالم العربي – متأثرين بالحركات الإصلاحية الدينية التي يدور رحاها هنالك بلجب شديد يومئذ ، يقومون بحركات إصلاحية في بلادهم مؤسسين جمعيات متعددة لهذا الغرض ، ويرسمون لذلك خطوطاً عريضة ، منها القيام بشن هجوم عنيف مباشر ضد الطرق الصوفية ومشايخها على نحو ما مر بنا في الفصول السابقة، من هذا البحث (٣) ولو انضم الشيخ ابراهيم إليهم وقاد حركتهم لأستطاع أن ينهض بالمسلمين في إفريقيا وخصوصاً الغربية إلى الأمام ، كما كان يكرر ذلك كثيراً في خطبه،

---

١ – انظر مجموع أربع قصائد للشيخ ابراهيم — ٢ – الدكتور جميل أبو النصر : المصدر السابق ١٦٨ .
٣ – الصفحة — من هذا الكتاب

ولنجح في تطهير إفريقيا المسلمة من أدران عقيدة الطرق الصوفية الخرافية المثبطة للمسلمين عن النهوض ، ولوضع للجيل الجديد – كما يقول – مثالاً حسناً يقتدون به ومنهاجاً قيماً يسيرون عليه ، نحو الرجوع إلى عقيدة القرآن وتعاليمه السامية ، فيكتسبون بذلك قوة خارقة ، يرعبون به أعداءهم ولاستراح هو من التزام التقية في آخر حياته ، بحيث يكون في أتباعه تجانياً صميماً يدعوهم بملء شدقيه إلى عقائد الطريقة التجانية ويقود لهم مبادئها وتعاليمها وإذا اجتمع بالمسلمين ذوي النفوذ الذين لا يؤمنون بالطريقة يخفي لهم أنه هو وأتباعه تجانيون .

وفاته وخليفته

توفي الشيخ ابراهيم إنياس مجدد الطريقة التجانية في القرن العشرين يوم الأحد ٢٧ يوليو ١٩٧٥ م في لندن المملكة المتحدة وقبل أن ينقل إلى هنالك قضى ثلاثة أشهر أو يزيد في باريس للعلاج أيضاً ودفن وراء مسجده حسب ما أمر به في وصيته .

لقد سبق أن قررنا أن الروايات الشفوية تقرر ان أنه قد خلف عند موته خمسة وسبعين ولداً ما بين الذكر والأنثى وعلى أي حال فإن لم يكن في مقدورنا أن نقطع بصحة ثبوت العدد فلا يفوتنا أن نقطع بأن عددهم كثير وقد أحصينا عدد المتزوجات من بناته فوجدناه يزيد على عشرين ، وربما نسي المخبر بعضهن وأحصينا أيضاً عدد أولاده الذين كملوا دراستهم والذين لا يزالون يكملون في مصر والمغرب والسودان فوجدناهم أكثر من عشرين أيضاً هذا كله ما عدا الثلاثة الكبار الذين يقومون بإدارة شؤون البيت والزاوية وتدريس التلاميذ وسياسة الأتباع ولم يدخل في هذا العدد أيضاً الصغار من الذكور والإناث .

وأكبر أولاده هو الحاج عبدالله إنياس ثم الحاج أحمد دم إنياس ثم الحاج أحمد التجاني إنياس وهؤلاء كما أشرنا آنفاً هم الذين يقومون بتدبير شؤون البيت والزاوية والحقول وسياسة الأتباع في أقطار إفريقيا الغربية .

وبعد فقد أوصى الشيخ – عندما أحس بدنو أجله – للسيد علي سيس بخلافته كما أسند إمامة مسجده إليه هو وابناؤه أيضاً وجاء في نص الوصية ما يلي : « وبعد فإن

أنا مت ولا باقي إلا الله تعالى فالله خليفتي في عيالي والولد البار الخادم الأرض العلامة العارف بالله سيدي علي سيس يرعى عيالي ، فهو شيخ أولادي وأصحابي وخليفتي بعد الله فيهم ، وأوصي أولادي أن يكونو يداً واحدة يوقر صغيرهم كبيرهم ، ويرحم كبيرهم صغيرهم ، وليكونوا معه كما كانوا معي ، بل كما كانوا معه الآن ، وهو يقدر لهم قدرهم ويشاورهم ، وإن رأوا أن يبيعوا جميع تركتي وكتبي ماعدا المخطوطات فذلك لهم ، وإن رأوا إبقاءها فأرجو الله أن يغنيهم عن بيعها ، وكتب والدي تبقى وقفاً على عقبه ، كما أوصى بذلك رحمه الله وأدفن وراء المسجد الجامع في مكان يختارونه ، وما ملكت يميني من عبد وأمة حر في سبيل الله ، والجواري اللاتي كن للفراش ولا ولد لهن يرزقن من التركة كالمطلقات اللاتي ليس لهن حظ في الثمن ، وأوصي بصرف الاهتمام لإتمام المسجد والإمامة فيه لسيدي علي سيس ولأولاده الحسن ثم من شاء الله وإمامة زاوية كولخ تكون لأولادي من سكن منهم هنالك ، وأولاد إخوتي يصلحون للنيابة حسب ما يرى سيدي علي سيس، وكبير الأولاد الحاج عبدالله ، وأوصيكم وأوصي نفسي بتقوى الله في السر والجهر وصلة الرحم والمحافظة على الورد التجاني فهو كنز للاحياء والأموات » .

وإذا نظرنا إلى نص الوصية نرى أن الشيخ قد أبعد أبناءه من خلافته إبعاداً يكاد يكون تاماً في ظاهر الأمر ، حيث لم يجعل لهم من الأمر شيئاً ، وما أسند إليهم إلا إمامة زاوية كولخ فقط لمن سكن هنالك منهم من غير أن يعين أحداً بعينه ، كما عين السيد علي سيس وابنه الحسن لإمامة مسجده ، مع أن أمر زاوية كولخ – إذا كان يريد بها زاوية الحاج عبدالله إنياس – قد خرج من يده بالمرة فور موته ، ولا يكون لأولاده وحدهم الحق في إمامتها فضلاً من أن يكون في يد السيد علي سيس لأنها في حقيقة الأمر حق مشاع بين جميع بني الشيخ عبدالله إنياس وقد سبق أن قررنا أن الشيخ إبراهيم مؤسس لمركزه الخاص به وليس خليفة لوالده بالرغم من دعواه ذلك، للأدلة التي قدمنا كما قررنا أيضاً أن الخليفة للزاوية الكولخية في الوقت الحاضر هو هو الحاج عبدالله إنياس ابن الخليفة الأول الحاج محمد إنياس ، وكأن الشيخ لم يتنبه إلى ما سوف يحدث – من جراء وصيته هذه لو ذهب أبناؤه ليجعلوها في موضع التنفيذ – بينهم وبين أولاد أخوته أولئك من العداوة والبغضاء وقطع الأرحام .

ومهما يكن من شيء فإننا – بقطع النظر عن ملاحظة الحكمة التي بنى عليها الشيخ رأيه في إبعاد أبنائه من خلافته والفائدة التي يهدف إلى تحقيقها لهم من وراء ذلك – نفهم أنه ربما أراد بذلك أن يقتدي بالشيخ التجاني عندما أوصى بخلافته لصاحبه السيد علي التماسيني ، ثم من بعده لأكبر الأبناء من بينهما بالتناوب يوماً في بيت التماسيني ويوماً في بيته ، ولكن الخطة لم تنجح إذ سرعان ما حدث الشقاق بين البيتين فور موت السيد علي التماسيني وكذلك وصية الشيخ إبراهيم لو نفذت على النحو الذي كتبها لحدث الشقاق إما بين السيد علي سيس وبين أبنائه ، وإما بينهم وبين أبناء السيد علي سيس في المستقبل ، .

وعلى أي حال فإن الحاج عبدالله إنياس آكبر أبناء الشيخ إبراهيم إنياس هو خليفته لا السيد علي سيس كما قرره الشيخ في وصيته ، وهو الذي يقوم بإمامة الناس يوم الجمعة لا السيد علي سيس كما نصت عليه الوصية أيضاً ، فقد اختلفت الروايات في سبب هذا التغيير ، ويذهب الموريتانيون إلى أن السيد علي سيس هو الذي تخلى عن الخلافة وسلمها للحاج عبدالله إنياس عن طيب نفسه ، وذلك عندما قرأ الوصية بكى وقال أنا لا أتقدم على ابن الشيخ أبداً ». بينما تقرر بعض الروايات أن الأبناء هم الذين اجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم حتى أجمعوا أخيراً على أن سير نظام الأسرة لا يستقيم إلا إذا كان الحاج عبدالله هو الخليفة ، فمن أجل ذلك أبعدوا السيد علي سيس من الخلافة وأجلسوه محله .

ومهما يكن من رأي فإن الجانبين كليهما قد أظهرا شيئاً من ضبط النفس وبعد النظر ، حيث تخلى السيد علي سيس عن الخلافة للحاج عبدالله إنياس كما رفض الحاج عبدالله واخوته أيضاً أن يحدثوا ضجة قد تفضي إلى الشقاق بينهم وبين أبناء أخوة أبيهم بمحاولة السيطرة على الزاوية الكولخية حسب مضمون نص الوصية .

الباب العاشر

دراسة كتاب كاشف الالباس عن فيضة الختم أبي العباس
للشيخ ابراهيم انياس الكولخي السنغالي التجاني والتعليق عليه

يعتبر هذا الكتاب من أهم كتب الشيخ ابراهيم لأنه ألفه خصوصاً ليعرف بنفسه وبمقامه في الطريقة التجانية .

١ – بدأ الكتاب بافتتاحية قصيرة بين فيها أن سبب تأليف الكتاب هو كثرة إنكار الناس عليه وعلى فرقته التي سماها بأهل الفيضة التجانية الذين نعتهم بالمهدين إلى نهج الرشاد وصرح بأن الأقطاب لا يساوون بيضة منهم ، فبيّن أن هؤلاء المنكرين ما قاموا بإنكارهم هذا إلا لبلادتهم واستيلاء الجهل والحسد والعناد على قلوبهم ، حيث أنهم ما فهموا أن أنكارهم عليه ما هو إلا إنكار على الشيخ التجاني نفسه الذي وصفه بالهادي الممد للعباد ، ولكنه تصامم عن إنكار هم ،مع أن ذلك شيء فظيع ، لكونه عضواً في حزب أهل الفيضة ، فإذا رد عليهم معنى ذلك أنه دافع عن نفسه بنفسه وانتصر لها ، وهذا لا يليق بأولى العزم من الرجال ، فاكتفى في ذلك برد الحضرة القدسية عنه لأنها تدافع عن نفسها وعن المؤمنين بها ، وبقي على ذلك برهة من الزمان وهم مستمرون على إنكارهم المبني على الزور والبهتان فبدأ له أخيراً أن يجمع لهم من كلام أئمة التصوف ليبيّن لهم مذاهبهم فاستعان بالله واستمد من فيض الشيخ التجاني لأن الرد على المنكرين على حركته رد عن الشيخ التجاني لأنه هو صاحب هذه الفيضة ، ومفيضها على أصحابها بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى ثم رتب فصول الكتاب إلى آخرها .

٢ ـ ومن المعلوم أن التربية هي العمود الفقري لحركة الشيخ ابراهيم كلها ومن أجل ذلك كرس مقدمة الكتاب على إثبات التربية حيث ذهب إلى أن ما ذهب اليه الشيخ أحمد زروق وشيخه أبو العباس الحضرمي من أن التربية بالإصطلاح ارتفعت خطأ لوجود عدد عظيم من شيوخ التربية بعدهما ، وأيّد رأيه في هذا بكلام الشيخ أحمد بن عجيبة في شرح المباحث الأصلية ، وكلام عبد العزيز بن الدباغ في الإبريز أيضاً ، وأكد كل ذلك بظهور الشيخ أحمد التجاني بعدهما وهلم جرا .

٣ ـ ثم نقل عن السيد العربي ابن السائح أن التربية في الطريقة التجانية خالية عن التزام الخلوة والاعتزال عن الناس ونحو ذلك ، مما فيه تشديد على النفس والتضييق وقطع جميع الإرفاق عليها ، وذلك لأن التربية فيها جارية على طريقة السلف الصالح من الصدر الأول .

٤ ـ ثم بيّن أن الطريقة التجانية لا تخلو دائماً ممن يقوم فيها بأعباء التربية في أي زمان ومكان ، بشرط أن لا تخرج عما حده الشيخ التجاني في ذلك مما تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأيّد كلامه بقول عن السيد العربي وجواهر المعاني وجامع ابن المشري وهكذا .

٥ ـ ثم تكلم عن التربية عند السلف حيث بيّن سبب اصطلاح الخلوة والرياضات والمجاهدات فيها بعد إنقراض عصرهم إلى عصر الشيخ زروق وشيخه الحضرمي وسبب قطعهما بارتفاعها بهذا الاصطلاح وأن معنى ذلك ليس انقطاع التربية بالكلية.

٦ ـ ذكر آيات قرآنية وأحاديث نبوية ترمي كلها إلى تقرير أن طائفة من أمة النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال على الحق حتى يأتي أمر الله وهذه الطائفة هي طوائف التربية الصوفية ، وأنهم لا يزالون في كل مكان وزمان إلى قرب يوم القيامة، وهذا يكون بعد وفاة عيسى عليه السلام ، بعد أن يقتل الدجال وذلك أيضاً بعد ظهور الإمام المهدي بسبع سنوات على رأس المائة الرابعة بعد ألف وهكذا ثم جاء بكلام ابن عربي الحاتمي الرامي إلى أن هذه الطائفة كانت بالمغرب لأنه أي المغرب مظهر الختمية

والكتمية ، أي لأن المغرب هو مظهر القطب المكتوم ، والخاتم المحمدي المعلوم ، الذي هو الشيخ التجاني في نظرهم ، ثم دعم كلامه بما أثره عن الشيخ التجاني نفسه أنه قال عند قوله تعالى : « ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ». إن الثلة الأخيرة هي أصحابه أي أهل طريقته ، فعظم الشيخ ابراهيم ذلك وقال : « أنظر بعين الإنصاف تجد له – أي الشيخ التجاني – تمام الوراثة حيث صارت في الأمة الثلثات ثلة لجده وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثلة له وهم أصحابه ، ثم قال أيضاً إن هناك إشارات أعظم من هذا الذي ذكره وإنما أحجم قلمه عن تسطيره لعظمته ثم بيّن أن النبي صلى الله عليه وسلم في حياته يبلغ نوعين من الأحكام ، أحكام هي للعامة وهذه انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم ، وأحكام هي للخاصة وحدهم وهذه ما انقطعت وهي لا تزال جارية حتى الآن يلقنها للخاصة ومن ظن أن مدد النبي انقطعت بموته فقد جهل مرتبته وهكذا .

الفصل الأول

في حقيقة التصوف وأصل تلقين الاذكار :

٧ – بدأ الشيخ ببيان حقيقة التصوف ليوضح للمنكرين على حركته أنهم على خطأ فاحش ، وظن خائب ، فإنه فوق ما يظنون بكثير لأنه على بصيرة تامة من أمره ، ولا يحوم الجهل والوهم حول شأن من شؤونه ، وأن أهل فيضته هؤلاء هم الممثلون الحقيقيون للطائفة الصوفية في هذا القرن .

٨ – ثم بيّن أن التصوف مثل كل فن من فنون العلوم الإسلامية له حد وموضوع ، وواضع ، واسم ، واستمداد ، وحكم ، ومسائل ، وفضيلة ، ونسبة ، وثمرة ، وحده أي تعريفه جاء في نحو ألفي وجه حيث إن لكل شيخ من الشيوخ الصوفية تعريفاً يخصه أو تعاريف ولكنها كلها ترجع إلى صدق التوجه إلى الله تعالى ، وأما موضوعه فهو ذات الله تعالى لأنه يبحث عنها باعتبار معرفتها إما بالبرهان أو الشهود والعيان ، وأما واضعه فهو النبي صلى الله عليه وسلم ، علمه الله إياه بالوحي والإلهام ، فنزل

جبريل عليه السلام أولاً بالشريعة فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة ، فخص بها بعضاً دون بعض ، فأول من تكلم فيه وأظهره هو سيدنا علي كرم الله وجهه ، وأخذه منه جميع الصوفية ، إلا أن الشيخ التجاني منّ الله عليه بالأخذ عن النبي مشافهة ، من غير واسطة أحد من المشايخ ، وسند التجانيين منه وأما إسمه فهو علم التصوف ، وهو أيضاً مثل التعريف اختلفوا فيه كثيراً وحصر صاحب إيقاظ الهمم الخلافات في خمسة أوجه واختار الشيخ كون الإسم مشتقاً من الصفاء ، وأما استمداده فهو مستمد من الكتاب والسنة ، وإلهامات الصالحين ، وفتوحات العارفين ، وأما حكم الشارع فيه فهو فرض عين ، حيث أنه لا يخلو أحد من عيب ، لأن الشاذلي قال من لم يتغلغل في التصوف مات مصراً على الكبائر ، وهو لا يدري ، وأما تصور مسائله : فهو معرفة اصطلاحاته ، والكلمات التي تداول بين القوم مثل الفناء ، والبقاء ، وهلم جرا ، وأما فضيلته فهو أفضل العلوم على الإطلاق لأنه متعلق بالذات العلية ، وأما نسبته من العلوم فهو كلي لها ، وشرط فيها ، وأما فائدته : فهو تهذيب القلوب ومعرفة الله .

٩ ـ ثم شرع يبين أن هذا العلم الذي كان هذا الذي تقدم صفته وتعريفه ليس هو قلقلة اللسان وإنما هو أذواق ووجدان ، ولا تؤخذ من الأوراق وإنما تؤخذ من أهل الأذواق ، وخدمة الرجال ، وصحبة أهل الكمال ، ثم حلف الشيخ إبراهيم بالله أنه ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح .

١٠ ـ ثم أخذ يبين أصل تلقين الأذكار والأوراد ، حيث أورد حديثاً مفاده أن النبي صلى الله عليه وسلم ، أمر بعض أصحابه أن يرفعوا أيديهم ويقولوا لا إله إلا الله ، ثم قال ابشروا فإن الله قد غفر لكم ، وروى حديثاً آخر أن علياً كرم الله وجهه سأل رسول الله أن يعلمه كيفية الذكر ، فأمره الرسول بإغماض عينيه وذكر الهيللة ثلاث مرات ، بعد أن سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم لقنها علي الحسن البصري ، ثم الحسن الحبيب العجمي ، وهكذا انتشر إلى جميع الصوفية فاستشهد الشيخ بحديث أنس الذي فسره بالإفادة بالهمة والحال ثم جاب أقوال شيوخ

الصوفية في هذا المجال الذين يقررون أن من لم يكن له شيخ لا يفلح أبداً أو شيخه الشيطان ، وأن هذه الأوراد عقود وعهود أخذها الله على عباده بواسطة المشايخ ، فمن اتصل بحبل المشايخ حافظ على العقود ووفى بالعهود ، ومن تهاون بالمشايخ وفرط في العقود والعهود كان ذلك سبباً لزيغه ، وخرق سفينة دينه ، وختم كلامه بحديث نسب إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : بجّلوا المشايخ فإن تبجيلهم من تعظيم جلال الله .

الفصل الثاني

في فضيلة الذكر :

١١ ـ لقد علق الشيخ في هذا الفصل أهمية كبرى لقوله تعالى : « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » حيث صرح بأنه مما ينبغي أن يهتم هو بمعرفة ذلك ومضى يشرح المراد بذكر الله كثيراً ومن يستحق أن يوصف بذاكر الله كثيراً فإن الذكر هو منشور الولاية ومعراج السلوك إلى حضرة الله تعالى ، حيث أن المريد إذا لم يفز بلقاء شيخ مرشد يصل إلى الله وحده بكثرة ذكر الله والصلاة على رسوله ، لأن ذكر الله هو أقرب الطرق إلى دخول الحضرة القدسية حيث لا يفارق الإسم مسماه ، فلا يزال يذكر والحجب تتمزق شيئاً فشيئاً حتى يقع الشهود القلبي ، وحينئذ يستغني عن الذكر بمشاهدة المذكور ، وأن من فضائل الذكر وخصائصه ومميزاته أنه ليس له وقت مخصوص وأن العبد مطالب به في جميع الحالات إما وجوباً وإما ندباً ، بخلاف غيره من الطاعات .

١٢ ـ ثم قسم الذكر إلى أربعة أقسام الأول : ذكر اللسان فقط ، والثاني ذكر القلب ، والثالث تمكن الذكر من القلب ، وهذه الثلاثة كلها بمثابة قشور بعضها أقرب إلى اللباب من بعض ، والرابع هو اللباب وهو أن لا يلتفت القلب إلى الذكر ، ولا إلى القلب ، بل يستغرق في المذكور بجملته ، وهذا القسم هو المعبر عنه عندهم بالفناء ، ويتدرج فيه إلى أن يفنى عن فنائه ، وهذا المقام هو الذي يظنه الفقيه إطلاقات

غير معقولة ، وليس كذلك بل هي حالة شبيهة بحال كل محبوب مع محبوبة ، وهكذا وهذا الفناء يرد على القلب كالبرق الخاطف ثم يزول فقلما يثبت ، وإذا دام وثبت وصار عادة ترقى به صاحبه إلى العالم الأعلى ، حيث يطالع الوجود الحقيقي الأصفى ، حتى ينطبع فيه نفس الملكوت ، وتجلى له قدس اللاهوت ، وأول ما يتمثل له من ذلك جواهر الملائكة ، وأرواح الأنبياء والأولياء ، في صورة جميلة تتسال إليه بواسطتها بعض الحقائق ، إلى أن تعلو درجته عن المثال ويصادف بصريح الحق في كل شيء ، ولذلك إذا رجع إلى عالمنا المثالي المجازي هذا يراه كالظلال ، وعندئذ يترحم على المحجوبين لحرمانهم عن مطالعة بهجة جمال حضرة القدس ، وهذا كله ثمرة لباب الذكر وفضيلته واستعان الشيخ على ذلك بأحاديث نبوية وبما نقله عن المشايخ الصوفية .

الفصل الثالث

في الإجتماع للذكر والترغيب في قراءة القرآن والاجتماع له :

١٣ – يبدو أن الشيخ قد عقد هذا الفصل ليبرر به اجتماع أهل فيضته لذكر لا إله إلا الله والجهر به ، على بابه ، وعلى أبواب تلاميذه وأصحابه في زواياهم وفي الطرقات أيضاً هناك في كولخ وجميع البلدان حيث كان أتباعه لأن هذا الذكر كما مرّ من لوازم التربية الصوفية ، وهو قد نشر أعلامها في أقطار إفريقيا الغربية كلها ، فلا بد إذن والحال هذه أن يشيع الذكر في أوساطهم بشكل يقلق بال غيرهم ، ويزعج راحتهم ، لأنه أمر لم يتعوده الناس في السودان الغربي ، فكانوا في كل مكان منه ينكرون عليهم هذا الإظهار والإجهار بذكر لا إله إلا الله ، لأنهم يرونه ابتداع شيء في الدين وليس منه ، أو غلو فيه وبعضهم يفسر ذلك بالرياء ، وبعضهم يعتبره أحبولة نصبت لقنص ما في أيدي العامة والبسطاء ، وهكذا فكتب الشيخ جراء كل هذا مبرراً ما عليه عمله هو وأصحابه وتلاميذه من ذلك ، ثم استعان عليه بما جلبه من الأحاديث النبوية الداعية إلى ذلك وبيان أئمة العلم الإسلامي وأساطين التصوف فيه ، ثم ختم

كلامه ببيان فضائل قراءة القرآن ، وكيفيته والترغيب فيه ، والإجتماع لها وهكذا .

الفصل الرابع

في ذكر الفيضة التجانية :

١٤ – هذا الفصل هو المحور الذي يدور عليه الكتاب كله ، لأنه كما سبق أن قلنا إنه ألفه ليعرف الناس بنفسه أنه هو صاحب الفيضة التجانية التي أخبر الشيخ التجاني أصحابه بإتيانها ، وهو الذي تظهر على يديه ، وهو ناشرها ومفيضها ، ومن أجل ذلك فتح الفصل بالقول المأثور عن الشيخ التجاني الذي اعتمد عليه في ظهور الفيضة ودعوى أنه صاحبها فقال : « قد تواتر بين أصحاب الختم التجاني وتداول في كتب المؤلفين في طريقته أنه قال : « تأتي فيضة على أصحابي حتى يدخل الناس في طريقتنا أفواجاً، تأتي هذه الفيضة والناس في غاية ما يكونون عليه من الضيق والشدة ».

١٥ – ثم قرر أن أصحاب الشيخ التجاني وخلفاوءه وورثة أسراره بعده قد تكلموا عليها ، وكثير منهم ادعاها لنفسه ، ولكن وقع في كلامهم اضطراب وقد سئل الشيخ عمر الفوتي عنها فأجاب بأنه هو والإمام المهدي المراد بهذه الفيضة ، وذهب بعضهم إلى أنها هي التي وقعت في بلاد شنجيط على يد الشيخ محمد الحافظ ، وبعضهم يشك في وقوعها لأنها لا تخص بلداً ولا إقليماً إلا أنهم كلهم متفقون على أن الشيخ– التجاني – كان يستبعد زمنها .

١٦ – ثم جاء بملاحظة يبرهن بها على أن عصره هو العصر المعتبر لظهور هذه الفيضة لأن الأوصاف الثلاثة التي قدمها الشيخ التجاني بين يدي ظهور هذه الفيضة قد توفرت حينئذ وقد شاهد الناس من الضيق والشدة في زمن ظهوره على حد تعبيرة ما لم يشاهده كثيرون من الكبار الذين أدركهم ودخل الناس في الطريقة التجانية أفواجاً وقد حصل الفتح الكثير من معرفة الله والاستغراق فيه برفض كل ما سواه في المجتمع التجاني كل ذلك على يده بشكل لم يسبق له مثيل في الطريقة التجانية منذ ظهورها إلى اليوم الذي ألف فيه كتابه .

١٧ – ثم قدم توطئة يسيرة ذكر فيها بعض من ادعى ظهور هذه الفيضة على يده من شيوخ التجانية الذين عاصرهم قبل أن يصرح هو بأنه هو صاحبها الذي تظهر على يده ليكون ذلك شاهداً على أن عصره ذاك هو عصر ظهورها فقال : « وقد ادعاها لنفسه العارف بالله سيدي محمد الحافظ بن خير العلوي ، وكذلك ادعاها أيضاً الشيخ الحاج عبدالله بن الحاج العلوي الذي كوشف له عن الفيضة فرآها لنفسه على حد تعبير الشيخ ابراهيم ، ولما أحس بدنو أجله فلم تظهر فهم أنها تبقى في تلاميذه فصار يكثر التقديم حرصاً على التوسط فيها وذلك بسبب جولانه ، وقد صرح هذا الشيخ له أي للشيخ ابراهيم أن هذه الفيضة تأتي على يده حقيقة لا مجازاً وعلى يد غيره من كل من يدعيها مجازاً ، وبيّن له أنه سوف يكون كبير الطريقة التجانية في زمانه ، وسوف يرى من الحسد ما لم يره أحد قبله ، وأشياء خجل الشيخ من إثباتها في بطون الأوراق.

١٨ – ثم أتبع ذلك بذكر من صدق بظهور فيضته هذه على يده من الشيوخ العلويين التجانيين المورتانيين ، فقال : « وممن جزم بوقوع هذه الفيضة التي ذكرها الشيخ السيد محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الملقب بيد حسان الطريق ، ومنهم السيد محمد عبد الرحمن بن الحاج العلوي ، ومنهم السيد محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ ، وأما الشيخ محمد سعيد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ والشيخ محمد الأمين بن أحمد بن محمد حسان الطريق فما صرحا كتصريح هؤلاء ولكنهما أقراه على ما هو عليه ودعوا الله له .

١٩ – وقبل ذلك قد جلب آيات قرآنية وأحاديث نبوية يستشهد بها على صحة ظهور فيضته هذه ، ولما شعر بأن بعض القارئين لكتابه ينكر عليه الإستشهاد بالآيات والأحاديث على صحة فيضته احترس عن ذلك بقوله : « فعليك يا أخي بالتصديق والتسليم لهذه الطائفة ولا تتوهم فيما يفسرون به الكتاب والسنّة ، إن ذلك إحالة للظاهر عن ظاهره ، ولكن لظاهر الآيات أو الحديث مفهوم بحسب الناس وتفاوتهم في الفهم ، فمن المفهوم ما جلب الآيات أو الحديث (للاستشهاد بها) له ودلت عليه في عرف اللسان ، وثم إفهام آخر باطنة تفهم عند الآية أو الحديث لمن فتح الله عليه ، إذ قد ورد في الحديث النبوي إن لكل آية ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً إلى سبعة

أبطن وإلى سبعين وهكذا ثم بيّن أن الحكمة في ظهور هذه الفيضة في هذا الزمان الفاسد ضعف الإيمان في قلوب الناس وكثر الفرق الضالة والمضلة ، وهذه الأمة أمة مرحومة فأفيضت إليهم المعارف والحقائق كي يرجعوا لأصل فطرة الإيمان فافهم .

٢٠ – ثم أورد أشعاراً لبعض المورتانيين الذين أخذوا عنه ومدحوه هو وفيضته فقال عقب إيراده للأبيات وهؤلاء هم مشايخ الإسلام ورجال طريقتنا فمن عداهم عيال لهم ، وكلهم أقروا بوقوع الفيضة على يد العبد الجاني جامع هذا المجموع المبارك التجاني .

٢١ – ثم عرّض بالمنكرين على شأنه فقال وهؤلاء الذين وقعت فيهم هذه الفيضة شغلهم دائماً الله ورسوله والشيخ التجاني استغرقهم كلياً فلا يفعلون إلا له وبه وهم القائمون بتعمير زواياه بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار وبالصلاة على قدوتهم العظمى ووسيلتهم الأسمى وتتبع سنته وأخلاقه وآثاره وآدابه قد عيرهم أهل الغفلة الذين لم يرفعوا لشأن الإمام رأساً وليس لهم من التجانية إلا مجرد الأخذ بأنهم ليسوا بالتجانيين فاستغربت ضحكاً » .

٢٢ – ثم سلّى نفسه عما يجده من وقع إنكار أعدائه على شأنه ونقدهم لدعوته بما جلبه من أقوال من تقدمه من مشائخ الصوفية الذين واجهوا مثل ما يواجهه من الإنكار والإنتقاد .

الفصل الخامس

في أن علوم الأذواق المستند فيها الكتاب والسنّة :

٢٣ – لقد حاول الشيخ أن يثبت في هذا الفصل أن علوم الصوفية الباطنة كانت معتمدة على الكتاب والسنّة ، فبين أن علم التصوف علم انقدح من قلوب الأولياء حتى استنارت بالعمل بالكتاب والسنّة ، فكل من عمل به انقدح له من ذلك علوم وآداب ، وأسرار وحقائق ، تعجز الألسن عنها ، نظير ما تقدح لعلماء الشرع من

الأحكام حتى عملوا بما علموا من أحكامها ، فالتصوف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة ، فمن جعل علم التصوف علماً مستقلاً صدق ، ومن جعله عين أحكام الشريعة صدق ، فمن دقق النظر علم أنه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة ، ولكن أصل استغراب من لاله إلمام بأهل الطريق أن علم التصوف من عين الشريعة كونه لم يتبحر في علم الشريعة فكل صوفي فقيه ، ولا عكس ، وبالجملة فما أنكر أحوال الصوفية إلا من جهل حالهم .

٢٤ ـ فبعد أن تم له هذا اصطدم بالحديث الذي رواه الشيخان وخصوصاً لفظ مسلم : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ». فحاول أن يصرفه عن ظاهره فقال : « أي هذا الأمر الكامل الذي لايحتاج إلى زيادة إحداث ما ليس منه أي شيئاً لم يكن له من الكتاب والسنة عاضد ظاهر أو خفي ملفوظ أو مستنبط .

٢٥ ـ ثم استشهد على صحة أن علوم الصوفية مستندة على الكتاب والسنّة بآيات قرآنية : مثل قوله تعالى : « وأنزلنا إليك الكتاب تبياناً لكل شيء » وقوله « وما فرطنا في الكتاب من شيء » « ويخلق ما لا تعلمون » ثم جاء بجواب سيدنا علي كرم الله وجهه عندما سأله أبو جحيفة هل عندكم كتاب خصكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا إلا كتاب الله تعالى ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ». وجاء بقول آخر نسبه إلى أبي هريرة أنه قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أما أحدهما فبثثته لكم وأما الآخر فلو بثثته قطع مني هذا البلعوم .

٢٦ ـ ثم جاء بحديث قال فيه الرسول : « فلما أدناني ربي حتى كنت كما قال تعالى : « قوسين أو أدنى » قال وسألني ربي فلم أستطع أن أجيبه فوضع يده بين كتفي بلا كيف ولا تحديد حتى وجدت بردها على فؤادي فأورثني علم الأولين والآخرين وعلمني علوماً شتى فعلم أخذ علي العهد لكتمانه إذ علم أنه لا يطيق حمله أحد غيري وعلم خيرني فيه وعلمني القرآن فكان جبريل عليه السلام يذكرني به ، وعلم أمرني بتبليغه للعام والخاص من أمتي .

٢٧ ـ ثم أعقب ذلك بالآيات التي يتعلق بها الصوفية دائماً في تدعيم علومهم الباطنية مثل فأينما تولو فثم وجه الله » ومثل « هو الأول والآخر والظاهر والباطن ».

في مدار التربية في الطريقة التجانية :

٢٨ – إن الناظر لهذا الفصل قد يتوهم من أول وهلة أن الشيخ يريد أن يبين كيفية التربية في الطريقة التجانية ، وليس كذلك ، بل إنما أراد أن يبين فيما يبدو أن التربية في الطريقة التجانية شيء سهل حيث كانت خالية من التشديد والتضييق مثل المجاهدات والرياضات واعتزال الناس والتزام الخلوة وحياة التقشف وما إلى ذلك وإنما هي عبارة عن أداء الصلوات الخمس في أوقاتها ، وشروطها ، والقيام بالورد التجاني حسب ترتيبه وشروطه وآدابه وتعمير سائر الأوقات بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن لا تظنن أن هذا هو كيفية التربية لا بل إنما هو المحور الذي تدور عليه فقط وإذا أردت كيفيتها فعليك بحضرته هو أو بعض تلاميذه الذين أخذوها عنه ونصبهم في البلاد والأقطار للقيام بها .

وعلى أي حال فإن من داوم على هذه الأمور المذكورة على الوجه الموصوف فأحواله في النهاية على ثلاثة أضرب وهي : –

أ – إما أن يفجأه الفتح أو يهجم عليه هجوماً مباغتاً .

ب – وإما أن يمنّ الله عليه برفع الحجاب عن عيني قلبه فيصير يجتمع بروحانية الشيخ التجاني أو روحانية النبي صلى الله عليه وسلم فتكون تربيته بطريق الإستفاضة من أحدهما أو منهما معاً ثم قال مؤيداً رأيه هذا : « فمن أجل ذلك إشترط استحضار صورة الشيخ التجاني أو صورة النبي صلى الله عليه وسلم في غضون الورد .

ج – وإما أن يقبض الله له أخاً في الطريق الذي يشهده الله تعالى سر خصوصية ويزيل بينه وبينه حجاب بشريته فيقوم بأعباء تربيته فيسير به إلى الله في سره وعلانيته.

٣٠ – وكل من كان فتحه على هذه الوجوه المذكورة يكون نوره تاماً وهكذا ثم أعقب ذلك كله بمقطعات شعرية ، جاءها من نظمه هو ، وكلها تهدف إلى توجيه

المريد في أحواله ، إما قبل الدخول في التربية أو في حال تلبسه بها ، أو بعد الإنتهاء منها وهكذا .

٣١ ـ ثم ختم كلامه بما قدمنا من أن من أراد شيئاً زائداً على هذا الذي بينه فعليه بمصاحبة الرجال وخدمة أهل الكمال .

هذا وقد اعتمد في معلومات هذا الفصل على مقالات السيد العربي ابن السائح في كتابه بغية المستفيد والجواب الشافي له أيضاً .

الفصل السابع

في التحذير من الانكار على أهل الخصوصية ومن يجوز له الانكار :

٣٢ ـ لقد حاول الشيخ في هذا الفصل أن يقنع قارئه بأن من أنكر على الشيوخ الصوفية أقوالهم وأفعالهم فقد وقع في خطر عظيم وهو سوء الخاتمة التي تلحقه إن لم يتب ، ولذلك فتح كلامه في الفصل بقوله ومما يجب أن يفر عنه ويحذره من يشفق على نفسه ودينه الوقيعة في أولياء الله تعالى ومعاداتهم والإنكار عليهم ، والتماس معايبهم ، وتتبع زلاتهم ، ونفي الخصوصية التي منحهم الله حسداً ، فإن هذا مرتعه وخيم ، وجزاؤه عذاب أليم ، وهو الحرمان والخسران وسوء الخاتمة ، وروى عن بعضهم أنه جرب فلم يجد فقيهاً ينكر على الصوفية إلا ويهلكه الله ، وتكون عاقبته وخيمة ، وروى عن آخر أنه قال من رد دعوته ولي فقد رد دعوة نبي وروى عن آخر أن أحد الشيوخ الصوفية وهو أحمد البدوي سلب إيمان أحد الفقهاء لأنه أنكر اجتماع الرجال والنساء في عيد ميلاده ، وروى عن آخر أن من وقع في عرض ولي ولم يعاجل بمصيبة فلا يحكم له بالسلامة من انتقام الله منه ، فقد تكون مصيبته أعظم بأن يصاب في دينه أو قسوة في قلبه ، أو جمود في عتنه أو تعويقاً عن طاعته أو وقوعاً في معصية .

٣٣ ـ ثم أعقب الشيخ ذلك بإسداء النصيحة لقارىء كتابه بقوله : « إياك أيها

الأخ أن تصغي إلى الواقعين في هذه الطائفة ، والمستهزئين لئلا تسقط من عين الله وتستوجب المقت منه وهكذا .

٣٤ – ثم صرح بأن أهل الظاهر هم الذين ابتلى الله بهم الطائفة الصوفية فقل أن تجد منهم من شرح الله صدره للتصديق بولي معين ، بل يقول لك نعم إن الأولياء موجودون ولكن أين هم فلا تذكر له أحداً إلا وأخذ يدفع خصوصة الله فيه طلق اللسان بالإحتجاج عارياً من وجود نور التصديق فحذر ممن هذا وصفه ونصح قارئه بالفرار منه فراره من الأسد .

٣٥ – ولما تم له ذلك نقل من الشيخ عمر الفوتي قوله : « ومن قبائح الإنكار على الأولياء أن المنكرين مقتفون آثار اليهود والمشركين والمنافقين فلا شك أن الله تعالى يعاقبهم بمثل ما عاقبهم به لا تصافهم بصفاتهم ومنها أنهم يقولون إن الذي عليه الملوك والظلمة وأعوانهم هو الدين القيم والصراط المستقيم ، وما عليه علماء الآخرة والكرام البررة الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه هو الطريق المعوج السقيم والبدع القبيحة التي توارثها من كان في الضلال القديم هو الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحزبه الصميم هكذا..

٣٦ – والظاهر أن الشيخ ابراهيم قد اقتنع بهذا الكلام واطمأن به ومن أجل ذلك قال تأمل كلام هذا القطب الفوتي الجليل المقدار تراه كشف أحوال المنكرين نجانا الله من بلواهم .

٣٧ – ثم نقل عن الزركشي الذي اشترط من جملة ما اشترطه لمنكر كلام الصوفية أن يكون عارفاً باصطلاحاتهم ، لأنه بذلك يستطيع أن يقف على حقيقة قصدهم ، وفحوى إشارتهم ، لأنه إن لم يعرف هذا الإصطلاح إذ سمعهم يقولون التوبة مثلاً ، ينكر عليهم فإذا عرف أن مرادهم بذلك اتهام أنفسهم في إخلاص التوبة ورؤيتها رجع عن إنكاره وهكذا وأفاض في ذلك ، ثم ختم ذلك بحديث رواه عن الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن شريعتي جاءت على ثلاثمائة وثلاث عشرة طريقة لا يلقى العبد بها ربه إلا دخل الجنة » .

٣٨ – وهكذا حتى انتهى إلى أنه لا يجوز لأحد أن ينكر على الصوفية إلا من

أحاط بالشريعة ولا يحيط بها إلا النبي صلى الله عليه وسلم والكمل من ورثته كالأغوات في كل زمان ، وأما غيرهم فسكوتهم خير لهم لو كانوا يعلمون .

٣٩ — ثم أورد مناظرات وقعت له مع بعض المنكرين على الشيوخ العظام وأفحمهم فوقف أخيراً على أن هؤلاء المنكرين لا يعتمدون في إنكارهم على أمور صحيحة .

الفصل الثامن

في وجوب طلب الشيخ المرشد وصفته وحال المريد معه :

٤٠ – هذا الفصل من دون ريب هو أهم فصول الكتاب بعد فصل صاحب الفيضة التجانية وهو الذي يليه في الرتبة المنطقية إذ لا شيء بعد معرفة المريد بصاحب الفيضة إلا شد الرحال اليه والعكوف بجنابه والتأدب معه .

٤١ — ومن أجل ذلك قرر ابتداء أنه لابد للمريد في هذه الطريقة أي الطريقة التصوفية من صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ من تأديب نفسه والتخلص من هواه فليسلم نفسه اليه وليلتزم طاعته والإنقياد في كل ما يشير به عليه من غير ارتياء ولا تأويل ولا تردد لأن القاعدة المطردة عندهم تقول إن من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان.

٤٢ – وبين أن هذا الشيخ لابد أن يكون شيخاً وأصلاً وولياً كاملاً دل الله المريد عليه وأطلعه على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنه شهود بشريته في وجود خصوصيته فيلقي اليه قياده ليسلك به سبيل الرشاد ويعرفه برعونات نفسه في كمائنها ودفائنها ويدله على الجمع على الله ويعلمه الفرار عما سوى الله ، ويسايره في طريقه حتى يوصله إلى الله ، ويوقفه على إساءة نفسه ويعرفه باحسان الله اليه فيستفيد من معرفة إساءة نفسه الهرب منها وعدم الركون اليها ويستفيد من العلم باحسان الله اليه الإقبال عليه والقيام بالشكر اليه والدوام بين يديه على ممر الساعات .

٤٣ – ولما شعر بصعوبة حصول المريد على هذا الشيخ بيّن له شخصيته وعلمه

بالعلامات التي يمكنه أن يستدل بها على العثور عليه وقال له : « الشيخ الواصل هو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظراً عينياً وتحقيقاً يقينياً وبإمكانه أن يقف عليه بسهولة إذا كان صادقاً في طلبه إياه لأنه يهديه بأخلاقه ويؤدبه باطراقه وينير باطنه باشراقه ويجمعه في حضوره ويحفظه في مغيبه بحيث تشهد له ذاته بالتقديم وسره بالتعظيم لأنه جمع علماً صحيحاً وذوقاً صريحاً وهمة عالية وحالة مرضية وبصيرة نافذة .

٤٤ – ولما رأى أن الشيوخ انقسموا إلى شيخ التعليم وشيخ التربية وشيخ الترقية وفهم أنه ربما يلتبس الأمر على المريد فيذهب إلى أن شيخ التعليم هو المقصود بهذا الأمر الجسيم وليس هو بين له الأمر على وجهه حيث صرح بأن شيخ التعليم ليس هو المعبر وإنما المراد هو شيخ الترقية فقال :

ليس شيخك من واجهتك عبارته وإنما شيخك الذي سرت فيك إشارته .
وليس شيخك من سمعت منه وإنما شيخك من أخذت عنه .
وليس شيخك من دعاك إلى الباب وإنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب .
وليس شيخك من واجهك مقاله وإنما شيخك الذي نهض بك حاله .
شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى .
شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك .
شيخك هو الذي نهض بك إلى الله فنهضت اليه .
شيخك هو الذي سار بك حتى وصلت إليه .
شيخك هو الذي لا زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه .
شيخك هو الذي زج بك في نور الحضرة فقال لك ها أنت وربك .

٤٥ – وهذا النوع من الشيوخ هو الذي تشق المهامه في طلبه لأنه هو الذي نال كمال الإذن من الحق سبحانه إذناً خاصاً في هداية عبيده وتوليته عليهم بإرشادهم إلى الحضرة الإلهية ، وهذا الشيخ هو المعبر عنه عند القوم بالكبير ، ومتى عثر المريد على من هذه صفته فالواجب عليه أن يلقي نفسه بين يديه كالميت بين يدي غاسله ،لااختياراً

له ، ولا إرادة ، ولا إعطاء له ولا إفادة ومتى أشار اليه بفعل أو أمر فليحذر من سؤاله بلمَ وكيفَ وعلامَ ولأي شيء فإنه باب المقت والطرد وليعتقد أن الشيخ أعرف بمصالحه منه وأي مدرجة أدرجه فيها فإنه يجري له في ذلك كله على ما هو لله بالله بإخراجه عن ظلمة نفسه وهواها .

٤٦ ـ ولما شعر بأن المريد قد يضطر إلى السؤال عن مسكن هؤلاء الشيوخ المتصفين بيّن له بكل سهولة أن الشيوخ المتصفين بهذه الصفات كثيرون وأغلبهم في المدن الكبار فإنها مقرهم ، وأما معرفتهم والاتصال بهم فإنه عسير وأغرب وجوداً من الكبريت الأحمر ، لأنهم اختلطوا بصور العامة وأحوالهم ، ومن سألهم عن هذا الحال نفروا منه وطردوه ، وحلفوا له ما عندهم من هذا الأمر شيء والعلة الموجبة لهم لهذا أنه قد فسد نظام الوجود بمشيئة الحق سبحانه وتعالى التي لا منازع لها وليس لكل آدمي إلا السعي في أغراضه عن الحضرة الإلهية وما يستحقه من توفية الحقوق والأدب وليس للعامة في هذا الوقت من السعي للأولياء إلا لأغراض فاسدة يريدونها من التمتع بالدنيا ولذاتها وشهواتها .

٤٧ ـ ويجب على المريد إذا منّ الله عليه بالوصول إلى هذا النوع من الشيوخ أن يلزم الأدب وهو أن لا يمشي معه ، وفي رجليه نعل ، وأن لا يلبس شيئاً من الثياب التي تدل على الرفاهية إلا بإذنه له لعذر ، ولا ينام معه في بيت واحد ، ولا يبصق ولا يتمخط ولا يمد رجليه ولا يكثِر الالتفات بحضرته ولا يجلس على بساطه ولا يتنفس نفسة إلا باذنه ومعنى كل هذا أن يطيع المريد هذا الشيخ طاعة عمياء ولا يخالفه في شيء لأنه من خالف شيخه سراً أو جهراً لا يشم رائحة الصدق فإن صدر منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه
من ذلك فعليه بسرعة الاعتذار والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه
الشيخ إلى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم في الغرامة ما يحكم به عليه .

٤٨ ـ ومن الآداب المطلوبة أيضاً احترام كل ما ينسب اليه ولو كلباً وحب مريديه وقرابته وأحبائه ومحبوباته ، حتى من المطاعم والملابس ذلك لأن كل تعظيم واحترام لهذا النوع من الشيوخ فهو لله على الحقيقة .

٤٩ – ويجب على المريد أن يستحضر النية في قلبه عند ملاقاته مع هذا الشيخ وكذلك عندما يسمع شيئاً منه وإذا امتحنه وجب عليه أن يثبت تحت مرارة امتحانه حتى يكون الشيخ هو الذي ينقذه من سجن الإمتحان كما أن علم المريد بأن امتحان الشيوخ هو عين المنة يسهل له احتمال مضض امتحانهم .

٥٠ – ثم إنه يجب على المريد أن يعلم أنه لا بد من صدور أربعة خصال من هذا الشيخ وهي الأذى ، والإكرام ، والإساءة ، والاحسان . فيقابل : –

١ – أذاه بالصبر لا بالجزع .

٢ – وإكرامه بالثناء من دون إطراء .

٣ – وإساءته بالعذر من غير نزاع ولا ازدراء .

٤ – وإحسانه بالموافقة من غير توقف .

٥١ – ويستحب للمريد أن يتبرك بثياب الشيخ وفضل وضوئه وريقه الشريف وعرقه ودابته وإناء شربه ومواضع صلاته وخلواته ويعتقد أن فيها تأثيرات في دفع الأدواء الجثمانية والأسواء الروحانية .

٥٢ – هذه التربية التي يقوم بها هذا الشيخ لا تنقطع أبداً لأن الله تعالى قبل أن يبعث سيدنا محمداً عليه صلوات الله وسلامه كان يرسل الأنبياء بالتربية فكان كلما خلا رسول يأتي بعده آخر بالتربية من الله تعالى ولما بعث الله خاتم الرسل والأنبياء صار يبعث الأولياء الكاملين أولي الإذن الخاص بهذه التربية فكلما مضى ولي عارف كامل مرشد جاء بعده آخر وهلم جرا إلى أن يرث الأرض خالقها ومصداق ذلك أن الأرض قد بكت حينما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا إلهي وسيدي صرت بوفاة خاتم أنبيائك لا يمشي على ظهري نبي إلى يوم القيامة فأوحى الله تعالى إليها أن اصبري فسأجعل على ظهرك من هذه الأمة عباداً إلى كانت قلوبهم على قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تخلين منهم إلى يوم القيامة .

الفصل التاسع

في تحقيق الرؤية التي يدعيها الرجال وما قال العلماء في رؤية ذات الباري جل وعلا :

٥٣ ـ عنوان هذا الفصل يدل على أن الشيخ سوف يناقش موضوع رؤية الله تعالى عياناً ولذلك فتح كلامه بقوله : « اعلم أن القوم يتكلمون بألفاظ في اصطلاحهم ليست على ظاهرها ولا يعرفها إلا من شرب من مشاربهم ، وربما أنكرها أعمى البصيرة المحروم نور التصديق ويستحيلون صدق ما يدعون ، وربما أنكر المنكر بحجج داحضة حيث لم يهتد إلى الشيء المنكر فيعرف ما يدفعه به ، وإذا سمع أحداً يدعي مشاهدة الحق قال الله تعالى : « لا تدركه الأبصار » والمشاهد لا يدعي الإدراك ولا يرى سوى مشهوده وكل من يرى سوى مشهوده ولو ذرة يعتقده هو لم ينف الشريك فمدعي المشاهدة هو أتم الناس اعتقاداً أن لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار .

٥٤ ـ ولما تم له كل ذلك قال : « فصاحب هذا المقام لا كلام له ولا عبارة إذ قد انقطعت العبارة فهذا الذي أشرنا إليه هو الرؤية التي تدعيها الرجال ثم استشهد على ذلك بأقوال علماء الكلام وغيرهم من أن الممكنات الجائزة عند أهل الحق رؤية المخلوقات لمولانا جل وعز على ما يليق به تبارك وتعالى من غير جهة ولا جرمية ولا تحيز ، لأنه تعالى موجود وكل موجود يصح أن يرى بالبصر ، وهكذا ثم طفق يستدل بكلام الصوفية أيضاً ، حيث نقل عن الشيخ المختار الكنتي أنه قال : « فالأنبياء والأولياء يرون الله قبل كل شيء ، والصالحون يرون الله في كل شيء ، والمؤمنون يرون الله بعد كل شيء ، ثم أيد كل ما تقدم بقوله : « قد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه ليلة الاسراء ، وما جاز أن يكون معجزة لنبي يجوز أن يكون كرامة لولي . ولا فرق بينهما إلا التحدي على الصحيح المقبول .

٥٥ ـ وأتبع هذا كله بقوله : « وهذه الرؤية التي تنازع العلماء في إمكانها وعدمه، ليست هي الرؤية التي يدعيها أهل الفناء في ذات الحق جل وعلا ، فإن رؤيتهم ليست بالبصر ولا بالقلب بل بعين الحق جل وعلا ، وهذه العين ترى من حيث لا رؤية ولا

رائي فاستدل على ذلك بقول الشيخ عبد الكريم الجيلي :

فليس يرى الرحمـــان إلا بعينــه   وذلك حكم في الحقيقة قاطع

ويقول ابن الفارض أيضاً :

تلقيتـــــه مـــني وعـــني أخذتـــه   ونفسي كانت بالعطاء ممدتـــي

ويقول الآخر أيضاً :

مذ عرفت الإلـــــه لم أر غـــــيرا   وكذا الغير عندنا ممنــــــوع

وهكذا .

٥٦ – ثم ختم كلامه بالشكوى رفعها إلى الله من قومه الذين ينكرون عليه ولا يعلمون شيئاً ، الذين وصفهم بقوله : « لا يعلمون ولا يتعلمون ولا يسألون ولا يصدقون ولا يسلمون ولا يسكتون ، كلهم أجهل الجهلاء ، ويرى أنه أعلم العلماء ، وكلهم أجرأ على الافتاء ، ولا يعلم ما في الإفتاء بغير علم ، وأسرع للتفكير ولا يعلم حد الكفر ، ولا ما في التكفير من الوعيد ، ثم استشهد بالحديث الذي يقول من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما » ثم ثنى بقول الشيخ التجاني « إن لنا مرتبة عند الله تعالى تناهت في العلو إلى حد يحرم ذكره وافشاؤه ، وليس هو ما أفشيته لكم ، ولو ذكرته لأجمع أهل الحق والعرفان على قتلي ، فضلاً عمن عداهم ، ومن خاصية تلك المرتبة أن من لم يحافظ على خواطر أصحابنا بالتغيير يحل عليه الهلاك والعياذ بالله ».

خاتمة :

٥٧ – صرح الشيخ في هذه الخاتمة بأنه قد أخذ الطريقة التجانية في يد والده الحاج عبدالله إنياس ، وأما الأجازة بالتقديم فقد أوصى الوالد شيخاً مورتانياً إسمه السيد محمد محمود بن محمد بن أحمد الصغير بأن يلقنه جميع ما جمعه من الإجازات والأسرار بالإذن المطلق ، وقد تم له ذلك في نفس السنة التي توفي فيها والده الحاج عبدالله إنياس وهي سنة ١٣٤٠ هـ ١٩٢١ م .

٥٨ ـ ولعل الشيخ يرمي بكل هذا إلى أنه ما أتاه شيء ما خارج بيت أبيه وكل ما جاءه بعد ذلك من الإجازات والإطلاقات كاها تكملة لما أنجزه له والده ، ثم أذن له شيخه الحاج عبدالله بن الحاج العلوي ، وتمتاز إجازته بأنها هي التي غيرت حياة الشيخ ابراهيم كلها ، ونقلته من مجرد المقدم إلى ولي عارف مرشد مرب وإلى قطب جامع فرد غوث وهكذا ، وحصل ذلك سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م وهو ابن خمس وعشرين سنة حينئذ .

٥٩ ـ ثم في نفس هذه السنة أيضاً أطلق له الإذن السيد محمد الكبير بن الشيخ محمد عن الشيخ محمد الحافظ عن الشيخ التجاني ، ثم أطلق له الإذن أيضاً السيد محمد سعيد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ ، وهذه الإجازة تمتاز بأن المجيز هو الذي طلب أن يجيزه ليكون من ضمن سلسلته ليحظى بذلك ، وقع ذلك سنة ١٣٤٩ م والشيخ في التاسعة والعشرين من عمره .

٦٠ ـ ثم صرح الشيخ بأنه ينتسب إلى الشيخ بلا واسطة في السنة التي ألف فيها الكتاب فقال إنه حاضر معه دائماً .

٦١ ـ ثم وازن نفسه بالشيخ الشاذلي حيث صرح بما يدل على أنه أعلى منه حيث إن الشاذلي قال إنه يستقي من عشرة أبحر خمسة من الآدميين هم سيدنا محمد عليه صلوات الله وسلامه وأبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وخمسة من الروحانيين جبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والروح . فقال الشيخ وهو يستمد من بحر لا ساحل له ولا غاية ولا أمد ولا انتهاء وذلك البحر يستمد من بحر يستمد من بحر لا ساحل له ولا غاية ولا أمد ولا انتهاء ويمده بوسعه وذلك يستمد من حضرة الإطلاق ويمده بوسع ربوبيته وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

٦٢ ـ ثم أنبأنا بأنه سود الكتاب في تسعة أيام في زمن الجهل ، وتراكم الظلام ، وكثرة الاشتغال ، وجمود العقل ، وفتور الفكر ، وخمود الفطنة ، ثم قرر أن كل من نظر إلى الكتاب بعين البصيرة يعرف أنه من فيض الختم التجاني صاحب السر الرباني لكونه جامعاً لزبدة الكتب المؤلفة في هذا الفن وقلما تجدمجموعاً يحتوي على

ما احتوى عليه هذا المجموع فمن دقق النظر وأنصف يعلم يقيناً أنه ألفه الشيخ التجاني بيده .

هذا وقد اعتمد الشيخ في تأليف هذا الكتاب على مصادر شتى وأهمها ما يلي :-

١ - رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم للشيخ عمر بن سعيد الفوتي.
٢ - جواهر المعاني في فيض الشيخ أحمد التجاني للسيد علي حرازم ابن البرادة.
٣ - الجامع لما افترق من درر العلوم الفائض للسيد محمد بن المشرى
٤ - تأسيس قواعد التصوف للشيخ أحمد زروق
٥ - إيقاظ الهمم في شرح الحكم للشيخ أحمد ابن عجيبة الحسي
٦ - بغية المستفيد السيد العربي ابن السائح
٧ - الجواب الشافي
٨ - الإبريز من كلام عبد العزيز ابن الدباغ للسيد أحمد المبارك
٩ - الفتوحات المكية ابن عربي الحاتمي الشيخ الأكبر
١٠ - عنقاء مغرب
١١ - ميزاب الرحمة الربانية السيد عبيدة التشيتي .
١٢ - احياء علوم الدين أبو حامد الغزالي .
١ - الرسالة القشيري .
١٤ - شرح صحيح مسلم النووي
١٥ - شرح خاتمة التصوف للشيخ محمد اليدالي
١٦ - كتاب الأسرار العقلية أبو العز الشافعي
١٧ - شرح الحكم العطائية الشيخ ابن عباد
١٨ - أنوار القلوب الشيخ المقلي
١٩ - لطائف المنن ابن عطاء الله
٢٠ - المرشد المعين ابن عاشر
٢١ - الرسالة الشيخ يوسف الكوزاني

٢٢ – اليواقيت والجواهر	الشعراني
٢٣ – البحر المورود	الشعراني
٢٤ – الكوكب الوهاج	
٢٥ – الذيل	الشيخ المختار الكنتي
٢٦ – الحكم	ابن عطاء الله
٢٧ – شرح المرشد المعين	ميارة
٢٨ – اكمال الاكمال	للشيخ الآبي
٢٩ – العينية	الشيخ عبد الكريم الجيلي .

تعليقات على كتاب كاشف الإلباس :

٣ – لعل السيد العربي ابن السائح يرمي بالسلف – في قوله إن التربية في الطريقة التجانية كانت خالية من أنواع التشديد والتضييق على النفس ، لأنها جارية على طريقة السلف – إلى سلف الملامتية لأن التصوف الإسلامي قائم على أساس التقشف ، والتشديد على النفس ، إن لم نقل إن التشديد والتضييق على النفس هو عين التصوف عند سلف الصوفية فان ابراهيم ابن أدهم المتوفي في منتصف القرن الثاني الهجري الذي يعتبر أبا التصوف الإسلامي كان يقول : « لا ينال السالك درجة الصالحين حتى يجتاز ست عقبات .

أولا : يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة .

الثانية : يغلق باب العز ويفتح باب الذل .

الثالثة : يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد .

الرابعة : يغلق باب النوم ويفتح باب السهر .

الخامسة : يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر .

والسادسة : يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت (١).

هذه هي الأسس التي قام عليها تصوف ابراهيم بن أدهم أبي التصوف الإسلامي

وقد مات في منتصف القرن الثاني الهجري ، فإن لم يكن قطع النعمة والعز والراحة والنوم والغنى والأمل عن النفس هو قطع جميع الارفاق عنها فما هو قطع الارفاق ؟ وأيضاً إن لم يكن إلزام النفس الشدة والذل والجهر والسهر والفقر والاستعداد للموت ؟ هو التشديد والتضييق عليها فما هو التشديد والتضييق ؟ .

وقد عاصر ابن أدهم من أئمة التصوف في القرن الثاني داود بن نصير الطائي ، والفضيل بن عياض ، وشقيق البلخي ، وماتوا كلهم في ذلك القرن ثم في النصف الأول من القرن الثالث الهجري معروف الكرخي والحارث بن أسد المحاسبي وأبو سليمان الداراني ، وأحمد بن أبي الحواري ، وذو النون المصري ، ومنصور بن عمار وبشر الحافي ، وحاتم الأصم ، وأحمد بن حضرويه ، وأبو تراب النخشبي ، ومات في النصف الثاني من هذا القرن أيضاً السري السقطي ، والجنيد ، ويحيى بن معاذ الرازي ، وأبو يزيد البسطامي (٢) أقرأ سيرتهم في رسالة القشيري وغيرها ترى هل حاد أحد منهم عن هذه القواعد الستة التي رسمها لهم ابن أدهم . روى أبو طالب المكي أن إبراهيم بن أدهم كان يطوي ثلاثة أيام وكان ابراهيم التيمي والحجاج بن الفرافصة يطويان أربعين يوماً . وكان سهل بن عبدالله التستري وجماعة من البصريين يطوون من عشرين يوماً إلى ثلاثين ، وكان عمرو بن العوفي وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم وإبراهيم الخواص وجماعة يطوون خمسة عشر يوماً إلى عشرين وقد قدم جماعة من صوفية البصرة إلى الجنيد بعد وفاة سهل بن عبدالله فقال لهم الجنيد كيف تعملون في الصوم فقالوا نصوم بالنهار فإذا أمسينا قمنا إلى قفافنا فقال آه آه لو كنتم تصومون بلا قفاف كان أتم لحالكم ». لقد كانوا يعتقدون أن من طوى بطنه عن الطعام أربعين يوماً ظهرت له قدرة من الملكوت (٣).

هذا في الطعام فقس على ذلك أمرهم في اللباس وما إليها . وقيل أن أبا يزيد البسطامي قد مات ولم يترك إلا قميصه الذي مات فيه ، وكان عارية عليه فردوه إلى صاحبه ، ومات ابن الكريني وكان أستاذ الجنيد وعليه مرقعة وكان يحيى ابن معاذ الرازي يلبس الصوف والثياب الخلقة في ابتداء أمره ثم كان في آخر عمره يلبس الخز واللين فبلغ ذلك أبا يزيد البسطامي فقال « مسكين يحيى ! لم يصبر على الدون فكيف يصبر على البحت وأخبارهم في هذا الباب كثير (٤).

ومن أجل ذلك كانت تعريفات هؤلاء الصوفية الأولين للتصوف لا تخرج كلها عن معنى الفقر الذي هو التجرد من أي نوع من أنواع الملكية للاقبال على الله بالقلب والقالب ، حتى كانوا يسمون الفرد منهم بالفقير وإلى هذا المعنى يهدف الجنيد إمامهم عندما سئل عن التصوف فقال : « هو أن تكون مع الله بلا علاقة ». وهكذا (٥).

وأما من مضى قبل ابن أدهم من الصحابة والتابعين في القرن الأول فلا يدعى أحد منهم بالصوفي ، ومع ذلك كان تشديد هم على أنفسهم أكثر من تشديد الصوفية لأن الصوفية يفلسفون زهدهم وعبادتهم ، وأما هؤلاء فلا يعرفون إلا العبادة البحتة، والزهد الخالص ، وحالهم كما وصفه الحسن البصري بقوله : « أدركت من صدور هذه الأمة قوماً كانوا إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على حدودهم يناجون مولاهم في فكاك رقابهم » (٦).

وإلى كل هذا الذي سبق آنفاً يرمز أبو نصر السراج الطوسي .أحد أعلام الصوفية القدامى الذي عاش في القرن الرابع الهجري بقوله وهو يتحسر على أهل زمانه : « واعلم أن في زماننا هذا قد كثر الخائضون في علوم هذه الطائفة وقد كثر أيضاً المتشبهون بأهل التصوف والمشيرون إليها والمجيبون عنها وعن مسائلها وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتاباً قد زخرفه وكلاماً ألفه وليس بمستحسن منهم ذلك لأن الأوائل والمشائخ الـــذين تكلموا في هذه المسائل وأشاروا إلى هذه الإشارات ونطقوا بهذه الحكم إنما تكلموا بعد قطع العلائق وإماتة النفوس بالمجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق والمبادرة والاشتياق إلى قطع كل علاقة قطعتهم عن الله عز وجل طرفة عين وقاموا بشرط العلم ، ثم عملوا به ، ثم تحققوا في العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل » (٧).

٤ ــ إن اشتراط أن لا تخرج التربية الطريقة التجانية عما حده الشيخ التجاني حسب ما تلقاه عن النبي صلى الله عليه وسلم أمر إلى الخيال أقرب منه إلى الواقع لأن الشيخ التجاني ما حدد شيئاً من ذلك ولكن إقرأ الباب الذي ناقشنا فيه التربية عند الشيخ إبراهيم.

٨ ــ تكلم الشيخ في هذه النقطة على أمور كثيرة ومن أهمها : (١) إن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي وضع علم التصوف بالوحي والالهام نزل عليه جبريل

مرتين المرة الأولى بالشريعة والثانية بالحقيقة وهي علم التصوف ، أو علم الباطن ، فخص النبي صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة دون بعض . (٢) إن أول من تكلم بعلم التصوف هو سيدنا علي ومنه أخذ جميع الصوفية . (٣) إن الشيخ التجاني أخذ عن النبي بلا وسطة أحد من المشايخ . (٤) إن حكم الشارع في التصوف فرض عين حيث أنه لا يخلو أحد من عيب .

وأما القول بأن جبريل نزل أولا بالشريعة ثم نزل ثانياً بالحقيقة فخص النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بها دون بعض فهذا يقتضي أولاً أن علم التصوف ليس موجوداً في القرآن الموجود في أيدينا ولا في صحاح كتب الحديث التي نتداولها ، لأنه خارج عن الشريعة الإسلامية ومع ذلك قد قرر الشيخ أن حكم التصوف في الشريعة فرض عين ، وفي أي شريعة جاء هذا الحكم إذن ؟ وعلى من يكون التصوف فرض عين فإن الشريعة الإسلامية جاءت بحكم عام لا يخص بعض المسلمين دون بعضهم وعلى هذا لا يكون التصوف فرض عين على المسلمين الذين نزلت عليهم الشريعة لأن الله ما أرسل النبي اليهم بالتصوف وحكم من ترك فرضاً في الشريعة الإسلامية العقاب وقال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ولا يكون فرضاً على الذين خصصهم النبي به بحكم الشريعة الإسلامية أيضاً لأنها نزلت قبله وما نطقت بهذا الحكم وإذا كان هذا الحكم جاء في شريعة أخرى غير التي نزلت في القرآن ، وتضمنها صحاح كتب الحديث فلا نعرفها وما بين الشيخ ماهيتها وعلى من نزلت ومتى نزلت ؟ وإذا كان الشيخ يذهب إلى أن التصوف وحكمه موجود في القرآن فمعنى ذلك أن القرآن نزل مرتين مرة في الظاهر بالشريعة فبلغه لجميع المسلمين ومرة في الباطن بالحقيقة وما بلغه إلا لبعض المسلمين دون البعض ، وكذلك السنة وما قال بهذا أحد من السلف ومن جاء بعدهم من أهل السنة إلى اليوم حتى أهل الحق من الصوفية الأقدمين (٨).

وأما القول بأن أول من أظهر علم التصوف هو سيدنا علي ، فمعنى ذلك أنه من الذين خصصهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا العلم وهو قد فند هذا القول صراحة بما روي عنه في حديث صحيح عن أبي جحيفة قال : « سألت علياً رضي الله عنه هل عندكم شيء مما ليس في القرآن وقال مرة « ليس عند الناس » فقال « والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهماً يعطى في كتابه وما في الصحيفة

قلت وما في الصحيفة ؟ قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر » رواه الأربعة وقيل له أيضاً أخبرنا بشيء أسره إليك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما أسرّ إليّ شيئاً كتمه الناس ولكني سمعته يقول لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من آوى محدثاً ، ولعن الله من لعن والديه ، ولعن الله من غير المنار » (٩).

وأما القول بأن الشيخ التجاني الذي جاء في القرن الثاني عشر الهجري أخذ علم التصوف عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة يقظة لا مناماً بلا واسطة أحد من المشايخ . فهو كلام فيه نظر ، حيث إن السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين قد أجمعوا على أن من أخبر عن الله أو عن رسوله بخبر ليس في كتاب الله ولا روى بسند صحيح ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال على الله بلا علم وخبره مردود ، ولا سبيل لأحد أن يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من الطريق الذي روى عنه أصحابه والتابعون لهم باحسان وهو السماع منه عليه الصلاة والسلام في حال حياته أو السماع ممن سمع منه » (١٠).

وأما القول بأن حكم الشارع في التصوف هو فرض عين فيرده ما قررنا في أول هذه النقطة ، ويناقضه أيضاً ما قرره الشيخ نفسه في الفصل الثامن من كتاب كاشف الالباس ، حيث قال مخبراً عن إجابة الشيخ التجاني : « وأما السؤال عن طلب الشيخ هل هو فرض على كل فرد فرد أو على البعض دون البعض وما السبب في الكل فالجواب أن طلب الشيخ في الشرع ليس بواجب وجوباً شرعياً يلزم من طلبه الثواب ومن عدم طلبه العقاب فليس في الشرع شيء من هذا ولكنه واجب من طريق النظر ...» (١١).

١٠ ـ تناول كلام الشيخ في هذه النقطة أموراً كثيرة منها بيان أصل تلقين أوراد المشايخ الصوفية ، ومنها أن الحسن البصري هو الذي تلقى هذا الورد من سيدنا علي ثم انتشر من طريقه على أيدي مشايخ الصوفية ومنها أن من لم يكن له شيخ لا يفلح أبداً ، أو شيخه الشيطان . ومنها أن أوراد الشيوخ الصوفية أي طرقها عقود وعهود أخذها الله على عباده بواسطة المشايخ وهكذا .

فأما عن تلقين الأوراد فليس في الحديثين اللذين أوردهما الشيخ ما يدل على أن

للشيوخ الصوفية حجة في اختراع الأوراد والطرق والزامها على الناس إذ ليس فيما جرى في الحديث الأول ما يدل على العبادة أو الأمر بها فضلا عن دعوة الناس اليها ، ولو كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يريد بذلك عبادة أو أمر بها لما أمر بغلق الباب حيث إن هذه الكلمة هي أول شيء وأهمه أرسله الله به إلى الناس كافة وصرح بأن كل من نطق بها عصم منه دمه وماله وعرضه إلا بحق الإسلام فكيف إذن يغلق الباب حتى لا يسمع كيفية النطق بها الذين أرسل اليهم ؟ وأي حكمة في غلق الباب لأجل ذكر كلمة لا يدخل أحد في الإسلام إلا بالنطق بها والأيمان بكل ما تضمنته من معان ، أليس من الحكمة أن يقولها الرسول في المسجد بمحضر جميع أصحابه ، حتى يكون ذلك تجديداً لإيمان المؤمن وتشجيعاً له وترغيباً لغير المؤمن وتأليفاً لقلبه ؟ وأما الحديث الثاني فإن سيدنا علي كرم الله وجهه هو الذي طلب من النبي عليه صلى الله وسلم أن يدله على أقرب الطرق إلى الله ، وأسهلها فعلمه الرسول المداومة على لا إله إلا الله . وليس في ما جرى في الحديث ما يدل على أمر ديني يفيد الوجوب أو الندب وإنما هو من الأمور الإختيارية التي إذا شاء الواحد يأخذ به وإذا شاء تركه فلا حرج وليس لأحد أن يأتي بعد ذلك قائلاً أن كل من لم يأخذ إذنه على ذلك لا ينتفع به أو يحل عليه هلاك وكل من فعل ذلك يعتبر مبتدعاً في الدين ما لم يشرعه الله ، ولا يتبع في جميع ذلك ومن تبعه يعد من الضالين .

فما الحكمة أيضاً في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه بإغماض عينيه عندما يسمع منه أليست الحكمة تقتضي أن يفتح عينيه ليرى كيف ينطق النبي بهذه الكلمة ؟ وما الحكمة أيضاً في استماع رسول الله منه بعد ذلك ؟.

وأما القول بأن سيدنا علياً لقن الورد الذي أخذه من النبي صلى الله عليه وسلم للحسن البصري ثم انتشر في أيدي شيوخ الصوفية من طريقة فهو كلام لا أساس له من الصحة . فقد فنده حفاظ الحديث فأثبتوا أن الحسن البصري لم يلق علياً رضي الله عنه ولم يسمع منه (١٢).

وأما القول بأن من لم يكن له شيخ لا يفلح أبداً أو شيخه الشيطان فهذا أيضاً كلام لا أساس له من الصحة لأدلة التي قدمنا عند مناقشة النقطة الثامنة ، وكل ما في الأمر

هو أنه يجب على كل مسلم أن يسأل العلماء عن أمور دينه فكما وجب عليه السؤال كذلك وجب على العالم الإجابة ثم لا يد له عليه وأجره على الله ، وأما الشيوخ الصوفية فما أمر الله ولا رسوله أحداً من المسلمين أن يتعلق بهم أو يطلب منهم شيئاً آخر خارجاً عن الشريعة الظاهرة الواضحة ويؤيد ذلك ما قرره الشيخ نفسه في الفصل الثامن من كتاب كاشف الالباس حيث قال : « وهذا الوجوب النظري أمر وضعي طبيعي ليس من نصوص الشرع إذ ليس في نصوص الشرع إلا وجوب توفية القيام بحقوق الله تعالى ظاهراً وباطناً على كل فرد فرد من جميع العباد ولا عذر لأحد في ترك ذلك من طريق الشرع ... فهذا ما كان في الشرع ولا شيخ يجب طلبه إلا شيخ التعليم الذي يعلم كيفية الأمور الشرعية التي يطالب فعلها من العبد أمراً ونهياً فعلاً وتركاً » (١٣).

وأما القول بأن أوراد المشايخ عقود وعهود أخذه الله على عباده فهذا أيضاً من باب القول على الله بغير علم ، وما أخذ الله تعالى عهد أي دين على عباده إلا الدين الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي بلغه للناس كافة وكان عليه هو وأصحابه ، وكل ما أحدث بعده فبدعة يجب تركه والابتعاد منه لأن كل ما لم يكن ديناً في أيام النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون اليوم ديناً مهما ذهب أصحابه في تحسينه . ولذلك من ترك أوراد المشايخ واقتصر على العبادة المأخوذة من النبي صلى الله عليه وسلم بالتواتر هو الناجي وتابع أوراد المشايخ هو المبتدع الهالك الضال .

١٢ ـ الكلام على هذه النقطة يكون طويل الذيل متشعب الجنبات ولذلك نرى أن الخوض فيه قد يفضي بنا إلى الاستطراد المؤدي إلى الخروج عن صميم الموضوع ، وعلى أي حال فإن تعليقنا على دراسة كتاب السر الأكبر يلقى ضوءاً على هذا .

١٤ ـ لقد كتبنا فصلاً كاملاً على الفيضة التجانية بعنوان الفيضة التجانية وصاحبها وذلك الفصل يقوم مقام التعليق على النقاط التي في هذه الدراسة .

٢٤ ـ فلو كان الأمر كما ذكره الشيخ لما وجد بدعة في الدين أبداً ولما أضاع علماء السنة أوقاتهم في تسويد الأوراق لبيانها وتحذير المسلمين من ارتكابها لأن كل من أحدث شيئاً في الدين من عند نفسه يدعي أنه استنبطه من القرآن أو الحديث . وإنما أنكره المنكر لجهله بوجوه مآخذه منه شأن كتاب الطرق الصوفية ولعل الشيخ نسي ـ عندما

قرر أن المراد بالشيء المحدث في الحديث هو ما لم يكن له من الكتاب والسنة عاضد ظاهر أو خفيٌ ملفوظ أو مستنبط – إن هذا العاضد بصفاته الأربعة لا يدخل في العبادات والعقائد ومن أجل ذلك قسم علماء أصول الفقه الأحكام الشريعية إلى قسمين :

١ – أحكام معقولة المعاني والعلل وذلك مثل تحريم الخمر والميسر وتحريم أكل الميتة وتحريم أكل مال الغير فإن العقل يدرك سبب شرعيتها فهذه يدخلها القياس والاستنباط وما إلى ذلك من وجوه الاجتهاد حسب الظروف والحوائج المتجددة والنوازل الطارئة .

٢ – أحكام تعبدية ليست معقولة المعاني والعلل كالتيمم مثلاً أو عدد الركعات في الصلاة أو كونها على هذا الشكل دون غيره من الأشكال وهلم جرا .

فهذه لا يدخلها القياس ولا الاستنباط ولا شيء يماثل ذلك لأن النصوص الشرعية تناولها كلها على وجه الإحاطة والشمول ، وبالتالي إن العقل لا يدرك حكمتها (١٤) ولذلك لا تحتاج إلى زيادة ولا نقصان وكل من زاد فيها أو نقص يعتبر مبتدعاً في الدين ما ليس منه ومن باب أولى أن يخترع نوعاً آخر من العبادات من عند نفسه ويدعو الناس إليه ، وهذا هو المراد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » . ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » (١٥) وقال العلماء في تعريف البدعة هي إحداث أمر في الدين يشبه أن يكون منه وليس منه سواء أكان بالصورة أم بالحقيقة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » (١٦).

٢٩ – قسم الشيخ أحوال المريد التجاني في التربية إلى ثلاثة أضرب الأول : أن يفاجئه الفتح والثاني أن يجتمع بروحانية الشيخ التجاني ، أو روحانية النبي صلى الله عليه وسلم ، فيكون فتحه على يد أحدهما أو على يدهما معاً . الثالث أن يقيض الله له أخاً في الطريق يكون فتحه على يده ، ونحن يهمنا في المسألة الضرب الثاني والثالث فنقول ما المراد بالتربية في الضرب الثاني ؟ وظاهر الكلام يدل على أن المراد بها هو الفتح أو العرفان بدليل ذكر الفتح في الضرب الأول وذكر لفظ الإستفاضة في الثاني فعلى مقتضى عقيدة التجانيين أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال حياً يحضر كل

مكان أراد في كل لحظة شاء ويمكن أن يكون هو وحده في أمكنة متعددة في وقت واحد من طريق الكرامة أو خرق العادة (١٧) وإذا كان الأمر كذلك فكيف يجوز أن يتوقع أحد من المسلمين فتحاً من غيره وهو حاضر وأفظع من هذا أن يتصور مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم يجتمع مع الشيخ التجاني على تربية مريد واحد لأن معنى ذلك إما أن تربية الشيخ التجاني تختلف عن تربية النبي وإما أن يكون الشيخ التجاني بدأ التربية فعجز عن إتمامها فساعده النبي صلى الله عليه وسلم فكملها . وإما أن يكون المريد على حالة غريبة عويصة لا تنجع فيه تربية أحدهما إلا باجتماعهما معاً .

فاذا كانت التربيتان مختلفتين فلا بد أن تكون إحداهما أصح وأفضل من الأخرى ، فاذا كان الأمر كذلك فلماذا قال في رقم ٣٠ وكل من كان فتحه على هذه الوجوه المذكورة أي من الشيخ التجاني أو النبي صلى الله عليه وسلم ، أو منهما معاً أو من الأخ الذي يقيضه الله له في الطريقة يكون نوره تاماً ؟ فلا بد والحال هذه أن يكون فتح الذي أخذ من الأصح والأفضل أتم وأفضل وبالتالي يجب على المفضول أن يتركها للأفضل كما يأتي . وأما إذا كانتا متساويتين كما يدل عليه فحوى الكلام فمعنى ذلك أن الشيخ التجاني مساوٍ للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فإذا كان كذلك فما فائدة تدخل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن تربية مريد الشيخ التجاني وهو مساو له مع أن عقيدة التجانيين تقتضي أن المريد لا يفلح قطع بين شيخين (١٨) . وأما إذا كان اجتماعهما على تربية مريد واحد لعجز أحدهما عن اتمامها ولماذا لا يترك العاجز الأمر للقادر ابتداء وكلاهما حاضر لاسيما أن عقيدة التجانيين أيضاً تفرض على المفضول أن ينسلخ عن التربية بالكلية ويتركها للاكمل (١٩) وأما إذا كان اجتماعهما على تربية مريد واحد لصلابة أمره وغرابة حاله فمعنى ذلك أن المريد أقوى منهما جميعاً وبالتالي لايستطيع أحد منهما أن يفرض شيوخته ولوازمها عليه لعجزه عن إفادته هو وحده فيبقى المريد مستقلاً عن الإثنين .

هذا كله مجاراة للشيخ في عقيدته ، وإلا فان العقيدة الإسلامية تنفي ذلك كله نفياً باتاً فلا يجوز لأحد في الإسلام أن يعتقد أن شيئاً ما من أمور الدين يأتيه من غير النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن غير طريق الذي بلغه لأصحابه كما سبق ، وهو القرآن الكريم ، أو السماع منه في حال حياته والسماع ممن سمع منه وإلى هلم جرا من طريق

صحيح ثابت عنه صلى الله عليه وسلم وليس لأحد من علماء المسلمين إلا البناء على هذه القواعد التى أرساها الرسول صلوات الله وسلامه عليه من طريق الاجتهاد ، وأما الاجتماع بروحانيته صلى الله عليه وسلم أو روحانية غيره فهو أمر إلى الخرافة أقرب منه إلى أي شيء آخر ، إذ ليس في نصوص الشرع كلها ما يقرر أن النبي صلى الله عليه وسلم يكون بعد موته روحانياً يتردد بين ديار شيوخ الطرق الصوفية يعطيهم ديانات جديدة ، وعقائد أخرى ، تناقض العقيدة التي جاهد ، هو وأصحابه لتأسيسها ، بل إن النصوص الشرعية القطعية كلها تقرر أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات بعد أن كمل العمل الذي كلفه ربه على أكمل وجه وأحسن حال ، بنجاح تام يشهد على ذلك التاريخ البشري بأجمعه ، والمشاهدة العلنية ، وأجمع على ذلك جميع أصحابه رضوان الله عليهم ، والتابعين لهم باحسان ، وجميع الأئمة المجتهدين ، ومن كان على نهجهم بل وحتى السلف من الصوفية وما ادعى أحد منهم أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج اليه يوماً ما في مناسبة من المناسبات وكذلك أجمعوا أيضاً على أن قبره هو محل جسمه الشريف ، وأما روحه فمع الرفيق الأعلى تبارك وتعالى .

وأما الضرب الثالث الذي هو قوله وأما أن يقيض الله له أخاً في الطريق الخ . فهو الصواب في المسألة كلها فإن من قدر الله له أن يقف على سر عقيدة وحدة الوجود الصوفية يتصل بمثل هذا الأخ أو الشيخ فيأخذ بيده إلى أن يبلغه هذا الهدف .

٣٢ ـ لقد ناقش الشيخ في هذا الرقم أموراً منها أن من أنكر أقوال الشيوخ الصوفية وأفعالهم يلحقه سوء الخاتمة ، ومنها أنه يجب على المشفق على نفسه ودينه أن يفر من الوقيعة في أولياء الله ، الخ لأن جزاء من فعل ذلك عذاب أليم وخسران مبين ، ومنها أن بعض الصوفية قد جرب أي بحث فلم يجد فقيهاً ينكر على الصوفية إلا ويهلكه الله ، وتكون عاقبته وخيمة ، ومنها أن من رد دعوة ولي فقد رد دعوة نبي ، ومنها أن الشيخ أحمد البدوي بعد موته سلب إيمان أحد الفقهاء لأنه أنكر اختلاط الرجال والنساء في عيد ميلاده ، ومنها أن من وقع في عرض ولي ولم يعاجل بمصيبة لايحكم له بسلامة لأن مصيبته تكون أعظم لأنه إما أن يصاب في دينه أو بقسوة في قلبه الخ .

فمثال الأول أن من أنكر قول الشيخ التجاني أن النبي صلى الله عليه وسلم ادخر

له ورده هذا وكتمه عن أصحابه رضوان الله عليهم ولم يعلمهم به ...(٢٠) يلحقه سوء الخاتمة وكذلك من أنكر قوله إن المرة الواحدة من صلاة الفاتح تعدل كل تسبيح وقع في الكون وكل ذكر وكل دعاء كبيراً أو صغيراً وتعدل تلاوة القرآن ستة آلاف مرة (٢١). وقوله إن الملك هو الذي جاء بصلاة الفاتح للشيخ البكري مكتوبة في صحيفة من النور (٢٢) وكذلك من أنكر قول الشيخ إبراهيم أن الله قد ساق الوجود مساق الهلاك في هذا الزمان لا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجاني (٢٣) وقوله إن وساطة جبريل في الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مجازاً لا حقيقة (٢٤) فمن أنكر هذه الأقوال كلها يلحقه سوء الخاتمة وعذاب أليم وخسران مبين .

فكرة الولي بهذا المعنى تنقسم إلى قسمين : الولي في الشرعي والولي عند الصوفية

الولي في الشرع هو الإنسان المؤمن العالم بالله المتقي الناصر لشريعة الله والمدافع عنها وجاء في الفتح الباري : « المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته » (٢٥) الولاية الثابتة بنص القرآن لكل مؤمن تقي . وإلى ذلك يهدف الإمام الشافعي بقوله : « إن لم يكن العلماء العاقلون أولياء الله فلا أعلم لله ولياً » (٢٦).

وأما المتصوفة فقد اصطلحوا لكلمة الولي مدلولاً آخر خاصاً بهم وهو يدل على فئة من الناس هي دون درجة الأنبياء فالولاية عندهم درجة تأتي قبل النبوة وقد أضافوا إلى وليهم كثيراً من خصائص النبي مثل العصمة ونزول الملك عليه بالوحي أمراً ونهياً (٢٧) وعلى هذا قسموا الولاية إلى صغرى وكبرى وجعلوا الولاية التي اعترف بها الشرع هي الصغرى وولايتهم هي الكبرى (٢٨).

فحكم الوقيعة في حق الولي الشرعي وهتك عرضه هو نفس الحكم والوقيعة في حق أي فرد من أفراد المسلمين لافرق ، فعلى من وقع في عرض الولي الشرعي بغير حق شرعي أن يتوب إلى الله ويطلب رضى الولي صاحب الحق وعفوه ، إذا علم أنه فعل ذلك تعدياً عليه ، وأما إذا كان ذلك إنتصاراً لنفسه أو دفاعاً عنها فلا شيء عليه ، وأما إنكار قول الولي الشرعي أو الطعن في رأيه فلا شيء في ذلك قطعاً إذ لا يقدم عليه طبعاً إلا العالم . ثم إن الله وحده هو الذي يعرف الولي الشرعي لأنه علق ولايته بتقواه وقال : « وهو أعلم بالمتقين » (٢٩) ومنع من تزكية النفس (٣٠) بمعنى

أن من قال هو ولي الله فقد زكى نفسه ، وهو كاذب . الله أعلم بالمتقين ، وهكذا وعلى هذا فيجب على المسلم أن يعتقد الولاية لجميع المؤمنين وخصوصاً العلماء العاملين لقوله تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » (٣١).

وأما حكم الوقيعة في حق الولي الصوفي وإنكار أقواله وأفعاله كما قرره الشيخ فليس ذلك موجوداً في الشريعة الإسلامية ولعله مقرر في الشريعة الصوفية الباطنة ولم يطلع عليه الأئمة المجتهدون ولذلك لم يثبتوه لنا في مباحثهم الفقهية .

وأما ما نقله الشيخ عن ذلك الرجل الصوفي من أنه جرب فلم يجد فقيهاً ينكر على الصوفية إلا ويهلكه الله وتكون عاقبته وخيمة ، فالتاريخ الثابت لم ينطق إلا بنقيض ذلك حيث وجدنا أكثر مشايخ الصوفية الكبار في القديم والحديث يتهمون في دينهم بالزندقة حيناً ، وبفساد العقيدة حيناً آخر ، وبإفساد الدين أحياناً أخرى ، فاستهدفوا جراء ذلك لمحن شديدة قاسوها على أيدي فقهاء المسلمين ، وحفاظ الشريعة الإسلامية، وبعضهم ذهب ضحية عقيدته التصوفية ، ونجا بعضهم بشق الأنفس ، وعاش بعضهم رهين الاضطهاد بقية حياته ، وما وجدنا في صفحات التاريخ أن فقيهاً واحداً من هؤلاء الفقهاء أصيب بشيء من أنواع العقوبات التي ذكرها الشيخ ، لأجل أنه شدد النكير على شيوخ الصوفية ، فمثلاً قد قتل الحلاج وأبو العباس بن العطاء وأبو النجيب السهروردي وزج بالجنيد ورفقائه من شيوخ الصوفية في غيابات السجن (٣٢) وذلك بفتوى فقهاء السلف ، وقد هجّر الإمام أحمد بن حنبل الحارث المحاسبي وحذّر الناس من مصاحبته ، واختفى جراء ذلك حتى مات (٣٣) ولم ينقل لنا التاريخ أن الإمام أحمد أصيب بشيء مما ذكروا ، وأن ما أصابه جراء رفضه الاقرار بخلق القرآن مدح له لاذم ، وفرق بين من اضطهد لأنه ينصر دين الإسلام ويحافظ على عقيدته ، وبين من اضطُهد بتهمة إفساد عقيدة الإسلام وكيدها .

وأما القول بأن من رد دعوة ولي فقد رد دعوة نبي ، فهو قول لا أساس له من الصحة الإسلام لا يقر لأحد بدعوة إلا للنبي صلى الله عليه وسلم وحده ، وكل دعوة تخالف دعوة النبي فهي مردودة إلى صاحبها ، ويجب على كل مؤمن ردها ورفضها وتحذير المسلمين من قبولها واتباعها ، وذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر الذي أمر الله به ، وليس للولي في الإسلام إلا تعلم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتعليمها للمسلمين ، وإذا أدخل فيها شيئاً من عند نفسه يعتبر مبتدعاً في في الدين ما ليس منه .

وأما القول بأن أحمد البدوي سلب إيمان فقيه لأنه أنكر اختلاط الرجال بالنساء في عيد ميلاده ، فالراجح أن ذلك من الدعايات الواسعة المدى التي يقوم بها جهال الأتباع كما يغلب على الظن أيضاً أن أحمد البدوي ما أمر أحداً بأن يقيم عيداً لميلاده بل إن ذلك مما يخترعه الإنتهازيون من دهاة الأتباع لقنص أموال العوام البسطاء ، وإلا فكيف يمكن لمخلوق أن يسلب الإيمان من قلب مؤمن ، وقد قال الله تعالى لرسوله : « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمتقين»(٣٤) الذي لا يملك هداية من يحب ولا يعلم من هو أحق بالهداية لا يملك منع الهداية لغيره وقال الله تعالى له أيضاً : « قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » (٣٥) الذي لا يملك لنفسه النفع والضر لا يملك ذلك لغيره .

هذا ما قاله الله تعالى لرسوله وأفضل المخلوقات عنده فكيف بمن لا يعرف حقيقة أمره أهو مسلم حقيقة أم زنديق يتستر بالإسلام ليكيده وأهله شأن كثيرين غيره من الشيوخ الصوفية .

إذا كان أحمد البدوي ولي الله حقاً كما ذهب إليه الشيخ ومن إليه لماذا لا يقتدي برسول الله عندما حاربه الكفار بقصد قتله واستئصال دعوته من جذورها فدعا لهم بالمغفرة لأنهم لا يعلمون بدل الدعاء عليهم بالهلاك ألا يسع البدوي ما وسع النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو للفقيه بأن يشرح الله صدره لحسن مولده إن كان يعتقد أن مولده فرض على العباد بدلاً من أن يأتي جهرة لا يستحي من الله ولا من رسوله والمسلمين ويسلب إيمان رجل مؤمن لأنه أنكر شيئاً أحدث في دين الله ما لم يشرعه . لقد أجمع علماء السنة على أن ما أحدثه الناس من إحياء ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءات والأشعار وما إلى ذلك بدعة لأنه ليس من عمل السلف الماضين ، واتباع السلف أولى بل أوجب لأنهم أشد الناس إتباعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له ولسنته ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه فعل المولد أو نواه بطاعة من

الطاعات ونحن لهم تبع فيسعنا ما وسعهم (٣٦) هذا في شأن مولد النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بمولد رجل لا يعرفه الإسلام ولا يعترف به».

وأما ما قيل أن أحمد البدوي رد به إجابة الفقيه عندما سأله بعد أن رد اليه إيمانه أن ماذا تنكر ؟ فقال الفقيه اختلاط الرجال بالنساء فقال البدوي ذلك واقع في الطواف ولم يمنع منه أحد . » فهو كلام يدل على ضآلة حظ قائله في الفقه الإسلامي . فإن إختلاط الرجال بالنساء في الطواف وغيره من المواضع في مناسك الحج أمر مشروع شرعه الله ولم يشرع ذلك في غيره من الفرائض كالصلاة مثلاً فإنها أعظم العبادات ولكن الله لم يشرع اختلاطَ الرجال بالنساء فيها فكيف يجوز ذلك في بدعة محرمة قياساً بما شرعه الله فيما لم يشرعه فمن أجل ذلك قرر العلماء أن القياس لا يدخل في العبادات نبهوا على ذلك تفادياً من الوقوح في ضلالات لا حد لها بدعوى الاعتماد على القياس وهو أصل من أصول الشرع .

٣٥ ـ وأما قول الشيخ عمر الفوتي : « إن المنكرين على الأولياء مقتفون آثار اليهود والمشركين والمنافقين فلا شك أن الله تعالى يعاقبهم بمثل ما عاقبهم به » . فهو مبني على عقيدة التجانيين أن من سب الشيخ التجاني يموت كافراً وقد جاء في كتاب الدرة الخريدة ما نصه : « وسمعته أي الشيخ التجاني يقول : لما أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن من سبني يموت كافراً قلت له : إن العارف بالله سيدي عبد الرحمن الشامي ذكر أن الحاج لا يموت على سوء الخاتمة قال قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم من سبك ولم يتب مات كافراً ولو حج وجاهد (٣٧) . وعلى هذا بنوا قاعدتهم أن الله ساق الوجود في هذا الزمان مساق الهلاك لا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التجاني (٣٨).

٣٧ ـ عدم الوقوف على مقاصد الصوفية في إشاراتهم واصطلاحاتهم لا يمنع من من إنكار ما جاءوا به مما لا يوافق روح الإسلام لأنهم هم الذين اخترعوا هذه الإشارات والإصطلاحات ليبنوا عليها نظرياتهم وأراءهم وليس مما شرعه الله على لسان رسوله في شيء . فمثلاً إن تفسيره لقولهم (العبد رب والرب عبد) لم يفد معنى يغير مدلول ألفاظ هذه العبارة أليس فناء العبد عن شهود نفسه بشهود الله مكانه

هو نفس المراد بعبارة (العبد رب والرب عبد) فهل يوجد شيء في هذا التفسير يمنع العالم الشرعي المدافع عن حوزته من انكار هذا القول الذي يظهر عليه ملامح الالحاد بكل جلاء » ؟ .

٤٨ – وفي أي شريعة جاءت هذه الآداب والله أعلم فإن بعضها تظهر قاسية مستبدة وليست من آداب الإسلام في شيء وهي بآداب جبابرة العواهل أحرى فكيف لا يمشي المريد مع الشيخ وفي رجله نعل ما الذي يضر الشيخ في ذلك أليس ذلك ضرراً للمريد أليس النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا ضرار ؟ وهل كان الصحابة لا يمشون مع النبي وفي أرجلهم نعال .

٤٩ – ألا يعتبر هذه البدعة عبادة ظاهرة للشيخ وهل طلب النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد أصحابه رضوان الله عليهم أو أحد التابعين لهم باحسان من أحد المسلمين أن يستحضر النية عند ملاقاته ؟ بل إن الآداب المطلوبة في الرقم ٤٩ – ٥١ تجعل الشيخ إلهاً في عين المريد لأنه لا يطلب من مخلوق أن يحتمل مرارة امتحانه والإصابة بكل مكروه حتى يكون هو الذي يخلصه مما ابتلاه به إلا الله وحده ، كما أن الدعوة إلى اعتقاد ما تضمنه رقم ٥١ ما هي إلا الدعوة الوثنية جهراً .

٥٢ – إن الله لا يبعث الأنبياء بالتربية الصوفية قطعاً وإنما يبعثهم بالشرع فقط لأنه وحده الذي يحتاج إليه البشر في حياته الدنيوية والأخروية وأما التربية الصوفية فحاشا الأنبياء الكرام منها حيث إن الغاية منها نفي الإله بالكلية واتخاذ الأشياخ آلهة مكانه وقد مر بنا آنفاً ما يدل على ذلك بكل جلاء وهذا أضر على العقل البشري وروحه وجسمه من عبادة الأصنام والأوثان إنها لا تستغل الإنسان مادياً وروحياً وأما الشيوخ فهذا هو هدفهم في تربيتهم الأنبياء يأتون دائماً ليثبتوا للبشر وجود إله قادر مدبر لا يماثله الخلق ولا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار فكيف يأتي بالتربية الصوفية التي تجعل الخلق عين الله باللسان والوهم وفي الاعتقاد تجعل الشيخ وحده الإله الواحد القهار الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » .

٥٥ – إذا كانت رؤية الله عند الصوفية تختلف عنها عند هؤلاء العلماء الذين ذكرهم الشيخ فلا بد إذن من أحد أمرين فإما أن تكون الرؤية التي قررها أولئك

العلماء ليست صحيحة ورؤية الصوفية هي الصحيحة الثابتة فعلى هذا لا ينبغي للشيخ أن يستدل بأقوالهم لإثبات الرؤية الصوفية لذات الإله للاختلاف الأساسي بين الرأيين في الاتجاه والأهداف وبالتالي لا يكون الرديء المرذول دليلاً على ثبوت صحة الجيد المقبول وإما أن تكون رؤية الله على نوعين نوع يبصر الانسان وقلبه ونوع بعين الله نفسه فإذا كان الصوفية يرون الله بعينه حقيقة كما قرر الشيخ فمعنى ذلك أن الله يحل فيهم أو يتحد بهم إذ لا يتصور أن يكون الشيخ الصوفي أو أحد أفراد هم الذي يمشي على رجليه كما يمشي الناس وينظر بعيني رأسه كما ينظر الناس ويتكلم بلسانه كما يتكلم الناس وهكذا ثم ينفرد عنهم برؤية الله بعين الله وهو بين أظهرهم من دون أن يكون الله قد حل فيه حين الرؤية أو يتحد به دونهم كيف وأنهم دائماً ينفون الحلول والإتحاد في حركاتهم .

مصادر التعليقات على دراسة كاشف الالباس

١ – القشيري : الرسالة ١٣

٢ – الدكتور علي حسن عبد القادر : تصدير كتاب الرياضة وأدب النفس للترمذي ٦

٣ – أبو طالب المكي : قوت القلوب جـ٢ –٣٩ و٣٤٥   ٤ – أبو نصر السراج الطوسي : اللمع٢٤٨

٥ – شهاب الدين السهروردي : عوارف المعارف ٦٢   ٦ – الجاحظ : البيان والتبيين جـ٣ – ١٣٦

٧ – أبو نصر السراج الصوسي : المصدر السابق ١٩   ٨ – انظر أبو نصر السراج : المصدر السابق ٢١

٩ – الشيخ منصور علي ناصف : التاج الجامع للأصول جـ٣ – ٣٤ و١٠٩.

١٠ – الدكتور محمد تقي الدين الهلالي : اهدية الهادية إلى الطائفة التجانية ٥٤

١١ – الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الإلباس ٧٨

١٢ – كشف الخفاء ومزيل الالباس : الشيخ اسماعيل العجلوني جـ٢ – ٥٨٢.

١٣ – الشيخ ابراهيم انياس : كاشف الالباس ٧٩   ١٤ – الشيخ محمد أبو زهرة : أصول الفقه ٢٢٣.

١٥ – النووي : متن الأربعين النووية ١٤   ١٦ – الشيخ عثمان بن فودي : إحياء السنة ٢٢.

١٧ – السيد محمد الطصفاوي : الفتح الرباني ١٤   ١٨ – الشيخ عمر الفوتي : الرماح جـ١ – ١٤٣

١٩ – الشيخ عمر الفوتي : نفس المصدر ١٠٠   ٢٠ – السيد علي حرازم : جواهر المعاني جـ١ – ١٤١

٢١ – السيد علي حرازم : نفس المصدر ١٣٦   ٢٢ – السيد علي حرازم : نفس المصدر ١٣٨ .

٢٣ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل جـ١ – ٨   ٢٤ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهرالرسائلجـ١–٨٧

٢٥ – الشيخ احمد ابن حجر العسقلاني : فتح الباري جـ١١ – ٣٤٢

٢٦ – الامام ابن كثير القرشي : البداية والنهاية جـ١٣ – ١٠٠ .

٢٧ – الشيخ عمر الفوتي : الرماح جـ١ – ١٤٦   ٢٨ – الشيخ ابراهيم انياس : ذيل كاشف الإلباس ٧٠

٢٩ – القصص ٢٨٠ : ٥٦   ٣٠ – انظر سورة النجم ٣٢   ٣١ – فاطر ٣٥ : ٢٨ .

٣٢ – الدكتور محمد علاب : التصوف المقارن ٣٤   ٣٣ – الامام ابن الجوزي : تلبيس ابليس .

٣٤ – القصص ٢٨ : ٥٦   ٣٥ – الأعراف ٧ : ١٨٨   ٣٦ – ابن الحاج : المدخل جـ٢ – ١١

٣٧ – الشيخ محمد فتحا النظيفي : الدرة الخريدة جـ١ – ٩١

٣٨ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر للرسائل جـ١ – ٨ .

الباب الحادي عشر

دراسة كتاب السر الأكبر وتحقيقه والتعليق عليه

يعتبر هذا الكتاب من أمهات كتب الشيخ ابراهيم انياس ، كما يعتبر أيضاً امتداداً لمادة كتاب كاشف الإلباس الذي ألفه في حدود خمسينات القرن الرابع عشر الهجري ، وثلاثينات القرن العشرين الميلادي ، ليبرهن على صحة كونه صاحب الفيضة التجانية ، فألف هذا الكتاب الذي بين أيدينا – بعد ذلك بسنتين حسب التصريح الموجود بذلك في آخر النسخة الكنوية التي رمزنا إليها بحرف ك من جملة المخطوطات التي اعتمدنا عليها في تحقيق الكتاب – ليعرف بنفسه أنه هو كامل العصر وخليفة الشيخ التجاني الوارث لأسراره ، والذي يجب على كل سالك الطريق إلى الله أن يفر من نفسه وهواه وشيطانه إليه ليأخذ بيده إلى الله ، وقد ألف الكتابين وهو شاب إذ أنه ألف الأول وهو ابن ثلاثين من عمره ، وألف الثاني وهو ابن اثنتين وثلاثين ، وبإمكاننا أن نقسم الكتاب إلى خمسة أقسام : افتتاحية ، وأربعة فصول .

١ – قدم الشيخ إفتتاحية قصيرة قبل أن يشرع في الكتاب ، وبيّن فيها سبب تأليف الكتاب ، وهو أن بعض أصحاب الجاه هو الذي أمره بجمع نبذة مشتملة على مسائل مهمة تمس روح الطريقة التجانية ، وخصوصاً المسائل المتعلقة بعلوم الذوق فيها من السلوك والجذب ، ثم استمر يذكر أن مباحث الكتاب تنحصر في أربعة فصول الفصل الأول : في حقيقة السلوك في الطريقة التجانية ، والفصل الثاني : في

حقيقة الجذب فيها ، والثالث : في السلوك في الجذب ، والرابع : في الجذب في السلوك ، ثم صرح بأنه لم يؤلف كتابه لأجل المنتقدين ، ولذلك لا يعتمد فيه على كلام الشيوخ الصوفية السابقين وإنما يستوورد مادة كتابه من الوارد فحسب الذي يحدثه به قلبه عن سره عن ربه بارتفاع الوسائط لأن الكتاب مؤلف لإفادة المعتقدين السائرين على سبيل التحقيق .

٢ – حقيقة السلوك في الطريقة التجانية :

تناول الشيخ إبراهيم في هذا الفصل نقاطاً تكون في نظره العمود الفقري للسلوك في الطريقة التجانية مثل الانتباه ، التقوى ، ابتغاء الوسيلة إلى الله ، الفرار إلى الله ، وتلقي الورد التجاني ، العقبات التي تعترض المريد في طريقه إلى الله ، وكيفية قطعه إياها ، الصدق والصادق في الطريقة التجانية ، تطور النفس السالكة ، بيان الدائرة الفضلية وآداب من وقع فيها الشيخ المربي للمريد التجاني في الحقيقة ، حقيقة التلقين في الطريقة التجانية وموقف المقدم في ذلك ، السالك في حال التربية ، المراد بسير السالك ، انكشاف اليقين للسالك وتجرعه كأس المحبة جراء ذلك ، فناؤه في الأفعال ومقام الغيبة ، الجمع والفرق ومشاهدة الأشياء مجازاً ، التجلي الذي يحصل قبل الفناء الحقيقي الذي هو فرق الجمع وهكذا .

١ – السلوك في اصطلاح الصوفية هو الإرادة ، والسالك هو المريد ، والشيخ الذي يسلكه الطريق إلى الله هو المراد أو الشيخ المربي ، انتهاء السير إلى الله هو المعبر عنه عندهم بالوصول أحياناً وبالفناء تارة وبالفتح طوراً ، والذي حقق هذه الأشياء هو الواصل والمنتهي ، الذي حقق البقاء بعد الفناء هو العارف بالله أو الشيخ الواصل وهكذا .

بيّن الشيخ أن السلوك يبتدىء من يوم انتبه المريد من نوم غفلته وهذا الانتباه عبارة عن تفقد المريد أحوال نفسه والنظر إلى علاقته مع خالقه فيدرك أن الحضرة الإلهية تطالبه بتحقيق العبادة لها بإخلاص كما تطالبه في نفس الوقت بملازمة التقوى في الظاهر والباطن حتى إذا تم له ذلك يبدأ بالبحث عن الوسيلة التي يتوسل بها إلى الله تعالى وهذه الوسيلة في رأيه تدور على ثلاثة أقطاب :

أ ــ متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في القول والعمل .

ب ــ ملازمة الذكر بالإذن الصحيح من الكمل

ج ــ مصاحبة العارف بالله .

فإذا تم هذا للمريد تعظم رغبته في الإنخراط في سلك الطريقة التجانية فبذلك يحصل له كمال اليقظة ، ولم يبق له بعد ذلك إلا الفرار من النفس وهواها والدنيا والشيطان إلى الله . والفرار إلى الله هو الفرار إلى كامل العصر الذي هو خليفة الشيخ التجاني ، ووارث أسراره ، وينسلخ من جميع إرادته ملتزماً الأدب ظاهراً وباطناً ، والوفاء بكل ما رتب له من الشروط باعتقاد صحيح سايم من الإنتقاد والإعتراض والسؤال بلمَ وكيف ، والحاصل أن كل من كانت هذه حاله يجب عليه أن يلقي نفسه بين يدي هذه الخليفة التجاني الكامل العارف كالميت بين يدي غاسله ، حيث لاتكون له حركة إلا بتحريكه إياه ولا إرادة ولا اختيار وليس له إلا الطاعة العمياء والسكون التام . واستدل الشيخ على أهمية ذلك وضروريته بالنسبة لمقام السلوك بقصة رسول الله موسى مع عبدالله الذي آتاه من لدنه علماً (١) فيأخذ عنه الورد اللازم للطريقة التجانية، وهو الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا إله إلا الله ، ثم آيات قرآنية يختم بها ويداوم على هذا الورد بالغداة والعشي وهذا أول قدم يصعه المريد في التربية أو بعبارة أخرى في السلوك بالطريقة التجانية .

٢ ــ وهناك عقبات تعترض طريق السالك ، وهي المعبر عنها بالمقامات والنوازل، أو المراحل وهذه المقامات هي إسلام وإيمان واحسان أو إن شئت فقل شريعة وطريقة وحقيقة ، ثم إن هناك تسعة منازل كل مقام يختص بثلاثة منها ومقام الإسلام يختص بالتوبة والاستقامة والتقوى ، ومقام الإيمان يختص بالصدق والإخلاص والطمأنينة ، ومقام الإحسان يختص بالمراقبة والمشاهدة والمعرفة .

وقد شرحها كلها بقوله : « وحقيقة التقوى عدم حطور السوي بالخاطر ، ولو لحظة ، وحقيقة الصدق إفراد الوجهة إليه ، وحقيقة الإخلاص أن ترى أن العمل لا منك ولا إليك ، ولا لك وحقيقة الطمأنينة أن لا تتمنى زوال ما كان ، ولا وجود

ما لم يكن ، وحقيقة المراقبة تعلق القلب بالله دائماً ، وحقيقة المشاهدة رؤية الحق عياناً، وحقيقة المعرفة شهود الكمال الذاتي .

والمريد يقطع هذه العقبات بقدر صدقه فالصادق ربما قطعها في لحظة أو ساعة أو يوم أو يومين أو قليل من الأيام ، ومنهم من يقطعها في شهر أو في سنة أو سنتين ومنهم من يقطعها في سبعين سنة ذلك كله بحسب الصدق .

الصادق في الطريقة التجانية على حد تعبير الشيخ : هو من أراه الله الورد اللازم للطريقة التجانية أكبر الأسرار ، والشيخ التجاني هو عين السر فلا يتشوق إلى الغرائب والغيوبات ، فإن حصل هذا النوع من الصدق قطع المقامات آمناً من العثرات في أسرع مدة ممكنة .

ثم بيّن الشيخ أن نفس المريد السالك في طريق التربية تتطور بتطور أحواله ، فكانت في بدايتها أمارة بالسوء ، ثم تنتبه فتتطور إلى لوامة ، ثم بعد انتباهها تستيقظ فتتطور إلى ملهمة فتتزكى ، ثم تتطور إلى مطمئنة فهناك ترجع إلى ربها ، فإذا رجعت ترتقي إلى مقام الرضى ، فتصير راضية ، ثم ترقى أيضاً حتى تصير مرضية ، فعندئذ تنتقل إلى المقام النهائي وهو المقام الذي تكون فيه كاملة ، والمريد التجاني يقطع هذه المقامات كلها من غير خلوة ، ولا كبير مجاهدة ، ولا اعتزال الناس ، ولا يطالب منه إلا الصدق السابق ذكره .

٣ – وقد استطرد الشيخ قبل ذلك فبيّن أن الطريقة التجانية هي أفضل الطرق الموصلة إلى الله ، وأسهلها وأنفعها ، ذلك لأنها نشأت من دائرة تسمى بالدائرة الفضلية ، وهذه الدائرة على حد تعبيره هي دائرة اختصاص الله تعالى واصطفائه يهبها لمن يشاء من خلقه ، وكان فيض هذه الدائرة فائضاً من بحر جود الله تعالى وكرمه، ولذلك لا يتوقف فيضانه على وجود سبب ، ولا شرط ، ولا زوال مانع ، بل هو واقع حسب مشيئة الله فقط ، وكانت هذه الدائرة واقعة وراء دوائر الأمر والنهي والجزاء خيراً أو شراً ، وكانت أيضاً وراء دوائر الاعتبارات واللوازم والمقتضيات ، أي أن الله تعالى لا يحاسب من دخل في هذه الدائرة على أعماله أياً كانت سواء جاء بالأعمال الصالحات أو السيئات ، وسواء وفى بالعهود أم لا ، انتهج الصراط المستقيم

أم حاد عن الصراط السوي وسقط في المعاصي والأعمال الموبقات ، وهو على كل حال ناج ولذلك كان كل من دخل في هذه الدائرة من خلق الله كملت له السعادة الأخروية لأن الله لا يبالي فيها أي الدائرة لمن أعطى ؟ أو على ماذا أعطى وقد وقع التجانيون في هذه الدائرة فصاروا جراء ذلك يقومون بالعبادات لمحبة الله ، وشكره فقط لا لأجل أداء الواجبات الدينية التكليفية ، لأنهم ناجون على أي حال ثم جلب آيات قرآنية كثيرة تبرهن في نظره على صحة ما يقرره في هذا الصدد ، ثم رتب — أخيراً — آداباً تلزم من وقع في هذه الدائرة مراعاتها وهي : —

أولا : أن يشهد منّة الله عليه ليقوم بواجبات حمده وشكره على الدوام على ما أسبغ عليه من هذه النعمة العظمى .

ثانياً : أن يحسن الظن بالله دائماً ويجدد ذلك كلما تجددت له الحال سواء جاءت بالمنشط أو بالمكره .

ثالثاً : أن يفوض أمره إلى الله دائماً ، ما دق منه وما جل ، يقيناً به واعترافاً بعجزه عن جلب النفع لنفسه ، أو دفع المضرة عنها (٢).

٤ — إذا وقف المريد التجاني على هذا يلقي بنفسه سلماً بين يدي شيخه المربي النائب عن الشيخ التجاني في عالم الحس لأن الشيخ التجاني هو المربي له في الحقيقة وهو معه دائماً كلما تذكره بقلبه ، واعتقد أنه بين يديه وههنا على حد تعبير الشيخ سر كبير للمريد التجاني ولذلك وجب على الملقن أن لا يلقن أحداً إلا بعد انطماسه في الشيخ التجاني ، أي فنائه فيه ، بحيث يرى نفسه هو عين الشيخ التجاني ، فيكون الشيخ التجاني بهذا الانطماس هو الذي لقن المريد بنفسه من دون أن يتوسط بينهما أحد . ويقوم المريد للشيخ التجاني وحده لا للملقن الحسي هذا ومن أجل ذلك كان المريد التجاني دائماً حراً في نفسه من بين المقدمين ، حيث يجوز له أن ينزل المقدم الذي لقنه الورد ، منزلة الشيخ التجاني وله أن ينزل غير ملقنه من المقدمين منزلة الشيخ التجاني إذا لم يظفر بمقصوده عند الأول لأن الملقنين يتفاوتون في القوة والكفاءة وقوة كل منهم تتوقف على قدر انطماسه في الشيخ التجاني حالة التلقين وقبله وبعده، لأن مقصود المريد هو الشيخ التجاني لا غيره (٣) كما قال الشيخ ثم حذر الشيخ المريد

من أن لا يتخذ كلامه هذا ذريعة لإساءة الأدب مع المقدم لأن احترامه هو عين احترام الشيخ التجاني ، كما نبه المقدمين أيضاً على ما كانوا يرتكبونه من الخطإ حيث يظنون أن المريد الذي لقنوه الورد صار مريداً لهم ، حتى كان يفضي ببعضهم الحال أحياناً إلى طرد المريد من الطريقة من دون أن يخل بواحد من الأشياء الثلاثة التي عدها الشيخ التجاني ، إنها تقطع المريد عنه ومما يدل على أن المريد للشيخ التجاني وحده، لا للملقن إنه لو ترك الملقن الطريقة وتخلى عنها لا يخرج المريد الذي أخذها عنه من الطريقة بتخليه عنها ولذلك لو ترك الملقن الانطماس في الشيخ التجاني حالة التلقين لا يمنع أن يكون المريد للشيخ التجاني وحده ولكل من وراء حجاب السند » (٤).

٥ – ثم تخلص الشيخ يتكلم على المريد في حال التربية ، حيث أن أحوالاً مختلفة وخواطر متباينة ترد عليه ، كما يكاشف بأسرار وواردات ، والواجب عليه في كل هذا أن يفزع إلى شيخه المربي ، ويفاتحه بجميع ما تجدد له من هذه الأحوال ، ولا يخفي له شيئاً من ذلك مهما صغر أو كبر ، وليحذر أيضاً من أن يستحسن شيئاً من هذه الأحوال لنفسه ، قبل أن يرجع بذلك إلى شيخه، ثم يكتم ذلك كله على غير شيخه، فإن أهم رياضة يأخذ بها المريد نفسه في هذه المرحلة هو المثابرة على أداء الواجبات الدينية وفضائلها في أوقاتها المحدودة لها من غير تكييف النفس وقهرها على ذلك ، ويجب عليه أيضاً أن يجاهد نفسه ويعودها الصبر على تحمل مرارة مجاري الأقدار وكذلك يكفكف غرب شهواتها ، ويصرفها عن الميل إلى الراحة والكسل وهلم جرا(٥).

٦ – المريد في حال التربية سائر إلى الله ولذلك أراد الشيخ أن يشرح لنا معنى هذا السير فبيّن أن المراد بالسير في هذا الميدان هو سير القلب الذي هو الفكر ، لأن حركة الظواهر لا تتحقق إلا بحركة السرائر ، فكما أن السائر في الطريق الحسي يحتاج إلى وسائل تسهل له سيره من راحلة وطريق سهل ممهد وما إلى ذلك فكذلك السائر في هذا الطريق المعنوي يحتاج إلى محاسبة أنفاسه وضبط حواسه الخمس الظاهرة التي هي الذوق والشم واللمس والبصر والسمع وضبط حواسه الخمس الباطنة أيضاً وهي النفس والقلب والروح والسر والخفي (٦) والمصائب العظام تبدو هينة في أعين أصحاب هذه المرحلة لسرعة رجوعهم إلى الله لاستيلائهم التام على هذه الحواس العشرة ، وقد تحققوا أيضاً مقام الورع لابتعادهم عن كل ما يزري بمقامهم فأكسبهم

ذلك الترقي إلى مقام المراقبة التي هي شعور العبد بأن الله حاضر معه ، ومطلع عليه في جميع تقلباته ، فزهدوا جراء ذلك عن كل ما سواه ، ولا يلتفتون إلى حمد الناس ولا إلى ذمهم ، ولا يبالون بألف يفارقهم أو شيء نفيس يفوتهم ، فتهيئوا بذلك لنزول الحكمة من الله اليهم ، فتحققت عبوديتهم له فأتاهم اليقين من عنده ، فتجرعوا كؤوس محبته المترعة التي تعبر عندهم بموافقة المحبوب في جميع الأحوال العسيرة واليسيرة (٧).

٧ ــ وبعد أن شرح الشيخ لنا معنى السير وأخذ بأيدينا حتى انتهى بنا إلى مقام المحبة التي تحصل بعد تحقق اليقين ، نقل بنا إلى مقام أبعد منا لا من السابق حيث بين أن المريد يترقى بعد ذلك إلى مقام شبيه بمقام الفناء ، يسمى فناء في الأفعال وهو أن يظل المريد لا يرى في الوجود فاعلاً إلا الله تعالى ، وتعتريه عند إذ حال المراقبة والمحبة ، ويعقب ذلك حال القبض والبسط ، ثم يقع المحو والإثبات ، ومعنى المحو، أن ينفي الله تعالى أوصاف العبد ، والإثبات : أن يظهر له أوصافه هو ، وبذلك يكون المريد قريباً من الله بعيداً من الخلق (٨) . ثم يقع المريد في التجريد والتفريد ، قد فسرهما الشيخ أنهما حال تعتري المريد لا يميز فيه بين الشفع والوتر أي لا يميز بين الواحد والكثير ، والكثير عنده واحد ، والواحد كثير ، وإذا تحقق له ذلك يغيب بالكلية عن الأكوان لدخوله الحضرة القدسية ، ثم فسر الشيخ لنا معنى الغيبة حيث بيّن أن المراد بها هو غيبة القلب عن علم ما يجري في العالم من أحوال لاشتغال الحس بما يرد على القلب ، ذلك هو الحضور نفسه لأن المريد إذا غاب بالكلية عن الخلق دخل فوراً في حضرة الله لاستيلاء سلطان ذكره تعالى عليه ، ثم يعقب ذلك حال الجمع والفرق ، ومعنى ذلك حسب تعبير الشيخ هو أن ترى المخلوقات موجودة مجازاً ، ولكنها مع ذلك قائمة بالله ، ثم ترد على المريد حال تعبر بتجلي الصفات ، يعقبها الفناء الحقيقي الذي هو فوق الجمع ، وهو أن يكون العبد مختطفاً عن شهود الخلق ، مأخوذاً عن نفسه بالكلية ، وهنا نهاية الطائفة الصوفية قاطبة ، على حد قول الشيخ ، وهو الوصول كما مر ومن هنا يبدأ أتباع الشيخ التجاني (٩).

٣ ــ الجذب في الطريقة التجانية :

٨ – تكلم الشيخ في هذا الفصل على الجذب الذي فسره بأنه هو الوصول والفناء والفتح ، فكلها أسماء مترادفات لمسمى واحد ، وحقيقة ذلك كما قال : إن الله تعالى ما حجبه عن المريد شيء ، لأنه تعالى وحده الموجود ولا موجود سواه فيحجبه ، تعالى الله عن أن يحجبه شيء علواً كبيراً ، بل ما حجبه عن المريد إلا توهمه أن هناك شيئاً موجوداً غيره تعالى ، فمن أجل ذلك كان كلما أراد الله أن يصطفي عبداً من عباده ليجعله من المقربين إليه رفع عنه ذلك الحجاب الوهمي ، فعندئذ لا يرى شيئاً إلا الله تعالى ، فلا يرى نفسه ، ولا غيره ، ولا شيئاً من المخلوقات ، ولا يرى إلا وحدانية الله في كل شيء ، وهذا هو المعبر عنه بالوجود المطلق الحقيقي ، حيث لا إسم ولا صفة ولا فعل ولا أثر فيصير محجوباً عنهم بالله كما كان من قبل محجوباً بهم عن الله ، ففي هذا المقام – كما قال الشيخ – يقول المريد إنا الله لا إله إلا أنا وحدي ومع ذلك لا يقال له هو حلولي ولا اتحادي أو ما يشابه ذلك من أنواع التجسيم الإلهي وهذا هو أدنى مراتب الفتح في الطريقة التجانية ، وهو المعبر عنه عندهم أيضاً بباب المعرفة ، وليس هو المعرفة إلا أنه ليس للمعرفة باب الا هو (١٠) .

٩ – ههنا صرح الشيخ بأن من وصل إلى هذا المقام صار كافراً شرعاً لأنه قد نفى أسماء الله وصفاته ، ونفى وجود الأنبياء والمرسلين ، إلا أنه في واقع الأمر مؤمن لأن نفيه لهذه الأمور كلها نفي بالله ، وعلى هذا فإنه قد أثبتها باطناً ، وهذا المقام كما صرح الشيخ خطره عظيم جداً ، لأنه يمس العقيدة مباشرة وفيه يتحول المريد إلى يهودي أو نصراني أو مجوسي ، ما لم يوفقه الله بوجود شيخ واصل عارف ينتشله من هذه الورطات ، ولذلك نصح الشيخ المريد الذي وصل إلى هذا المقام بأن لا يفارق شيخاً كاملاً عارفاً واصلاً إذا كان مشفقاً على دينه وعقيدته (١١) ثم قسم الناس تجاه هذا المقام إلى ثلاثة أقسام :

١ – قسم سماهم العميان ، وهم المحجوبون الذين لا يرون الحق السافر الذي لم يسدل الحجاب على وجهه .

٢ – وقسم سماهم ضعاف البصيرة : وهم المجاذيب الذين استغرقوا في الفناء ولا يرون إلا ذاتاً بحتة ليس لها صفة ولا إسم ولا فعل وهم أكثر أصحاب هذا المقام الذي نحن بصدده .

٣ – وقسم سماهم أقوياء البصيرة : وهم الذين يرون الحق والخلق في آن واحد، ويشاهدون وجوداً في عدم ، فنقيضان لا يفترقان ، أي يرون أن الكون موجود مجازاً لا حقيقة ، وإنما أظهره الله للعيان ليحتجب به فقط ، وأهل هذا المقام هم أقرب الأقسام الثلاثة إلى مقام البقاء الذي هو أول قدم يضعه السالك في ميدان المعرفة (١٢).

١٠ – ثم خاض الشيخ في الكلام على البقاء ، فبيّن أن طريقته أي البقاء هو أن يعتقد المريد ويشعر بأنه لا شيء إلا الله ، فيؤمن بذلك ثم يثبت لله تعالى كل ما أثبته لنفسه ، أي الله في الشرع إيماناً ، ثم يثبت الحقائق العرفانية الثلاثة أو الأربعة وهذه الحقائق كما يصورها الشيخ هي الحقيقة التي تتراءى للمريد عند التجلي فتحجبه عن الحقيقة التي سبقت مع بقاء إلمامه بها في ذهنه ، فمثلاً إن الذات البحتة الصرفة الساذجة التي هي عين الطمس والعمى المتجردة عن الاعتبارات والإضافات والوجوهات وجميع النسب التي لا تتجلى إلا لنفسها تتجلى أولا في الأحدية لشؤون الذات وحدها ثم تتجلى في الأحمدية لاسم الذات وصفتها وسرها وهذا التجلي ملحق بالأحدية أيضاً لأنها ما تجلت إلا لأمور تمس الذات وحدها ، ثم تتجلى في المحمدية لحقائق الأنبياء والمرسلين وسر الكائنات ثم تتجلى في الأحمدية مرة ثانية للأقطاب والعارفين ثم تتجلى في الخليفة عبد الذات للإنس والجن وحقائق سر الكائنات وسيفصل ذلك فيما يأتي إن شاء الله تعالى .

١١ – ثم مضى الشيخ يقرر أن لكل واحدة من هذه الحضرات أو الحقائق أو التجليات نسبتين أو ثلاثاً وباعتبار باطن كل حضرة وظاهرها لها نسبتان وباعتبار أن لكل حضرة ظاهراً وباطناً وبطون بطون لها ثلاث نسب وبالاعتبار الأول كانت لهذه الحضرات الأربعة ثمانية نسب وبالاعتبار الثاني كانت لها اثنتا عشرة نسباً وأما باعتبار أن لكل حضرة هاهوت ولاهوت وجبروت وملكوت وناسوت تكون نسب هذه الحضرات أو الحقائق أو التجليات إحدى وعشرين نسبة لأن الحضرة الأولى هي حضرة السذاجة والطمس والعمى لانسبة لها أصلاً وتجليها دائماً واحد .

١٢ – ثم استطرد الشيخ ونقل كلاماً في هذه الحضرات من كتاب جواهر المعاني (١٣) يراه في نظره عجيباً ولكن لا فرق بينه وبين كلامه في التجليات الأربعة إلا أنه أخرج

الناسوت من تجلياته وأثبتها هنا ثم إنه تناول الكلام فيها من طريق التدلي وأما هنا فان الكلام فيها جرى على طريق الترقي والتدلي معاً ، وانحصر الكلام فيها من طريق الترقي على الحضرات الخمس ومن طريق التدلي تفرع إلى سبع .

١٣ – ثم استمر الشيخ يوضح لنا كلامه الأول قائلاً : « إن الحقيقة إذا تجلت للمريد لا يرى شيئاً في الوجود سواها ، مع بقاء علمه بالحقيقة التي تقدمتها فبيّن أن المريد إذا صحا من فنائه في تجلي الأحدية يشاهد حضرة وحدة الوجود سافرة ليس على وجهها نقاب هناك يرى أن الوجود بأسره قطعة بارزة من الذات بعدما كان لا يرى شيئاً إلا هي وحدها ، ويدرك أن الأشياء على تعددها وتباين مراتبها كلها إن هي إلا شيء واحد ، ثم تتجلى الحقيقة المحمدية فتمحق هذا الذي يشاهده من وحدة الوجود، وذلك كما قال إن الذات إذا تجلت تجلت بحذافيرها وكمالها ، ومن أجل ذلك كان مشاهد تجلي الذات في المحمدية يرى أن محمداً هو عين الذات ، ونفس الذات ، لأن الذات بتجليها عليه أكسبته حكمها وسلبته حكمه ، فلا يرى في الوجود غير محمد أصلاً التجلي في هذه المرتبة هو الذي جعله يرى كأن هناك فرقاً في مشاهدة ، والواقع أنه لا فرق إلا في خاطره فقط ، والحقيقة لم تزل كما هي لا يضرها التعدد أو الاتصاف أو استمداد محمد منها وهكذا . وعندئذ يدرك معنى أن محمداً رسول الله لأنه لايتأتى له إدراك وجود شيء سوى الله ورسوله إذ لا مطمع لأحد في الوصول إلى الله من غير طريق رسوله ولذلك كما بيّن الشيخ أن الفاني في هذا المقام يقول إن الله ما أوجد إلا محمداً وما أرسل إلا محمداً ولم يرسل من قريش وما صلى محمد قط ولا صام ولا حج ولا جاهد ولا نكح ولا وُلد ولا ولد إلى غير ذلك من العبارات المشكلة عند علماء الرسوم لأنه انطمس في محمد بحيث لايرى له نسبة ما ، ثم يتجلى الله له بالمحمدية في الأحمدية فيظهر نبوة أنبيائه ، ومتلقى أسراره وامداداته ، وناصره به والهادي اليه به ، وهكذا فإذا تجلى محمد في الأحمدية تجلى بجميع كمالاته فيشاهد المشاهد أن أحمد هو عين محمد على نحو مامر في تجلي الذات في المحمدية ، وهذه الحضرة في نظر الشيخ هي حضرة الشيخ أحمد التجاني ومن أجل ذلك لا يبرز شيء من الحضرة المحمدية إلا والشيخ التجاني هو أول من يتلقاها من الأزل إلى الأبد ومنه ينتشر إلى

جميع الأولياء والكائنات فمن ثم صار الشيخ التجاني برزخ الأقطاب وممد الكائنات، وروحها، وسرها، فسماه الشيخ جراء ذلك بالصديق الأكبر وثاني اثنين لأنه هو التجلي الثاني من تجليات الذات بعد تجلي الأحدية ١٤) ثم رمز الشيخ لهذه الحضرة بأبيات نظمها لتوضيح ذلك نوردها هنا :

آل النبي محمد، جمع أتى في مفرد، وصحابه في دينهم، دين حنيف أحمدي
ومحمدي أحمدي، واحدي أوحدي، تلك الدوائر دورها، في أحمد من أحمد
تكفي صلاة الحق من ، آن لآن سرمدي ،

المراد بالآل هو حضرة الولاية وهي حضرة الشيخ التجاني .

والمراد بالنبي هو الحجاب الأعظم الذي حجب حضرة الولاية من الوصول مباشرة إلى الذات والمراد بمحمد هو عين الاسم المتشكر .

والمراد بالجمع هو جمع باعتبار التشكلات .

والمراد بالمفرد هو فرد بالنظر إلى الحقيقة المحمدية إذ منها برزت الحقيقة الأحمدية فصارت هي هي .

والمراد بالصحاب هو حضرة النبوة التي هي الولاية أيضاً لأن كل نبي ولي ولا عكس .

والمراد بدينهم أي هي أيضاً حضرة الولاية جمع باعتبار تشكلاتها وفرد بالنظر إلى حقيقتها .

والمراد بدين حنيف أحمدي هو عين حضرة الولاية ونفسها وسرها كما قال (١٥).

والمراد بمحمدي هو أن محمداً هو المتجلي في هذه الحضرة أي حضرة الولاية أو الحقيقة الأحمدية .

والمراد بأحمدي هو أن الشيخ أحمد التجاني هو نفس الحضرة المحمدية وعينها وسرها لأن الحضرة المحمدية هي التي تجلت في الأحمدية فصارت هي هي .

والمراد بواحدي هو أن الشيخ أحمد التجاني هو المتجلي في المحمدية بالأحمدية.

والمراد بأوحدي هو أنه أي الشيخ التجاني عين الواحدية التي هي الحضرة الألوهية ونفسها وسرها (١٦).

ثم رسم دائرة هكذا وبين أنها عبارة عن شيء آخره أوله وهذه الدائرة تدور في أحمد من أحمد أي تدور بين حضرة النبوة والولاية وهي مظهر الألوهية التي رمز لها تكفي صلاة الحق الخ (١٧).

١٤ ـ ثم شعر الشيخ بأن شرحه لهذه الأبيات لا يكفي في إيضاح المعاني المتضمنة في النظم فمضى يوضحها ببيان ربما يكون أكثر جلاء من الأول فبيّن أن معنى هذه الأبيات هو أن الذات الساذجة الصرفة البحتة التي هي عين الطمس والعمى والوجود المطلق لها خمس حضرات وهي الهاهوت واللاهوت والجبروت والملكوت والناسوت فتجلت بجميع مراتبها هذه في الحقيقة المحمدية وحضراتها خمس أيضاً وهي حضرة سره وروحه وعقله وقلبه ونفسه فتجلت الهاهوت في سره فصارت هي هو وهو هي فتجلت اللاهوت في روحه كذلك فتجلت الجبروت في عقله كذلك فتجلت الملكوت في قلبه كذلك فتجلت الناسوت في نفسه كذلك وهذا على حد قول الشيخ هو معنى صلاة الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا أيضاً هو المراد بأن محمداً عبدالله أي هو عبد الذات (١٨) ثم تجلت الحقيقة المحمدية بجميع مراتبها الخمسة أو حضراتها بعبارة أخرى في الحقيقة الأحمدية التجانية وحضراتها هي الأخرى خمس أيضاً وهي حضرة سره وروحه وعقله وقلبه ونفسه على نحو مامر من تجليات الذات في الحقيقة المحمدية حذو القذة بالقذة فصارت الكائنات بأسرها ظاهرها وباطنها لطيفها وكثيفها جراء ذلك في نفس الحقيقة الأحمدية التجانية فأوجدت الاعداد وصدقت النبوة وتشرعت بشرائع النبوة على اختلاف مظاهرها وأوقاتها وصاحبت النبي في كل تشكلاته وهذا هو معنى الآل في نظر الشيخ لأن الآل كما قال عبارة عن القرابة ولا يصاحبه في كثير من التشكلات إلا إله فصار الشيخ التجاني آلاً لمحمد وصاحباً له جمعاً باعتبار البروز من الحضرة المحمدية ، وفرداً باعتبار أن الحضرة هي هي لا تتبدل (١٩).

١٥ – ثم بيّن الشيخ أن حضرات الذات الخمس قبل تجليها في حضرات المحمدية الخمس أمدية وأحمدية وبعد التجلي واحدية ومحمدية ذلك لأنها قبل التجلي لا نسبة لها وبعد التجلي لها نسبة وإضافات ووجوهات وكذلك الحضرات المحمدية قبل تجليها في الأحمدية أحمدية وأحدية ، وبعد التجلي محمدية وصديقية ذلك لأنها قبل التجلي لا نسبة لها وهكذا وأما بعد التجلي فهي محمدية لأن هناك برزت حضرة الشيخ التجاني كما قال فوجد النبوة والشريعة والاستمدادات وهكذا .

١٦ – ثم تتجلى الحقيقة الأحمدية التجانية في الحقيقة الرابعة وهي الحضرة التي سماها الشيخ بحضرة آدم الأرواح قد عبر عنها أيضاً بحضرة ظل الشيخ التجاني في كل زمان ومكان والموجودات بأسرها مطوية في صاحب هذه الحضرة وصاحب هذه الحضرة هو عبدالله والانسان الكامل وحامل الأمانة وهو خليفة الشيخ التجاني الوارث لأسراره في كل زمان (٢٠) والشيخ ابراهيم يعتقد أنه هو صاحب هذا المقام في هذا العصر ومن أجل ذلك كان يرى أن كلمة الحمد لله رمز لصاحب هذا المقام الذي سماه بعبدالله ، لأنه قال إذا تأمل القارىء بفهم أن الألف هو الياء والحاء هو العين وقبل ذلك قال إن اللام في لله الذي بعد الحمد والعبد زائد ثم قال فاذا قيل الحمد لله والعبد لله فالطرفان أضيفا للاسم وهما طبعاً الحمد والعبد ثم قال والأوسطان بقيا على ما هما عليه وهما لله الذي أضيف اليه الحمد والعبد ثم قال ولم يبق إلا العبد ومعنى ذلك والله أعلم بمراده أن الحمد هو العبد وإذا سقط اللام في لله كما قرر تخرج النتيجة هكذا (العبد لله) أو (العبد له) ولكن ربما كان الشيخ يريد غير هذا الذي قررنا خصوصاً أنه قال : « وهذا لا يخرج إلا من مدد جسدنا ولا يفهمه إلا جسد مددنا والسلام » (٢١). أي إن هذا العلم الباطني العميق لا يخرج إلا منه لأنه هو صاحب المقام ، ولا يفهمه إلا من انتظم في حزبه وصدقه وأخذ عنه واستمد منه .

ومهما يكن من رأي فاذا صحت النتيجة التي وصلنا إليها فربما كان الشيخ يشير من طرف خفي إلى ما قرره الشيخ عبد الكريم الجبلي من أن الله تعالى إذا تجلى على عبده وأفناه عن نفسه قامت فيه لطيفة إلهية فهذه اللطيفة قد تكون ذاتية وقد تكون صفاتية فاذا كانت ذاتية كان ذلك الهيكل الانساني هو الفرد الكامل والغوث الجامع

١٥ – ثم بيّن الشيخ أن حضرات الذات الخمس قبل تجليها في حضرات المحمدية الخمس أمدية وأحمدية وبعد التجلي واحدية ومحمدية ذلك لأنها قبل التجلي لا نسبة لها وبعد التجلي لها نسبة وإضافات ووجوهات وكذلك الحضرات المحمدية قبل تجليها في الأحمدية أحمدية وأحدية ، وبعد التجلي محمدية وصديقية ذلك لأنها قبل التجلي لا نسبة لها وهكذا وأما بعد التجلي فهي محمدية لأن هناك برزت حضرة الشيخ التجاني كما قال فوجد النبوة والشريعة والاستمدادات وهكذا .

١٦ – ثم تتجلى الحقيقة الأحمدية التجانية في الحقيقة الرابعة وهي الحضرة التي سماها الشيخ بحضرة آدم الأرواح قد عبر عنها أيضاً بحضرة ظل الشيخ التجاني في كل زمان ومكان والموجودات بأسرها مطوية في صاحب هذه الحضرة وصاحب هذه الحضرة هو عبدالله والانسان الكامل وحامل الأمانة وهو خليفة الشيخ التجاني الوارث لأسراره في كل زمان (٢٠) والشيخ ابراهيم يعتقد أنه هو صاحب هذا المقام في هذا العصر ومن أجل ذلك كان يرى أن كلمة الحمد لله رمز لصاحب هذا المقام الذي سماه بعبدالله ، لأنه قال إذا تأمل القارىء بفهم أن الألف هو الياء والحاء هو العين وقبل ذلك قال إن اللام في لله الذي بعد الحمد والعبد زائد ثم قال فاذا قيل الحمد لله والعبد لله فالطرفان أضيفا للاسم وهما طبعاً الحمد والعبد ثم قال والأوسطان بقيا على ما هما عليه وهما لله الذي أضيف اليه الحمد والعبد ثم قال ولم يبق إلا العبد ومعنى ذلك والله أعلم بمراده أن الحمد هو العبد وإذا سقط اللام في لله كما قرر تخرج النتيجة هكذا (العبد لله) أو (العبد له) ولكن ربما كان الشيخ يريد غير هذا الذي قررنا خصوصاً أنه قال : « وهذا لا يخرج إلا من مدد جسدنا ولا يفهمه إلا جسد مددنا والسلام » (٢١). أي إن هذا العلم الباطني العميق لا يخرج إلا منه لأنه هو صاحب المقام ، ولا يفهمه إلا من انتظم في حزبه وصدقه وأخذ عنه واستمد منه .

ومهما يكن من رأي فاذا صحت النتيجة التي وصلنا إليها فربما كان الشيخ يشير من طرف خفي إلى ما قرره الشيخ عبد الكريم الجيلي من أن الله تعالى إذا تجلى على عبده وأفناه عن نفسه قامت فيه لطيفة إلهية فهذه اللطيفة قد تكون ذاتية وقد تكون صفاتية فاذا كانت ذاتية كان ذلك الهيكل الانساني هو الفرد الكامل والغوث الجامع

عليه يدور أمر الوجود وله يكون الركوع والسجود وبه يحفظ الله العالم وهو المعبر عنه بالمهدي والخاتم وهو الخليفة » (٢٢).

ولعل من أجل ذلك قسم الشيخ الإسلام إلى ثلاثة أقسام :

١ – قسم عام يشترك فيه جميع الخلق الانسان والجن والكافر والمسلم بل وحتى الحيوان والجماد لأنه عبارة عن جريان مراد الله على الخلق .

٢ – وقسم خاص هو القيام بأداء الوظائف الدينية حسب الخطاب الشرعي التكليفي .

٣ – وقسم جعله خاص الخاص وهو الذي اتصف به صاحب هذا المقام حيث قرر أنه هو عين الصديقية وفي هذا المقام كما قال ترقت أولى مراتب العبودية إلى السيادة المطلقة ثم تدلت إلى الصديقية ثم تدلت فصارت مراتب للذات ثم كمنت في المرتبة أيضاً فقيل الحمد لله والعبد لله على نحو ما قررنا آنفاً .

١٧ – ولعل هذه الواقعة التي وقعت للشيخ في سنة ١٣٥٠ هـ توضح ما سبق ببعض الشيء ، أخبرنا الشيخ بأنه قد مكث مائة ألف سنة من أيام الرب وهو يسمع الكلام الأزلي الاصفى كما قال وجهاً بوجه فأصيب بدهشة واضطراب لوجوده اللذة المشوبة بالألم في ذلك ثم زج به في حضرة شاهد فيها حقيقة حقيقة حقيقة الحقيقة ذاتاً بحتة وطمساً في عمى، حيث بقي لا يشعر بشيء محسوس أصلا مائتي ألف سنة ثم فوجىء بشيء وجودي متميز عنه كالظلال والدخان فذهب ليبحث عن حقيقته فوجد أنه رسول من الذات وهو عبد الذات ، وسرها ، فبدأ هذا الرسول يقرب منه إلى أن اندمج فيه فصار عينه فطرب لذلك طرباً عظيماً لأنه فهم أنه حبيب الذات وسرها وعبدها ومرادها ومرتبتها الجامعة المتجلى لها بكمال الذات ومكث في حبوره هذا ألف ألف سنة يجول في الغيب لا يجد للذات عبداً سواه ثم جال في غيب الغيب يشاهد جلالاً في جمال حتى قوبل فجأة بحضرة غيب الغيب فجعلت تدعوه أحمد التجاني فتيقن عندئذ أنه لا مراد للحق بعد السر إلا هو فصاحب عبد الذات ونصره ووازره ألفى ألف سنة فجعلة عبد الذات أبا البشر ومدد جميع الكائنات وسر الموجودات وآدم الأرواح والأشباح فحمل الأمانة ثم نودي بيا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض

فنظر حينئذ إلى الأرض فوجدها على حالها لم تتغير ولم تتبدل ثم رجع إلى حسه فأدرك أن الواقعة لم تستغرق زمناً أطول مما بين الشفع والوتر .

١٨ – فاذا رجعنا إلى ما تقدم نرى أن الشيخ قد أراد بهذه الواقعة الخيالية التمثيلية أن يفسر لنا كل ما تقدم بتفسير إجمالي لأننا نرى أن للذات حسب تعبيره تجليات لا نسبة هما وهما تجلي الذات في الأحدية لأنه تجل للذات في الذات ثم تجليها في الاحمدية لأن ذلك لاسم الذات وصفتها وسرها وهو ملحق بالأول لأنه جاء لشأن من شؤون الذات وحدها وهذا هو مراده في الواقعة بأنه مكث مائة ألف سنة يسمع الكلام الأصفى الأزلي . وذلك عبارة عن الحضرة الأحدية التي لا نسبة لها ، وأنه اندفع بعد ذلك إلى حضرة يشاهد فيها حقيقة حقيقة حقيقة الحقيقة ذاتاً بحتة الخ هو عبارة عن الحضرة التي سماها بالأحمدية التي للأسماء والصفات والأسرار الذاتية وقال إنه مكث في ذلك مائتي الف سنة (٢٣).

وأما قوله إنه دخل حضرة فشاهد فيها الوجود الذي فسره برسول الذات وعبد الذات فهو يريد بهذا الحضرة المحمدية التي قال فيها « وبعد ذلك تتجلى الحقيقة المحمدية حيث لا يرى المشاهد إلا محمداً رسول الله تلك الحضرة التي قال الشيخ إن من فني فيها يقول إن الله ماأوجد إلا محمداً وما أرسل إلا محمداً كما تقدم (٢٤).

وأما قوله في الواقعة إنه شاهد حضرة غيب الغيب تدعوه أحمد التجاني فإنه يريد بذلك قوله حتى يتجلى له في ثاني التجليات وهو التجلي بالمحمدية في الأحمدية..»(٢٥).

وأما قوله في الواقعة فجعلني أبا البشر ومدد جميع الكائنات وسر الموجودات وآدم الأرواح والأشباح فحملت الأمانة الخ فإنه يريد بذلك قوله ثم يشاهد تنزل حضرة الأحمدية في الحقيقة الرابعة وهي حضرة آدم الأرواح عين أحمد ونفس أحمد وهذه الحضرة هي التي أشار اليها الشيخ التجاني بقوله لا ينال منه أحد شيئاً إلا بواسطة سيدي على حرازم وقوله ما خلّفت سواه وهي الحضرة التي سماها الشيخ كما مر بحضرة ظل الشيخ التجاني في كل زمان ومكان (٢٦).

وأما قوله في الواقعة : « ونوديت ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فنظرت إلى الأرض فرأيتها على حالها وإذا بالعوالم الحسية والمعنوية والملأ الأعلى والأسفل الخ

فهو يريد بذلك قوله وإذا تدلى عن هذا الوجود الرابع يشاهد التجليات في الكثرة وعوالم التشتيت وصور الكائنات الخ » (٢٧). وكذلك إذا تأملت بامعان في الواقعة تدرك معنى الأبيات السابقة بجلاء .

١٩ – ولما انتهى الشيخ من بيان واقعة تقدم يتكلم على التجلي الأخير من تجليات الذات المعبر عنه بحضرة الناسوت أو بعبارة أخرى عالم التشتيت ويتحقق ذلك يرسخ قدم المريد في مقام البقاء وبه تكمل معرفته وهي الحضرة التي وصفها بأنها هي عين الوحدة فرقاً في جمع وبقاء في فناء وصحواً في سكر وفي هذه الحضرة يرجع المريد إلى نفسه كامل الحس يعطي كل ذي حق حقه لأنه حينئذ جمع بين التصوف والتفقه الذي هو عين التحقق .

٢٠ – ثم مضى الشيخ يتكلم على حال المريد الذي تم بقاؤه بعد هذه القناعات المعقدة المتشعبة المضنية للذهن مبيناً أن المريد الذي تم فناؤه في ذات الله بعد بقائه لايبقى في قلبه علم فنائه في الرسول وفي الشيخ التجاني لكثرة الأحوال والمقامات التي ترد ترد على قلبه من الذات ، وعندما تجلت له الحضرة الثالثة في آدم الأرواح وشهد انفصال العوالم منه فدار في العوالم العلوية والسفلية والعينية والغيبية يدور بعد ذلك في غيوبات ليس فيها شيء إلا الله وليس فيها الله أيضاً فيتحير ويندهش فلا يجد مايتمسك به إلا الأسماء والصفات فعندئذ تواجهه تجليات الأسماء والصفات حتى يكاد يقطع بأن الله تعالى لم يتجل قط بغير الأسماء ثم تتجلى له الأعظمية ذاتاً وصفة واسماً وفعلاً في الحجاب الأعظم الذي حجب الأنبياء والمرسلين والملائكة من رؤية الذات فضلا عمن عداهم وهكذا حتى ينقشع ذلك عنه بتجلي الاسم المتصرف في الكون حيث يشاهد أسماء كل شيء وكل اسم مكلل بالأعظمية فيندهش لوقوع ماهنالك وراء التغيير فعند ذاك ينشده لسان حاله قائلاً :

وقد طوفت في الآفاق حتى ، رضيت من الغنيمة بالإياب

فمن ثم يكون ولوعاً بحب الذات لأنه صار عارفاً كاملاً لأن محبة الذات على حد قول الشيخ لا تتأتى من غير كمل العارفين .

٢١ – وقد تناول الشيخ الكلام في هذا الفصل على الاسم الأعظم أيضاً حيث

صرح بأن الكلام فيه لا يزيده إلا غموضاً ومعنى ذلك أنه سوف يتكلم على موضوع غامض لا يفهمه إلا قليل من الرجال وهو كذلك لأنه صرح بعد ذلك بأن الاسم الاعظم قد ضرب عليه الحجاب فلا يطلع عليه الأفراد الاقطاب ومن على أقدامهم إلا أن في كلامه ما يفيد أن مقامه أو بعبارة أخرى حضرته هي موضع هذا الاسم الاعظم وأن معناه الحقيقة المحمدية التي حجبت الأنبياء والمرسلين والملائكة عن إدراك كنه الذات من حيث هي هي .

٢٢ – قد تكلم أيضاً على التشكلات المحمدية وتشكلات دائرة الاحاطة حيث قسّم الأول إلى ثلاث والثاني إلى خمس فقال : « وأما التشكلات المحمدية فأولها:

١ – ب وهو سر يس وحم وثانيها .

٢ – أحمد وهو سر آدم وحواء وثالثها .

٣ – جبريل ابراهيم الصديق وأيام الاسبوع وبذلك تكوّن الكونان والثقلان والفريقان والأوصاف البياض والسواد والصفرة والحمرة وغير ذلك .

ثم قال وأما تشكلات دائرة الإحاطة فخمس أولها .

١ – (أ) وهو سر (ز ق ص) وثانيها .

٢ – (أحد) وهو سر (الم ، الر ، طسم) وثالثها .

٣ – (الحمد) وهو سر (كهيعص) (حم عسق) ورابعها .

٤ – (ف ج ش ت ظ خ ز) وهو سر سبع المثاني وخامسها .

٥ – (الحمد لله) وهو سر (أهم سقك حلع يص) (المص كهيعص حم عسق).

فقال الشيخ إن تشكلات دائرة الإحاطة هذه هي أصل الأسرار والحقائق ومن أجل ذلك جاءت أكثر الأمور الدينية خماسية فجاءت الأسماء في فاتحة الكتاب خمسة وهي الله الرب الرحمن الرحيم لملك وجاءت الحضرات الإلهية خمساً وهي الناسوت والملكوت والجبروت واللاهوت و لهاهوت ، وجاءت القواعد الإسلامية خمساً وهي كلمة الشهادة والصلاة والزكاة والحج وصوم رمضان وجاء عدد أولي العزم من

الرسل خمسة وهم محمد ابر هيم موسى عيسى نوح صلى لله عليهم وسلم ، ثم قال والجهات أيضاً خمس ولكن لا أدري كيف تكون خمساً . وأصل الزكاة خمساً ورمضان خمس خمس وبقي خمس ...» (٢٨).

ثم بعد ذلك كله حذر الشيخ الناظر في كتابه هذ أن لا ينكر شيئاً عزب على فهمه لأن ذلك حسب قوله سم قاتل فتاك ثم أتحفنا بخبر من شأنه أن يفرح أولي العزم من أهل الطريقة التجانية ويحثهم على مواصلة الرياضات والمجاهدات وهو قوله إن من وصل إلى هذا لمقام صار عارفاً كاملاً .

٢٣ – ثم طفق الشيخ بعد ذلك يتكلم على المشارب العرفانية الإمدادية مبيناً أن المشارب على ثلاثة أضرب .

١ – هناك مشرب لواحد فقط وهي الحقيقة الأحدية ما شرب منها إلا سيد الوجود وحده .

٢ – وهناك مشرب لثلاثة وهي الحقيقة المحمدية شرب منها الرسل والأنبياء والشيخ التجاني

٣ – وهناك مشرب لخمسة وهي الحقيقة لأحمدية شرب منها خاصة أهل الطريقة التجانية وعامتهم وخاصة غيرهم وعامتهم وحقائق جميع الموجودات .

٤ – السلوك في الجذب في الطريقة التجانية .

تناول كلام الشيخ في هذا الفصل ثمان نقاط رئيسية وهي :

١ – أقسام أهل الطريقة التجانية .

٢ – الاعمال التي تصدر من العارف المتحقق .

٣ – العارف مكلف بتعمير باطنه بالله .

٤ – إجابة عن سؤال عن الفرق بين الفكر والخاطر والعبرة .

٥ – إجابة عن سؤال عن الأزل والأبد وأزل الأزل وأبد الأبد والأمد .

٦ – أيام الله .

٧ – المناجات .

٨ – إجابة عن سؤال عن السر في النكاح .

٢٤ – وأما أتباع الطريقة التجانية فإنه يقول إنهم كانوا على أربعة أقسام :

أولا : السالكون وهم الذين انتبهوا من نوم غفلتهم ونظروا إلى حقوق الله عليهم التي هي القيام بوظائف الدينية على الوجه الأكمل وملازمة التقوى في الظاهر والباطن ، فأدركوا قصورهم في تحقيق ذلك من عند أنفسهم وطلبوا الوسيلة التي يستعينون بها عليه فانخرطوا في الطريقة التجانية على يد خليفة من خلفاء الشيخ التجاني والتزموا الأدب معه على الحد المحدود ولكنهم لم يفكروا في الدخول تحت تربية الخليفة الكامل الوارث للشيخ التجاني فيتحققوا وهؤلاء هم الظاهريون الرسميون كما سماهم (٢٩).

ثانياً : المجذبون وهم الذين دخلوا تحت التربية الصوفية التجانية حتى وصلوا إلى مقام الفناء قبل أن يتحققوا مقام السلوك على النحو الذي رتبه في الفصل الأول وهؤلاء عكس القسم الأول وهم الابترون كما سماهم (٣٠) لأن الفناء على حد تعبيره هو أدنى مراتب الفتح وهو باب للمعرفة وليس هو المعرفة ولكن لا تنس أنه قد صرح بأن صاحب هذا المقام في خطر عظيم لأنه من الممكن جداً أن يتحول بسهولة إلى يهودي أو نصراني أو مجوسي مالم يجد شيخاً واصلاً عارفاً كاملاً ينقذه من هذا الخطر الجسيم بل صرح أيضاً بأن صاحب هذا المقام كافر شرعاً (٣١).

ثالثاً – السالكون المجذوبون وهم الذين تحققوا مقام السلوك حسب ما رتبه في الفصل الأول بالتدريج حتى وصلوا إلى مقام الفناء كما رسمه وهؤلاء هم الواصلون كما قال فاذا وجدوا من يأخذ بأيديهم يكونون عارفين كاملين (٣٢).

رابعاً : المجذوبون السالكون وهم الذين حققوا مقام السلوك كما تقدم حتى وصلوا إلى مقام الفناء ثم سلكوا طريق البقاء على الكيفية المرسومة فكان سلوكهم يسير جنباً إلى جنب مع جذبهم فصاروا يرون فرقاً في جمع وبقاء في فناء وصحوا في سكر يعطون كل ذي حظ حظه كما قال (٣٣) وكان أكثر كبار أصحاب الشيخ التجاني على هذا المقام على حد قوله .

وهناك أيضاً صنف خامس وهم الذين – كما قال عنهم – لا ناقة لهم ولا جمل وهم أتباع الطريقة التجانية الذين لم يحققوا السلوك الذي رتبه ولم يحققوا الجذب الذي قرره ، فهؤلاء وإن كانوا قد أخذوا الطريقة فانهم لا يعدون تجانيين إلا لفظاً فقط اللهم إلا إذا لاحظتهم العناية الربانية فألهموا محبة الشيخ التجاني .

٢٥ – وأما في بيان أعمال العارف فإنه يقرر أن العارف الذي شهد هذه التجليات الإلهية السابقة حتى انتهى إلى مقام البقاء التام بمشاهدة الآثار في عالم المجازي والمثال يظل دائماً يتلقى خطابين خطاب مشيئة الله وخطاب حكمته ، فيكون جبرياً قدرياً في آن واحد فهو قدري ظاهراً لقيامه بأداء الواجبات الدينية والوظائف التعبدية على مقتضى خطاب الحكمة في عالم الناسوت وجبري باطناً لأنه يشعر شعوراً إيمانياً يقينياً عرفانياً بأنه لا يقوم بحركة ولا سكون إلا وهو قائم بأمر الله لله بالله على مقتضى خطاب المشيئة فتصير جرء ذلك جميع أعماله فروضاً وواجبات لا فرق في ذلك بين الحقوق الإلهية والحظوظ النفسانية .

٢٦ – ثم طفق الشيخ يتكلم على وظيفة العارف مقرراً أن العارف في هذا المقام مكلف بتعمير باطنه بذكر الله دائماً يذكره في قلبه بالتفكير في جبروته وفي روحه بالعبرة في لاهوته وفي سره بالنظر في هاهوته وهذا في نظر الشيخ هو معنى « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل » . وإلى هذا المقام أيضاً حسب رايه يشير حديث خير الذكر الخفي وأما أفضل أذكار اللسان على حد قوله هو صلاة الفاتح لما أغلق من غير حصر بعدد محدود ولا ميقات زماني أو مكاني .

٢٧ – ثم تقدم يدلي بإجابته حول السؤال الذي ورد عليه عن الخاطر والفكر والعبرة مبيناً في جوابه أنها ألفاظ مترادفات من وجه وغير مترادفات من وجه ، فقرر أن الخاطر هو ما يرد على قلب العارف مصادفة سواء أعمل فكره في تحصيله أم لا والخاطر الحقيقي كما صوره هو المتحد في الله عندما صدم العارف تجلي الأحدية فأعدمه عن نفسه وتلاشى وجوده في وحدة الوجود فعندئذ لا يبقى شيء إلا هذا الخاطر يسبح في حضرة الإطلاق حيث شاء وأما الفكر فهو أعمال العارف سير قلبه إما في ربه أو في نفسه وكلا النوعين منتج مفيد لأن التفكر في الله وفي جميل صفاته وأفعاله يدفع

إلى حبه وشوقه والتقرب إليه كما أن التفكر في النفس ومساويها أيضاً يدفع إلى الفرار منها بأعمال صالحة مقربة إلى الله وهكذا وأما العبرة فهي دائماً تكون نتيجة للفكر فجملة القول في هذا إذن أن الخاطر هو ما جاء من الله إلى العارف والفكر هو ماصدر منه إلى الله والعبرة نتيجة الإثنين وأثرهما وهذا هو الطريق الممهد الذي ينتهجه العارف في سيره إلى الله فكلما ازداد تفكراً في الله تزايد ورود الخاطر من الله اليه فيزيد بذلك عبرة في وحدانيته فتتمزق الحجب جراء ذلك أمامه ، فيسبح في غيوبات المعارف الإلهية التي لا حد لها فتتكشف له معاني أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه وكلام رسوله وهلم جرا .

٢٨ ـ ثم أدلى الشيخ أيضاً باجابته عن السؤال الذي ورد عليه حول الأزل وأزل الأزل والأبد وأبد الأبد والأمد مقرراً أن الأزلين بالنسبة للحضرات الثلاث التي هي الهاهوت واللاهوت والجبروت عبارة عما لم يزل قط والأبد كذلك بالنسبة لها عبارة عما لا يزال أبداً ومعنى ذلك كله أن الحضرات كلها شيء واحد أزلي أبدي لم يزل ولا يزال وأن التعدد والأسماء والصفات كلها نسب واعتبارات وإضافات ووجوهات لشيء واحد فحسب وهذا طبعاً يريحك من إتعاب فكرك في تفهم معاني البطون والظهور إذ لا فرق بينها وبين الأزل من هذه الناحية إلا في الألفاظ والاعتبارات فقط ، ألا ترى أنه يقول إن الأزل هو بطون البطون ، وأزل الأزل هو البطون ، وأزل أزل الأزل هو الظهور ، وكلامه في الأبد أيضاً هو نفس ما قرره في الأزل ، إلا أن هذا باعتبار القبلية وذلك باعتبار البعدية وأنت إذا أمعنت النظر في تفسيره لمعنى الأزل والأبد تدرك أن الأزل واحد لأن العقل لا يجيز وجود أزلين كما لا يجيز أيضاً وجود أبدين فكلما وجد أزلين بطل الأخير حتماً لاتصافه بالحدوث بالنسبة للأول وكذلك في الأبد وإذا وجد أبدين بطل الأول حتماً لاتصافه بالانتهاء بالنسبة للأخير وبهذا تدرك أن الأزل في كلامه هو عبارة عن الوجود الاصلي للذات العلية المعبر عنه عندهم بحضرة الطمس والعمى والصرف والساذج والبحت أو بعبارة أخرى حضرة الهاهوت ويعتبر جرء ذلك بروز حضرة اللاهوت عنها أزل ثان بالنسبة للهاهوت كما يعتبر بروز حضرة الجبروت من اللاهوت أزل ثالث بالنسبة للاهوت والهاهوت وهكذا ، ومن أجل ذلك قال إن الأزل هو بطون البطون وأزل الأزل هو البطون

وأزل أزل الأزل هو الظهور كما تقدم آنفاً ، وإذا رجعت إلى ما تقدم من الكلام في التجليات تفهم ذلك بوضوح ولكن لا تنسى ما قررنا لك من قبل أن الأمر كله ذهني اعتباري وإلا فلا يوجد إلا ذات واحدة أزلية أبدية تتلون بتلون النسب والإعتبارات والإضافات وهكذا وأما الامد فقد بين الشيخ أن المراد منه الغاية في الأمرين لو كان لهما الغاية ولكنهما فوق الغاية والانتهاء كما قرر .

٢٩ — ثم استمر الشيخ يتكلم في أيام الله مقرراً أن يوماً واحداً من أيام الله كألف سنة مما تعدون فذهب إلى أن ذلك هو المراد بأيام الله التي وردت في القرآن والتي أمر الله بالتذكير بها في قوله وذكر هم بأيام الله . فقال الشيخ إن هذه الأيام كانت مشتركة لأيام الدنيا فأهل الدنيا في أيامهم وأهل الله في أيامهم ولذلك لا يزال سير العارف مستمراً في هذه الأيام يعوم في غيوب المعارف تتقاذف به أمواج الحقائق حيث لا يجد شيئاً إلا وجوداً ليس معه وجود يظل مندهشاً متحيراً في العظمة الإلهية والكبرياء الذاتية وما بعده على حد قول الشيخ الأسير الأزل والأبد فقط لأن الحقائق والمجازات والأزمنة والأمكنة والأوراد والواردات والمعارف والأذواق كلها قد طويت كطي السجل للكتاب لتجاوز ما هنالك حد ما يكتب في الأوراق وما ينظر بالأحداق ولذلك قال إن صاحب هذا المقام يلزمه السكوت حتى يجد إذن الكلام من الله .

٣٠ — وأما مناجاته فهي عبارة عن دعوات وصلوات منسوجة على منوال ما مر من هذه الحضرات الفلسفية القائمة على أساس وحدة الوجود الصوفية ومصوغة في قوالب ما تقدم من هذه النظريات الجزئية التجانية ومن ذلك قوله : « اللهم إني أسألك بجمعية مجمع الشئون وبأعظمية الإسم الأعظم وبصديقية الصديق الأكبر وما حوته تلك الحضرات وسر النسب والتجليات من أزل أزل الأزل إلى أبد أبد الأبد من وجود كنزية الحق إلى آخر تجليات الدهور بسر الكون وبسر الخلق والأمر أن تأخذ بأيدينا وتوقفنا بين يديك وقفة خالصة مستمرة دائماً أبداً سرمداً بمحو الرسوم والطبائع وأمت نفوسنا موتاً حقيقياً محواً وفناءً في شهود الحق بالحق في الحق مع البقاء التام والصحو والكمال والاستقامة والقيام بحقوق الربوبية جمعاً في فرق وفناء في بقاء

وسكراً في صحو الخ ...».

٣١ – ثم ختم كلامه في الفصل باجابة عن السؤال الذي ورد عليه من الشيخ عمر في التجاني عن السر في النكاح الذي أمر الله به في قوله تعالى فانكحوا فجاءت إجابة الشيخ عن ذلك على الوضع الآتي أن الله تبارك وتعالى الذي كان ولا شيء معه المتصف بجميع الصفات الجلالية والجمالية الربانية والكمالات الإلهية لما أحب أن يوجد المخلوقات حيث لا محب ولا محبوب سواه وقعت الافاضة منه اليه فبرز سره منه وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي وصفه الشيخ بمدد الوجود ونور الوجود ووجود الوجود فصار هو الحبيب ومنه برز النور الذي برز منه جميع المخلوقات فمن ثم وجدت النسب ومن خصائصها المشاهدة ومن جمال الله تعالى ما إذا شاهده الكامل يشعر بقوة إشتياقية شديدة تدفعه إلى الإتصال بالمحبوب وهذا النوع من الإتصال هو الذي رمز الله اليه بالنكاح وإلى هذا المعنى – في نظر الشيخ يرمي – قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة وذلك هو الجمال الذي شوق حواء إلى آدم لما شام بريقه وشم أريجه فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً . ولهذا السر لا ترى شيئاً يبرز إلى الوجود وينتشر ويبقى إلا من النكاح فمنه وقع التناسل بين الحيوانات وغيرها حتى هذا الكتاب الذي كنا ندرسه كما قال الشيخ إنه تناسل بين الحبرة والقلم وكذلك في التعليم فلا بد فيه من التلاقح بين القاء المعلم وتلقي الطالب حتى يتنسل الفهم والعلم من ذلك فاستمر الشيخ قائلاً ولهذا لا ترى أحداً من كمل الرجال ذوي الأيد والأبصار إلا وهو مشتاق إلى النكاح مع سلامتهم من الرضوخ تحت نير الشهوات والتصفد بأكبل الهوى .

٥ – الجذب في السلوك في الطريقة التجانية :

٣٢ – لم يتناول الشيخ موضوعاً جديداً في هذا الفصل وإنما كرر بعض كلامه في الفصل السابق فقط تقريباً فقرر أن المراد بالجذب في السلوك هو أن يرجع العارف إلى الذات رجوعاً لا يعرف له سبباً ولا كيفية ولا وقتاً ولا أصلا ولا فصلا ولا يشعر بشيء إلا أنه لم يجد إلا الذات بالذات في الذات ، فبين أن الذات العلية هي مشهد صاحب هذا المقام ووجوده وأفعاله وأقواله وأحواله وأسراره ومقاماته ومن أجل ذلك كانت

معارفه ومعلوماته خارجة عن دائرة القول فاللازم عليه السكوت التام فقط حفظاً على حياته من علماء الرسوم وسير هذا العارف لا ينتهي وكل من وصل إلى هذا المقام لا بد أن يكون قطباً غوثاً وفرداً جامعاً خليفة عن الله في حمل الأعباء الألوهية وهي الأمانة التي يكون بحملها عين الرحمة الربانية الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة الآدمي الخ ثم ختم كلامه بإيراد الأذكار التي اشتمل عليها الورد التجاني مقتطفاً أوائلها .

والظاهر أن الشيخ قد اعتمد في تأليف هذا الكتاب على ذاكرته مستعيناً بالمراجع التالية .

١ – جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني للسيد علي حرازم ابن البرادة .

٢ – الجامع لما افترق من درر العلوم الفائض من أسرار القطب المكتوم للسيد محمد ابن المشرى .

٣ – رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم للشيخ عمر طال بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي .

٤ – الفتوحات المكية .

٥ – عقاء مغرب في ختم الأولياء وقطب المغرب .

كلاهما للشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي .

٦ – الافادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية .

للسيد محمد الطيب بن محمد الحسني السفياني .

٧ – وفي مضمون الكتاب ما يدل على أنه يستمد بعض مواد الكتاب من مذكرة تلقفها من شيخه في هذا الشأن الحاج عبدالله بن الحاج العلوي الموريتاني .

مراجع دراسة كتاب السر الأكبر

١ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٥٩ من هذا الكتاب.

٢ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر انظر هذا البحث ٤٦٣ .

٣ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٦٩   ٤ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٠ .

٥ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧١   ٦ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٢

٧ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٣   ٨ – الشيخ ابراهيم اتياس : السر الأكبر ٤٧٤

٩ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٥   ١٠ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٩

١١ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٩   ١٢ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٩

١٣ – السيد علي حرازم البرادة : جواهر المعاني ٣٨ – ٤٠

١٤ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ، أنظر هذا البحث ٤٨٧.

١٥ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٨٨   ١٦ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٨٨

١٧ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٨٨   ١٨ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٨٩

١٩ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٨٩   ٢٠ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٩١

٢١ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٩١   ٢٢ – عبد الكريم الجيلي : الانسان الكامل ٧٢

٢٣ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٩٣   ٢٤ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٨٥

٢٥ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٨٧   ٢٦ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر انظر البحث ٤٩٠

٢٧ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٩٢   ٢٨ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٥٠٠

٢٩ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٥٠٤   ٣٠ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٩

٣١ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٩   ٣٢ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٧٩

٣٣ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٩٤   ٣٤ – الشيخ ابراهيم انياس : السر الأكبر ٤٩٤

تحقيق كتاب السر الأكبر

هذا هو نص كتاب السر الأكبر والنور الأبهر الذي ألفه الشيخ ابراهيم إنياس في علم الباطن في الطريقة التجانية وقد حققناه معتمدين في ذلك على ثلاث نسخ متفرقة. النسخة التي كتبت في كولخ وعليها توقيع الشيخ ابراهيم نفسه ، وجدتها عند بعض كبار تلاميذه النيجيريين ، وهو الشيخ ابراهيم نائبي الساكن بقرية بُكُر في ولاية بلاتو رحمه الله وهي التي رمزنا اليها بحرف (خ) إشارة إلى النسخة الكولخية والنسخة التي خرجت من يد الشيخ أحمد التجاني بن عثمان الكنوي وعليها توقيعه ، أي الشيخ التجاني بن عثمان حصلت عليها بواسطة بعض الأصدقاء من أصحابه الكنويين وهي التي رمزنا اليها بحرف (ك) إشارة إلى النسخة الكنوية والنسخة التي خرجت من بيت الشيخ الحاج آدم الدمغراوي رحمه الله في بلدة أزري بولاية بوش وجدتها عند بعض أبنائه وهي التي رمزنا إليها بحرف (ز) إشارة إلى النسخة الأزرية .

وبعد فقد أجرينا على الكتاب دراسة علمية شاملة ألحقناها بأوله كمقدمة وعلقنا على بعض النقاط الهامة التي احتوى الكتاب عليها وجعلناها في آخره كخاتمة .

بسم الله الرحمن الرحيم (١) الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين

---

١ – في ز ، ك زيادة ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد حق قدره ومقداره العظيم اللهم عونك هذا كتاب السر الأكبر والنور الأبهر تأليف العارف الرباني والوارث الصمداني من نشأ في طاعة مولاه متمسكاً بأوثق عراه العالم العامل العابد الناسك الفاني في محبة المولى الخالق المالك جامع أذواق أهل الحقيقة الفائز به أهل الطريقة سيد السادات المتصف بكماليات الصفات أبي إسحاق ابراهيم الخليل من لا يزال هائماً في جمال مولاه الجليل ابن الحاج عبدالله تولى أموره مولاه قال مبتدأ باسم الله العظيم مصلياً على السيد الكريم .

إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين (١) اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم (٢) سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (٣) ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (٤) والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم (٥)

أما بعد حمده بلسان مرتبته على جميع محامده ويتضاءل عن أقل جزء منها حمد حامده بل الحمد به وله وفيه ومنه (٦) وإليه وعليه ومعه وعنه. فيقول العبد الفقير (٧) الغني بمولاه الكريم ابن (٨) الشيخ الحاج (٩) عبدالله ابراهيم لا يزال في جمال جلال (١٠) مولاه يهيم فقد أمرني من لا تسعني مخالفته وتتحتم علي مساعدته ومساعفته إذ إشارته حكم ومساعفته غنم بأن أضع كلمات مشتملة على إشارات تنبه (١١) على طريقتنا الحقيقية الخاصة المخصوصة بأخص الخواص الطائفة الأحمدية المحمدية التجانية الابراهيمية الحنفية (١٢) فنظرت إلى قصور باعي فأحجمت ثم إلى وجوب الامتثال لأوامره (١٣) فأقدمت فصرت أقدم رجلاً وأؤخر (١٤) أخرى (١٥) مع ما أقامني القهار عليه من الاشتغال بما هو به سبحانه أدرى إلا أني بينت (١٦) أن الاحجام عن إسعافه في ذلك من رذائل الأخلاق لما فيه من إفادة أهل الأذواق الذين

---

١ – الفاتحة ١ :

٢ – هي الصلاة التي ألفها الشيخ محمد البكري فأخذها الشيخ التجاني وادعى أنها ليست من تأليف البكري وإنما أنزلها الملك عليه أي البكري في صحيفة من نور. انظر جواهر المعاني ج١ – ١٣٧

٣ – الصافات ٣٧ : ١٨٠ – ١٨٣

٤ – النساء ٤ . ٦٩

٥ – الجمعة ٦٢ : ٣

٦ – سقطت (ومنه) من خ

٧ – في خ الحقير

٨ – سقطت (أ) من خ

٩ – سقطت (الحاج) من ك

١٠ – في خ جلاله بزيادة (ه)

١١ – في خ، زتنبيه بزيادة ياء بين الباء والهاء

١٢ – كذا في المخطوطات ولعل الصواب الحنيفية.

١٣ – في ز الأوامر باسقاط الهاء

١٤ – في ز وأوخرى

١٥ – سقطت أخرى من ز وفي خ (الأخرى)

١٦ – في ز تبيت باسقاط النون التي بين الياء والتاء.

هم صفوة مولانا الخلاق وقال لي لسان الحال قل (١) وروح القدس (٢) معك وأنشدني :

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ(٣) بنفسك أن ترعى(٤)مع الهمل (٥)(٦)

فقمت (٧) مستعيناً بالله ومتوسلاً برسول الله ومستمداً من حضرة مولانا أحمد (٨) التجاني وجمعت هذه النبذة واختصرت الكلام فيها (٩) على أربعة فصول : فصل في سلوك طريقتنا التجانية ذات الأسرار الربانية والحقائق العرفانية والاشارات المحمدية والمواهب الرحمانية والأحوال الحقانية وفصل في جذبها(١٠) وفصل (١١) في السلوك في الجذب فيها وفصل في الجذب في السلوك إذ(١٢) ماوراء ذلك لا يسمح فيه ولو بمطلق إشارة ولم أسلك فيها مسلك المصنفين ولم أجنب شيئاً من كلام المحققين لأنها ليست موضوعة للمنتقدين (١٣) إنما هي للمحققين المعتقدين إلا شيئاً حدثني به قلبي عن سري عن ربه تعالى بارتفاع الوسائط فأرجو (١٤) بذلك تحقيق النفع لبروزه (١٥) من النافع نفعنا الله به وأحباءنا (١٦) النفع الحقيقي إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه .

فصل فأما السلوك فيها سلك الله بنا وبأحبائنا (١٧) مسالك النّجاة وجعلنا الأئمة المهتدين الهداة فينبعث(١٨) من الانتباه(١٩) وهو أن ينظر العبد إلى ما تطالبه به حضرة خالقه ورازقه وضاره (٢٠) ونافعه وهو العبادة الخالصة المخلصة(٢١) قال تعالى: « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون »(٢٢). وقال تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين »(٢٣) ثم إلى عجزه عن توفية(٢٤)الحضرة حقها من التقوى في

---

١ – في خ (وقل) بزيادة واو . ٢ – في ز القدوس .
٣ – في ز (فان) ٤ – في خ (تر عل) ٥ – في ز،ك مع المحل ٦ – الطغرائي : لامية العجم
٧ – في خ فقلت ٨ – في ز ، ك الختم التجاني ٩ – سقطت (فيها) من خ
١٠ – في ز جز بها بالزاي بدل الذال ١١ – سقطت فصل في ز ١٢ – في ز بزيادة واو أي (وإذ)
١٣ – في خ للمتقدمين ١٤ – في خ وأرجوا بزيادة ألف ١٥ – سقطت (ه) في ز .
١٦ – في المخطوطات (وأحبائنا) بوضع الهمزة فوق النبرة .
١٧ – في خ ، ك (وبأحباءنا) بافراد الهمزة ١٨ – في ز فينعث
١٩ – في خ الانتباح بالحاء بدل الهاء ٢٠ – في ز وضاه ٢١ – سقطت (المخلصة) من ك
٢٢ – الذاريات ١٥ : ٥٦ ٢٣ – البينة ٥ : ٩٩ ٢٤ – في خ (تفية) .

الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى وذلك مفتاح جميع المطالب(١) للعبد من العلم والولاية والبشرى والجنة ومحبة الله والكرم عنده والنجاة والسلامة من الأعداء والرزق والتيسير والعاقبة المحمودة إلى غير ذلك من المطالب قال تعالى : « واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم (٢) » وقال تعالى : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٣) الذين (٤) آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » (٥) وقال تعالى : « أعدت للمتقين » (٦) .

وقال تعالى : « إن الله يحب المتقين »(٧) وقال تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (٨) وقال تعالى : « ثم ننجي الذين اتقوا ». (٩) وقال تعالى: « وأن(١٠) تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً »(١١)وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب »(١٢). وقال تعالى: « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا »(١٣). وقال تعالى: « والعاقبة للمتقين »(١٤). فهذه الآيات مصرحة بأن التقوى مفتاح جميع المطالب في الدارين وأنه هو السبيل المأمون(١٥)والزاد المبلغ والراحلة(١٦) في طريق (١٧) السلوك إلى الله ولذا قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة » (١٨). والوسائل إلى الله دائرة على ثلاثة أقطاب القطب الأول متابعة النبي في القول والعمل (١٩) قال تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ». (٢٠) الثاني ملازمة الذكر بالإذن الصحيح من الكمل قال تعالى : « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » (٢١).الآية .والثالث مصاحبة العارف بالله قال تعالى(٢٢): « واتبع سبيل من أناب إليّ »(٢٣). فينظر المريد إلى ما تقدم(و)(٢٤) تعظم رغبته في الانخراط في سلك طريقتنا وتلقي أورادنا(٢٥)

---

١ – في خ (مطالب (باسقاط (ال)   ٢ – البقرة ٢ : ٢٨٢   ٣ – يونس ١٠ : ٦٢
٤ – في ز والذين بزيادة واو   ٥ – يونس ١٠ : ٦٤   ٦ – آل عمران ٣ : ١٣٣ .
٧ – آل عمران ٣ : ٧٦   ٨–الحجرات ٤٩ : ١٣   ٩ – مريم ١٩ : ٧٢   ١٠ – سقطت الواو في خ
١١–آل عمران ٣ : ١٢٠   ١٢–الطلاق ٦٥ : ٢   ١٣–الطلاق ٦٥ : ٤   ١٤–الاعراف ٧ : ١٢٨
١٥ – في ز المأمور   ١٦ – في ز ورحة   ١٧–في ز في الطريق بزيادة (ال)   ١٨ – المائدة ٥ : ٣٥
١٩ – في خ والفعل   ٢٠ – آل عمران ٣ : ٣١   ٢١ – الكهف ١٨ : ٢٨
٢٢ – في ز قال الله   ٢٣ – لقمان ٣١ : ١٥   ٢٤–سقط الواو من المخطوطات   ٢٥–في ك أورادنا

ومصاحبة الشيخ الكامل من أهل (١) طريقتنا وما لم يحصل للعبد (٢) هذا النظر فهو في نوم (٣) الغفلة وما بعد هذا النظر الإكمال اليقظة وما بعد كمال اليقظة إلا الفرار من النفس وهواها والدنيا والشيطان إلى الله وذلك هو التوبة والفرار إلى الله هو الفرار إلى كامل العصر وقال تعالى (٤): « ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين (٥) فيأتي لخليفة (٦) من خلفاء الشيخ وارث ولا بد من سلب الارادة والتأدب ظاهراً وباطناً وتوفية ما تلقى إليه من الشروط والسلامة من الانتقاد بكمال الاعتقاد والسلامة من الاعتراض (٧) والسؤال بلم وكيف كما يشير (٨) إلى جميع ما تقدم قوله تعالى حكاية عن الكليم موسى على نبينا وعليه (٩) الصلاة والسلام لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا فلما بلغ مجمع بينهما نسيا حوتهما (١٠) فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت إذا آوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه (١١) من لدنا علما قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني إن شاء(١٢)الله صابراً ولا أعصى لك(١٣) أمرا قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا(١٤) فيتلقى منه الورد اللازم للطريقة الأحمدية التجانية ذات الاسرار الربانية والإشارات المحمدية والحقائق الاحمدية(١٥) وهو الاستغفار والصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)(١٦) ولا إله إلا الله وآيات من القرآن يذكر بالغداة والعشي وهذا الورد هو أفضل الأوراد وأسهل الطرق الموصلة إلى الله تعالى وأنفعها وأعلاها وأسهلها(١٧) وأرفعها شأناً وحالا ومقاما لأن منشأ هذه الطريقة كما قال صاحبها الدائرة الفضلية (١٨) التي وراء الدوائر

---

١ – في ز الطريقتنا ٢ – في ز العبد ٣ – في خ النوم ٤ – في ز الله ٥ – الذاريات ٥١ : ٥٠
٦ – في ز الخليفة ٧ – في خ الاعراض ٨ – في خ تشير ٩ – سقط الواو في ز
١٠ – سقط الهاء من خ ١١ – سقط الهاء من خ ١٢ – في خ ان شاني ١٣ – سقطت (لك) من خ
١٤ – الكهف ١٨ : ٦٠ – ٧٠ ١٥ – في ز (الاحدية) ١٦ – سقط مابين القوسين من ز،ك
١٧ – في ز ، خ فأسلمها ١٨ – في ك الفيضية

التي هي دوائر الأمر والنهي (١) والجزاء خيراً وشراً والاعتبارات واللوازم (٢) والمقتضيات فإن هذه الدوائر هي دوائر عموم الخلق وتلك الدائرة الفضلية هي دائرة اختصاصه واصطفائه سبحانه وتعالى فيضعها لمن شاء من خلقه وهذه الدائرة جعلها سبحانه وتعالى عنده فيضها فائض (٣) من بحر الجود والكرم لا يتوقف فيضها (٤) على وجود سبب ولا شرط ولا زوال مانع بل الأمر فيها واقع على اختصاص مشيئته فقط ولا يبالي بمن كان فيها وفى (٥) بالعهود (٦) أم لا أنتهج الصراط المستقيم أم سقط في المعاصي في الطريق الوخيم ولا يبالي فيها لمن أعطى ولا على ماذا أعطى ومن وقع في هذه الدائرة من خلق الله كملت له السعادة (٧) في الآخرة بلا شوب ألم ولا ترويع وفيها كما قال شيخنا أوقع الله أهل طريقته فصارت عبادتهم محبة وشكرا وراثة محمدية قال عليه السلام (أفلا أكون عبداً شكورا) (٨) ولذلك (٩) قال شيخنا إن طريقته(١٠) طريقة (١١) شكر وقد أتى ذكر هذه الدائرة في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه «قال تعالى: «والله(١٢) يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم »(١٣)وقال تعالى : « قل إن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم ».(١٤)وقال تعالى : « وكان فضل الله عليك عظيما »(١٥). وقال تعالى : « واسألوا الله من فضله »(١٦) وقال تعالى: « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله(١٧) » وقال تعالى فسوف يأت الله بقوم(١٨) يحبهم ويحبونه إلى قوله ذلك فضل الله(يوتيه من يشاء)(١٩)وقال تعالى فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة(٢٠)منه وفضل(٢١)وقال تعالى : « قل بفضل الله وبرحمته

---

١ – في خ ونهى .
٢ – في خ واللوزم ٣ – في ز فيضها ٤ – في ك ، ز فيضه ٥ – في ز و (في)
٦ – في خ (العهود) ٧ – في ز (سعادة) ٨ – الشيخان عن عائشة : الأنوار المحمدية ٥١٧
٩ – في ك ، ز ولذا ١٠ – في ز طريقتنا ١١ – في خ طريق
١٢ – سقط الواو في خ وسقطت والله في ز ، ك ١٣ – البقرة ٢ : ١٠٥
١٤ – آل عمران ٣ : ٧٣ في خ بزيادة ذو الفضل العظيم قبل واسع عليم ١٥ – النساء ٤ : ١١٣
١٦ – النساء ٤ : ٣٢ ١٧ – النساء ٤ : ٧٥ ١٨ – سقطت (بقوم) من ز .
١٩ – سقط ما بين القوسين من خ ٢٠ – في ز رحمته ٢١ – النساء ٤ : ١٧٥

فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » (١) . وقال تعالى : « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم » ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (٢). فببعض ما تشير اليه هذه الآيات (٣) تعلم أن من وفقه الله لدخول طريقتنا كملت له سعادة الدارين وكان من المحبوبين المقبولين عند الله على أي حالة كان والادب لهذا المريد أن يشهد المنة دائماً لمولاه فيحمده ويشكره على كل أحواله ويحسن الظن به دائماً بجدد حسن الظن ما تجدد له حال سواء كان جلالياً أو جمالياً ويفوض اليه(٤) أموره مادق منها وما جل يقيناً بالله ويعجزه (٥) عن جلب النفع لنفسه أو دفع المضرة عنها (٦) فيلقي نفسه سلماً بين يدي شيخه النائب عن الشيخ الختم التجاني رضي الله عنه (في عالم الحس والشيخ المربي للمريد حقيقة هو الشيخ التجاني رضي الله عنه)(٧) وهو معه دائماً ما تذكره في قلبه وأعتقد أنه بين يديه وهنا سر كبير للمريد التجاني قال تعالى : « والله خلقكم وما تعلمون »(٨). وفي الحديث (٩) القدسي « أنا عند ظن عبدي بي »(١٠).وقال تعالى وأفوض أمري إلىالله إن الله بصير بالعباد »(١١). وقال تعالى : « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون »(١٢). فهذه(١٣) الآيات(١٤) تشير إلى ما تقدمها من مقامات الآداب ، وأما الطرق الموصلة فيها فهي أكثر من أن (١٥) تعد (١٦) تعد أو تحصى فمنها الورد اللازم لمن التزمه بشروطه المشروطة(١٧) وآدابه المضبوطة وهي المحافظة التامة على واجبات الشرع كلها سيما الصلوات الخمس بطهارتها في أوقاتها وحضور القلب عند تلاوته وبعدها ومنها محبة(١٨) المريد في شيخه

---

١ – يونس ١٠ : ٥٨ ٢ – الجمعة ٦٢ : ٣ – ٤ ٣ – في ز (الآية) .
٤ – في ز له ٥ – في ز يعجزه ٦ – في ز منها ٧ – سقط ما بين القوسين من خ
٨ – الصافات ٣٧ : ٩٦ ٩ – في خ حديث .
١٠ – الشيخان عن أبي هريرة : كشف الخفاء ومزيل الالباس للعجلوني ج١ – ٢٣٤
١١ – الغافر ٤٠ : ٤٤ ١٢ – الزمر ٣٩ : ٢٩ ١٣ – في خ ، ك فهذى
١٤ – سقطت بعض من خ ١٥ – سقط النون من خ ١٦ – في خ تعدا
١٧ – في خ المشرطة ١٨ – سقطت محبة من ز

بدليل حديث المرء مع من أحب »(١) قالوا: « إن محبة الصغير لا تخطىء »(٢). قلت ومحبة الكبير المتعالي لا تخطىء بدليل « فإذا أحببته كنته »(٣) ومنها العدوى بدليل « خالط الجذمي تجذم » (٤). ومنها أدعية وأذكار أجراها الله على لسان الشيخ رضي الله عنه وكذلك (٥) أدعية وأذكار أجراها الله على لسان بعض خلفائه وتلك والله أعلم هي الطرق المتفرعة التي ذكر الشيخ رضي الله عنه قال تعالى : « وقال ربكم أدعوني استجب لكم »(٦) . « أمن يجيب المضطر إذا دعاه »(٧) أجيب دعوة الداع (٨) إذا دعان (٩) فهذه مآخذ هذه الطرق زيادة على ما تقدم عند تفسير الوسيلة وأما مأخذ (١٠) أذكار الورد من الكتاب فقد قال تعالى : فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم »(١١). قال تعالى: (فاقرأوا)(١٢) وقال تعالى: « واستغفروا ربكم »(١٣). وقال تعالى: «صلوا عليه »(١٤) وقال تعالى فاذكروني أذكركم »(١٥) وهنا لطيفة (١٦) حيث قال (١٧) تعالى لبني إسرائيل: « واذكروا نعمة الله»(١٨). وقال لهذه الأمة المحمدية «فاذكروني» وقال تعالى: « سبحوه(١٩) بكرة وأصيلا)(٢٠)

---

١ – الشيخان عن أنس وأبي موسى وابن مسعود : كشف الخفاء للعجلوني ٢٨٣ : ج١ .

٢ – لعله من أقوال الصوفية لم أعثر له على مصدر .

٣ – هذا حديث مشهور عند المتصوفين إلا أني لم أجد من رواه بهذا اللفظ غير الشيخ ابراهيم وحده وهو قد أخذه من جواهر المعاني ج٢-١٢ فقد رواه القناوي في شرح لامية ابن الوردي بلفظ فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها » . فتح الرحيم الرحمن ٤١(ورواه ابن عجيبة في إيقاظ الهمم شرح الحكم بلفظ « فاذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً ١٦» . وأورده ابن عربي الحاتمي في الفتوحات المكية في الجزء الأول صفحة ٣٢١ فقال : « ورد في الخبر الصحيح عن الله تعالى في العبد الذي يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه يقول فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث ».

٤ – هذا لعله من كلام الشيخ ابراهيم أو مأثور عن بعض العلماء .

٥ – في ك كذا ٦ – غافر ٤٠ : ٦٠ ٧ – النحل ٢٧ : ٦٢ ٨ – في خ ، ك الداعي

٩ – في خ ، ك عادني ١٠ – في خ مؤاخذات ١١ – النحل ١٦ : ٩٨ ١٢ – المزمل ٧٣ : ٢٠

١٣ – هود ١١ : ٣ ١٤ – الأحزاب ٣٣ : ٥٦ ١٥ – البقرة ٢ : ١٥٢ سقطت أذكركم من ز

١٦ – في ز للطريقة ١٧ – في ز قال الله تعالى ١٨ – إبراهيم ١٤ : ٦ ١٩ – في خ سبحوا

٢٠ – الأحزاب ٣٣ : ٤٢

فتلاوة (المريد) (١) بالإذن الصحيح بالسند المتصل بالشيخ هذا الورد باستحضار هذه الأوامر قصد امتثالها تعظيماً لله وإجلالاً له متأدباً بالآداب المتقدم ذكرها هي السلوك فيها بقدر الصدق يكون سرعة الظفر بالمطلوب فالصادق ربما قطع العقبات في لحظة أو ساعة أو يوم أو يومين أو قليل من الأيام ومنهم من (يقطعها في شهر أو في سنة أو سنتين أو سنين)(٢) ومنهم من يقطعها في سبعين سنة وذلك بحسب الصدق (٣)، والصادق في طريقتنا من أراه الله الورد اللازم أكبر الاسرار ، والشيخ عين السر فلا يتشوق (٣) إلى الغرائب والغيوبات ويستخف (٤) بالسر الحقيقي ، فإن حصل الصدق يقطع المقامات لمآمناً من العثرات في أسرع مدة، والمقامات إسلام وإيمان وإحسان ، وإن شئت قلت شريعة وطريقة وحقيقة ، وما فيها من أمهات المنازل تسعة ، أولها : التوبة ، وآخرها المعرفة ، وحقيقة التوبة : التوبة من التوبة ، إن الله هو التواب الرحيم . » (٥) وحقيقة الاستقامة البقاء بعد الفناء . « . إن الله يفعل ما يريد (٦) وحقيقة التقوى عدم خطور السوي بالخاطر ولو لحظة ، ذلك « بأن الله هو الحق » (٧) وحقيقة الصدق إفراد الوجهة إليه « كل شيء هالك(٨) إلا وجهه »(٩)، وحقيقة الاخلاص أن ترى أن العمل لا منك ولا إليك ولا لك ، ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه(١٠)ألا إلى الله تصير الأمور »(١١)« له الملك وله الحمد »(١٢) وحقيقة الطمأنينة (١٣) أن لا تتمنى زوال ما كان ، أو وجود ما لم يكن «إن الله يعلم وانتم لا تعلمون » (١٤) لا يسأل عما يفعل وهم يسألون (١٥) وحقيقة المراقبة تعلق القلب بالله دائماً « إن ربك لبالمرصاد ».(١٦) وما تكون في شأن وما تتلو (١٧) منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه »(١٨) « ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد »(١٩). « مايكون

---

١ – سقطت المريد من خ
٢ – سقط ما بين القوسين من ز .
٣ – خ في خ يتشوق
٤ – في خ يستحق
٥ – التوبة ٩ : ١١٨
٦ – الحج ٢٢ : ١٤
٧ – الحج ٢٢ : ٦٢
٨ – سقطت هالك من خ
٩ – القصص ٢٨ : ٨٨
١٠ – الجاثية ٤٥ : ١٣
١١ – الشورى ٤٢ : ٥٣
١٢ – التغابن ٦٤ : ١
١٣ – في ز الطمأنية
١٤ – النحل ١٦ : ٧٤
١٥ – الأنبياء ٢١ : ٢٣
١٦ – الفجر ٨٩ : ١٤
١٧ – في خ تتلوا بزيادة الألف
١٨ – يونس ١٠ : ٦١
١٩ – ق ٥٠ : ١٦

من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم الآية »(١). « إن الله عليم بذات الصدور »(٢) وحقيقة المشاهدة رؤية الحق عياناً « فأينما تولوا فثم وجه الله » (٣)وحقيقة المعرفة شهود الكمال الذاتي « ليس كمثله شيء » (٤) هكذا أنبأني الوارد أوائل عام خمسين . والنفس السالكة لهذه الطريقة في بدايتها أمارة بالسوء قال تعالى : « إن النفس لأمارة بالسوء »(٥) فإذا انتبهت صارت لوامة أقسم الله بها في قوله : « ولا أقسم بالنفس اللوامة » (٦) وبعد الإنتباه اليقظة فإذا استيقظت صارت ملهمة قال تعالى : « فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها »(٨) فإن تزكت (٧) صارت مطمئنة قال تعالى: «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك »(٩)فإذا رجعت إلى ربها صارت راضية فاذا رضيت صارت مرضية فتكون بهذا كاملة والكمال لله تعالى والمريد التجاني يقطع هذا من غير خلوة ولا كبير مجاهدة ولا(١٠) اعتزال عن(١١) الناس ولا ضيق ولا حرج(١٢) كما قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضي الله عنه في وصية(١٣) لهولذا كان أصحاب الشيخ هم الملوك ظاهراً وهممهم وراء العرش وقال الله تعالى: « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا (١٤).

وعادة النصل أن يزهى(١٥) بجوهره   وليس يعمل إلا في يدي بطل(١٦)

تنبيه(١٧) وما تقدم من أن الملقن نائب عن الشيخ رضي الله عنه في عالم الحس فيجب عليه أدباً أن يلقن في حال انطماسه في الشيخ فيلقن الشيخ بلا واسطة ويقوم المريد مريد للشيخ لا للملقن ولذا كان المريد التجاني حراً في نفسه من بين المقدمين فله أن ينزل الملقن(١٨)منزلة الشيخ في طاعته له واستعمال الأدب معه حتى يجده(١٩)

---

١ – المجادلة ٢٨ : ٧   ٢ – لقمان ٣١ : ٢٣   ٣ – البقرة ٢ : ١١٥
٤ – الشورى ٤٢ : ١١   ٥ – يوسف ١٢ : ٥٣ سقط ما بين القوسين من ك   ٦ – القيامة ٧٥ : ٢
٧ – الشمس ٩١ : ٨   ٨ – هكذا في المخطوطات ولعل الصواب تركت   ٩ – الفجر ٨٩ : ٢٦–٢٧
١٠ – في ز (والا)   ١١ – في خ من   ١٢ – في ز حرفي   ١٣ – في ز وصبة له
١٤ – الأعراف ٧ : ٣٢   ١٥ – في ز يزهر   ١٦ –الطغرائي : لامية العجم في خ البطل وفي ز بطله
١٧ – سقط الواو في ز   ١٨ – في ز ، ك المقدم   ١٩ – سقط ه من خ .

إياه وله أن ينزل غيره منزلة الشيخ إذا (١) لم يظفر بمطابه ، حيث إن الملقنين ليسوا سواء في القوة (٢) وقوتهم بقدر انطماسهم في الشيخ حالة التلقين وقبله وبعده إذ مطلب المريد الشيخ التجاني لا غير وإليه يشير قوله رضي الله عنه وأرضاه وعنا به أمين لما (٣) وقع التنافس بين من أخذ عن الخليفة سيدي (٤) علي حرازم وبين من أخذ عن المقدم سيدي محمد بن المشري من يعرفني يعرفني وحدي ولا يفهم من هذا عدم الإرادة في طريقتنا بعده رضي الله عنه بل يسلب (٥) المريد الإرادة مع المقدم وذلك سلب الإرادة مع الشيخ رضي الله عنه لأن (٦) الشيخ حاضر مع المقدم والمريد دائماً والإخلال بآداب المقدم ربما يكون إخلالاً (٧) بآداب الشيخ رضي الله عنه(٨) وهنا مزلة قدم لبعض الملقنين حيث جعلوا أصحاب الشيخ أصحابهم وربما قطعوهم عن طريق الشيخ من غير إخلال بشرط (٩) من الشروط فيما يدعون وذلك لايصح إذ لا يقطع المريد عن طريق الشيخ إلا الثلاثة (١٠) التي ذكر الشيخ بقوله الثابت عنه ثلاثة تقطع المريد عنا أخذ ورد على وردنا وزيارة الأولياء الأحياء منهم والأموات وترك الورد والحق أن الإذاية ممنوعة(١١) في طريقتنا فإن أذى(١٢) المريد المقدم فلربما جره ذلك إلى الانقطاع (عن الطريقة وكذلك المقدم إن أذى (١٣) المريد فاربما جره ذلك إلى الانقطاع)أيضاً وانقطاع (١٤) المقدم لا يقطع المريد حيث إن شيخه الشيخ التجاني رضي الله عنه أعاذنا الله من الانقطاع وإذا لم يحصل للملقن الانطماس (١٥) المذكور فالملقن أيضاً الشيخ لكن من(١٦) وراء حجاب السند ، فحب المريد للمقدم لا لذاته بل لحب الشيخ ، كما أن حب الشيخ لحب مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبنا لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحب مولانا جل وعلا الضار النافع الخافض الرافع القابض(١٧) الباسط وما دام العبد يحب سوى وما ذكر فلمرض في القلب ويستلذ المريض ما ليس بلذيذ كما ينكر الفم طعم اللذيذ قال :

---

١ – في ز إذ ٢ – في خ بالقوة ٣ – في ز ولما بزيادة واو ٤ – سقطت سيدي من ز .
٥ – هكذا في جميع المخطوطات ٦ – في ز لأي ٧ – في ز إخلال ٨ – سقطت عنه في ز .
٩ – في ز شرط ١٠ – في خ الثالثة ١١ – في خ ممنوع ١٢ – في ز إذن ١٣ – في ز ان ذي.
١٤ – سقط ما بين القوسين من خ ١٥ – في خ انطماس ١٦ – سقطت (من) من ز
١٧ – سقطت القابض من ز

وينكر الفم طعم الماء من سقم (١).

فبعض (٢) المرضى (٣) يستلذ التراب ويأكله ، وينكر طعم أطيب الطعام والقلب كالجسم ، ما لم يجد الصحة الكاملة يستلذ غير لذيذ وإن صح يعلم أن لا لذيذ إلا معرفة الله وذكره في سائر الحالات رزقنا الله صحة القلب الكاملة آمين فحب سوى الله ومحبة غيره (٤) لا يرضاه الله لعبد من عباده لأن من أحب شيئاً صار عبداً له والعبودية لغيره كفر ولا يرضى لعباده الكفر ويفر المريد إلى الشيخ في كل المهمات(٥) ويقص عليه ما يكاشف له في سره من الأسرار ويلقي إليه ما يطرأ له من الأحوال ويكتم ذلك من(٦) غيره ولا يستحسن لنفسه شيئاً من أحواله ولا أفعاله عنده وما عليه من آداب الصحبة بعضه (٧) قد تقدمت الإشارة اليه في قصة الكليم مع الخضر عليهما السلام بنص محكم التنزيل ، ويكون مجاهدة المريد في هذه الحالة (٨) صبره على الفروض حتى يؤديها وقت الأداء وصبره على مرارة (٩) مجاري الأقدار وصبره على الفضائل بعد الفرائض من غير قهر النفس عليها وصبره عما تدعوه إليه النفس من الشهوات والراحات والكسل قال تعالى: « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » (١٠) وقال تعالى: « فخذها بقوة » (١١) أي بجد واجتهاد فحاصل المجاهدة الصبر قال تعالى: « واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين »(١٢) والسّير الحقيقي في هذا الميدان سير القلب والفكر إلا أن (١٣) حركات الظواهر بحركات السرائر ولا يكون إلا بمحاسبة (١٤) الأنفاس وضبط الحواس الخمس الظاهرة الذوق والشم والبصر والسمع واللمس والخمس الباطنة النفس والقلب والروح والسرو الخفي قال الله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى »(١٥) وقال تعالى: « الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون(١٦)».

---

١ – البوصيري : قصيدة البردة ٢ – في ز فبعض
٣ – في ز المرض ٤ – سقط ه من ز ٥ – في خ مهمات باسقاط (ال) ٦ – في ك عن
٧ – في خ بغضه ٨ – سقطت الحالة من ز ، ك ٩ – في خ المرارة ١٠ – العنكبوت ٢٩ : ٦٩
١١ – البقرة ٢ : ١٤٥ ١٢ – البقرة ٢ : ٤٥ ١٣ – هكذا في المخطوطات ولعل الصواب (لأن)
١٤ – في ز بمحاسبة ١٥ – النازعات ٧٩ : ٤٠ ١٦ – البقرة ٢ : ٤٦

وقال تعالى: « واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله »(١) وأهل هذه الحالة تهون عليهم المصائب لقولهم(قول حال)(٢) (عند المصيبة)(٣) « إنا لله وإنا إليه راجعون »(٤) قال تعالى: « لينذر يوم التلاق »(٥) الآية ويراعي سره عن كل ما يزري بمقامه (٦) وذلك هو الورع عندهم وفي الحديث : من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه »(٧) وقـــال عليه الصلاة والسلام « كن ورعاً تكن أعبد الناس » (٨) فبتحقق (٩) الورع تكون المراقبة (١٠) وهي هنا ملاحظة العبد للحق وحضوره معه دائماً وعلمه باطلاعه تعالى بكليته فبهذا (١١) يزهد فيما سواه لا يلتفت إلى حمد الخلق ولا (إلى) ذمهم إلى إلف (١٢) يفارق ولا إلى شيء فيتهيأ للحكمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهداً في الدنيا ومنطقاً (١٣) فاقتربوا(١٤) منه فإنه(١٥) يلقن (١٦) الحكمة » . ومن زهد في غيره تعالى توكل عليه لامحالة قال تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه»(١٧) وقال « وعلى الله فليتوكل المؤمنون »(١٨) وقال : « وعلى الله فتوكلوا »(١٩). وهو اعتماد القلب بالله وكون العبد بين يديه يقلبه (٢٠) كيف يشاء (٢١) ولا (٢٢) يكون له حركة ولا تدبير وبهذا تتحقق العبودة (قال تعالى)(٢٣) : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » (٢٤) فيتجرع كأس المحبة وهي

---

١ – البقرة ٢ : ٢٨١ ٢ – في ز قال

٣ – سقطت عند المصيبة من ز ، خ هكذا وردت الجملة في المخطوطات والصواب إما قولهم (حال المصيبة) أو (عند المصيبة)

٤ – البقرة ٢ : ١٥٦ ٥ – غافر ٤٠ : ١٥ في ك ، ز التلاقي ٦ – في خ مقامه

٧ – الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة : مصطفى محمد عماره : نضرة النور جـ ١ – ٣٨١

٨ – البيهقي نفس المصدر ضعيف ٩ – في ز فلتحقق وفي خ فتحقق ١٠ – في ز المراقية

١١ – في خ فبذا ١٢ – سقطت الف من ز ١٣ – في ك بزيادة (وقلة) أو قلة منطق

١٤ – في خ فاقربوا منه ١٥ – في خ فاذا

١٦ – البيهقي وابن ماجه عن أبي خلاد ضعيف : السيوطي : الجامع الصغير ٢٦ ١٧ – الطلاق ٦٥ : ٣

١٨ – التوبة ٩ : ٥١ ١٩ – المائدة ٥ : ٢٣ ٢٠ – في ز ، ك بقلبه ٢١ – في ك شاء .

٢٢ – سقط الواو من ز ٢٣ – سقط ما بين القوسين من خ ٢٤ – الحجر ١٥ : ٩٩

موافقة المحبوب في سائر الحالات عسراً ويسراً (١) قال تعالى : « فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه » (٢) وفي الحـديث (من أحب لقاء الله أحب الله (٣) لقاءه ومن لم يحب لقاء الله تعالى (٤) لم يحب الله لقاءه) (٥) وبعد هـذا حال يشبه الفناء وهو فناء في الأفعال لا يرى في الوجود فاعلاً إلا الواحد (القهار) وفي ذلك حال مراقبة ومحبة حسنة جداً ثم يتعاقب عليه القبض (٦) والبسط وهما فوق الخوف والرجاء (لأنهما لمعنى) (٧) حاصل في الوقت لا غير بخلاف الخوف والرجاء فإنهما لشيء فائت (٧) أو مستقبل قال تعالى : « والله يقبض ويبسط واليه ترجعون » (٩). ثم يتغلب عليه الحال ثم يحصل المحو والإثبات وقد قالوا إن المحو محو أوصاف العادة(١٠) والإثبات أن يظهر ويبدي قال تعالى: « يمحو (١١) الله ما يشاء ويثبت» وبذلك يحصل القرب(١٢)من الحق والقرب(١٣)من الحق هو البعد (من الخلق)(١٤) قال تعالى: « ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون »(١٥) وقال تعالى: « وهو معكم أينما كنتم » (١٦) وقال تعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » (١٧) الآية وبهذا يحصل التجريد والتفريد وهما حال تعتري (١٨) المريد لا يميز فيما بين الشفع والوتر وبهذا تحصل الغيبة عن الأكوان والحضور مع الله تعالى ، والغيبة غيبة قلبه عن علم ما يجري من أحوال (١٩) العالم لاشتغال الحس بما يرد على القلب فيكون الحضور لأنه متى غاب بالكلية عن الخلق حضر مع الله لا محالة لاستيلاء سلطان الذكر قال تعالى : « واذكر ربك إذا نسيت (٢٠) » وبهذا يحصل الجمع (والتفريق)(٢١)

---

١ – في خ عسر ويسر
٢ – المائدة ٥ : ٥٤
٣ – سقطت (الله) من ز
٤ – سقطت (تعالى) من ك .
٥ – الإمام أحمد ؛ الشيخان ؛ الترمذي ؛ النسائي عن عائشة وعبادة : نضرة النور جـ١ – ٣٨٥ .
٦ – في خ بتقديم البسط على القبض
٧ – سقط ما بين القوسين من خ
٨ – البقرة ٢ : ٢٤٥
٩ – في ز محوا
١٠ – في ك العبادة
١١ – في خ يمحوا بزيادة ألف
١٢ – في ز أتقرب .
١٣ – في ك ، والتقرب من الحق
١٤ – سقط ما بين القوسين من خ
١٥ – الواقعة ٥٦ : ٨٥
١٦ – الحديد ٥٧ : ٤
١٧ – المجادلة ٥٨ : ٧
١٨ – في ز تعتزي .
١٩ – كرر (من أموال) في ز
٢٠ – الكهف ١٨ : ٢٤
٢١ – سقطت والتفريق من خ

والجمع ما من الله اليك والفرق (١) ما نسب اليك والجمع والتفريق أن نشاهد الأشياء مجازاً ونشاهدها (٢) مع ذلك (قائمة) (٣) بالله فيحصل التجلي بطريق الصفات وفي ذلك أحوال بعده (٤) الفناء وهو فوق الجمع يكون العبد مختطفاً عن شهود الخلق مصطلماً عن نفسه مأخوذاً بكليته وهنا نهاية القوم ، ومن هنا بداية أصحاب الشيخ الختم التجاني الوارث المحمدي القطب (٥) المكتوم والخاتم المحمدي المعلوم رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين ولنا وصايا تناسب هذا الفصل ومنها :

نصيحة من يلقى إلى المسامعا ... ويبغي سبيل العارفين مسارعا
لتأخذ طريق الشيخ من إذن أهله ... وليسوا سواء واصحبن متابعا (٦)
وما الورد إلا استغفروا ثم هللوا ... وصلوا على المختار وارع المجامعا
بشرط حضور القلب مقطوع نظرة (٧) ... عن الخلق واحفظ في النصيحة سامعا
ولا تعتمد إلا على فضل ربنا ... لما فيك من عجز فلم تك نافعا
بذاك شهود لامتنان (٨) إلهنا ... فلا تلف ذا عجب لسعي تواضعا
وتحسين ظن بالإله محتم ... وفوض إليه الأمر ولتك خاشعا
صلاة وتسليم من الحق دائماً ... على مركز الأحوال أحمد جامعا

ومنها :

معاندة الأقدار شرك وتعتب (٩) ... ولا تنفعن كلا وهي (١٠) العقل تذهب
فهو (١١) الواحد القهار والملك كله ... له اليوم حقاً لا يلام ويعتب

---

١ - في خ والتفرق ٢ - في خ تشاهده ٣ - في خ زيادة (قائمة) ٤ - سقط ه من خ
٥ - في خ قطب ٦ - في خ المتابعا ٧ - في ز ، ك نظره .
٨ - في خ الامتنان وفي ز لا متنال .
٩ - هكذا في المخطوطات والصواب ومتعب على أنه خبر ثان لمعاندة الأقدار .
١٠ - هكذا في المخطوطات إلا أن استعمال (هي) هنا قد جعل البيت ركيكاً ولو قال (بل العقل تذهب) لاستقام الوزن وزال ما فيه من الركة .
١١ - هكذا في المخطوطات باثبات الفاء في أول البيت والصواب حذفها لتستقيم الوزن إذ لا داعي للاتيان بها من جهة اللغة والنظم .

فمهما (١) يرد أمراً يكن رغم أنفه(٢) | وما لم يشأ من شاءه فهو يتعـب (٣)
ويكفيك جهلاً أن تريد سوى الذي | يريد فذا لا شك جهـل مركب

ومنها :

محمد بن مالك فلتذكـرا | أورادنا والقلب منك أحضرا
و(٤)اخرج من الخلق جميعاً والأثر | ولتطلب المولى سـواه دع وذر
نصيحة تغنيك وهي تغـني | كل المريدين فهـاك عـني

ومنها :

تدبـر الأذكـار يا معـاذ | وربنـا المهيمـن المـلاذ
ولنقطـع النظـرة عن سواه | حتى إذا لم يبـق إلا الله
فإنمـا الفتح لدى الأعيـان | تركك ما سـواه بالإيقـان

فصل في جذبها

والجذب هو الوصول والفناء والفتح تحقيقة (٥) ان (٦) الحق جل وعلا ماحجبه(٧) عن المريد وجود موجود (٨) معه تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، بل ما حجبه إلا توهم وجود (موجود) (٩) معه فإذا أراد الله اصطفاء عبده جعلنا الله من المصطفين الأخيار

---

١ – هكذا في المخطوطات والصواب (مهما) بالألف بدل الياء وقال الله تعالى :«مهما تأتنا به من آية » . الأعراف ٧ : ١٣٢ .

٢ – هكذا في المخطوطات والصواب (انفكا) بضمير المخاطب فيكون الضمير عائداً إلى العبد المخاطب الموجود في الذهن وأما (أنفه) بضمير الغائب فيرجع حتماً إلى الواحد القهار وهذا قبيح لأن القاعدة النحوية تقرر أن الضمير يرجع إلى أقرب مذكور .

٣ – هكذا في جميع المخطوطات ولو قال (متعب) لكان أحسن على أنه نعت (لمن) و

٨ – هكذا في المخطوطات كلها والصواب حذف الواو لعدم الداعي إلى الإتيان به من جهة اللغة والنظم .

٩ – في خ بحقيقة ٦ – في خ فان ٧ – في خ حجب ٥ – في خ وجود ٦ – سقطت موجود من خ

بمنه وكرمه أمين رفع عنه ذلك (الوهم)(١) فلا يرى شيئاً يحجبه عن الحق بل لايرى شيئاً وذلك فناء في محو قال تعالى: « يمحو (٢) الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» فحينئذ يأتيه صريح الحق فلا يرى وجوداً (٣) إلا الله ولا يرى نفسه ولا سواه ولا يرى فناءه بل لا يرى إلا هو الله أحد ويرى أن لاكون (٤) ولا أثر ولا فعل ولا إسم ولا صفة فهو أكمل حجاب عن وجود موجود سوى وجود الحق وفي هذا المقام يقول أنا الله (٥) لا إله إلا أنا وحدي بل لا إله إلا الله وهذا من غير حلول ولا اتحاد ولا شيء من صفات الحوادث « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل (٦) كان زهوقا». بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق »(٧). « ذلك بأن الله هو الحق وأن (٨) ما تدعون من دونه الباطل »(٩) « كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون »(١٠) « إنا لله وإنا إليه راجعون »(١١) « ألا إلى الله تصير الأمور »(١٢). « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »(١٣). « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » (١٤) « فأينما تولوا فثم وجه الله »(١٥) « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » (١٦) « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » (١٧) « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً » (١٨) وفي الحديث القدسي « ما زال عبدي يتقرب إلي بنوافل الخير حتى أحبه فإذا أحببته كنته » (١٩). فهذا المقام أدنى مراتب الفتح في طريقتنا الأحمدية التجانية المحمدية الإبراهيمية الحنفية وليس هو المعرفة لكنه (٢٠) باب المعرفة لا باب للمعرفة إلا الفتح ولا باب للقاء الله إلا هو اللهم إلا إذا كان الموت الاحمر والميت يلقى الله على كل حال وصاحب هذا المقام كافر شرعاً لنفية الاسماء والصفات وقتله الأنبياء وهو المؤمن حقيقة لأنه أثبتها (٢١) حقيقة وقتله الأنبياء قتل بالحق لا بغير الحق وهذا المقام عظيم الغرر لأن

---

١ – سقطت الوهم من خ ٢ – في ز يمحوا بزيادة ألف في آخره ٣ – في خ وجود باسقاط الألف النصب
٤ – في خ يكون ٥ – في خ لله ٦ – الإسراء ١٧ : ٨١ ٧ – الأنبياء ٢١ : ١٨
٨ – في خ وإنما ٩ – الحج ٢٢ : ٦٢ ١٠ – القصص ٢٨ : ٨٨ ١١ – البقرة ٢ : ١٥٦
١٢ – الشورى ٤٢ : ٥٣ ١٣ – فصلت ٤١ : ٥٣ ١٤ – الحديد ٥٧ : ٣ ١٥ – البقرة ٢ : ١١٥
١٦ – البقرة ٢ : ٢٥٥ ١٧ – الأنعام ٦ : ١٠٣ ١٨ – الأعراف ٧ : ١٤٣ .
١٩ – انظر صفحة ٤٦٤ ٢٠ – في ز، خ لاكنه ٢١ – في خ أسبتها

غرره على العقائد وهو اعظم ما لم يلق عين الرحمة ففيه ما يهود وينصر ويمجس فلذلك صاحبه لا يفارق الشيخ العارف الكامل إن كان له شفقة بنفسه أو دينه ويصح أن لا يصحب العبد شيخاً وأن يصحب شيخاً غير واصل إلا في هذا المقام فصاحبه لا بد له من شيخ واصل عارف كامل يخرجه من بحر عماه وطمسه إلى مشاهدة الآثار والناس في ذلك على ثلاثة أقسام الأعمى وهو المحجوب الذي لا يرى الحق الظاهر (١) الذي ليس عليه (٢) حجاب وضعيف البصيرة الذي لا يرى إلا ذاتاً ليس لها صفة ولا اسم ولا فعل وقوي البصيرة الذي يرى الحق والخلق يشاهد وجوداً في عدم (٣) في آن فنقيضان لا يفترقان وحقيقة هذا الوجود تمثال فقط لكن (٤) (إن القوة لله جميعاً) (٥) فثبت لتماثيله آثار (٦) احتجب (بها سبحانه) (٧) وهذا آخر الفناءات فما بعده إلا البقاء وطريقه أن تعلم أن الحق أن لا شيء إلا الله فتؤمن به فتثبت له بالإيمان ما أثبت لنفسه سبحانه فثبتت (٨) الحقائق الثلاث أو الأربع وهذه الحقائق ما يرى (٩) العبد منها لا يرى سواها لكن يبقى له علم الحقيقة التي تقدمتها فتتجلى أولا الذات البحت التي هي عين الطمس والساذج لا نسبة في تجليها وتجليها (١٠) لنفسها لا نسبة إلا الأحدية فالأحدية لم تتجل الذات فيها إلا بها (١١) (قل هو الله أحد) (١٢) ثم تتجلى في الأحمدية لإسم الذات وسر الذات وصفة الذات أحمد فالأحمدية أيضاً ما تجلت (١٣) فيها لغير أحمد ثم تتجلى في المحمدية لحقائق الأنبياء والمرسلين وسر الكائنات (١٤) ثم تتجلى في (١٥) الأحمدية للأقطاب والعارفين ثم تتجلى في الخليفة عبد الذات للأنس (١٦) والجن وحقائق سائر الكائنات فصارت الحقائق أربعاً والنسب ثمانياً باعتبار باطن كل حضرة وظاهرها (١٧) وباعتبار بطون بطون كل حضرة اثنتا عشرة وباعتبار أن كل حضرة لها هاهوت ولاهوت وجبروت وملكوت وناسوت (١٨)

---

١ – في خ ظاهر .
٢ – سقطت عليه من خ ٣ – في خ ، ز عاما ٤ – في ز لاكن ٥ – البقرة ٢ : ١٦٥ .
٦ – في ز أثاراً وفي خ أثر ٧ – سقط ما بين القوسين ٨ – في خ فثبت حقائق
٩ – في خ ما ر ءى ١٠ – في خ وتتجل لنفها ١١ – في خ ، ك لها ١٢ – الاخلاص ١١١ : ١
١٣ – في خ تجل ١٤ – في خ الكائبات ١٥ – في خ بالاحمدية ١٦ – في خ للانسان
١٧ – في خ ظاهره ١٨ – في خ الناسوت

والحضرة الأولى (١) لها شيء لا نسبة فيه (٢) أصلا فتكون (٣) مقـامات النسب إحدى وعشرين وإذا تجلت الذات تجلت بكمالها ولذلك المشاهد بمشاهدة التجلي في المحمدية يرى محمداً عين الذات (ونفس الذات) (٤) لأنه ما ثم غيره فالفرق في خاطر المشاهد ، في تبدل الحقيقة ولا تعددها ، أو في اتصاف الذات واستمداد سيدنا محمد منها ، قال تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني (يحببكم (٥) الله) وقال: « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم »(٦) وقال تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله »(٧) . وقال تعالى: « وكفى (٨) بالله شهيداً محمد رسول الله»(٩) وقال تعالى: « قل إن كان للرحمن ولد (١٠) فأنا أول العابدين »(١١) وقال تعالى: « ورفعنا لك ذكرك ». (١٢) وقال تعالى: « وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً »(١٣) وقال تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » (١٤) وقال تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » (١٥) ونورد هنا أبياتاً تشير إلى الحضرات الخمس المتقدم ذكرها وهي : —

غشيت حبيبي من أراض نطية ... بنص من الناسوت للملكـــوت
تهب بها الأنوار في عرصاتهـــا ... وما صدني الأنــوار عن جبروت
تخاطبني الأسرار من كل وجهة ... فهرولت للاهوت للرغبـــوت
بها كل إسم ثم وصف مقـــدس ... ولكن ففي الهاهوت ذو (١٦) الرحموت
تعلق بها لا تأل جهدك دائمـــاً ... ففي دهش منها أطايب قـــوت

وهي مشيرة إلى كلام عجيب في هذا المجال لشيخنا القطب المكتوم والبرزخ المختوم مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين ونصه كما في الجواهر ومجموع المراتب كلها في الحضرات الخمس الأولى هي حضرة عالم الناسوت وهي

---

١ – سقطت الأولى من خ ٢ – في خ فيها ٣ – في ز تكون .
٤ – سقط ما بين القوسين من خ ٥ – آل عمران ٣ : ٣١ وسقطت الجملة من خ ٦ – الفتح ٤٨ : ١٠
٧ – النساء ٤ : ٨٠ ٨ – في ك وكفا ٩ – الفتح ٤٨ : ٢٨ – ٢٩ ١٠ – في ز ، خ ولدا
١١ – الزخرف : ٤٣: ٨٠ ١٢ – الشرح ٩٤ : ٤ ١٣ – الكهف ١٨ : ٤ ١٤ – القلم ٦٨ : ٤
١٥ – الأنفال ٨ : ١٧ ١٦ – سقط الذال من ز

مرتبة وجود الأجسام الكثيفة والحضرة (١) الثانية في مرتبة عالم الملكوت ، وهي مرتبة فيض الأنوار القدسية وهي من السماء الأولى إلى السماء السابعة وهو عالم المثال وهو عالم الروحانية (٢) والأفلاك والحضرة الثالثة هي حضرة عالم الجبروت وهي من السماء السابعة إلى الكرسي وهي حضرة فيض الأسرار الإلهية وهو عالم الأرواح المجردة وهو عالم الملائكة والحضرة الرابعة هي (٣) حضرة عالم اللاهوت وهي حضرة ظهور أسماء الله تعالى وصفاته بأسرارها وأنوارها وفيوضها وتجلياتها (٤) والحضرة الخامسة هي حضرة الهاهوت وهي حضرة البطون الذاتي (٥) والعمى الذاتي وهذه المرتبة (٦) لا مطمع في نيلها إلا التعلق بها فقط والسلام . ثم قال وتسمية المراتب في التنزل الأول (٧) مرتبة الساذج ، الثاني مرتبة الأحدية الثالث مرتبة الوحدة الرابع مرتبة الواحدية الخامس مرتبة الأرواح ، والسادس مرتبة المثال ، السابع مرتبة الحس، ولكل (٨) مرتبة من هذه المراتب أسامي أما تسمية الأولى منها الذات الساذج وكنه الحق وحضرة الطمس والعمى الذاتي (٩) والبطون الأكبر الثاني مرتبة الأحدية أقدم قدم أحدية مطلقة أحدية واحدية(١٠)مكنون المكنون أحدية صرف حق الحق(١١) ذات بحت وجود بحت عدم العدم الذات الصرف ذات بلا تعدد بطون البطون(١٢) ذات ساذج وجود مطلق مجهول النعت ذات الهوية(١٣)ذات مطلق عين الكافور ذات أحدية مجرد الشئون (١٤) أزل الأزل لا تعين أبد الآباد أول لا نهاية لاهوت (آخر بلا نهاية)(١٥)غيب الغيب غيب (١٦) مصون مشكاة الغيب الثالث مرتبة الوحدة الاسم الاعظم الحقيقية المحمدية أم الفيض القلم الأعلى (١٧) البرزخ الكبرى أم الكتاب كنز الكنوز عالم الجبروت كنز الصفات عالم مطلق موجود الاجمالي موجود أول الوحدة (١٨) الصرفة (١٩) أحدية الجمع الدرة البيضاء حقيقة الحقائق برزخ

---

١ – في ز الحضرات ٢ – في خ روحانية
٣ – سقطت هي من ف ٤ – في ز وتجليا ٥ – في ز الذات مكررا ٦ – في ز ، ك الحضرة.
٧ – في خ الأولى ٨ – في ز لكن ٩ – في ز الذات ١٠ – في ز ، خ وحدية .
١١ – جاءت كلمة (الحق) في الهامش بدلا من (حق) في المتن ١٢ – تكرر البطون في خ .
١٣ – في ك الوهية ١٤ – في ز الشون ١٥ – سقط ما بين القوسين من ك ، ز ١٦ – سقطت غيب من ز
١٧ – في ك الاعلم ١٨ – في ز أولا لوحدة ١٩ – في خ الصرفية

البرازخ الخلق الأول الظل الأول العقل الأول المبدأ الأول الظهور الأول عالم الرموز عالم الوحدة عالم الصفات الرابع مرتبة الواحدية حضرة الألوهية حضرة الجمع حضرة الربوبية (١) مبعث الوجود الوجود (٢) الفياض ظاهر الوجود (٣) ظل الوحدة أحدية الكثرة الظل الممدود ، عالم الاسماء ، صور الاسماء الإلهية ، الأعيان الثابتة أسماء الصفات ، منشأ الكثرات (٤) التعين الأول البدأ الثاني ، النشاط الثاني ، منزل (القدس (٥) الآن الدائم) (٦) قابلية الظهور نفس الرحمن أسماء المبدأ الثاني منتهى المعرفة منتهى العارفين منتهى العابدين حق اليقين علم اليقين عين اليقين الخامس مرتبة الأرواح التعين الأول عالم الأمر النفوس (٧) المجردة عالم الباطن حقيقة الإنسان قاب قوسين معدن الأرواح كنز الأرواح مجموع الأرواح عالم المعاني عالم الملكوت عالم العقول معادن (٨) الأرواح مقام الأرواح رتبة الأرواح السادس مرتبة المثال التعين الرابع الكون الجامع منشأ النور رتبة الخيال المنفصل المركبات الطبيعي مالك الجنان باطن الملك حضرة الأسماء العقل الكلي (النفس الكلي) (الطبيعة الكلية الشكل الكلي الهيولي الكلي الجسم الكلي)(٩) السابع مرتبة الحس عالم الحس عالم الأجسام المركبات الكثيفة عالم الشهادة (عالم الملك) (١٠) عالم الخلق التعين (١١) مرتبة الانسان المرتبة الجامعةاه ثم عزا(١٢)للشناوي(١٣)على الجواهر الخمس وإذا صحا(١٤) المريد من الفناء يشاهد حضرة وحدة الوجود يرى فيها الوجود قطعة بارزة من الذات، بعدما كان لايشاهد إلا إياها فيرى الأشياء على تعددها وتباين مراتبها على حد سواء(١٥) وبعد ذلك تتجلى الحقيقة المحمدية فتمحقها لأنه السيد الكامل الفاتح الخاتم العبد المتصف بصفات سيده المتخلق(١٦) بأخلاقه المتردي بكمالاته من أمد بوسع(١٧) الربوبية صاحب الرياسة لولاك ففي هذه الحضرة لا يرى المشاهد إلا محمداً رسول الله

---

١ – سقطت الربوبية من خ ٢ – سقطت (الوجود) من خ ٣ – سقطت (الوجود) من خ
٤ – في خ كثرات ٥ – سقطت القدس من ز ٦ – سقطت ما بين القوسين من خ
٧ – في ز النفس. ٨ – في ز معدن وفي خ معاد ٩ – جاء ما بين القوسين بالهامش من خ
١٠ – جاء ما بين القوسين بالهامش من خ ١١ – في ز التفين . ١٢ – في خ عز .
١٣ – في ز شاوى ١٤ – في ز صحى ١٥ – في خ السواء ١٦ – في ز المتحلق ١٧ – في ز به سع

قد استحال عنده وجود سوى الله ورسوله ولا مطمع له في الله بغير رسوله يشاهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ألقاه في البحر مكتوفاً وقال له   إياك إياك أن تبتـــل بالمـــاء (١)

والمشاهد في هذا المقام إذا طلب الله لا يجد إلا رسول الله ولا يجد سبيلا إلى وجود سواه .

فقاد يذود الناس عنها بسيفـــه   وقال ألا لامن سبيل إلى هند (٢) .

وفي هذا المقام يقول إن الله ما أوجد إلا محمداً وما أرسل إلا محمداً ولم يرسل من قريش ومحمد ما صلى قط ولا صام ولا حج ولا جاهد ولا نكح ولا ولد ولا ولد(٣) إلى غير ذلك من العبارات المشكلة عند علماء الرسوم فإنه لا يرى لمحمد نسبة حتى يتجلى له في ثاني التجليات وهي التجلي بالمحمدية في الأحمدية فهي مظهر نبوة أنبيائه وملتقى أسراره وإمداده وناصره به والهادي اليه به حق قدره ومقداره العظيم ونورد هنا الصلاة المسماة بجوهرة الكمال في مدح سيد الرجال التي تلقاها سيدنا الختم التجاني من الحضرة المحمدية لما تضمنت من أسرار الحقيقة المحمدية وهي : —

اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط (٤) بأمكنة المكاني اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق ، عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم . اللهم صل وسلم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه . وقلت :

---

١ — جاء هذا البيت في تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ولكنه لم ينسبه لقائله وإنما قال : « قال شاعرهم مورداً على أهل السنة فقط .

٢ — ولم أجد قائل هذا البيت ولا مصدره .

٣ — سقطت ولا ولد من خ   ٤ — في خ الحائطة

أيا صفـــة قد شبهت باسم فاعل ... متى جئت فعلا جئت خيرة عاقل

وإنك جمع حيث أنت شئونه ... وقد جئت فرداً دون شكل مماثل

فلولاك يبقى الحق حقاً وما درى(١) ... ولولاك يبقى دائماً عن مواصل

عليها صلاة الحق بالحق وحدها ... لئلا تكن بتراء في عين واصل

فحاصل ما يجده المشاهد أن الله ليس سوى محمد ومحمد ليس هو الله، وليس غيره ، ومثال ذلك في عالم المجاز ما يتراءى للشخص في المرآة إلا أن هناك لا مرآة وهذا مقام دونه خرق القتاد وتفتت الأكباد ولا ينال ببذل الأموال والأولاد .

وإذا تجلى محمد في الأحمدية تجلى بكماله فيشاهد المشاهد أحمد ويقول إنه عين محمد ونفس محمد إذ ما ثم بعد الله غير محمد إنما تقلب (٢) خاطر المشاهد ولا تبدل المرئي ولا تعدد (٣) فهو هو وهو هو لا فرق بينهما إلا (٤) الاتصاف والإمداد إذ هو الذي أخرجه الله ثاني اثنين وصاحبه الصديق الأكبر وباب مدينة العلم وهذه الحضرة هي حضرة الختمية والكتمية وهي حضرة سيدنا ومولانا أبي (٥)العباس أحمد بن محمد التجاني الحسي (٦) فهو برزخ الأقطاب وممد الكائنات وروحها وسرها بحيث لايبرز شيء من الحقيقة المحمدية إلا وتلقاها من الأزل إلى الأبد وفي هذا أقول :

معاني أبي العباس أفنى معانيـــا ... وأفنى معاني شوقه ذا المعانيـــا

أبى الشوق إلا أن يكون ملازمي ... وطنب حتى صرت سكران صاحيا

وقد غصت سر الغيب في بحر سره ... ولم أك وان لا ولا متوانيـــا

إلى أن رأيت القطب أحمد أحمدا ... وقصر وجود الكون شيد(٧) بانيا

حقيقة سر الكون ثاني مكـــون ... وخاتمة الأفراد فرداً مساميـــا

تنورته في حضرة قدسيـــــة ... مديراً لكاسات المعارف ساقيـــا

---

١ – في ز وما دره .

٢ – في ز تغلب ٣ – في ز تقدد ٤ – سقطت إلا من ز ٥ – في ز أبو العباس

٦ – في ز الحس ٧ – في ز سيد

لعمري هذا الشيخ عين ولايـة تفجر من بحر النبوة صافيـا

وثم وراء العقل ما لو ذكرتـه يريق دمائي من أخـال مواليـا

فذا الشيخ سبط المصطفى عين مصطفى ووارث ماح كان مـن قبـل ماحيا

علمت بأن الله أولاه خطـة تذبذب عنها العارفون توانيـا

علمت بـأن الله أولاه خطة تسكت أشعاراً (٧) تفوت المعانيا

لعمري وحق الشيخ تكفي إشارة فأسكت عن هذا ولم أك وانيـا

صـلاة وتسلـيم الإله بقـدره مدى الدهر ما أوحى الورى والمغانيا

ولنا أبيات نوردها هنا بشرحنا لها لأنها كالتتمة لما قبلها ونصها :

آل النبي محمد ، جمع أتى في مفرد وصحابه في دينهم ، دين حنيف أحمد

ومحمدي أحمدي، واحدي(١) أوحدي تلك الدوائر دورها، في أحمد، من أحمد

تكفي صلاة الحق من ، آن لثان سرمدي

والآل باصطلاحنا حضرة الولاية وهي عين الكتمية و(٢) الختمية والنبي هو الحجاب الأعظم ومحمد عين الاسم جمع باعتبار التشكلات ومفرد نظرا (٣) إلى الحقيقة والصحاب أي صحاب حضرة النبوة وهي الولاية أيضاً في دينهم أي جمع الخ وذلك الدين دين حنيف أي مستقيم أحمدي لأنه عين حضرة الولاية ونفسها وسرها ومحمدي لأنه صلى الله عليه وسلم المتجلي أحمدي لأنه نفس المحمدية وعينها وسرها واحدي لانه المتجلي في المحمدية أوحدي لأنه عين الواحدية ونفسها وسرهـا تلك الدوائر والدوائر عبارة عن شيء آخره أوله وصورته ودورها في أحمد من أحمدي (٤) أي تدور (٥) بين حضرة النبوة والولاية وهو مظهر (٦) الألوهية التي هي المراتبة تكفي صلاة الحق أي صلاة الذات من أزل أزل الأزل إلى أبد أبد الأبد وهو الآن الدائم وهو حضرة استمرار بقاء الذات وهي تستمر أبداً لآباد ومعنى

---

١ – في ك شعارا وفي ز اشعارات .

٢ – في خ ووا حدى وحدى ٣ – سقط الواو من ز ٤ – في ز نظر

٥ – سقط الياء من ز ٦ – في ز تدون ٧ – في ز مطهر

الأبيات أن الذات الساذج التي هي عين الطمس والعمى والوجود المطلق تتجلى (١) بجميع مراتبها في حضرة (٢) سرها سيد الوجود والحق تعالى حضراته خمس الهاهوت واللاهوت والجبروت والملكوت والناسوت تجلت حضرات سره سيد الوجود وهي خمس أيضاً حضرة سره وروحه وعقله وقلبه ونفسه فتجلت الهاهوت في سره فهي هو وهو هي واللاهوت في روحه فهي هو وهو هي والجبروت في عقله فهي هو وهو هي والملكوت في قلبه فهي هو وهو هي والناسوت في نفسه فهي هو وهو هي وهذا معنى صلاته عليه وهو معنى محمد عبدالله أي عبد الذات وتجلت حقائق سيد الوجود في حقائق حضرة الكتم وهي خمس أيضاً حضرة سره وروحه وعقله وقلبه ونفسه كما تقدم من أوله إلى آخره حرفاً حرفاً فصارت العوالم عينيها وغيبها (٣) وفي نفس الحضرة المكتومة فبذلك أوجدت الأعداد وصدقت النبوة وتشرعت بشرائع النبوة على اختلاف مظاهرها وأوقاتها وصاحبت النبي في كل تشكلاته (٤) وبذلك صار (٥) ألا (٦) لأن الآل (٧) عبارة عن القرابة ولا يصاحبه في كثير من التشكلات إلا إله فصار آلاً وصحباً جمعاً فرداً حاضراً غائباً وفي الحقيقة ما هو إلا هو وتعلم (٨) أنه أيضاً كذلك ما هو إلا الهوية فالحضرات المتقدمة قبل تجليها في الحضرات التالية أحدية وأحمدية وبعد التجلي واحدية » محمدية (والتالية قبل التجلي في الثالثة أحمدية (٩) واحدية وبعد التجلي محمدية) (١٠) وصديقية ولذلك (١١) دارت الدوائر في أحمد من أحمد صلى الله عليه وسلم الصلاة الدائمة والسلام. اه وأما الآيات التي تشير إلى هذه الحضرة فكل آية أشارت (١٢) إلى ما دون الألوهية (والنبوة فهي المتصفة (١٣) بها وغيرها من المعاني مددها) (١٤) ولولا الخوف من أن يطالع الأوراق أجنبي من هذا لذكرت (١٥) ذكر هذه الحضرة منصوصة في القرآن في غير ما آية والأحاديث كذلك وسأشير إشارات مجملة بعد هذا إن شاء الله تعالى .

---

١ – في ك ، ز تجلى   ٢ – في ز حضره   ٣ – في خ عينها وغيبها   ٤ – في ز كتشكلاته
٥ – في ز صاري   ٦ – سقطت ألا من ز   ٧ – في ز الآن ايال   ٨ – في ز ولا تعلم .
٩ – في خ احدية وأحمديه   ١٠ – سقط ما بين القوسين من خ   ١١ – في ز ولذلك .
١٢ – في خ إشارة   ١٣ – في خ متصفة   ١٤ – جاء ما بين القوسين بالهامش من خ   ١٥ – في ز الذكرت

ثم يشاهد تنزل حضرة الأحمدية في الحقيقة الرابعة وهي حضرة آدم أي أدم (١) الأرواح عين أحمد ونفس أحمد وهذه الحضرة هي التي أشار إليها الشيخ رضي الله عنه بقوله لا ينال مني أحد شيئاً (٢) إلا بواسطة سيدي علي حرازم وقوله ما خلفت سواه وقوله هو مني بمنزلة أبي بكر من رسول الله ولا غرو أن يخلف (٣) هذا الرجل غيره فافهم فحقيقة هذه الحضرة أنها ظل الشيخ (ومظهرها) (٤) في كل زمان ومكان والموجودات بأسرها مطوية (٥) في رجل تلك الحضرة .

وليس علـى الله بمستنكـر أن يجمع العالم في واحـد (٦)

وهو الرجل الذي ظهر لا يعرف في الدنيا ولا في الآخرة أي لا تعرف حقيقة وهو عبدالله والانسان الكامل وحامل الأمانة وقد رمزت إلى معاني الحقائق بقولي (فاعتبروا يا أولي الأبصار) الحمد لله دستور معناه أن الإسم للذات (٧) واللام زائده والعبد لله كذلك فهو للذات أيضاً واللام زائدة فلذا يجعل الصديق العبودية سيادة ساذجة إذ هي عين العمى وأكبر منها (٨) الإسلام (٩) الخاص عند (١٠) الله وعند الخلق (ان الدين عند (١١) الله الاسلام) ومن الإسلام عام وخاص وخاص خاص فعامه لم تخل ذرة من الاتصاف به وهو الجريان على مراد الحق وخاصة القيام بمقتضى الخطاب التكليفي في عالم الناسوت وخاصة خاصته (١٢) هو عين الصديقية فترقى أول مراتب العبودية إلى السيادة المطلقة وتدلي أيضاً إلى الصديقية وتدلي العبودية فصارت (١٣) للذات مرتبة (أو مراتب)(١٤) فتبطن في المرتبة فقيل الحمد لله والعبد لله فالطرفان أضيفا لاسم الله والأوسطان بقيا على ما هما عليه ولم يبق إلا العبد ما شوهد في الحقيقة سواه وما شاهد سواه فهو منتهى الخواطر ومجمع الشؤون والحمد لله رب العالمين

---

١ – سقطت آدم من ز ٢ – سقطت شيئاً من خ ٣ – في خ يخالف وفي ز يخلف
٤ – سقطت ومظهره من ز ، ك ٥ – في ز مطويه
٦ – هذا البيت يرد كثيراً في كتب الصوفية وقد أورده الشيخ الأكبر الحاتمي في الفتوحات المكية الجزء الثالث صفحة ٥٥٦ وأورده ابن عجيبة في الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية (١٢).
٧ – في ز الذات ٨ – في ز أكبرتها وفي خ أكبريتها ٩ – في خ الإسم ١٠ – في ز عبد
١١ – آل عمران ٣ : ١٩ ١٢ – في ز خصاصه ١٣ – في خ فصار ١٤ – سقطت (أومراتب) من خ

(وسلام على المرسلين) (والحمد لله رب العالمين) (١) ومن فهم ما رمزناه (٢) علم يقيناً أن (٣) الالف هو الباء والحاء هو العين وما يعقلها الا العالمون وهذا لايخرج إلا من مدد جسدنا ولا يفهمه إلا جسد مددنا والسلام اه وقلت بلسان تلك الحضرة:

سكرت بخمر إن هممت بشربه	سكرت التذاذاً منك في فرط طيبه
بل السكر قبل الكون والكرم لم تكن	وما ثم غير الخمر ويك يشربه
ومت غراما(٤) في المدامة فاعجبوا	ببرهام عبد الله من فرط حبه
وجدت حبيبي بعد موتي بحبه	هو العاشق المحبوب من فرط قربه
فأرسلت نفسي واعظاً وهي لم تعظ	سواي مجيباً للرسول وحزبه
وقد صرت انسان العيون وعينه	وقد صرت إمداداً لعجم وعربه
بفيضي فيض البحر والبر جملة	واني نفس للأمير وصحبه
ولايتي العظمى تحققت انني	إلى ومنى ما يقاض لشربه
أنا النفس والآفاق مهما رأيتها	تراني فإني الكل من عند ربه

واقعة وقعت للعبد الذليل كاتبه (عام ١٣٥٠ هجرية (٥) (محمد) عليها (٦) الصلاة (٧) والسلام وهي أني مكثت مائة ألف سنة من أيام الرب وأنا أسمع الكلام الأزلي الأصفى مواجهة فتحيرت واضطربت لما اجتمع عندي من اللذة والألم فإذا أنا اندفعت (٨) إلى حضرة أشاهد فيها حقيقة حقيقة حقيقة الحقيقة ذاتاً بحتاً وطمساً في عمى ولم يبق شعور بمحسوس فمكثت في هذا مائتي ألف سنة فاذا أنا بشيء أي وجود متميز عني كالظلال وكالدخان فطلبت ذلك الوجود فإذا أنا برسول من الذات عبد الذات وسر ا وهو يقرب مني ويدنو مني حتى غبت فيه فصار (٩) عبني فصرت أطرب لأني حبيب الذات وسرها وعبدها ومرادها ومرتبتها الجامعة المتجلى لها بكمال

---

١ – سقط (وسلام على المرسلين) من خ وفي ك زيادة والحمد لله رب العالمين
٢ – في خ ما رمزنا   ٣ – في خ ان الباء   ٤ – في خ بالمدامة .
٥ – سقطت محمدية من ك وفي ز هجرة والصواب (عام الهجرة المحمدية)   ٦ – في ز عليه .
٧ – سقطت الصلاة من خ   ٨ – في ز ندفعت   ٩ – في ز فصا .

الذات ومكثت في طربي (١) ألف ألف سنة فجلت في الغيب لم آجد للذات عبدا سواي (٢) وجلت في غيب الغيب فشاهدت جلالاً في جمال فاذا بحضرة غيب الغيب تدعوني وتسميني (٣) يا أحمد التجاني فتيقنت أن لا(٤) مراد للحق بعد السر إلا أنا وصاحبت (٥) عبد الذات ونصرته ووازرته ألفي ألف سنة فجعلني أبا البشر ومدد جميع الكائنات وسر الموجودات وآدم الأرواح والأشباح فحملت الأمانة ونوديت يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فنظرت إلى الأرض فرأيتها على حالها وإذا بالعوالم الحسية والمعنوية (والملأ) (٦) الأعلى والأسفل (٧) « والسماء بنيناها بأييد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا (٨) إلى الله (٩) اني لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين » فرجعت إلى حسبي وإذا مدة الواقعة كما بين الشفع والوتر فسبحان الله العظيم يخص من يشاء (١٠) بما شاء لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون اهـ.

وإذا تدلى عن هذا الوجود الرابع يشاهد التجليات في الكثرة وعوالم التشتيت وصور الكائنات وهي عين الوحدة فرقاً في جمع وبقاء في فناء وصحواً في سكر فيرجع في نفسه كامل الحس فيعطى (١١) كل ذي حظ حظه ويوفى كل ذي حق حقه جمعاً بين التفقه والتصوف وهذا هو الرجوع إلى الآثار المأمور به وهو حقيقة قول وفعل لا حقيقي فالله ليس معه شيء فالحاصل أن المريد المطلوب منه الفناء في ذات الله ليتم إيمانه ويكمل والفناء في الرسول والفناء في الشيخ لا(١٢) يبقى علمهما في قلبه مدة سيره لأن وراء ذلك أحوالاً ومقامات في الذات لولا ما سبق من فنائه فيهما لايعلمهما وبعد شهوده (١٣) تنزل الحضرة الثالثة في آدم الأرواح وانفصال العوالم منه يدور في العوالم العلوية والسفلية والعينية والغيبية بروح مكتس بذات نورانية ويدور بعد ذلك في غيوبات ليس فيها شيء غير الله وليس فيها الله فيقع له الدهش والحيرة فيتعلق

---

١ – في ك طرب ٢ – في ك سوى ٣ – في ز وتسميى ٤ – في خ ان الامراد .
٥ – في ز وصاحيت ٦ – سقطت والملا من ز ٧ – في ز الأسفق ٨ – في ز ففرو
٩ – سقطت الله من ز ١٠ – في ز من شاه ١١ – في ز فيعط ١٢ – في ز ليبقى
١٣ – في خ شهود

بالأسماء (١) والصفات فيشاهد التجليات أسماء وصفات حتى يظن جزماً أن الله تعالى لم يتجل بغير الأسما ويشاهد أفعال الله محامد وأسماء كذلك وصفاته كذلك والذات كذلك فيتجلى له الأعظمية ذاتاً وصفة وأسماء (٢) وفعلا وتتجلى له في (الحجاب الأعظم (٣) الذي حجب الأنبياء والمرسلين والملائكة من (٤) رؤية الذات فضلاً عمن عداهم وتتجلى أيضاً في الاسم الذي يصرف في الكون فيشاهد أسماء الذات وأسماء الصفات وأسماء المراتب وأسماء الأفعال وأسماء الكائنات العاليات منها والسفليات حقيقة عين الاعظمية عسكرة فلا يتجلى إسم فلا تتجلى إسم منها إلا وراءه الأعظمية امداداً منه فيقع في حيرة تذهب بعقله وتلعب بلبه فيكابد (٥) في ذلك أموراً (٦) لا يعبر عنها إلا أنه ينشد لسان حاله :

وقد طوفت بالآفاق حتى   رضيت من الغنيمة بالإياب (٧)

وتشتد محبته في الذات لأن محبة الذات لا تتأتى من غير كمل العارفين والكلام في الاسم الأعظم أنه لا تزيده العبارة إلا غموضاً فحجابه لا ينخرق ولا بد من الكلام فيه فأقول الحمد لله الذي أمد الأحمدية بالأحدية (٨) والمحمدية بالواحدية (٩) والصلاة والسلام على سيدنا محمد من أمد الكتمية بالإحمدية والختمية بالمحمدية والرضوان عن سيدنا (١٠) أحمد الصديق الأكبر والسر الأبهر من أمد القطبانية بالكتمية والفردانية بالختمية (١١) والرضوان عن الخليفة السيد العبد من أمد غيب المكونات بالقطبانية وشهادتها بالفردانية الدائرة الإحاطة والأعظمية ومجمع الشئون (١٢) والاسم الأعظم الأكبر المخزون (١٣) والسر المصون والكنز الأعظم والسر المطلسم منتهى خواطر الأكابر ومحط نظر بصائر الأوائل والأواخر المضروب عليه الحجاب لكونه لا يصلح لمن يطلب به أو يطمع فيه فلا يطلع عليه إلا أفراد (١٤) الاقطاب ومن

---

١ - في ز بلات   ٢ - في ز واسماء   ٣ - في خ في حجاب للاعظم
٤ - في خ عن   ٥ - في ز فكيابد   ٦ - في ز الأمور
٧ - أمرآ القيس : القصيدة الحادية عشر في ديوانه أنظر مختار الشعر الجاهلي ٨٠ .
٨ - في خ بالاحمدية   ٩ - في خ بالوحدية   ١٠ - في خ محمد أحمد   ١١ - سقطت بالختمية من خ.
١٢ - في ز الشون   ١٣ - في ز المخرون   ١٤ - في ز فراد .

يضاهيهم أو خصوص من العارفين بالإستمداد من قوى المد ولذلك اختلفت عبارات أهل الأذواق فمنهم من قال أن أسماءه تعالى كلها أعظم والإجابة بقدر قوة الإخلاص وهذا يصح من وجه رمزنا إليه فيما تقدم :

وعادة النصل أن يزهى بجوهـــره وليس يعمل إلا في يدي بطل(١)

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » ومنهم من قال إن الإسم الله أعظم (٢) ومنهم من قال إنه (الحي القيوم) ومنهم من قال هو ومنهم من قال ذو الجلال والإكرام ومنهم من قال رب رب ومنهم من قال ياسلام ومنهم من قال الحنان المنان إلى غير ذلك والعبارات مختلفة والمعنى واحد .

عباراتنـــا شتى ومعناك واحـــد وكل إلى ذاك الكمال يشير (٣)

ومنهم من تعلق ببعض الحروف المقطعة في أوائل السور ومنهم من تعلق بالحروف الإسمية (٤) وهي احدى عشر حرفاً استخرج منها المولعون بالأسرار ما ينيف على أربعين ألف تركيب كلها لا يشبه الآخر والحق في ذلك إن شاء الله أن الاسم الاعظم هو الاسم قبل كل نسبة ومعها وبعدها اتصافاً فثبتت (٥) له في ذلك حقيقة ومعنى وصورة ولفظ لكمال صدقه في الذات والصفات والأسماء والأفعال صدقاً لايحتاج معه إلى تأويل ولا إعمال فكر بل ضرورة فحقيقته (٦) « الحقيقة » (٧) الجامعة للحقائق (٨) المستغرقة لأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن ومعناه حقيقة سيدنا محمد الفاتح الخاتم أي الحقيقة(٩) المحمدية التي (١٠) حجبت(١١) الأنبياء والمرسلين والملائكة عن درك كنه الذات من حيث ماهي هي وإليه يشير حديث لي وقت مع الله لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل »(١٢) وحديث « أنا سيد ولد آدم ولا فخر »(١٣)

---

١ – انظر صفحة ٨٨ من هذا البحث ٢ – في خ الأعظم
٣ – كثيراً ما يستشهد الشيخ بهذا البيت في كتبه ولم أجد له مصدراً غيره ٤ – في ز ، ك الاهمية .
٥ – في ز فثبت ٦ – في ز فحقيقة ٧ – سقطت الحقيقة من ز ٨ – في ز الحقائق .
٩ – سقطت الحقيقة من ز ١٠ – سقطت التي من ز ١١ – في ز حجب .
١٢ – هذا الحديث ليس له مصدر إلا كتب الصوفية انظر الجزء ٢ من كشف الخفاء ٢٤٤ .
١٣ – مسلم وأبو داود عن أبي هريرة انظر الجزء (١) كشف الخفاء ٢٣٤ نشر مكتبة .

وقيل له صلى الله عليه وسلم ذات يوم أنت سيد فقال (السيد الله)(١) وآية « ورفعنا لك ذكرك »(٢) وآية « إنا أرسلناك رحمة للعالمين »(٣) وآية « ورحمتي وسعت كل شيء » (٤) وصورته كامل العصر واليه (٥) يشير حديث « ان الله خلق آدم على صورته »(٦) وآية « وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا » (٧) ولفظه فاتحة الكتاب أو الكتب فهي كلية ذات الاسم والأسماء أجزاء لها وتجلت في الحقيقة المحمدية فصار سيدنا محمد معنى (٨) كلية ذات الاسم والأنبياء أجزاء لها وتجلت في الكامل فصار أكبر الصديقين صورة كلية ذات الاسم والأولياء (٩) أجزاء لها وفي هذا يفهم العبد الألف ويعلم أنه الكافي وهو الأول والآخر والظاهر والباطن » (١٠) ويفهم صورة الباء والنقطة(١١) والشكلة وبفهم بذلك الحمد والله(١٢) واللام والمدة ويفهم الأمر في صلاة الفاتح والآمر والمأمور وقوعاً واتحاداً فيفهم السيد ويفهمنا فيتحقق بحقيقة قولهم للرفع والنصب وجرنا صلح ويفهم محمداً والصديقية والأكبرية والعبودية لله فيصير عارفاً كاملاً صديقاً كبيراً والصديقية هنا أول قدم في الفردانية وإذا أراد الله أن ينفع به العباد فلربما يأتيه الإذن الخاص وقد قلت قبل الإذن الخاص يناله أفراد الرجال بعد صفاء الروح حتى اتصل الفرع بالأصل اتصالاً حقيقياً (١٣) يصير به التقيد عين الإطلاق فيبرز الكلام من الرب إلى السر إلى الروح إلى العقل إلى القلب ، والسر غيب من غيوب الله لا يدرك ، وما يرد عليه يأتيه من ربه اتصالاً لا واسطة بينهما ، والسر يمد الروح وهو أيضاً غيب لا يدرك ، والروح يمد العقل أعني الرباني وهو يمد القلب ، والقلب يمد الكثافة إذا صارت بالصفاء لطافة وذلك

---

١ – الإمام أحمد وأبو داود عن عبدالله بن الشخير كشف الخفاء ج١ – ٥٦١ .

٢ – الشرح ٩٤ : ٤

٣ – الأنبياء ٢١ : ١٠٧ سقطت الآية من ك ونقلت خطأ من ز ، خ وصوابها (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

٤ – الاعراف ٧ : ١٥٦ ٥ – في ز (ولا) قبل (إليه) .

٦ – الشيخان والامام أحمد عن أبي هريرة كشف الخفاء ج١ – ٤٥٥ .

٧ – الاحزاب ٣٣ : ٧٢ ٨ – سقطت معنى من ز . ٩ – في خ والاسماء.

١٠ – الحديد ٥٧ : ٣ ١١ – في ك النطقة ١٢ – في ز لله ١٣ – في ز حقيقا

بعد تمام تربية (١) الجسم والقلب والروح ، حتى بلغت النفس غايتها في التزكية ، وحصل (الاتصال) (٢) الذي هو الارتفاع وهو الفلاح المراد (٣) بقوله تعالى : « قد أفلح من زكاها »، وصاحب هذا المقام لا يشاهد إلا شئون الأحدية فسائر (٤) التجليات بأنواعها على اختلاف مظاهرها شأن من شئون (٥) الأحدية عند الفرد والسلام. وقد تجلت في ثلاث مراتب بل اثنتي عشرة تجلت في أربع مراتب ،فصارت ستة وأربعين بنقض مرتبتين ، وهي أجزاء النبوة الستة والأربعين (٦) وباعتبار التجلي الخاص لا نهاية (٧) لها ، ولا احاطة بها لأحد ، إلا العالم الخبير والمراتب الأربعة (٨) المرتبة المطلقة والمرتبة التالية (والمرتبة (٩) الصديقية والعبودية المرتبة المطلقة كلية المراتب الأربعة(١٠) والتالية)(١١) كليتها بلا اتحاد ولا اتصاف ،بل إمداد كالإتصاف لكونها من حضرة الاطلاق والصديقية كالتالية على ما تقدم والعبودة كالصديقية بامداد ليس (١٢) كالاتصاف لتقدم المددين فانتهت أقسام المراتب إلى ستة وأربعين على أتم البيان وأوضح العبارة اه ما أملاه على الوارد والسلام.

وأما (١٣) التشكلات المحمدية فأولها (ب) وذلك سر يس وحم) الاثنين وثانيها (احم د) وذلك سر (آدم وحواء) وثالثها (جبريل ابراهيم الصديق) وأيام الاسبوع وما وراء (١٤) التشكلات (أدق من العبارة ولا يذكر ولا يسر وبهذا تكون الكونان والثقلان) (١٥) والفريقان والأوصاف البياض والسواد والصفرة والحمرة والأيام وغير ذلك والسلام اه وأما تشكلات دائرة الاحاطة فخمس أولها :

(أ) وذلك سر(١٦) (ن ق ص) وثانيها (اح د) وذلك سر (ال م ال رحسم)(١٧) وثالثها (احل دم) الحق وذلك سر ك هىع ص ح م ع س ق) ورابعها (فج ش ت ظ خ ز)

---

١ - في ز ترتبة
٢ - سقطت الاتصال من ز
٣ - في خ الفراد .
٤ - في ز فصائر تجليات
٥ - في ز شون
٦ - في ز وللاربعين
٧ - في ك لا نهانة
٨ - في زبعة المراتب
٩ - سقطت والمرتبة من ز
١٠ - في ز ، خ الأربع
١١ - سقط ما بين القوسين من ك
١٢ - في خ ، زلست
١٣ - سقطت وأما من ك
١٤ - في خ ما وراء التشكلات
١٥ - سقط ما بين القوسين من خ .
١٦ - في ك س
١٧ - في ك ص

القدوس وذلك سر سبع المثاني أنزل القرآن على سبعة أحرف الحديث وخامسها (الم‌ح‌دل‌ال ه‌ل) وذلك سر، اهم (١) س(٢) ق‌ك‌ح‌ل‌ع (٣) ى(٤) ص ال م‌ص ك ه ى(٥) ص(٦) ق (٧) نقط (٨) حروف (٩) هو الـــذي هو آخر البقرة وأول آل عمران وهذه التشكلات الخمس أصل الأسرار والحقائق والأسماء فجاءت الأسماء في سبع المثاني خمساً الله الرب الرحمن الرحيم الملك والحضرات خمساً الناسوت والملكوت والجبروت واللاهوت والهاهوت والقواعد خمساً الشهادتان والصلوات والصيام والزكاة والحج والصلوات خمساً وألوا (١٠) العزم خمساً والحواس خمساً والجهات خمساً وأصل الزكاة خمساً ورمضان خمس خمس وبقي خمس وبقي من الوارد شيء زجرني عن إثباته في هذا الوقت (١١) وفي (١٢) وقت آخر يفعل الله ما يريد، وأخذ العهد على (١٣) من لم يذق شيئاً أن ينكر فإنه السم الوحا (١٤) والسلام .

وقولي (إن (١٥) العبد بوصوله إلى هذا المقام صار عارفاً كاملاً هو معنى قولي) إن العارف من في في الذات مرة وفي الصفة مرتين أو ثلاثاً وفي الإسم مرة أي المرتبة العليا من أهل المشرب الثالث لأن المشارب ثلاث مشرب لواحد (١٦) وهي الحقيقة الأحدية ما (١٧) شرب منها إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ومشرب لثلاثة وهي الحقيقة المحمدية شرب منها الرسل والأنبياء والحضرة الكتمية ومشرب لخمسة وهي الحقيقة الأحمدية شرب منها خاصة أهل طريقته وعامتهم (وخاصة غيرهم وعامتهم) (١٨) وحقائق جميع الموجودات :

---

١ – سقط م
٢ – في ز سر
٣ – في ك ى
٤ – سقط (ى) من خ
٥ – سقط (ى) من خ
٦ – في ك ، ز (ج س)
٧ – في ك ، خ (س ق) وسقط (ق) من ز
٨ – سقطت (نقط مروف) من ز ، ك .
٩ – سقط الالف من ز
١٠ – في ز لوقت
١١ – سقطت (وفي وقت) من ز
١٢ – سقطت عل من خ
١٣ – في ز الوط لعله يريد (الوخاط) أي النافذ السريع القتل .
١٤ – في ز أي
١٥ – جاء ما بين القوسين بالهامش من خ
١٦ – في ز مشرب الواحد
١٧ – سقطت ما من ز
١٨ – سقطت ما بين القوسين من ز .

يارب جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا (١)
ومستخبر عن سر ليلى رددته بعمياء (٢) عن ليلى بغير يقين
يقولون خبرنا فأنت أمينها (٣) وما أنا ان خبرتهم بأمين (٤)

والصفة هنا هي الصفتان اللتان ألغذيهما أعجوبة الزمان من لا يشك(٥) في ولايته إثنان القطب الرباني والعارف الصمداني سيدي ومولاى الحاج عبد الله بن الحاج العلوي نفعنا الله به وبعلومه أمين بقوله صفتان قديمتان حادثتان مظهر (٦) هما الدنيا والآخرة وما بينهما وقال أيضاً ملغذاً أمرت الذات العلية اسم مرتبتها بأن يصلي على محمد فصلت الذات على عين إسمها فاكتسب من المحامد ما اكتسب وهاتان الجملتان مع اختصارهما (٧) متطمئنتان من العلوم والمعارف ما لا يعلم قدره إلا أكابر الصديقين من العارفين من إشارات هذا الشيخ المذكور رضي الله عنه قوله : —

لك الحمد مولانا لك الحمد والشكر على ما منحت اليوم يا من له الأمر
منحت لنا الإيمان منك تفضلا فهبه مدى المحيا وحين انقضى العمر
لك الحمد ذاتي وليس لنا سوى محامدك الحسنى رجاء ولا ذخر (٨)

وقوله أيضاً :

لما رأيت لسان حالك قائلا يا سيدي ان ليس غيرك نافع
بلسان حالي قد دعوتك ضارعاً أرجو جداك ولا لفضلك مانع
بالذات والسر المصون وباسمها لا كان عن (٩) ريا شذاها وازع
وبنورها الساري الذي من نوره أنوار كل النيرات السواطع

---

١ — تنسب الصوفية هذين البيتين إلى زين العابدين علي بن الحسين بن علي كرم الله وجهه انظر ايقاظ الهمم ١١٢
٢ — في ز بعماء ٣ — في ز أعينها ٤ — ولم أعثر للبيتين على مصدر .
٥ — في ز لا شك ٦ — في ز مظهرها ٧ — في ز اختصال
٨ — نسب الشيخ ابراهيم هذه الأبيات لشيخه المذكور في النص . ٩ — سقطت عن من ز .

وصفاتهـــا وسماتها الحسنى الــتي ... لم يحصها إلا العلـــيم الواســـع
لا خاب لي بالمصطفـــى وحبيبــه ... ظن ولا لاقيت ما أنا صانـــع
ان كانت الاشعار ضائعة غـــدا ... لا أختشي من أن شعري ضائع (١)

ومن اشارات شيخنا وشيخ مشايخنا خليفة الشيخ محمد الحافظ محمد بن السيد عبدالله حسان الطريق قوله لا إله إلا الله الأول الآخر الظاهر الباطن محمد رسول الله السيد الكامل الفاتح الخاتم . وإنما أوردنا هذا هنا تتميماً للفائدة ولنرجع إلى ما نحن بصدده والآيات من القرآن التي تدل على بعض ما رمزنا بها (٢) من المقامات قوله تعالى: « وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم (٣) بما ينزل قالوا إنما أنت مفترٍ بل أكثرهم لا يعلمون » . وقال تعالى: « ويخلق ما لا تعلمون »(٤) وقال: « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها »(٥). وقال تعالى : « فبأي آلاء ربكما تكذبان » (٦) وقال تعالى: « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه »(٧) وقال تعالى : « وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا »(٨). و(٩) قال تعالى: « والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون »(١٠). وقال تعالى: « وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون »(١١) وقال تعالى: « سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق »(١٢) وقال تعالى : « فأي آيات الله تنكرون »(١٣) فيرجع العبد إلى السلوك والله الموفق للصواب واليه سبحانه المرجع والمآب.

فصل في السلوك في الجذب

إعلم أن أهل الطريقة على أربعة أقسام سالك غير مجذوب غلب سلوكه على جذبه،

---

١ – الأبيات منسوبة أيضاً إلى الشيخ السابق ذكره ٢ – في خ زيادة بها وفي ز ،ك (ما زمزنا) فقط .
٣ – النحل ١٦ : ١٠١ ٤ – النحل ١٦ : ٨ ٥ – البقرة ٢ : ١٠٦ ٦ – الرحمن ٥٥ : ١٣
٧ – يونس ١٠ : ٣٩ ٨ – الكهف ١٨ : ٨٢ ٩ – في ك أو قال ١٠ – الزمر ٣٩ : ٣٣ .
١١ – يوسف ١٢ : ١٠٥ ١٢ – الاعراف ٧ : ١٤٦ ١٣ – غافر ٤٠ : ٨١

وهو (١) ظاهري رسمي ، ومجذوب غير سالك غلب جذبه على سلوكه ، فهو أبتر ، وسالك مجذوب أدى (٢) سلوكه إلى مقام الجذب ، فهو وأصل يكون من العارفين ان وجد من يأخذ بيده ، ومجذوب سالك تقارن جذبه مع سلوكه وهو غالب أصحاب الختم التجاني ، وهم الأكابر وبقي صنف خامس لا ناقة لهم في الطريقة ولا جمل ، وهم من لا سلوك لهم ولا جذب نعوذ بالله فهم وإن أخذوا الطريقة (٣) فأخذة (٤) لا تجانيون عسى الله أن يرحمهم (٥) إن رزقوا محبة سيدنا (٦) الشيخ رضي الله عنه، فأما السلوك في الجذب فهو عين السلوك المتقدم الذكر ، لا بمعنى واحد فإن العارف بالله إذا وقف مع الله الوقفات التي أشرنا إليها إن (٧) لم يمت يصحو أو يرجع إلى عالم المجاز ومشاهدة الآثار وعالم المثال فيرى الخطابين (٨) خطاب مشيئته تعالى ، وخطاب حكمته ، أشار اليهما (٩) قوله تعالى : (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين)، فيسلك طريقاً يجمع فيها بين القيام بمقتضى الخطأ بين ليس جبرياً محضاً (ولا قدرياً محضاً) (١٠) فيقوم بظاهره بشرائع الإسلام وهي مقتضى خطاب الحكمة في عالم الناسوت وهو بباطنه لا حركة له ولا سكون ، ولا عمل ، وهو مقتضى خطاب المشيئة إيماناً وإيقاناً وعرفاناً فيمتثل الأوامر (١١) لله من الله بالله لا تبقى له حركة ولاسكون إلا وهو قائم فيها بأمر الله لله بالله فتصير أعماله فروضاً واجبات كلها سواء في ذلك الحقوق(١٢)الإلهية والحظوظ النفسانية قال الله تعالى: « فاذكروني لا إله إلا الله »(١٣) وقال تعالى : « أقيموا الصلاة »(١٤)؟ وقال (فأقرءوا (١٥) وقال : « واركعوا واسجدوا »(١٦)وقال: « فاطهروا » (١٧) وقال: « كتب عليكم الصيام »(١٨) وقال تعالى: « فمن شهد منكم الشهر فليصمه »(١٩) وقال تعالى: « وآتوا الزكاة »(٢٠).

---

١ – في خ وهي ٢ – في خ لدى ٣ – في خ الطريق ٤ – في ز فأخذت ٥ – في ز ان يرحمكم
٦ – سقطت سيدنا من خ ٧ – في خ وان ٨ – في ز الخطابين ٩ – في ز إليها
١٠ – سقط ما بين القوسين من خ ١١ – في خ الأمر لله ١٢ – في خ الحقى والإلهية .
١٣ – هكذا في جميع النسخ التي في يدي ولم أعثر على آية بهذا الوضع في كتاب الله ١٤ – البقرة ٢ : ٤٣
١٥ – المزمل ٧٣ : ٢٠ ١٦ – الحج ٢٢ : ٧٧ وفي المخطوطات (واركعوا) يزيدوا و في أوله
١٧ – المائدة ٥ : ٦ ١٨ – البقرة ٢ : ١٨٣ ١٩ – البقرة ٢ : ١٨٥ ٢٠ – البقرة ٢ : ٤٣

وقال تعالى: « وأقيموا الحج والعمرة لله »(١) وقال تعالى : « انفقوا »(٢) وقال تعالى : « فأنكحوا » (٣) وقال تعالى: « اتقوا الله » (٤) وقال : « سارعوا » (٥) وقال تعالى : « سابقوا »(٦) وقال تعالى: « كلوا واشربوا »(٧) وقال تعالى: « فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله »(٨) وقال تعالى: « واسألوا الله »(٩) وقال تعالى: « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم »(١٠) وقال تعالى: « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »(١١).وقال تعالى: «وأن استغفروا ربكم»(١٢) وقال تعالى: « صلوا عليه وسلموا تسليما »(١٣)وقال تعالى : « أدعوني »(١٤) وقال تعالى : « ادفع بالتي هي أحسن »(١٥) وقال تعالى : « واصبروا »(١٦) وقال تعالى: « اصبروا وصابروا »(١٧) ورابطوا » (١٨) وقال تعالى : « واشكرولي » (١٩) وقال « سيروا في الأرض » (٢٠) وقال تعالى : « قال الله »(٢١) وقال تعالى : « قل هو الله أحد » (٢٢) وقال تعالى : « قل أعوذ » (٢٣) وقال : « واتبع فيما آتاك الله الدار الآخرة »(٢٤).وقال تعالى: « فاستبقوا الخيرات » (٢٥) وقال: « واتبع سبيل من أناب إليّ »(٢٦) فهذه بعض آيات تشير لك إلى شيء يفتح لك باب ذلك. « ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم »(٢٧) . فالعارف بالله في هذا المقام مكلف بتعمير باطنه بالله دائماً ذاكراً لساناً وقلباً وذكر القلب هو الفكرة وروحاً وذكر الروح هو العبرة وسرا(٢٨)وذكر السر هو(٢٩)النظرة وهو مقام « ألم تر إلى ربك

---

١ – البقرة ٢ : ١٩٦ ٢ – البقرة ٢ : ٢٥٤ ٣ – النساء ٤ : ٣ ٤ – البقرة ٢ : ١٩٤

٥ – آل عمران ٣ : ١٣٢ ٦ – الحديد ٥٧ : ٢١ ٧ – البقرة ٢ : ٦ ٨ – الجمعة ٦٢ : ١٠

٩ – النساء ٤ : ٣٢ ١٠ – المائدة ٥ : ٩٢ ١١ – الحشر ٥٩ : ٧ ١٢ – هود ١١ : ٣

١٣ – الاحزاب ٣٣ :٥٦ ١٤ – غافر ٤٠ : ٦٠ في ك أدعوا وفي ز ادعوني وفي خ ادعوني استجب لكم .

١٥ – المؤمنون ٢٣ : ٩٦ ١٦ – الأنفال ٨ :٤٦ وسقطت واصبروا من خ ١٧ – في خ والصابروا

١٨ – آل عمران ٣: ٢٠ ١٩ – البقرة ٢ :١٥٢ وفي خ اشكروا لي ٢٠ – الأنعام ٦: ١١

٢١ – الأنعام ٦ : ٩١ ٢٢ – الاخلاص ١١٢ : ١ ٢٣ – الفلق ١١٣ : ١ ٢٤ – القصص٢٨ : ٧٧

٢٥ – البقرة ٢ : ١٤٨ في ز الخبرات ٢٦ – لقمان ٣١ : ١٥

٢٧ – حديث رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري كشف الخفاء جـ٢ – ص ٥٠٥ .

٢٨ – في خ السير ٢٩ – سقطت هو من ز

كيف مد الظل »(١) الآية وإلى هذا المقام يشير حديث (خير الذكر الخفي)(٢) وأفضل أذكار اللسان صلاة الفاتح لما أغلق فيلازمها دائماً من غير حصر ولا عدد ولا حد ولا ميقات زماني ولا مكاني والفكر أعمال العبد سير قلبه ، أما في ربه أو في رسوله أو في وليه (٣) أي في الله أو في آياته إذ آيات الله أنبياؤه (٤) وأولياؤه (٥) وإما في نفسه وخبثها (٦) برده ذلك الفكر إلى الله وآياته أيضاً ولي جواب عن سؤال ورد علي وأما السؤال (٧) عن الخاطر والفكرة والعبرة هل مترادفات أم لا ؟ فالجواب والله تعالى (٨) أعلم أنها مترادفات (٩) و(١٠) غير مترادفة من وجه فالخاطر ما يرد على القلب سواء (١١) مع إعمال الفكر أولا (١٢) والخاطر الحقيقي الخاطر المتحد في الله إذا انعدم العبد وفني وجوده حتى لم يبق إلا خاطر يجول في حصره الاطلاق حيث شاء .

وكل أناس قاربوا قيد فحلهم ونحن فككنا قيده فهو سارب (١٣)

والفكرة إعمال العبد سير قلبه إما في ربه أو في نفسه وكلاهما منتج فائدة كبيرة(١٤) لأنك إن تفكرت في الله وفي جميل (١٥) صفاته وأفعاله لابد تشتاق إليه وتتقرب إليه بما يقربك إليه من عمل الجوارح وإن تفكرت في النفس وخبثها (١٦) لابد تفر منها والفرار منها هو الفرار إلى الله بما يقربك إليه من عمل الجوارح هذه هي الفكرة والعبرة الانتفاع بالفكرة وهي أن تكون إن وقع بصرك على شيء دق أو جل معتبراً في القدرة التي أوجدته ومتى خطر ببالك شيء دق أو جل كذلك فبهذا تعلم أن الخاطر ما من الله اليك والفكرة ما منك إلى الله والعبرة أثرهما ونتيجتهما (وعلى الله قصد

---

١ – الفرقان ٢٥ : ٤٥ .

٢ – أبو يعلى والعسكر وأبو عوالة وأحمد وابن حبان كشف الخفاء جـ١ – ٤٧١

٣ – في ز أوليه . ٤ – في ز ، ك أنيائه ٥ – في ز أوليائه ٦ – في ز وحيثما .

٧ – هكذا في المخطوطات والصواب (واما السؤال فهو عن الخاطر أو فعن الخاطر ا وح)

٨ – في ك مترادفة وفي ز مترادفاة ٩ – سقط مابين القوسين من خ ١٠ – في ز غير .

١١ – في ز سواه ١٢ – في ز أم لا ١٣ – لم أعثر على مصدر هذا البيت ١٤ – سقطت كبيرة من خ

١٥ – في خ جميع ١٦ – في ز حيثما

السبيل »(١) والسلام .

فبهذا يسير العارف والسير هو الترقي في معارف المعارف لايزال العارف بالله في كل نفس يزداد علماً وذوقاً وحالاً ومحبة وفناء وتعطشاً واحتراقاً وشوقاً (٢) إلى (٣) الله تعالى إلى أبد الآباد يترقى بذلك في الكشف عن أسماء الله تعالى وصفاته وفهم كلامه تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم فهم حال وذوق كلما ردد (٤) الفكر يتجدد له ذلك حتى تتجلى له عظمة (٥) الله وكبرياؤه (٦) وهما آخر مايوجد من حجب (٧) الصفات فليس وراءهما إلا الذات العلية المقدسة العالية عن الكيف والأين ولي أجوبة وأقوال تناسب هذا الفصل بعضها نظم وبعضها نثر ومناجاة كذلك منها هذا ونص السؤال عن الأزل والأبد وأزل (٨) الأزل وأبد الأبد والامد في كل منهما وما حقيقة معناهما ولدكم علي سيس ، ونص الجواب ولدي علي سيس اسمع من أبيك فالأزلات باعتبار الحقائق الثلاث ثلاث والأزل عبارة عما لم يزل قط والأبد عبارة عما لا يزال عوض وأنت إن تفكرت في حقيقة بطون البطون وجدتها لم تزل وفي البطون أصله كذلك وفي الظهور كذلك فتبين بذلك أن الأزل هو بطون البطون وأزل الأزل هو البطون وأزل أزل الأزل هو(٩) الظهور وكلامي في الأبد نص كلامي في الأزل فهذا قبل وذلك بعد حيث لا قبلية ولا بعدية وأما أمدهما وغايتهما فلا أمد للأزل ولا غاية قد انقطعت (١٠) الآماد والغايات عن درك حقيقة الأزل لا سيما أزل الأزل وأزل أزل الأزل الذي هو منتهى خواطر الأكابر فتحار العقول في هذه النسب وتضمحل العبارات وتتلاشى لأن الأزل كما تقدم عبارة عما لم يزل ويوم واحد من أيامه كألف سنة مما تعدون ، وذلك هو أيام الله الذي أمر بالتذكير بها قال جل وعلا (١١) وذكرهم بأيام الله،وتلك الأيام مشتركة لأيام الدنيا فأهل الدنيا في أيام الدنيا وأهل الله في أيام الله « فضرب بينهم بسور(١٢)له باب باطنه فيه الرحمة

---

١ – النحل ١٦ : ٩ ٢ – في ك احتراقا شوقاً .
٣ – في خ إن الله ٤ – في ز دد ٥ – في ك عظمية ٦ – في ك كبريائه
٧ – في خ ما يوحدان إلا من حجب ٨ – في ز وأز ٩ – في ك فهو .
١٠ – في خ القطعة آماد وفي ز الامداد ١١ – سقطت وعلا من ك ١٢ – في ز بنور

وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور »(١) ولا يزال سير العارف بربه في تلك الأيام في الغيوب ولا يلقى غير وجود ليس معه وجود حتى يتحير في العظمة والكبرياء اللذان لو تجليا للعارف لصار دكاً في أسرع من طرفة العين واليه يشير قول الجيلي رضي الله عنه « من ألف البهاء من الله لا يثبت لبدو العظمة والكبرياء »(٢) وما وراء هذا لا يرسم في الأوراق ولا ينظر بالأحداق إلا أن هناك سير الأزل والأبد (٣) فقد طويت الحقائق والمجازات والأزمنة (٤) والأمكنة والأوراد والواردات والمعارف والأذواق (٥) كطي السجل للكتاب فصاحب هذا المقام غالب عليه السكوت إلا إذا (٦) أذن له (٧) الرحمن وقال صواباً ولا يتمنى إلا العدم المحض ليصفو له المقام (ويخلو له المقام) (٨) « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب » والسلام وأما النظم فمنه (٩):

حضرة القـــدس عند محق سو اها ... لا سواها يا مـــن يـــروم لقاها
حضرة القدس عـــين وجه إلهي ... فمدام كاس يـــروق حـــلاها
بـــرزت منها أولا حضرة المحـــ ... ـــتار عينا لهـــائها فهي ها هـــا

ومنه :

أيا صفة قـــد شبهت باسم فاعل ... متى جئت فعلا جئت خيرة عـــاقل
فـــإنك جمع حيث أنت شئونه ... وقـــد جئت فرداً دون شكل مماثل
فلولاك يبقى الحق حقاً وما درى ... ولولاك يبقى دائماً عـــن مواصـــل
عليها صلاة الحق بالحق وحدها ... لئلا تكن بتراء في عين واصـــل

---

١ – الحديد ٥٧ : ١٢ ٢ – السيد العربي ابن السائح : بغية المستفيد عن الشيخ التجاني
٣ – في ز والابعد ٤ – في ز للازمنة ٥ – في ز والأزواق ٦ – سقطت إذا من خ .
٧ – سقطت به من ز ٨ – جاء ما بين القوسين بالهامش من خ ٩ – في خ فمنها .

ومنه

لقد خاب مجـــذوب صحا وتمردا ولم يحســن الطاعــات مال عن الهدى
فمن بلغ المطلوب فليســع شاكــراً وإلا فجزم الروح سهج أولى الردى (١)
عليكم بثاداب(٢) السلوك هنئتم (٣) فلا تحسبـــوا دهراً بأن تتركوا سدى
ويحسن تقليـل الكــلام لتقتلـوا نفــوساً بتقليـل المنـام مسهـــدي

ومنه

ذنوبي قدجارت(٤)على بعضها الفكر ولا عمل ينحط مــن أجاـــه الوزر
ولم أخش شيئاً (٥)من رحيم امامنـــا له الجـــود والافضال والعفو والستر
له الملك والحمد المأزل (٦) باقيـــا إلى أبد الأبـــاد لا ينقضي الأمـــر
لك الحمديامن عين عجزي حمده(٧) إذا النعمة العظمى لك الحمـد والشكر
لك الحمد حمد النفس للنفس دونـه تلاشى عقول الرسل لاسيما الغير (٨)
أيا حي ياقيوم يا مــن تذللـــت له العـرش والكرسي والحي القبر(٩)
فبإسمك يا الله فارحـــم لفاقـتي وفقري وذلي واغــترابي أيا بـــر
بجاه الذي من عــزه كــل عـزة أبو(١٠) القاسم المفضال من نوره البدر
محمد عبـــد الله احمـــد حامـــد عليه صـــلاة لن يصورها الفكر
كذاك سلام من سلام يعمـــــه مع الآل والأصحاب ليس له حصر

وأما المناجاة (١١) فمنها :

اللهم إني أسلك بجمعية مجمع (١٢) الشئون وبأعظمية الإسم الأعظم وبصديقية

---

١ – في ز للردى ٢ – في ز بادباب ٣ – في ز هنتم ٤ – في ز صارت ٥ – في خ شيء
٦ – في ز المنازل ٧ – في ز أحمده ٨ – في ز غير ٩ – في ز الغير .
١٠ – هكذا في المخطوطات ولعل الصواب (أبي) . ١١ – في خ المناجات ١٢ – في ز مع .

ومنه

لقد خاب مجـــذوب صحا وتمردا ... ولم يحســن الطاعــات مال عن الهدى
فمن بلغ المطلوب فليســع شاكـــراً ... وإلا فجزم الروح يهج أولى الردى (١)
عليكم بثاداب (٢) السلوك هنتم (٣) ... فلا تحسبــــوا دهراً بأن تتركوا سدى
ويحسن تقليــل الكــلام لتقتلــوا ... نفــوساً بتقليــل المنــام مسهــدي

ومنه

ذنوبي قدجارت (٤) على بعضها الفكر ... ولا عمل ينحط مــن أجاـــه الوزر
ولم أخش شيئاً (٥) من رحيم امامنـــا ... له الجـــود والافضال والعفو والستر
له الملك والحمد المأزل (٦) باقيـــا ... إلى أبد الأبـــاد لا ينقضي الأمـــر
لك الحمد يامن عين عجزي حمده (٧) ... إذا النعمة العظمى لك الحمـــد والشكر
لك الحمد حمد النفس للنفس دونـــه ... تلاشى عقول الرسل لاسيما الغير (٨)
أيا حي ياقيوم يا مـــن تنزلـــت ... له العـــرش والكرسي والحي القبر (٩)
فبإسمك يا الله فارحــــم لفاقتي ... وفقري وذلي واغـــترابي أيا بـــر
بجاه الذي من عـــزه كـــل عـــزة ... أبو (١٠) القاسم المفضال من نوره البدر
محمد عبـــد الله احمـــد حامـــد ... عليه صــــلاة لن يصورها الفكر
كذاك سلام من سلام يعمـــــه ... مع الآل والأصحاب ليس له حصر

وأما المناجاة (١١) فمنها :

اللهم إني أسلك بجمعية مجمع (١٢) الشئون وبأعظمية الإسم الأعظم وبصديقية

---

١ – في ز للردى   ٢ – في ز بادباب   ٣ – في ز هنتم   ٤ – في ز صارت   ٥ – في خ شيء
٦ – في ز المنازل   ٧ – في ز أحمده   ٨ – في ز غير   ٩ – في ز الغير .
١٠ – هكذا في المخطوطات ولعل الصواب (أبي) .   ١١ – في خ المناجات   ١٢ – في ز مع .

الصديق الأكبر وما حوته تلك الحضرات (١) وسر (٢) النسب وسر التجليات من أزل أزل الأزل إلى أبد أبد الأبد من وجود كنزية الحق إلى آخر تجليات (٣) الدهور بسر الكون وسر الخلق والأمر أن تأخذ بأيدينا وتوقفنا بين يديك وقفة خالصة مستمرة دائماً أبداً سرمداً بمحو (٤) الرسوم والطبائع وأمت نفوسنا موتاً حقيقياً محواً وفناء في شهود الحق بالحق في الحق مع البقاء التام والصحو والكمال والإستقامة والقيام بحقوق الربوبية جمعاً في فرق ، وفناء في بقاء ، وسكراً في صحو ، وتتولانا وتتولى سائر أحبابنا وأسألك يا الله ياكريم يا حنان يامنان أن تهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » (٥) أمين وأن تشغلنا بك عمن سواك واحفظنا بما تحفظ به الصالحين من الفراعنة والدجاجلة حتى نأمن شر أنفسنا وشر أعدائنا وأن تقبل علينا بوجهك الكريم واجعل (لنا يارحمن ودا) ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا واجمع شملنا وأصلح شؤوننا واكشف كروبنا وأد تبعاتنا واغن(٦) فقيرنا وأطعم جائعنا واكس (٧) عريانا واغننا بك عمن سواك واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيراً (٨) انك على كل شيء قدير آمين يارب العالمين وارزقنا (٩) قطبانية كل قطب وفردانية كل فرد ، وغوثية كل غوث ، وجامعية كل جامع ، حتى لانشارك ولا نزاحم يامن ليس له شريك في الملك ليس كمثله شيء وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما . ومنها :

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم (صلاة تطمسنا بها يا الله في حقيقة حضرة حق قدره ومقداره العظيم)(١٠) الهادي ناصر الحق بالحق الخالق الفعال لما يريد الحضرة المرضية الصديقية الراضية وترقينا بها ياالله إلى حضرة الفاتح الخاتم وتطمسنا في محمديتها الأحمدية حضرة الربوبية والرحمانية والرحيمية

---

١ - في ز الحضراه ٢ - في ز والسر ٣ - في خ التجليات ٤ - في ز بصحو
٥ - فاتحة الكتاب ١ : ٥ ٦ - في ز أغنى ٧ - في ز أكسى ٨ - في ز نصير .
٩ - في ز ورقنا ١٠ - سقط ما بين القوسين من خ

والمصلى عليها أزل الأزل وترقينا بها يا الله إلى حضرة السيادة المطلقة الساذجية حضرة الألوهية حضرة الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء تعالى عن ذلك علواً كبيراً سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الحي القيوم وأسألك ياالله يارب يارحمن منك بك من فضلك العظيم أن تعرفنا بحقائق هذه الحضرات ومعارفها ونسبها وحقوقها وآدابها ومقتضياتها معرفة ذوقية شهودية عيانية وأن تعطينا خير الدنيا والآخرة وخير ما بينهما ياذا الجلال والإكرام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً اه ومنها :

الحمد لله بجميع محامده و(١) الحمد لله على جميع محامده و(٢) الحمد لله عدد (جميع) محامده و(٣) الحمد لله بجميع صفاته و(٤) الحمد لله على جميع صفاته والحمد لله عدد جميع صفاته والحمد لله بلسان سيدنا محمد والحمد لله على سيدنا محمد (والحمد لله مقدار سيدنا محمد)(٥) الحمد لله بلسان الصديق الأكبر والحمد لله على الصديق الأكبر و(٦) الحمد لله مقدار الصديق الأكبر والحمد لله بألسنة (٧) جميع خلقه (والحمد لله على جميع خلقه)(٨) والحمد لله عدد جميع خلقه الحمد لله بجميع نعمه)(٩)والحمد لله على جميع نعمه (والحمد لله عدد جميع نعمه) (١٠)وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم (تسليماً)(١١)حق قدره ومقداره العظيم ومنها :

إلهي ما أفقدني لولا وجودك وألأمني لولا كرمك وأبخلني لولا جودك (١٢) وأذلني (١٣)لولا عزك إلهي ما أفقرني لولا غناك (إلهي ما أعجزني لولا قدرتك)(١٤) إلهي ما أضعفني لولا قوتك ، إلهي ما أحقرني لولا جلالك ، إلهي ما أقبحني لولا

---

١ – سقط الواو من خ
٢ – سقط الواو من خ
٣ – سقطت (جميع) من خ ، ك
٤ – سقط الواو من ك .
٥ – سقط ما بين القوسين من ز ، خ
٦ – سقط الواو من ز
٧ – في ز لسنة
٨ – سقط ما بين القوسين من خ
٩ – في ز نعمة وجاء ما بين القوسين بالهامش من خ
١٠ – جاء ما بين القوسين بالهامش من خ
١١ – سقطت تسليماً من ز ، ك
١٢ – في ز جوك .
١٣ – في خ وأزلني
١٤ – سقط ما بين القوسين من خ

جمالك إلهي ما أسوأني لولا سترك إلهي ما أجهلني لولا علمك ، إلهي ما أشد خذلاني لولا نصرك ، إلهي ما أشد وحشتي لولا انسك ، إلهي ما أسرع تلفي لولا حفظك ، إلهي ما أكثر أعدائي لولا توليك ، إلهي ما أكثر جرائمي لولا عفوك ، إلهي ما أسرع هلاكي لولا حلمك ، إلهي ما أشد شقاوتي لولا رحمتك ، إلهي ما أشد يأسي لولا أن الأمر بيدك ، إلهي ما أشد فاقتي لولا نعمتك ، إلهي ما أكثر غفلتي لولا إيقاظك ، فلك الحمد حتى ترضى كما تحب أضعاف حمد الحامدين يامن هو هو وهو هو وصلى الله على سيدنا محمد العين الهاء صلاة (١) تكفينا وتكفينا ياذا الجلال والإكرام يامن هو ما تبصرون وما لا تبصرون برحمتك يا أرحم الراحمين اه . ومنها :

دائرة المطالب ومركز الرغائب في التضرع (لحضرة) (٢) الشاهد الغائب ونصها اللهم يا ألف صل وسلم على الباء ونقطته (٣) وشكلته صلاة تؤلف لنا بها ياواحد ياأحد القلوب وتفتح لنا الأبواب المغلقة بسر الألف والباء والنقطة والشكلة(٤) إلى آخرها وهي طويلة جداً ومنها :

إلى الله أشكوا(٥)ما ألاقي من الشكوى ... فلا وزر أرجو سواه ولا مأوى

همومي إلى مولاي أرجو انفراجها ... ففقري إلى مولاي في الجهر والنجوى

مقالي وحالي يجزءان (٦) لفاقتي ... ويقوى رجائي حين عن غيره(٧)يطوى

سألتك ياكافي العبيد بأسرها ... بأن تحسن العقبى (٨) وأن ترفع البلوى

قدير قدير يا إلهي وإنني ... فقير ضعيف أشك شكوى(٩)أخي شكوى

كفاني كفاني إن مددت يدبي ... إلى الحضرة العليا وانحو (١٠)لها نحوي

على المصطفى المنصور أزكى صلاته ... مع الآل(١١)والأصحاب ما أكثر الجدوى

---

١ – في ز حلاة .

٢ – سقطت لحضرة من خ ٣ – في ز والنقطة وسقطت وشكلته من ز أيضاً . ٤ – في ز والسكلة .

٥ – هكذا في المخطوطات باثبات الف بعد الواو من أشكوا ٦ – في ز يجتران ٧ – في ز عن غير

٨ – في ز العقبا ٩ – في ز شكوا أخ ١٠ – في خ أنحو بالف بعد الواو ١١ – في ز الثا .

ومنها أللهم إني أسألك بإسمك العظيم الأعظم الذي تجليت به على الحقيقة (١) المحمدية فسادت ، وعلى حقيقة الكتم فصدقت ، وعلى حقيقة الخليفة فعبدت ، أن تأخذ بمجامع قلب عبدك إلى كمال معرفتك وتعطيه المراد في الأحباب (٢) والاضداد بحق (٣) النسب وبحق المراتب التي كلها للذات وأضيفت لاسم (٤) الله ياهادي يامالك أسألك التوحيد والهداية والملك ياحي ياقيوم وأسألك يالله (٥) ياسميع ياقريب ياكافي الاستقامة والطاعة والقرب والكفاية ياذا الجلال والإكرام يا حنان يا منان يالطيف يا عليم أسألك الحياء والإيمان والأمن (٦) والأمان من زوال الإيمان واللطف ياصمد أسألك اليقين والعافية واليقظة والصدق والورع والزهد يامن هو أنت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين .

وأبى الله أن يمسني السو ء بحال ولي إليك التجاء (٧)

اللهم إني أسألك مقراً بأني كم أنعمت علي ولم أشكر وابتليتني فلم أصبر ورأيتني على الخطايا فلم تفضحني يامن أدام عليّ نعمه مع عدم شكري (٨) وعافيته ونصره مع عدم صبري وستره مع سوء حالاتي (٩) أسألك دوام النعمة (١٠) ودوام العافية ودوام المغفرة والستر والهداية ، اللهم عافني وأحبابي من بلاء الدين والدنيا والآخرة وأدم (١١) لنا السير فيك والترقي والازدياد ، اللهم عممنا بكمال الإيمان والولاية ، وخذ لنا بالقلوب والنواصي والأقدام ، يامن يأخذ بالنواصي والأقدام ، اللهم انفعنا بجميع ما خلقت وانفع بنا جميع ما خلقت ، اللهم حببنا إلى جميع خلقك ، وحبب إلينا صالحي خلقك ، اللهم أحق الحق بكلماتك ، وأبطل الباطل ولو كره المجرمون، أللهم اجعلنا جندك(١٢) الغالبين الآمنين ، أللهم اجعل (١٣) خير عمري آخره وخير أيامي يوم القيامة ، بحق بسم الله الرحمن الرحيم أمين ، يارب العالمين ، اللهم صل

---

١ – في ز حقيقة ٢ – في خ الإجابة والاضلاد ٣ – في ك وبحق ٤ – في ز ، خ للاسم .
٥ – سقطت بالله من خ ٦ – في ز والأمر .
٧ – في ز التجا البيت للبوصيري : قصيدة الهمزية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم .
٨ – في ز شكرى ٩ – في ز حالات ١٠ – في ح نعمة ١١ – في ز أدلنا
١٢ – في خ جند ١٣ – في خ واجعل

على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ، ويكون له في هذا المقام حال في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما يشاهد من محبة الذات (١) العلية له لا يقدر قدر ماهنالك من أحوال المحبة وتتسع المعارف والأسرار والواردات من ذلك يتولد للعارف (٢) حب الأشياء (٣) الحسنة من غير غرض ، بل لذواتها وفي ذلك ينكح كنكاح أهل الجنة بمجرد الشهود (٤) لاشيء آخر ورغبة فيه من المشهد ولي جواب في هذا مختصر ونصه بسم الله الخاص بسره الخاص بسر سره الخاص بسر سر سره أما بعد فقد وقفت على سؤال الشيخ عمر فى التجاني عن سر النكاح الذي أمر الله به في قوله تعالى فانكحوا وأجبت عنه بأن الله كان ولا شيء معه متصفاً بجميع الصفات والكمالات الإلهية فأحب سبحانه وتعالى حيث لا محب ولا محبوب سواه فوقعت(٥) الإفاضة منه إليه سبحانه فوجد سره سيد الوجود ، ومدد الوجود ، ونور الوجود ، ووجود الوجود ، فهو الحبيب ومنه برز النور الذي منه جميع الموجودات ، ووقعت(٦) النسب (ومن مقامات النسب)(٧) المشاهدة ومن جمال الله تعالى ما إذا شاهده الكامل شوقه إلى الاتصال بالمحبوب الذي رمز له(٨) النكاح ولذا قال كامل الكمل حبب إليّ من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عيني (٩) في الصلاة ، وذلك الجمال هو الذي لما شام برقه وشم أريجه(١٠)أبو البشر آدم عليه الصلاة والسلام اشتاق إلى حواء فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به الآية وهذا الذي كتبنا رمزاً وإيماءً(١١) إلى سر النكاح الذي لا يستباح حريمه .

---

١ – في خ ذات ٢ – في ز المعارف ٣ – في ز الابشيا

٤ – في ز بمجرد الشهوة ٥ – في خ فوقع ٦ – في خ ووقع ٧ – سقط ما بين القوسين من خ .

٨ – في خ إليه .

٩ – أكثر الروايات تثبت جعلت قبل قرة عيني كما ذهب كثير من الحفاظ إلى أن ذكر ثلاث من دنياكم وهم وخطأ ومفسد لمعنى الحديث والحديث من النوع الذي اشتهر على ألسنة الناس وقد رواه عدة من الرواة بطرق مختلفة وعبارات متباينة انظر كشف الخفاء جـ١ – ٤٠٥

١٠ – في خ ريحه ١١ – في خ إيماء

لا لا أبوح بحب بثنـــة إنها أخذت علي مواثقـا وعهـودا (١)

ولهذا السر لا ترى وجود شيء إلا من النكاح(٢)فمنه وقع التناسل بين الحيوانات تناسل بين النون (٣) والقلم والتعليم لا بد فيه من تناسل بين النطق والسمع ينتج الفهم والعلم ولهذا لا (٤) ترى كاملا (٥) قوى النور إلا راغباً (٦) في النكاح وهم سلموا من رق الشهوات ومتابعة الهوى ولكن (٧) لهذا السر الدقيق .

ستكفيك من ذاك الجمـال إشارة ودعه مصوناً بالجلال محجبا(٧)

والسلام .

وأما الآيات التي تشير إلى المقامات المتقدمة فقد قال تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » (٨) وقال تعالى: « قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن » (٩) (إلى آخر السورة)(١٠) وقال تعالى: « فلله الاسماء الحسنى »(١١)؟وقال تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب »(١٢) . وقال تعالى: « يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفا ؟لاترى فيها عوجا ولا أمتا إلى وعنت الوجوه للحي القيوم »(١٣) وقال تعالى: «ولو أردنا أن نتخذ لهواً(١٤) لاتخذناه(١٥) من لدنا إن كنا فاعلين » (١٦) وقال تعالى : « قل الله »(١٧) وقال تعالى: « قل هو الله أحد » (١٨) وقال تعالى: « فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك »(١٩) وقال تعالى: « ورفعنا لك ذكرك » (٢٠) . وقال تعالى: « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً » (٢١).

---

١ – البيت لجميل بثينة الشاعر الغزلي المشهور ٢ – في خ من النساء ٣ – في ز النور .
٤ – في ز (مد) بدل (لا) ٥ – في ز كامل ٦ – في خ راقبا .
٧ – في ك (ولاكن) .
٨ – ورد هذا البيت في الجزء الثاني من شرح الحكم العطائية لابن عباد ولم ينسبه لقائله انظر ذلك الش ح ١٩.
٩ – الشورى ٤٢ : ١١ ١٠ – الإسراء ١٧ : ١١٠ ١١ – في خ الخ .
١٢ – الاعراف ٧ : ١٨٠ في ولكن في المصحف (ولله الأسماء الحسنى) بالواو بدل الفاء .
١٣ – النمل ٢٧ : ٨٨ ١٤ – طه ٢٠ : ١٠٥ ١٥ – في خ ولدا ١٦ – في ز لا تخذه .
١٧ – الأنبياء ٢١ : ١٧ ١٨ – الرعد ١٣ : ١٦ ١٩ – الاخلاص ١١٢ : ١
٢٠ – محمد ٤٧ : ١٩ ٢١ – الشرح ٩٤ : ٤ ٢٢ – الاسراء ١ : ١ .

وقال : « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب »(١) . وقال تعالى : « إن الله وملائكته يصلون على النبي(٢) وقال تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له »(٣)الآية . وقال تعالى : « الرحمن على العرش استوى »(٤) وقال تعالى : « الرحمن علم القرآن ».(٥)وقال تعالى: « وهو الغفور الودود ذو العرش »(٦)لا إله إلا هو رب العرش الكريم (٧). وقال تعالى : (إنه لقرآن كريم) (٨). وقال تعالى: « وهو رب العرش العظيم » (٩). وقال تعالى: « وإنه لقسم لو تعلمون عظيم » (١٠).

يا رب جوهر علم لو أبوح بـــه   لقيل لي أنت ممن يعبـــد الوثنـــا(١١)

لو يسمعـــون كما سمعت حديثها   خروا لعزة ركعـــا وسجـــودا(١٢)

ومن هذا المشهد الذي هو آخر ما أومأنا اليه تحصل الأشياء في عالم التشتيت من التناكح وإليه يشير حديث « حبب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة(١٣) أي لا بها حاشاه صلى الله عليه وسلم وإذا ترقى(١٤) العارف عن المقامات المتقدمة يقع في حال يتلاشى باطن علمه ويضمحل حتى لا يبقى عنده شيء ولا يرجو شيئاً أمامه وهذا مقام يأس العبد عن العلم بالله فقد طويت الحقائق والمعارف والواردات والأسرار كطي السجل للكتاب « كما بدأنا أول خلق نعيده » (١٥) . الآيـــة . « أم حسبتم أن تدخلوا الجنـــة » (١٦) الآيـــة . « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا »(١٧) الآية . وهنا واد (١٨) الحيرة وإليه يشير : « وقت من أوقات النهار لا ترى فيه شيئاً ساجداً(١٩) لله حتى الظلال » . وفي ذلك علوم يكاشف الله بها عبده لا يجوز أن ترسم ولا أن تذكر لا إله إلا الله وسبحان الله ما أعظم شأنه

---

١ – الكهف ١٨ : ١ ٢ – الاحزاب ٣٢ : ٥٦ ٣ – البقرة ٢ : ٣٤٥ ٤ – طه ٢٠ : ٥.
٥ – الرحمن ٥٥ : ١ ٦ – البروح ٨٥ : ١٤ ٧ – المؤمنون ٢٣ : ١١٦.
٨ – الواقعة ٥٦ : ٤٤ وسقط ما بين القوسين من خ ٩ – التوبة ٩ : ١٢٩
١٠ – الواقعة ٥٦ : ٧٦ ١١ – لقد سبق أن هذا البيت ينسبه الصوفية إلى زين العابدين .
١٢ – البيت لكثير عزة الشاعر الغزلي المشهور ١٣ – سقطت هذا الحديث من ز وقد سبق الكلام عليه .
١٤ – سقطت ترقى من خ ١٥ – الأنبياء ٢١ : ١٠٤ ١٦ – آل عمران ٣ : ١٤٢
١٧ – يوسف ١٢ : ١١٠ ١٨ – في خ ودى ١٩ – في خ ساجد لعل هذا من كلام الصوفية .

قال تعالى : « وظلالهم بالغدو والآصال »(١) أللهم إني أعوذ بك من البعد بعد القرب ثم تتجدد أحوال وواردات وأسرار آيات(٢) يقع له فيها الدهش فان(٣) كل سير بحسب الفترة قبله فإذا بالذات وحدها . (٤)

فصل في الجذب (٥)

فيرجع العبد إلى الذات رجوعاً لا يعرف له سبباً ولا كيفية ولا وقتاً ولا أصلاً ولا فصلاً ولا شعور له بشيء غير أنه لم يجد إلا الذات بالذات (٦) في الذات فصاحب هذا المقام مشهده ووجوده وأفعاله وأقواله وأحواله وأسراره ومقاماته الذات وإن إلى ربك المنتهى وعلوم هذا المقام ومعارفه وأسراره وأحواله وارداته (٧) وحقائقه يقطع بعلوم من نطق بشيء منها فالغالب على أموال أهله السكوت ولا ينتهي الكلام في هذا لأن الله تعالى لا نهاية له ولا لما يهب لأحبائه وأصفيائه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وفي ذلك سير لا ينتهي بموت صاحبه أو يكون قطباً غوثاً فرداً جامعاً خليفة عن الله تعالى حاملاً لاعباء الألوهية أمانة يكون بها عين الرحمة الربانية الحائطة بمركز الفهوم(٨) والمعاني ونور الأكوان المكنونة الأدمي (صاحب الحق الرباني)(٩) البرق الأسطع بمزون الارباح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني وعين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوام لا إله إلا الله ما أكرمه وأجوده وسبحانه وله تعالى الحمد والمنة وصلى الله على سيدنا محمد وجوزي(١٠) عنا ما هو أهله ورضي الله عن سيدنا الرضوان الأكبر وقد عن لي أن أكتب الفاظاً من الأوراد التجانية كما فعل غيري تدل على كونها بلغت الغاية في الحمد والشكر فكلها تشير إلى المعنى الذي هو الحقيقة المحمدية عليها الصلاة والسلام .

---

١ – الرعد ١٣ : ١٥ ٢ – في خ واسراءات وفي ز واسرامت ٣ – في ز قال .
٤ – في خ وحده ٥ – في ز بجذب ٦ – سقطت بالذات من ح ٧ – في ز واردته .
٨ – في ز بفهوم ٩ – سقط ما بين القوسين من ك ، ز ١٠ – في خ وجزى .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم السلام عليك أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته السلام عليك يا خليفة الشيخ الصديق الأكبر اللهم صل وسلم على (عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني)(١)الخ .. يا من أظهر الجميل وستر القبيح الخ ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، عدد ما علم وملء ما علم وزنه ما علم فنعم الرب ربي ونعم الحسب حسبي لك الحمد أضعاف ما حمدك به الحامدون (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)(٢) الخ (إنا أنزلناه في ليلة القدر إلى سلامٌ هي حتى مطلع الفجر) (٣) «إنا اعطيناك الكوثر »(٤) « قل هو الله أحد الله الصمد » (٥)استغفر الله العظيم الخ لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله (وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) (٦)وبإقراري بسريان قيوميتك في كل شيء لا إله إلا الله الأول الآخر الظاهر الباطن وببلوغ العبد إلى المقام الذي أومأنا إليه قبل صارفي مقام العجمية فالحضرات (كلها لها (٧)أذواق وإشارات وعبارات (٨)وبالوصول إلى هنا) (٩)قد انقطعت العبارات والاعرابات وأنا أسأل الله تعالى بلسان فقر الوجود اليه متوسلاً اليه به أن يجود علينا ويمن علينا به سبحانه فإنه تعالى حسبنا ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله خيرة خلقهو(١٠)صحابته الهادين المهتدين والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، وهذا ما سمح به الوقت ، ولا ينتهي هذا التأليف وفي وقت آخر يفعل الله ما يريد ، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.اه.

---

١ – في ز ، خ (عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الاقوم) بدل ما بين القوسين .

٢ – البقرة ٢ : ٢٥٥ ٣ – القدر ٩٧ : ١ – ٥ ٤ – الكوثر ١٠٨ : ١ ٥ – الاخلاص ١١٢ : ١

٦ – الصافات ٣٧ : ١٨١ ٧ – في ز كل لها ٨ – في خ وبابارات

٩ – سقط ما بين القوسين من ك وجاء بالهامش من خ ١٠ – سقط واو من ز .

تعليقات على كتاب السر الأكبر

لا شك إن الشيخ ابراهيم إنياس قد برهن بهذا الكتاب على أنه سيد العارفين في عصره ، خصوصاً في الطريقة التجانية ، حيث لم نجد أحداً جاء بمثل ما جاء به ، أو عارضه فيه ، لا في الطريقة التجانية ، ولا في غيرها ، بل إن التجانيين قاطبة تقريباً في أي مكان من أنحاء العالم سلموا له وأذعنوا تحت سيطرته الروحية ، وأيدوه جميعاً في دعوته ، وتتلمذ كثير منهم له ، وأخذوا عنه ، ولم يقتصر ذلك على أبناء جنسه السود فحسب ، بل كان البيض من سلائل شيوخ شيوخه أيضاً أشد تصديقاً له ، وأكثر أخذاً عنه ، من غيرهم وأخلص طاعة له وأشد تفانيا في حبه .

وإن المباحث التي ناقشها في هذا الكتاب من أعقد المباحث الفلسفية التي ألبسها الصوفية ثوب خيالهم وهو وإن كان سياق كلامه في الكتاب يدل على أنه لم يكن ملماً بالفلسفة من حيث هي فلسفة شأن كثيرين غيره من الشيوخ الصوفية الذين جاؤوا بأخرة إلا أنه في نفس الوقت يدل دلالة واضحة على أن كلامه حول هذه المباحث كلام عارف بما يقول، ولم يكن أبداً صدورها منه رمية من غير رام ، خصوصاً أنها مع تعقيدها قد استطاع أن ينفخ فيها من روحه ما أكسبها جدة ، حتى ظهرت فيها إمارات الابتكار والتجديد .

وقبل أن نخوض في التعليقات يجدر بنا أن نلقي ملاحظات عامة حول الكتاب فنقول :

١ ـ إن الشيخ يهدف بالكتاب إلى الدعوة إلى نفسه والتعريف بها كما قررنا في افتتاح كلامنا في دراسة الكتاب ، فالى كل ذلك يرمي بقوله : « وما بعد كمال اليقظة

إلا الفرار من النفس وهواها والشيطان إلى الله تعالى ، والفرار إلى الله هو الفرار إلى كامل العصر ... فيأتي لخليفة من خلفاء الشيخ أي التجاني وارث ولا بد من سلب الإرادة والتأدب ظاهراً وباطناً وتوفية ما تلقى اليه من الشروط الخ »(١) وكذلك قوله : « وهذه الحضرة هي التي أشار اليها الشيخ أي التجاني بقوله لا ينال مني أحد شيئاً إلا بواسطة سيدي علي حرازم وقوله « ما خلفت سواه » وقوله « هو مني بمنزلة أبي بكر من رسول الله ، ولا غرو أن يخلف هذا الرجل غيره ، فافهم فحقيقة هذه الحضرة أنها ظل الشيخ أي التجاني ومظهره في كل زمان ومكان ، والموجودات بأسرها مطوية في رجل تلك الحضرة ، وهكذا إلى قوله : « وهذا لا يخرج إلا من مدد جسدنا ولا يفهمه إلا جسد مددنا »(٢) . وإلى هذا أيضاً يرمي بقوله في ديوانه الموسوم بتيسير الوصول .

ولم لا وعز العبد عز مليكه　　　فطوع يميني الكون عبداً مسودا (٣)

٢ ـ الكتاب يتمتع بشيء لا يستهان به من آثار الابتكار والتجديد فمثلاً إن القاعدة التي أوردها فيه التي تلزم المقدم الانطماس في الشيخ التجاني قبل تلقين الورد ليظل المريد حراً في نفسه ، يشعر بأنه تلميذ للشيخ التجاني وحده لا للملقن ، والتي منحت للمريد حق التحول من المقدم الذي لقنه الورد إلى مقدم آخر إذا لم يجد مراده عند الأول (٤) يبدو أنها من ابتكاره فكأنه يريد بذلك أن يسهل للمريد الذي يريد رفض مقدمه الذي عاشره مدة طويلة ، ولكنه لما ينشرح صدره للانتظام في سلك أتباع الشيخ الناصرين لدعوته وهو يريد ذلك ، ما سوف يجده في نفسه من الصعوبة في ذلك.

وكذلك تلك الحضرة الرابعة التي تكلمنا عليها آنفاً في الملاحظة الأولى التي سماها بظل الشيخ التجاني ، وكذلك ما أورده في الكتاب وسماه التشكلات المحمدية ، وتشكلات دائرة الاحاطة ، والدلائل تشير إلى أن في ذلك شيئاً لا يستهان به من ابتكاراته ، وخصوصاً إذا نظرنا إلى أنه أدخل نفسه فيها مثل قوله : « وثالثها جبريل إبراهيم الصديق »(٥) .

٣ ـ يبدو أن الكتاب عبارة عن أفكار منفصلة كانت ترد عليه في أوقات متفرقة

فجمعها في غضون سنتين ابتداء من سنة ١٣٥٠ إلى ١٣٥٢ ﻫ بل هناك ما يدل على أن بعض مواد الكتاب كانت موجودة قبل ذلك بوقت طويل مثل بعض الأبيات التي تدل ركاكة نظمها على أنه قد نظمها في حداثته ، وقبل نضوج فكره ، (٦) فإنه قد انتهى من تأليف هذا الكتاب سنة ١٣٥٢ ﻫ كما جاء في آخر النسخة الكنوية ، وقد أشرنا إلى ذلك في دراسة الكتاب ، ثم نجده يذكر أن بعض الموضوعات التي تكلم عليها أملاها عليه الوارد سنة ١٣٥٠ هجرية ، مثل فصل حقيقة السلوك من أوله إلى آخر المقامات(٧) وكذلك واقعته التي لخص فيها كلامه في الحضرات وتجلياتها وتنزلاتها (٨) ومثل دعاء دائرة المطالب ومركز الرغائب في التضرع إلى حضرة الشاهد الغائب ، فإنه أورده في هذا الكتاب مع أنه ألفها في سنة ١٣٥٠ أيضاً (٩) ، وأحياناً لا يذكر التاريخ بل يكتفي فقط بقوله « انتهى هذا ما أملاه على الوارد والسلام (١٠) فنعرف بذلك أنها فكرة منفصلة وهكذا .

التعليقات

١ – قسم الشيخ الوسيلة إلى ثلاثة أقسام وهي : –

أ – متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في القول والعمل .

ب – ملازمة الذكر بالإذن الصحيح من الكمل .

جـ – مصاحبة العارف بالله .

وبإمكاننا أن نستنتج الأمور الآتية من هذا التقسيم .

أ – ظاهر كلامه يدل على أن كل واحدة من هذه الوسائل الثلاثة قائمة بنفسها ، بمعنى أن من تابع النبي صلى الله عليه وسلم في القول والعمل ، يصل إلى الله ، وتكون تربيته بذلك وأن من عكف على الذكر بالإذن الصحيح من الكمل المراد به شيخ الطريقة ، مثل الشيخ التجاني أي إن من واظب على الذكر المأخوذ عن أمثال الشيخ التجاني ولو بواسطة يصل إلى الله وتكون تربيته به وأن من صاحب كامل العصر العارف بالله توصله هذه المصاحبة إلى الله وتكون تربيته بها وهكذا .

ب – إن الذكر بغير إذن من الكمل لا ينفع أو بعبارة أخرى لا يوصل فاعله إلى الله تعالى :

جـ – وأن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في القول والعمل على درجة واحدة مع مصاحبة العارف بالله بمعنى أن كل واحدة توصل على حدتها .

ولكن الذي يقتضيه العقل والشرع هو أن يكون القطبان الأخيران ملازمة الذكر

ومصاحبة الكامل العارف بالله مندمجين في القطب الأول الذي هو متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في القول والعمل إذ أن من أقوال الرسول التي يجب على المسلم أن يقتدي به فيها الذكر بأنواعه ومصاحبة العارف بالله إن لم تكن ليعلمه أقوال الرسول وأفعاله فلا فائدة فيها . ولعل الشيخ يهدف من وراء هذا التقسيم إلى الدعوة إلى طريقته وإلى نفسه أيضاً فهو إذن ملحق بما قررنا في الملاحظة الأولى (١١).

والحق في المسألة هو أن كل من أراد أن يقف على سر وحدة الوجود الصوفية فعليه أن يتلمذ في ذلك لشيخ التربية الصوفية فقط وأما القول بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم في القول والعمل وملازمة الذكر فيبدو أن الشيخ قد جاء به ليستر به ما يهدف إليه من الدعاية لطريقته والدعوة إلى نفسه فقط ، وإلا فكيف يجهل ذلك الشيخ عمر الفوتي ويقول : « لا يصل السالك الناسك إلى حضرة الله وحضرات صفاته وأسمائه ولو جمع علوم الأولين وصحب طوائف الناس وعبد عبادة الثقلين إلا على أيدي أصحا ب الإذن الخاص » (١٢).

٢ – أورد الشيخ في هذا الكتاب ما سماه بالدائرة الفضلية وبين أن هذه الدائرة كانت واقعة وراء دوائر عموم الخلق وهي دائرة الأمر والنهي والجزاء خيراً أو شراً والاعتبارات واللوازم والمقتضيات ومن خصائص هذه الدائرة أن الله لا يحاسب من دخل فيها على أعماله أياً كانت سواء جاء بالاعمال الصالحات أو بالسيئات وسواء وفي بالعهود أم غدر بها انتهج الصراط المستقيم أم حاد عن الصراط السوي وسقط في المعاصي والأعمال الموبقات وهو ناج على كل حال وأن من وقع في هذه الدائرة من خلق الله كملت سعادته في الدارين وقرر أن التجانيين وقعوا فيها ولذلك كانت عباداتهم إنما يقومون بها شكراً لله فقط لا أداء للواجبات الدينية التكليفية لأنهم ناجون على أي حال (١٣).

أورد الشيخ عمر الفوتي هذه الدائرة في كتاب الرماح وكلامه يدل على أنها من ابتكاراته لأنه لم ينسبها إلى أحد كعادته ولا يفهم القارىء من سياق الكلام أنها منقوله من أحد ونقلها الشيخ من هناك بألفاظها وحروفها ثم نسبها إلى الشيخ التجاني ولكننا لم نقف على مصدر لها غير كتاب الرماح حسب ما بحثنا في أمهات كتب الطريقة التجانية

وعلى أي حال فإذا ثبت أنها من كلام الشيخ التجاني فإننا نرجح أن يكون مصدرها كتاب الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية للسيد الطيب السفياني ذلك لأن الشيخ محمد الحافظ بن عبد اللطيف الجزائري التجاني نزيل مصر قد تعمد حذف مسائل كثيرة من ذلك الكتاب قبل أن ينشره خوفاً من لذاعة نقد المنتقدين لشيخهم التجاني ، كما شرح بعض المسائل بتفسير لم يقل به أحد ممن سبقه من شيوخ التجانية بل لا تقبله اللغة والعقل أيضاً (١٤) .

وعلى أي حال فإن هذه الدائرة خارجة من دائرة الإسلام قطعاً لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرفها ولذلك لم يعلم أصحابه بها ولا بطابيعتها ، وقال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : « رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته » (١٥). وقال : « فسبحْ بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » (١٦) وقال : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً فلا يشرك بعبادة ربه أحداً » (١٧) وقال : «وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى»(١٨) وقال : « تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا » (١٩) وقال : « إنْ أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون » (٢٠) قال : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب عظيم » (٢١).

روى مسلم عن ربيعة بن مالك الأسلمي رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سل » . فقلت أسألك مرافقتك في الجنة فقال أو غير ذلك قلت هو ذاك قال فأعني على نفسك بكثرة السجود » (٢٢).

إذا نظرنا إلى هذا الحديث نرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي أمر أحد أصحابه بأن يسأله ما يشاء فسأله أن يرافقه في الجنة فطلب منه الرسول أن يسأل شيئاً آخر غير ذلك فأصر الصحابي على أنه لا يريد غير الذي سأل فما وعده الرسول بالحصول على غرضه بل أمره أن يساعده على تحقيقه بكثرة السجود .

نفهم من هذا الحديث أن الرسول يريد أن يبين للمسلمين أن دخول أحد الجنة

ليس في يده وإنما هو أمر يختص به الله تبارك وتعالى وبالتالي لا يوجد في الإسلام من يقطع بأنه يدخل الجنة على كل حال سواء أطاع الله أم لم يطعه ولأجل ذلك أرشد النبي صلى الله عليه وسلم صاحبه هذا إلى ما أرشده الله هو، وهو وقوله تعالى في الآية السابقة آنفاً : « فاعبده واصطبر لعبادته » وقوله : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ».

وأما العصيان فإن الله قد بين بصراحة لا تحمل التأويل أن النبي صلى الله عليه وسلم لو عصاه عمداً لعذبه في الدنيا والآخرة بعذاب مضعف وقال تعالى : « لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا » (٢٣) . وقال : « ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين » (٢٤) وقال : « قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » (٢٥) وقد وقع بعض الصحابة في العصيان فربطوا أنفسهم بسارية المسجد وهجرهم الرسول والمسلمون حتى أتى العفو عنهم من الله تعالى وتكفينا شهادة على هذا قصة أولئك الصحابة الثلاثة رضي الله عنهم الذين سماهم الله : « الثلاثة الذين خلفوا » . وهم كعب بن مالك ومرارة بن ربيعة العامري وهلال بن أمية الواقفي من الأنصار وذنبهم الذي أخذوا به هو تخلفهم عن مرافقة رسول الله في غزوة العسرة التي تعرف بغزة تبوك (٢٦) .

على أننا بالنظرة الفاحصة لهذه القصة نستنتج الأمور التالية :

١ – أنهم مؤمنون وليسوا من المنافقين بل ما اتهم أحد منهم بالنفاق بدليل أن الرسول عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات لما سأل عن كعب بن مالك قال رجل من بني سلمة يا رسول حبسه برداه والنظر في عطفيه كأنه يريد بذلك أنه مطعون عليه في دينه (٢٧) فقال معاذ بن جبل أحد علماء الصحابة رضي الله عنه لذلك الرجل بئس ما قلت ثم أقبل على النبي وقال : « والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا »(٢٨):

٢ – إن رسول الله يعلم أنهم مؤمنون بدليل أنه صلى الله عليه وسلم قبل عذر المخلفين وبايعهم واستغفر لهم وسكت عنهم لعلمه بنفاقهم وعدم فائدتهم عند المسلمين، وأما عن هؤلاء الثلاثة فإن كعباً يقول عندما أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وسلم عليه تبسم تبسم المغضب » (٢٩) فدل ذلك على أنه يعلم أنهم مؤمنون وإنما غضب عليهم لموافقتهم المنافقين في خذلانهم إياه وأصحابه .

٣ – إن العفو عن الذنب بيد الله لا بيد الرسول بدليل أنه لما سمع كلام كعب قال : « أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك » (٣٠).

٤ – إن الله لم يغفر لغير هؤلاء الثلاثة من المخلفين الذين كان عددهم ثمانين رجلا كما جاء في البخاري بدليل قوله تعالى : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة إلى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا » (٣١).

٥ – إن الله ما قبل توبتهم إي الثلاثة إلا بعد معاقبتهم على ذنبهم لأن النبي أمر الصحابة بهجرانهم والكف عن كلامهم خمسين يوماً ، وفي اليوم الموفي للأربعين أمرهم الرسول باعتزال أزواجهم في المضاجع واستمروا على هذه الحال إلى تمام الخمسين يوماً وهم في ضيف شديد وغم عظيم فقال تعالى : « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب الله عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم » (٣٢).

٦ – إن هؤلاء الثلاثة لو لم يتوبوا توبة نصوحا لما غفر الله لهم بدليل أنه تعالى لم يغفر لبقية المخلفين الذين جاءوا إلى النبي يعتذرون ويحلفون على الكذب لعدم توبتهم النصوح .

٧ – لو كان الأمر في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لغفر لهم جميعاً بدليل قوله صلى الله عليه وسلم عندما نزل قوله تعالى : استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين » (٣٣) لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر ازدت عليها (٣٤).

٨ – إن هذه الآية دلت على الأمور الآتية :

أ – إن المنافق كافر .

ب – إن استغفار أحد من الناس مهما كبر أو صغر لا ينقذه من عذاب الله إلا توبته النصوح من عند نفسه .

ج – إن من ارتكب ذنباً كبيرة عمداً لا ينقذه استغفار أحد من الناس إلا بتوبته هو

٩ – إن الله أخر توبتهم خمسين يوماً وهجرهم الرسول وأصحابه ليظهر إيمانهم متى يقف المسلمون وقوفاً لا شك فيه على أنهم مؤمنون حقاً بدليل أن كعباً قد أرسل إليه ملك غسان – وهو في هذا الضيق الشديد والكرب الجسيم – رسالة يدعوه إليه فيها ليواسيه إذ جفاه الرسول وجعله الله بدار هوان (٣٥).

فبدلا من أن ينشرح لذلك ويرتاح ويعتبره وجود المراغمة والسعة اعتبره فتنة ومصيبة أشد من الأولى.

وكان أبو الدرداء ذلك الصحابي الجليل يقول : « أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل ولا يغفل عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط ربه أم راض ، وأبكاني هول المطلع وانقطاع العمل وموقفي بين يدي الله لا يدري أيأمر بي إلى الجنة أم إلى النار (٣٦). والرواية عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان في مثل هذا كثير جداً.

فإن هذه النقول من الآيات البينات والأحاديث الصحاح والحقائق التاريخية الوثيقة من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه تدل دلالة قطعية على أن الأوامر والنواهي والجزاء على الأعمال الخيرية والشرية وهذه الاعتبارات واللوازم والمقتضيات هي القواعد الأساسية التي قام عليها صرح الشرع الإسلامي وهي الميزان العادل للتمييز بين المسلم الصالح وبين المسلم الطالح بمعنى أن المسلمين على اختلاف فرقهم ومذاهبهم ونحلهم اتفقوا على أن المسلم التقي الصالح المطيع ناج وهو من أهل الجنة إذا مات على ذلك ، وأن العاصي الذي تاب قبل موته أيضاً كذلك وهو ملحق بالأول ، والعاصي الذي مات مصراً على عصيانه ولم يتب هو موضع الخلاف بين فرق المسلمين ، وأما رأي أهل السنة والجماعة فيه فهو أن أمره موكل إلى الله إذا شاء عفا عنه وإذا شاء عذبه بقدر ذنبه ثم أخرجه من النار إلى الجنة بإيمانه ، وهذا الحكم عام بالنسبة لجميع أفراد المسلمين الذين سلمت عقيدتهم ، وليس مخصوصاً بطائفة معينة ولذلك كل من جاء بعد هؤلاء وقرر أن هناك طائفة معينة قد رفع الله عنها التكليف وهي ناجية على كل حال سواء كانت على الصراط المستقيم أو نكبت عن النهج القويم وسواء أطاعت الله أم

عصمته وهذا لا يقبل قوله لأنه خارج من صفوف أهل السنة والجماعة بالمرة .

هذا يفضي بنا إلى النتيجة النهائية ، وهي أن هذه الدائرة الفضلية وصفتها وخصائصها وطبيعتها كما قررها الشيخ خارجة من دائرة الإسلام إذ لا يعرفها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان ، ولا يعرفها أئمة السنة من سلف الأمة الإسلامية ومن كان على نهجهم إلى اليوم .

ولكن ليس معنى ذلك أنني أنكر أن هذه الدائرة موجودة في الطريقة التجانية وأن الطريقة قد نشأت منها كما قرر الشيخ لأنه أعرف بذلك ، ولا شأن لي بالطريقة أصلا ولكنني أنكر أن يكون في الإسلام شيء مثل هذه الدائرة حتى تكون الآيات القرآنية هي الدالة عليها .

ومن الجدير بالتنبيه عليه هنا أن شرط الدخول في هذه الدائرة هو محبة الشيخ التجاني والتعلق به ، وعدم إنكار دعوته الشيخ إبراهيم فقط لا الإيمان بالله ورسوله والقيام بأداء ما علم من الدين بالضرورة من الفرائض والواجبات .

٣ ـ تكلم الشيخ على الصدق في الطريقة التجانية حيث بين أن سرعة ظفر المريد بمطلوبه يتوقف على صدقه (٣٧) ووضح هذا الصدق بقوله : « والصادق في طريقتنا من أراه الله الورد اللازم أكبر الأسرار والشيخ التجاني هو عين السر فلا يتشوف الى الغرائب والغيوبات ويستخف بالسر الحقيقي فإن حصل الصدق يقطع المقامات آمناً من العثرات في أسرع مده (٣٨) وقال في معرض شرحه للمنازل التي تقع بين المقامات : « وحقيقة الصدق أفراد الوجهة اليه كل شيء هالك إلا وجهه » (٣٩) وقال قبل ذلك فيلقى المريد ـ نفسه سلما بين يدي شيخه النائب عن الشيخ الختم التجاني في عالم الحس والشيخ المربي للمريد حقيقة هو الشيخ التجاني وهو معه دائماً ما تذكره في قلبه واعتقد أنه بين يديه وهنا سر كبير للمريد التجاني قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وفي الحديث القدسي : « أنا عند ظن عبدي بي ». (٤٠) وقال « مطلب المريد الشيخ التجاني لا غير » (٤١).

وهل معنى كل هذا أن الشيخ يريد أن يرشد المريد التجاني إلى الاعتقاد بأن الشيخ

التجاني هو الذي يفتح عليه بهذه العلوم وغيرها بظهر الغيب في حياته وبعد مماته ، وظاهر كلامه يدل على ذلك ، ويؤيده قول الشيخ عبيدة في (ميزاب الرحمة) عندما يتكلم على الفرق بين التربية في الطريقة التجانية وبينها في طريقة الشيخ الساحلي حيث قرر أن المريد في الطريقة الساحلية يتوقع الفيض من الله وأما في الطريقة التجانية فيكفيه أن يستحضر صورة الشيخ التجاني ويرفع إليه شكواه » (٤٢) وقد سبق هذا ولعل أصل كل هذه العقائد هو ما جاء في جواهر المعاني من اعتقادهم أن الشيخ التجاني هو الخليفة عن الله في جميع المملكة الإلهية بلا شذوذ ومتصف بجميع أسماء الله وصفاته حتى كأنه عينه ومن أجل ذلك دعا جواهر المعاني المريد التجاني أيضاً إلى أن يستحضر صورة الشيخ التجاني وأنه جالس بين يديه ويستمد منه من أول الذكر إلى آخره كما طلب منه أيضاً أن يستحضر صورة النبي صلى الله عليه وسلم على الكيفية السابقة (٤٣) ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر أحداً من المسلمين بأن يستحضر صورته ويستمد منه في أي نوع من أنواع العبادات لأنه إنسان مثل كل فرد من أفراد أمته بنص محكم التنزيل وقال الله تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ إنما إلهكم إله واحد » (٤٤). وقد روى الشيخ محمد الحافظ بن عبد اللطيف الجزائري التجاني نزيل مصر مثل ذلك فقال : « وأما كيفية استشارته أي الشيخ التجاني فإنه قال : من أراد أن يشاورني وكان بيني وبينه بعد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ثم يذكر حاجته وهو مشخص نفسه بين يدي فالجواب ما يقع في قلبه .

ومعنى ذلك كله أن جميع شيوخ الطريقة التجانية كانوا على هذه العقيدة .

٤ – لقد صرح الشيخ بتكفير من وصل إلى مقام الفناء فقال : « وصاحب هذا المقام كافر شرعاً لنفيه الأسماء والصفات وقتله الأنبياء وهو المؤمن حقيقة لأنه أثبتها حقيقة وقتله الأنبياء قتل بالحق لا بغير الحق (٤٩). والمراد بالمقام هو اعتقاد من وصل إلى الفناء أنه هو الله لا إله إلا هو وحده لأنه حينئذ لا يرى شيئاً إلا الله ولا يرى نفسه ولا سواه ويرى أن لا كون ولا أثر ولا فعل ولا صفة (٤٧) واعتقاده أيضاً أن حقيقة هذا الكون تمثال فقط (٤٨).

ونحن نوافق الشيخ في تكفيره لصاحب هذا المقام ونقر حكمه بذلك ونقرر بالتالي

أنه لن يعود إلى الإسلام إلا إذا تاب من هذا الاعتقاد الباطل توبة نصوحاً ، وأعتقد اعتقاداً جازماً لا شك فيه ولا تردد أن الله تعالى غير خلقه وخلقه غيره أي إن الله تبارك وتعالى شيء وخلقه شيء آخر لا علاقة بينهما إلا العلاقة التي بين الموجِد والموجَد وبين الخالق والخلق كما بينه في كتابه العزيز (٤٩) لأن كل من اعتقد أن العالم هو الله أو بعبارة أخرى أن المخلوقات إلى الاسلام إلا إذا تاب من هذا الاعتقاد الباطل توبة نصوحاً ، وأعتقد اعتقاداً جازماً لا شك فيه ولا تردد أن الله تعالى غير خلقه وخلقه والموجَد وبين الخالق والخلق كما بينه في كتابه العزيز (٤٩) لأن كل من اعتقد أن العالم هو الله أو بعبارة أخرى أن المخلوقات بأسرها هي الله فلا يخرج من أحد شيئين فكل واحد منهما كفر وخروج من الدين فإما أن يعتقد أن العالم حادث فعلي هذا جعل الله حادثاً في اعتقاده وهو كفر صريح ، وضلال مبين ، وأما أن يعتقد لا محالة أن العالم قديم وهو أيضاً ردة وخروج من الدين ، وجاء في مختصر الخليل : « وقول بقدم العالم ، أو بقائه أو شك في ذلك » (٥٠) ولكن لا تظنن أن هذا الحكم خاص بمذهب مالك لا بل قد أجمع على ذلك أهل السنة والجماعة قاطبة وقال شيخ الإسلام عبد القاهر ابن الطاهر البغدادي الاسفرائيني من علماء القرن الخامس الهجري عند كلامه على الأركان الخمسة عشر التي أجمع عليها أهل السنة والجماعة وجعلوا كل من خالفهم فيها كافراً أو ضالا : « وأما الركن الثاني وهو الكلام في حدوث العالم فقد أجمعوا على أن العالم [illegible] شيء غير الله عز وجل ، وعلى أن كل ما هو غير الله تعالى وغير صفاته [illegible] مخلوق مصنوع وعلى أن صانعه ليس بمخلوق ، ولا مصنوع ولا هو من جنس العالم ولا من جنس شيء من أجزاء العالم » (٥١).

وأما قوله : « وهو المؤمن حقيقة وقتله الأنبياء قتل بالحق لا بغير الحق » (٥٢). فلا نفهم له وجهاً معقولا إذ لا حقيقة في الاسلام إلا الحقيقة الشرعية وكل ما ثبت بالنصوص القطعية المحكمة وأجمع أهل السنة والجماعة عليه هو الحقيقة التي لا حقيقة بعدها في الإسلام وأما التقسيم الذي يوجد في كتب الصوفية مثل قولهم الشريعة والطريقة والحقيقة فهذا لا شك من تعاليم غلاة الباطنية كما سبق واخترعوه ليصرفوا المسلمين عن المراد الحقيقي بالقرآن والسنة وليس من تعاليم الاسلام في شيء وإنما وجد طريقه

إلى التصوف الإسلامي من طريق هؤلاء الباطنية (٥٣) ولذلك إذا نظرنا إلى معنى هذا التقسيم نراه ينطوي على نتيجة خطيرة هدامة لأركان الإسلام جميعها إذ معنى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم علم علماء الشرع شيئاً مجازاً لا حقيقة ،وهماً لهم أنه هو الحقيقة القطعية وتركهم يتمسكون بالوهم ويعتقدون الجهل الصريح علماً ثم علم الصوفية الحقيقة التي هي العلم الصحيح الذي لا وهم فيه فأغرى بذلك أولئك الجهال الوهميين على هؤلاء العلماء العارفين المحققين يقتلونهم ويكفرونهم ويضللونهم .

فإذا كان مراد الشيخ بقتل الأنبياء نفي إرسالهم إلى الخلق لأن النتيجة الثابتة التي لا ريب فيها أسفرت عن أن العالم هو الله والله هو العالم ولا فرق بين الخالق وبين المخلوقات حتى يوجد إله منفصل عن الخلق يختار من بينهم رسلاً يرسلهم إلى إخوانهم بالأوامر والنواهي ، وكانت هذه الحقيقة الثابتة النهائية التي وصل إليها هذا المجذوب الفاني المفتوح عليه في نظرهم هي التي نفت وجودهم وصحة إرسالهم فبأي حقيقة بعدها يثبت إرسالهم ياترى ؟ أو بعبارة أخرى كيف يمكن له أن يتصور أن الله أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى الخلق حيث لا خلق ولا خالق والكل واحد وهذا العلم الجديد ثابت في ذهنه يعتقده في جميع تقلباته في الليل والنهار ؟ .

الأمر هكذا الله هو العالم وهو جميع مخلوقاته فكأن جزءه يريد أن يقتل النفس ويسرق ويزني ويشرب الخمر ويخون الأمانة ويغدر بالعهد ويخالف الوعد ويكذب ، وهكذا وهكذا ثم أرسل جزءه الآخر إلى هذا الجزء ليمنعه من ارتكاب هذه الأعمال ويأمره بفعل أضدادها وليبلغه من نفسه أيضاً أنه إذا امتثل الأوامر واجتنب النواهي يثيبه وإذا امتنع عن امتثال هذه المأمورات وارتكت تلك المنهيات يعذبه .

ولا أعتقد أن عقلاً يعقل أن الله يرسل نفسه إلى نفسه وبعضه يقبل الرسالة وبعضه يرفضها ويثيب جزءه الذي قبل رسالة نفسه بالنعيم المقيم ويعذب جزءه الذي رفض رسالة نفسه بالعذاب الأليم .

بل إن النتيجة النهائية التي لا يحوم حولها شك هي أن كل من وصل إلى هذه العقيدة واعتقدها لا يؤمن بالله الذي يدعو إليه القرآن فضلاً عن رسالة رسله ولو حاول

وسوف نرى مصداق ذلك عن قريب إن شاء الله تعالى ولذلك كان الهندوس الذين كانت هذه العقيدة تشكل العمود الفقري لفلسفتهم ينفون إرسال الرسل ويجعلونها في جملة المستحيلات (٥٤).

يقول الشيخ : « إن الحق جل وعلا ما حجبه عن المريد وجود موجود معه تعالى عن ذلك علواً كبيراً بل ما حجبه إلا توهم وجود موجود معه » (٥٥) معنى ذلك أن الله ما حجبه عنا وجود شيء يحجبه وإنما حجبه توهمنا أن هناك شيئاً موجوداً غيره تعالى .

والواقع أن الأمر على عكس ما قرره الشيخ ، فإن اعتقاد أن العالم هو الله هو عين الوهم لأن الانسان أو بعبارة الشيخ المريد أو العبد قبل أن يتصل بالشيخ الذي يغير فكره إلى هذا الوهم يعرف أباه ويشعر بأنه أكرم الناس وأحبهم اليه ، ويعرف أمه ويشعر بأنها أحب الناس وأكرمهم إليه ، وأحقهم بشفقته المخلصة منهم جميعاً ، ويعرف أولاده ويحن عليهم ويخلص لهم المودة أكثر من غيرهم ، ويعرف إخوته وأخواته ويحبهم ويطمئن بهم أكثر من غيرهم ، ويغار على زوجته ، ولا يترك أحداً غيره يباشرها أو يتصل بها ، ويعرف جيرانه ويشعر بالأمن في جوارهم ، ويعرف قومه ويخصهم بمحبته ، دون قوم آخرين ، ويعرف أميره ويبجله ويمتثل أوامره ، المنشط منها والمكره ، وهكذا وهكذا . يعرف هذا كله بالبداهة الفطرية ويشاركه في هذه الحقيقة البديهية الفطرية جميع الناس في شتى أنحاء العالم على اختلاف أجناسهم وبيئاتهم ، وطبائعهم ، وتفاوتهم ، في الرقي العقلي والفكري ، في كل زمان ، وهذه الحقيقة البديهية الفطرية لا تتبدل في ذهن المريد أبداً ، بعد التربية وإدراك وحدة الوجود ، بمعنى أنه لا يحترم غير أبيه احترامه لأبيه ، لأنه أدرك سر وحدة الوجود حيث صار الكل شيئاً واحداً وهو الله ، ولا يحب غير أمه ويكرمها كما يحب أمه ويكرمها ويشفق عليها لأنها الآن صارت شيئاً واحداً معها وهو الله ولا يحن على أولاد غيره حنانه لأولاده لأنهم كلهم صاروا شيئاً واحداً وهو الله ولا يترك أحداً غيره يواقع زوجته لأنه لا فرق بينهما وكلاهما شيء واحد وهو الله وهكذا .

ولا يقتصر هذا الشعور على المريد المجذوب وحده ، بل وحتى الشيخ العارف الواصل الكامل يشارك جميع العوام في هذا الشعور والإحساس لأولاده الفطريين ، بل

نجده في كثير من الأحيان أشد من جميع أتباعه حباً وتفضيلاً لأولاده على غيرهم بدرجة أن الأمر في بعض الأوقات يبلغ حد التفرقة العنصرية ، هذا فضلاً من أن يشاطر غيره التمتع بزوجته مع أنه هو الذي يعلم عقيدة وحدة الوجود .

وهذه الحقيقة الظاهرة التي لا يحوم حولها شك ولا تحتاج إلى الدلائل والبراهين تفند هذه العقيدة الهندوسية اليونانية الزائفة .

ثم أنه مهما كثر هذا النوع من الفتح والوصول في بلد نجد نسبة الذين وقفوا عليه أقل بكثير من العشرة في المائة ، ومعنى هذا أن الجزء الأكبر من الله لا يعرف نفسه أي لا يعرف أنه هو الله الواحد القهار أو بعبارة أخرى أن جزءاً قليلاً من الله فقط هو الذي يعرف أنه هو الله وأما أكبر أجزاء نفسه لا يعرف أنه هو الله بل يظن أن له لهاً آخر وهو الذي خلقه ويقوم بتدبير أموره أليس هذا بأضحوكة ؟ .

وقال شاعرهم يخاطب المحجوب :

يا جاهلاً من داره سكناها	وهو يؤدي أبداً كراها
أتدري من أنت وكيف تدري	وأنت قد عزلت والي الفكر
أليس فيك العرش والكرسي	والعالم العلوي والسفلي
ما الكون إلا رجل كبير	وأنت كون مثله صغير (٥٦)

ثم إننا نرى طائفة من الناس العقلاء ينكرون وجود الله لأنهم لا يرونه ولا يحسونه ويعدون ذلك ظرافة وكياسة مع أننا نجد أيضاً أن في لغة كل أمة وكل قبيلة من الناس يوجد اسم الله وهو غير أوثانهم ولا أصنامهم بحيث أنك إذا تسلقت إلى أكواخ السذج البدائيين في أعالي الجبال تجدهم يعرفون اسم الله وإذا سألتهم أين هو يشيرون إلى السماء ولا يشيرون إلى أنفسهم ولا إلى أوثانهم أو أصنامهم من علمهم ذلك ؟ .

الإنسان إذاً بخير النظرين تجاه هذا الأمر وهو إما أن يعتقد أن هناك قوة قاهرة حكيمة هي التي أوجدت العالم وتدبره وهي غير العالم وغير كل جزء من أجزائه ولها القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام لاتدركها الأبصار وهي تدرك الأبصار ولا يعرف أحد من الخلق حقيقتها وهي المعبر عنها بالله الواحد القهار وأما

أن يعتقد بكل سهولة أن لا وجود لله أصلاً . كيف وقد قام الدليل العقلي والنقلي على وجوب وجود الصانع للعالم .

تنبيه لقد أنثنا الكلمات التي تلت كلمة (القوة) ذلك لمراعاة لفظ القوة فقط حسب القواعد اللغوية وإلا فالله تبارك وتعالى أعز وأجل من أن يؤنث شيئاً من أسمائه أو صفاته .

وأما قولنا أن عقيدة وحدة الوجود هذه عقيدة هندوسية فهو أمر واقع لا شك فيه، لقد أجمع الباحثون المسلمون وغيرهم على ذلك فقال الدكتور علي عبد الواحد وافي : « تقرر أسفار الدين البرهمي أن الله واحد لا شريك له وأنه قد صدرت عنه جميع الكائنات ، وسرت منه روح في الجماد والنبات والحيوان ، فالموجود بحق هو الله وحده وليست هذه الكائنات إلا مظاهر منه ، وهذا هو ما يعبر عنه بنظرية وحدة الوجود التي انتقلت إلى التصوف الإسلامي ، ونظريات رجاله وخاصة ابن عربي والحلاج » (٥٧) ويقول الدكتور هنري توماس الإنكليزي في معرض كلامه على الكتاب الهندوسي المقدس (الأوبانيشاد): « وتعالج مجموعة الأوبانيشاد المسعى اللانهائي للفيلسوف وراء تجميع أجزاء لغز الوجود في صورة كاملة يمكن فهمها ، ونقرأ في إحدى رسائل الاوبانيشاد ... فمن الحكمة إذن أن تعرف قدرتك المحدودة، إذ أنت نفس منفردة ، وقدرتك التي لا حد لها إذا أنت جزء من النفس العامة فأنت بذرة في غابة من الأشجار الكثيفة ، ونقط في مياه المحيط الذي لا حدود له ،وشرارة في نار الحياة الأبدية .

الكل واحد والواحد هو الكل

ولا تختلف الأشياء إلا اسماً

وما ضوء المشعل وضوء الشمس

إلا لهيب سائل مشتعل واحد » (٥٨).

ثم استمر الشيخ قائلاً : « وهذا المقام عظيم الغرر لأن غرره على العقائد ، وهو أعظم ما لم يلق عين الرحمة ففيه ما يهود وينصر ويمجس فلذلك صاحبه لا يفارق

الشيخ العارف الكامل إن كان له شفقة بنفسه أو دينه » (٥٩).

ونحن نوافق الشيخ أيضاً في أن هذا الفناء خطره عظيم ولا يقتصر على تحويل صاحبه إلى اليهودية والنصرانية والمجوسية فحسب بل يحوله أيضاً إلى لا ديني ، أو دهري ، أو طبيعي .

ولكن لا نوافقه في أن الشيخ العارف الكامل ينقذه من هذه الورطة الجسيمة بل إن الشيخ الكامل نفسه لا يستطيع إنقاذ نفسه من هذه الورطة التي فيها نفسه ، ويلقي فيها تلاميذه ، فضلاً من إنقاذ غيره ، ولا ينقذ من وقع في هذا الخطر أحد إلا الله تعالى وذلك بأن يلهمه رشده ويفهم أنه ناكب عن الصراط السوي ويتوب توبة نصوحاً ، وينسلخ من هذه العقيدة الزائفة إنسلاخاً تاماً والشاهد على ذلك أننا رأينا أن واحداً من تلاميذ الشيخ وهو الحاج محمد الثاني أول قد وقع في هذا الخطر حيث اشتكل عليه أمر جبريل كيف يأخذ الرسالة من الله إلى رسوله مع أنه ما ثم شيء إلا الله وحده وأفضى به ذلك إلى الشك في القرآن نفسه ، فبدلاً من أن ينقذه الشيخ من هذه الورطة دفعه إلى ورطة أخرى أشد تعقيداً من السابقة ، حيث صرح له بأن الأمر مجاز لاحقيقة وقد أوردنا الرسالة التي كتبها محمد الثاني أول إلى الشيخ في هذا الأمر في بعض الفصول السابقة من هذا البحث في معرض كلامنا حول عقيدته ، ولكن نظراً لأن الموقف حساس جداً نشعر بضرورة إعادة نقلها ههنا والرسالة هي : —

بسم الله الرحمن الرحيم حمد قدرته لمشيئته وصلاة ذاته على صفته ورضى أحديته على مظهر واحديته : « أما بعد فقد أشكل علي الابن الجاهل هذه الأمور . ما كيفية أخذ جبريل الوحي عن الذات وإبلاغه إلى رسول الله ؟ قد جلت في جهلي مدة لطلبه ولم أدر وأيضاً تفكرت في مراد الحق في القرآن ولم أدر والسلام ولد روحكم وعبد حضرتكم محمد الثاني ابن محمد الأول .

فأجابه الشيخ بقوله : —

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الصديق الأكبر حق قدره ومقداره العظيم أما بعد فمن جبريل حتى تعرف حقيقته ، جبريل ومعناه عبدالله وحتى تعرف

هذا العبد فرغ من أي أصل ومن أي حضرة نبين لك سر الواسطة المجازية فالامر مجاز لا حقيقة ، القرآن صفة أرجو الله أن يرزقني وإياك الفهم منه بمنه فتفهم الصفة والاتصاف في الحضرات والسلام ابراهيم » (٦٠).

هذا ولا نريد أن نخوض في موضوع آخر قبل أن نعلق على كلام الشيخ في آخر الفصل الأول حيث صرح بأن هذا الفناء هو نهاية الصوفية الآخرين ، وهو مبدأ التجانيين ولا يقصد الشيخ بهذا الكلام أن التجانيين أعرف بعلوم التصوف الباطنة من بقية الصوفية الآخرين ، لا بل لما يريد أن يقول إن الصوفية إذا وصلوا في سيرهم الروحي إلى هذا الفناء حيث يظهر لهم أن الله هو كل شيء أو بعبارة أخرى أن العالم بأسره هو الله القديم الباقي ، يقفون إلى هناك ولا يتجاوزونه ويقولون « وإن إلى ربك المنتهى » وأما التجانيون فيتجاوزون ذلك إلى تأليه النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ التجاني والشيخ ابراهيم وإلى هذا يهدف الشيخ بقوله في نص الكتاب : « وإذا تجلت الذات تجلت بكمالها ولذلك المشاهد بمشاهدة التجلي في المحمدية يرى محمداً عين الذات ونفس الذات لأنه ما ثم غيره فالفرق في خاطر المشاهد لا في تبدل الحقيقة ...... والمشاهد في هذا المقام إذا طلب الله لا يجد إلا رسول الله ولا يجد سبيلاً إلى وجود سواه ..... وإذا تجلى محمد في الأحمدية تجلى بكماله فيشاهد المشاهد أحمد ويقول إنه عين محمد ونفس محمد إذ ما ثم بعد الله غير محمد إنما تقلب خاطر المشاهد ولا تبدل المرئي ولا تعدد فهو هو وهو هو لا فرق بينهما إلا الاتصاف والأمداد إذ هو الذي أخرجه الله ثاني إثنين وصاحبه الصديق الأكبر وباب مدينة العلم وهذه الحضرة هي حضرة الختمية والكتمية وهي حضرة سيدنا ومولانا أبي العباس أحمد بن محمد التجاني الحسني فهو برزخ الأقطاب وممد الكائنات وروحها وسرها بحيث لا يبرز شيء من الحقيقة المحمدية إلا وتلقاه من الأزل إلى الأبد ....ثم يشاهد تنزل حضرة الأحمدية في الحقيقة الرابعة وهي حضرة آدم أي آدم الأرواح عين أحمد ونفس أحمد وهذه الحضرة هي التي أشار إليها الشيخ رضي الله عنه بقوله لا ينال مني أحد شيئاً إلا بواسطة سيدي علي حرازم وقوله ما خلقت سواه وقوله هو مني بمنزلة أبي بكر من رسول الله ولا غرو أن يخلف هذا الرجل غيره فافهم فحقيقة هذه الحضرة أنها

ظل الشيخ في كل زمان ومكان والموجودات بأسرها مطوية في رجل تلك الحضرة وهكذا إلى أن قال وهذا لا يخرج إلا من مدد جسدنا ولا يفهمه إلا جسد مددنا والسلام . ويريد بهذه الحضرة نفسه (٦١). وإلى هذا أيضاً يشير السيد عبيدة التشيتي التجاني بقوله : « إن نهاية هذه الطريقة أي طريقة الساحلي الوقوف على حقائق المعارف الربانية من غير تصريح بمعرفة بعض أسرار الحقيقة المحمدية ، وما في معناه وأما الغاية في هذه أي الطريقة التجانية فهو ما أشار اليه الشيخ التجاني في آخر جوهرة الكمال ، من قوله « صلى الله عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه ».

٦ – لقد قسم الشيخ إبراهيم التجليات بين الله وبين النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ التجاني ونفسه فاعطى الله اثنين منها : وهو تجلي الأحدية والاحمدية (٦٢) ولكن لا ندري من هو أحمد هذا المنسوب إليه تجلي الذات الثاني أهو أحمد التجاني أو أحمد النبي صلى الله عليه وسلم ؟ والظاهر أنه يريد به أحمد التجاني حسب تفسير ابن عربي الحاتمي للأمر وخصوصاً إذا نظرنا إلى أن الشيخ التجاني كان ينقل جميع دعاويه من ابن عربي حرفاً حرفاً تقريباً يقول الحاتمي في كتاب فصوص الحكم : « وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء وما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم ، حتى إن الرسل لا يرونه – متى رأوه – إلا من مشكاة خاتم الأولياء فإن الرسالة والنبوة – أعني نبوة التشريع ورسالته – تنقطعان والولاية لا تنقطع أبداً فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء فكيف من دونهم من الأولياء؟ وإن كان خاتم الأولياء تابعاً في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع فذلك لايقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا إليه ، فإنه من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلى » (٦٣).

ولا أذهب هنا إلى تفسير كلام ابن عربي هذا لأوضح للقارىء مراميه ومقاصده لأن الكلام يطول وليس هنا محل بسطه ولكن أنظر إلى قوله : « ان الرسل لا يرونه – متى رأوه – إلا من مشكاة خاتم الأولياء الخ) . وانظر أيضاً إلى قوله : « فإنه أي خاتم الأولياء من وجه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلى » . ترى أنه بالضبط

تفسير لما ذكرنا ولكثير من أمثاله مما سيأتي أو مضى .

ثم أعطى النبي صلى الله عليه وسلم التجلي الثالث وهو قوله : ثم تتجلى في المحمدية لحقائق الأنبياء والمرسلين وسر الكائنات ثم أعطى أحمد التجاني التجلي الرابع بعد استحقاقه للثاني وقال : « ثم تتجلى في الأحمدية للاقطاب والعارفين ثم أعطى لنفسه التجلي الخامس وقال : « ثم تتجلى في الخليفة عبد الذات للانس والجن وحقائق سائر الكائنات لعله أتى بذلك التجلي الثاني أو بعبارة أخرى يأتي التجانيون بذلك التجلي ليفسروا رأي الحاتمي في خاتم الأولياء السابق أنفاً فقط وإلا فإن الحقائق أربع كما قررها وهي الهاهوت للذات وحدها واللاهوت للحقيقة المحمدية والجبروت للحقيقة الأحمدية التجانية ثم الملكوت للخليفة عبد الذات الذي هو ظل الشيخ التجاني في كل زمان ومكان (٦٤).

والظاهر أن تسمية هذه الحضرات باسم النبي صلى الله عليه وسلم.والشيخ التجاني وخليفته من اختراع الشيخ ابراهيم أو من اختراع أشياخه أو كان مأخوذاً من الشيخ التجاني رأساً تفسيراً لمقام خاتم الأنبياء وخاتم الأولياء لأن الأمر لا يظهر بوضوح إلا من طريق هذه التجليات ، ثم لا بد أن يكون الأمر متداولاً سراً لأن من لم يترب حتى وصل إلى إدراك سر وحدة الوجود لا يستسيغه ، وأما الذي وصل إلى ذلك فلا يتردد أبداً في تأليه الشيخ التجاني أو النبي صلى الله عليه وسلم كما هو مشحون في كتبهم وهذه الحضرات وأسماؤها قد أخذها التجانيون من الطريقة السهروردية من طريق كتاب جواهر الخمس وشرحه ولذلك تسربت بعض عقائد تلك الطريقة إلى التجانية مثل استحضار المريد صورة الشيخ عند الورد وأنه بين يديه ويستمد منه وهلم جرا »(٦٥).

بل إن الدلائل تشير إلى أن التجانيين أخذوا تسمية هذه الحضرات باسم المشائخ من هذا الكتاب أيضاً من طريق مباشر أو غير مباشر لأنك في الجزء الأول منه تجده يقول : « ثم يصلي ركعتين لروح حضرة سلطان الموحدين ويقول يا ظهور الحق تسعة وتسعين مرة ويستمد من حضرته أيضاً » (٦٦) ألا ترى أن كلمة ظهور الحق هي نفس تسمية التجليات الذاتية بأسماء الأشخاص ؟ ولكن الظاهر الواضح أن هذا الكتاب لم ينسب شيئاً من هذه الحضرات إلى النبي ولا إلى الشيخ الشهاب السهروردي

ولا إلى أحد أشياخ الطريقة السهروردية ، وإنما قصرها على تجليات الذات حسب النسب والوجوهات فقط (٦٧) وكذلك جميع المشائخ الصوفية الذين قرأت عنهم ما نسب أحد منهم هذه الحضرات إلى أي شخص بل قصروها كلهم على تجليات الذات بالتدريج ليبينوا كيف صدر المخلوقات من الله فإن أصل الفكرة من الإغريق ثم أخذها فلاسفة المسلمين مثل الفارابي وابن سينا ومن على شاكلتهم ثم أخذها الصوفية وخلطوها بفكرة وحدة الوجود الهندوسي فصارت علماً مستقلاً متكامل الأجزاء وأول من أظهر ذلك في التصوف هو أبو المغيث حسين بن منصور الحلاج (٦٨) :

٧ – يقول الشيخ وبعد شهوده – المريد – تنزل الحضرة الثالثة في آدم الأرواح وانفصال العوالم منه يدور في العوالم العلوية والسفلية والعينية والغيبية بروح مكتس بذات نورانية ويدور بعد ذلك في غيوبات ليس فيها شيء غير الله وليس فيها الله فيقع في الدهشة والحيرة فيتعلق بالأسماء والصفات فيشاهد التجليات أسماء وصفات حتى يظن جزماً أن الله تعالى لم يتجل بغير الأسماء الخ وختم قوله في ذلك ممثلاً ببيت أمرء القيس :

وقد طوفت بالآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب (٦٩)

معنى هذا أن هذا المريد الذي شاهد تجلي الهاهوت الذي هو محض الذات في اللاهوت التي هي حضرة الحقيقة المحمدية وتجلي اللاهوت في الجبروت التي هي حضرة الحقيقة الأحمدية التجانية وتجلي الجبروت في الملكوت التي هي حضرة الشيخ ابراهيم الذي هو المراد بآدم الأرواح ثم تجلي الملكوت في الناسوت التي هي حضرة التشتيت أي حضرة ظهور الكثرة والكثافة وهو مراده بقوله ويشاهد كيف انفصل العوالم منه وهذه التجليات كلها عبارة عن تغير الأسماء في ذهن المريد والمسمى واحد فحضرة التشتيت هي نفس حضرة الملكوت وهي نفس حضرة الجبروت وهي نفس حضرة اللاهوت وهي نفس حضرة الهاهوت ثم يدور بفكره في العالم العلوي والسفلي وفي الأشياء المرئية وغير المرئية فيختلط عليه حيث يرى حسب ما رباه عليه الشيخ أن العالم هو الله وأما حسب ما كان يعرفه بالبديهة الفطرية التي لا تتبدل ولا تتغير أن العالم ليس هو الله قطعاً فيقع جراء ذلك في حيرة عظيمة ويندهش حيث لا يبقى له من جميع معلوماته السابقة شيء ثابت في ذهنه إلا الأسماء والصفات فقط فيقطع بأن الله لم يتجل بغير الأسماء أي

ليس لله وجود إلا في الاسماء فقط فمثل لذلك بالبيت السابق آنفاً .

معنى ذلك أن كل ما اكتسبه المريد في التربية من الجذب والفناء ومشاهدة التجليات قد باءت بالفشل بالنسبة لعلم ذات الله ولذلك رجع إلى ما كان عليه أولا من اعتقاد أن العالم شيء والله شيء آخر وليس له ظهور إلا في الذهن والاسماء والصفات والأفعال فقط .

هذا لا شك يصدق ما قررنا في التعليق الرابع من أن الاعتقاد بأن الله هو هذا الكون هو الوهم بعينه وإلا أليس كلام الشيخ هذا تصريحاً منه بذلك .

٨ ـ قال الشيخ : « وهذه التشكلات الخمسة أصل الأسرار والحقائق والاسماء فجاءت الأسماء في السبع المثاني خمساً الله الرب الرحمن الرحيم الملك والحضرات خمساً الناسوت والملكوت والجبروت واللاهوت والهاهوت والقواعد خمساً وأولو العزم خمساً والحواس خمساً والجهات خمساً وأصل الزكاة خمساً ورمضان خمس خمس » (٧٠).

ولكننا لا نعرف كيف كانت الجهات خمساً ولم يبين الشيخ لنا وجه ذلك وهي حسب علمنا ست كما وضعها الله وعرفت بداهة وكذلك لم يبين الشيخ لنا كيف كان أصل الزكاة خمساً والزكاة حسب علمنا نوعان زكاة الرأس وهي صدقة الفطر وزكاة المال وهي متفرعة إلى ستة أضرب وهي : ـ

١ ـ زكاة الحيوان .

٢ ـ زكاة النقدين (الذهب والفضة).

٣ ـ زكاة النبات (الزرع والثمار).

٤ ـ زكاة التجارة .

٥ ـ زكاة الركاز .

٦ ـ زكاة الدين (٧١).

وكذلك لا نعرف كيف كان رمضان خمساً خمساً وما بين الشيخ وجه ذلك وصوم

رمضان فيها نعلم لا يعتبر فيه عدد الأيام إلا إذا غم الهلال وإلا فالمعتبر فيه استهلال الهلال فقط سواء كمل عدة أيامه ثلاثين أم لا .

ثم إن هناك من الأمور الشرعية والدينية ما لم تكن خمساً الحج والعمرة مثلا فكلاهما يجب مرة في العمر ثم إن أركانهما لم تكن خمساً وأكثر الاعمال فيهما سبعة مثل الطواف والسعي ورمي الجمار وقواعد الايمان ستة لا خمسة وكلمة الشهادة متكونة على أربع كلمات والبسملة كذلك متكونة على أربع كلمات أو ثلاثة أسماء .

ونحن نفهم أن الشرع يتحرى الوتر في كثير من الأمور الدينية ومن أجل ذلك جاء بعضها ثلاثاً مثل صلاة المغرب والشفع والوتر ونحوهما وبعضها خمساً مثل ما ذكره الشيخ وبعضها سبعاً مثل بعض أعمال الحج كما ذكرنا آنفاً وبعضها وضعت شفعاً مثل بقية ركعات الصلوات المفروضة وغيرها .

وهذا لا يعني أبداً أنني أنكر أن التشكلات الخمسة هي أصل الاسرار كما قررها الشيخ لأنه أمر يخصه ولا شأن لي به .

٩ ـ يقول الشيخ عند انتهائه لمناقشة بعض الموضوعات هذا ما أملاه على الوارد(٧٢) ومعنى ذلك أنه يكتب من ذاكرته من دون أن يعتمد على الكتاب أو يرجع إلى المراجع والظاهر أن الأمر كذلك فلا يراجع ما كتبه على النصوص الأصلية ليحققه ومن أجل ذلك كان يخطىء في النقل أحياناً مثل قوله : « فاذكروني لا اله إلا الله » (٧٣) فما وجدت آية في القرآن بهذا الوضع ولكن ليس هذا الخطأ في النقل هو العجيب والعجيب هو بقاؤه في الكتاب من دون إصلاح إلى الآن فمثلاً أنه ألف الكتاب في ١٣٥٢ هـ وهو ابن اثنين وثلاثين سنة من عمره وجاء إلى نيجيريا سنة ١٣٦٤ هـ وهو ابن أربع وأربعين من عمره المدة بين تأليف الكتاب وبين دخوله نيجيريا تبلغ ١٣ سنة تقريباً وهي مدة كافية لإعادة النظر فيه وإصلاح الأخطاء الواقعة فيه لقد اعتمدت في تحقيق الكتاب على ثلاث نسخ مختلفة من الكتاب وجدت واحدة في أزري من بيت الشيخ آدم الدمغراوي وواحدة من بيت الشيخ أحمد التجاني بن عثمان وعليها توقيعه وواحدة كتبت في كولخ بإذن الشيخ نفسه وتحمل توقيعه أيضاً والنسخ الثلاثة كلها أنفقت على هذا النقل .

١٠ – قال الشيخ ويوم واحد من أيامه – الله – كألف سنة مما تعدون وذلك هو أيام الله التي أمر بالتذكير بها قال جل وعلا وذكرهم بأيام الله وتلك الأيام. مشتركة لأيام الدنيا فأهل الدنيا في أيام الدنيا وأهل الله في أيام الله (٧٤).

فهذه الأيام عند الشيخ هي تفسير لما جاء في سورة السجدة من قوله تعالى: « يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون »(٧٥) وما جاء في سورة الحج: « ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون ..(٧٦).

كأن الشيخ يريد أن يخبرنا هنا بأن هذا اليوم الذي أخبر الله به رسوله أن مقداره كألف سنة هو نفس الأيام التي أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يذكر قومه بها (٧٧) إلا أن ذلك مفرد وتلك جمع ثم قال الشيخ: « وهذه الأيام مشتركة لأيام الدنيا فأهل الدنيا في أيامهم وأهل الله في أيام الله.

معنى ذلك أن يوم الدنيا الذي هو يومنا هذا يسير جنباً إلى جنب مع أيام الله تلك، والظاهر أنه يريد ذلك لأنه مكث في واقعته الفاً وثلاثمائة ألف سنة في مدة مقدارها ما بين الشفع والوتر (٧٨) إذا كان الأمر كذلك فيترتب عليه أمور منها: –

١ – إن تلك الأيام التي أمر الله نبيه موسى أن يذكر بني إسرائيل بها هي نفس يوم الله الذي أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه كألف سنة من سنواتنا إلا أن هذا مفرد وتلك جمع كما مر.

٢ – إن هناك تناقضاً في كلام الشيخ فإنه قال في أول كلامه: « ويوم واحد من أيامه أي الله كألف سنة مما تعدون، وذلك هو أيام الله الذي أمر بالتذكير بها ثم قال أخيراً وتلك الأيام مشتركة لأيام الدنيا فأهل الدنيا في أيام الدنيا وأهل الله في أيام الله فهذا يقتضي كما قررنا آنفاً أن تلك الأيام تسير جنباً إلى جنب، وهو موضع التناقض لأن معناه أن الآية تدل على معنى والعمل الواقعي التجريبي يدل على خلافه، فمثلاً إن الآية تقول إن يوماً واحداً من أيام الله يفوق أيامنا بألف سنة من سنواتنا وأما تجارب

الشيخ فقد أسفرت عن أن الأمر بالعكس حيث وجد أن يوماً واحداً من أيامنا الدنيوية هذه أطول من أيام الله بملايين السنين لأنه حسب ما قرره في الكتاب قد مكث في واقعته ألفاً وثلاثمائة ألف سنة من أيام الله في مدة مقدارها ما بين الشفع والوتر في مقدار خمس دقائق من ساعتنا الدنيوية لا من ساعة الله ولو كانت أيام الله هي أطول لمكثنا نحن مئات السنين في مقدار دقائق يسيرة من ساعة الله عكس ما دلت عليه تجارب الشيخ .

الناظر لكلام الشيخ عبد الكريم الجيلي حول أيام الله هذه من أول وهلة يذهب إلى أنه يتفق مع الشيخ ابراهيم في الجزء الأخير من كلامه الأخير حيث قال : « فأهل الدنيا في أيام الدنيا وأهل الله في أيام الله » (٧٩). وقال الجيلي : « أيام الحق هي تجلياته وظهوره بما تقتضيه ذاته من أنواع الكمالات » (٨٠).

ومن شأن هذه التجليات أن تم في دقائق يسيرة فمن هذه الناحية اتفق مع الشيخ ابراهيم إلا أن البون مع ذلك لا يزال شاسعاً بينهما حيث إن الجيلي لا يعني بأيام الله الأيام التي في قوله تعالى : « وذكرهم بأيام الله » ولا التي في قوله « إن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون » وإنما يعني بها الأيام التي في قوله تعالى كل يوم هو في شأن فمجموع هذه الأيام التي كان الله فيها في شأن هي أيام الله عنده وهي التي فسرها بتجليات الله بينما يقرر الشيخ ابراهيم بكل تأكيد أن أيام الله هي التي قال الله في وصفها كألف سنة مما تعدون وبالتالي هي التي أمر بالتذكير بها .

إذا كان الأمر كذلك فإن الخلاف إذن يدور بين الشيخ ابراهيم وبين المفسرين ، يرى الشيخ ابراهيم أن معنى هذه الأيام المنسوبة إلى الله واحد وهو هذه الدقائق اليسيرة التي تستغرقها خواطر شيوخ الطرق الصوفية في ملاحظة تجليات الذات كما يقولون المقدر عندهم بألوف السنين بينما يذهب المفسرون إلى أن هذه الأيام المنسوبة إلى الله جاءت لأسباب مختلفة فمن أجل ذلك لا بد أن تختلف معانيها حسب اختلاف الظروف والأوضاع المحيطة بها فمثلاً إن جميع المفسرين الذين قرأت عنهم يكادون يتفقون على أن المراد بأيام الله في قوله تعالى : (وذكرهم بأيام الله) هو نعمة ومحنة ومنهم من يقتصر على النعم مثل السيوطي ومحشية الصاوي (٨١) وابن كثير (٨٢) ومنهم من يميل إلى أنها وقائع الله في الامم الماضية مثل إهلاك قوم نوح وعاد وثمود

ووقائع أيام العرب في الجاهلية ثم يأتي بعد ذلك ببعض الآراء على سبيل الاحتياط مثل عبدالله بن فودي (٨٣) والزمخشري (٨٤) ومنهم من روى الآراء جميعها على حد سواء مثل القرطبي (٨٥) ولعل خير من مثل رأيهم جميعاً هو الزمخشري حيث قال: « وذكرهم بأيام الله ». وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم مثل قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس رضي الله عنهما نعماؤه وبلاؤه فأما نعماؤه فإنه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر وأما بلاؤه فإهلاك القرون » (٨٦).

وأما اليوم الذي كان مقداره ألف سنة الذي جاء في سورة الحج فإنهم اختلفوا فيه وأكثرهم على أن المراد به يوم من أيام الآخرة وللزمخشري هنا رأي وهو أن اليوم الواحد عند الله كألف سنة عندنا كأنه يريد أن يقول إن الله قد قدر لنا يوماً وقدر لنفسه يوماً ويومه أطول من يومنا بمقدار ألف سنة (٨٧) وقد روى القرطبي عن ابن عباس رأياً يؤيده فقال: « قال ابن عباس ومجاهد يعني من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض » (٨٨).

٣ - ينتج من جميع ما تقدم أن أيام الله عند المفسرين هي إما وقائعه في الامم الماضية أو نعمه التي أسبغها على بني اسرائيل أو أيام الآخرة أو هو اليوم الخاص بالله تعالى يجري فيه أموره أو هو مقدار المسافة التي يقطعها الملائكة في الهبوط والصعود إلى الملك العلام أو هو يوم القيامة وهلم جرا وأما عند الشيخ ابراهيم فإن أيام الله هي مقدار الوقت الذي يستغرقه العارف في التفكر لمشاهدة تجليات الله.

١١ - قال الشيخ إنه وقف على سؤال وجهه الشيخ عمر في التجاني عن سر النكاح الذي أمر الله به في قوله تعالى فانكحوا فأجابه عنه بأن الله كان ولا شيء معه متصفاً بجميع الصفات والكمالات الإلهية فأحب سبحانه وتعالى حيث لا محب ولا محبوب سواه، فوقعت الإفاضة منه إليه سبحانه فوجد سره سيد الوجود ومدد الوجود ونور الوجود ووجود الوجود ومنه برز النور الذي منه جميع الموجودات..» (٨٩).

هذا السؤال وإن كان فيه مسحة من التكلف إلا أنه ربما كان منشؤه الجهل بسبب

نزول الآية فبدلاً من أن يجيبه الشيخ حسب ما كان مقرراً في التفاسير ذهب يبين له أصل الاثنينية من طريق العرفان الصوفي الفلسفي فبين أن الله تعالى لما أحب أن يوجد المخلوقات وقعت الإفاضة منه إليه فوجد سيدنا محمد فبرز منه جميع المخلوقات .
وهذا هو نفس ما قاله الحلاج في كتابه (الطواسين) : « وفي الأزل حيث كان الحق ولا شيء معه نظر إلى ذاته فأحبها وأثنى على نفسه فكان هذا تجلياً لذاته في ذاته ، في صورة المحبة المنزهة عن كل وصف وكل حد وكانت هذه المحبة علة الوجود ، والسبب في الكثرة الوجودية ثم شاء الحق سبحانه أن يرى ذلك الحب الذاتي ماثلاً في صورة خارجية يشاهدها ويخاطبها فنظر في الأزل وأخرج من العدم صورة من نفسه لها كل صفاته وأسمائه وهي آدم الذي جعله الله على صورته أبد الدهر ولما خلق الله آدم على هذا النحو عظمه ومجده ، واختاره لنفسه وكان من حيث ظهور الحق في صورته فيه وبه ، هو هو » (٩٠).

فإن أصل هذه النظرية منقولة من الأفلاطونية الجديدة ولكن ليس من الميسور أن نشرح نظرية الأفلوطنية هذه في كيفية صدور العالم من واجب الوجود كما كانت تسمى الله وكيفية العلاقة بين المحرك الأول الذي لا يتحرك وهو واجب الوجود وبين الهيولي والصورة لأنها نظرية في غاية التعقيد يحتاج شرحها إلى كلام طويل ممل ولذلك نلخص ما شرحه الفارابي في رسالة نسبها إلى زينون الكبير قال : « لم يصدر منه أي واجب الوجود ما لا يلائمه ولا يقال إنه فعل ليكمل بفعله يعني أن الفعل أولى له وأليق به فإن ذلك يقتضي أن يكون ناقصاً استكمل بفعله وذلك لا يجوز على الباري تعالى :

الله هو العقل الأول ، فعقل نفسه فصدر منه عقل آخر له إمكان وجود من ذاته ، ووجوب وجود من غيره ، وهو مبدأ الاثنينية وذلك الثاني عقل الأول ، وعقل ذاته ، وبعقله للأول وجب عنه إشراق وبعقله نفسه صدر عنه صورة لها تعلق بالمادة ونفس الفلك وهو مبدأ التثليث لأن العقل الثاني الذي علامته (ب) عقل ذاته وذات مبدعه كما ذكرنا فحصل منه عقل بتعقله المبدع الأول ونفس فلك بتعقله ذاته . وذاته أي الثاني ليست واحدة بل لها جهة لأنه عقل مبدعه واحداً حقيقياً وعقل ذاته بهيئة لها

وجود ، ثم عقل الثالث الذي علاقة (ج) المبدع الأول تعالى وذاته فحصل منه عقل ونفس الفلك الذي فيه الثوابت وجرم الفلك ثم عقل الرابع الذي علامته (د) الأول والثاني والثالث فحصل منه عقل علامته (ه) ونفس علامتها (ح) وهو فلك زحل وجرم الفلك حتى انتهى ذلك إلى العقل الفعال الذي يقال له معطى الصور وهو يعقل الأول على الدوام ويعقل ما دون الأول على الدوام فتصدر عنه النفس الناطقة بعقله الأول وبعقله ما دون الأول على الدوام يجب عنه الصدور والنفوس الفلكية تعاضده بأن يهيىء للقبول منه أسباباً كما أن الطبيب لا يعطي الصحة وإنما يهيىء لقبول الصحة أسباباً » (٩١).

لعلك تدرك معي هنا أن النظرية أصلها إلحاد مضاد لعقيدة الاسلام ، ومع ذلك فإن الحلاج أقرب إلى الصواب من الشيخ ابراهيم ، حيث وافق القرآن والسنة والاجماع في أن آدم هو أول من خلقه الله من الناس ، أو صدر منه حسب عقيدة الحلاج .

وأما القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول إنسان خلقه الله أو أوجده الله كما قال فإنه يعتبر مكابرة للقرآن والسنة واجماع الامة الاسلامية ، بل هو استخفاف بعقول المسلمين خاصة وبالرأي العام العالمي عامة . وأما القول بأن العالم قد صدر منه صلى الله عليه وسلم فهو جنون لا شك فيه إذ لا علاقة له بالدين ، ولا يؤيده العقل البشري ، وإنما هو مكيدة إلحادية أهدافها إنكار نبوته صلى الله عليه وسلم ، والإيمان بالنظرية الفلسفية كما سنبينه عن قريب إن شاء الله تعالى ، قال الله تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم : « قل إنما أنا بشر مثلكم » (٩٢). وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا سيد ولد آدم » (٩٣).

وقد ذكرتني إجابة الشيخ هذه قصة طريفة رواها الاستاذ أحمد حسن الزيات في كتاب الموسوم بـ (في أصول الأدب) أن شيخاً كبيراً كان يفسر كتاب الله وهو لا يحفظه فرأى قوله تعالى : « إذ يبايعونك تحت الشجرة ». فقرأها : « أذ ثبايعونك » وكتب في تعليلها وتأويلها أربع صفحات من القطع الكبير بالحرف الصغير » (٩٤).

وإلا فإن هذه الآية تخاطب المسلمين عامة ، يستوي في مدلول خطابها العالم والعامي ،

والشريف والوضيع ، والشيخ والمريد ، ولم يخص صنفاً معيناً من المسلمين ، بل لم يخرج من هذا الخطاب الرباني أحد إلا النبي صلى الله عليه وسلم وحده ، حيث أباح الله له أن ينكح أكثر من أربع حرائر ، وأباح له أيضاً أن ينكح المرأة بدون مهر إن وهبت نفسها له (٩٥).

فكيف إذن نجد الشيخ يذكر : أن من جمال الله ما إذا شاهده الكامل شوقه إلى الإتصال بالمحبوب » .... ولا ترى كاملا قوي النور إلا راغباً في النكاح ، وهم سلموا من رق الشهوات ومتابعة الهوى » (٩٦).

الكامل وغير الكامل في الاندفاع تحت تأثير الشوق إلى الاتصال بالمحبوب سواء. وكذلك لا يسلم من رق شهوة النساء أحد ، إلا الحصور الضعيف ، والفرق بين الصالح والطالح ، هو أن الصالح لا يستعمل شهوته إلا في الحلال ، والطالح يسير وراء هواه لخلوه من الوازع الديني الذي يكفكف له غرب شهوته من الداخل .

١٢ – قسم الشيخ أتباع الطريقة التجانية إلى أربعة أقسام ثم جاء أخيراً بصنف آخر وقال : « لا ناقة لهم في الطريقة ولا جمل ، وهم من لا سلوك لهم ولا جذب ». فاستعاذ بالله منهم ثم استمر قائلاً : « فهم وإن أخذوا الطريق فأخذاً فقط لا تجانيون عسى الله أن يرحمهم إن رزقوا محبة الشيخ التجاني » (٩٧).

لعله يقصد بكلامه هذا أن كل من أخذ الطريقة ولم ينتظم في سلك أتباعه وفر إليه معتقداً أنه كامل العصر ولزم الادب بين يديه وسلب الإرادة معه ، وسلك طريق تربيته ، حتى وصل إلى مقام الفناء والجذب ، فليس بتجاني لأنه هو خليفة الشيخ التجاني وكل من أعرض عنه فكأنما أعرض عن الشيخ التجاني » (٩٨).

ولعل الشيخ يعني بالمحبة التي يتمنى أن يرزق هؤلاء الذين لا ناقة لهم في الطريقة ولا جمل ، هي محبة خاصة باطنية عميقة ، لا نعلمها ولا نفهمها لأنه لا يتصور أن إنساناً عاقلاً كامل القدرة والاختيار ، يقدم على أخذ طريقة صوفية ولا يحب مؤسسها بل لا يتصور أن يأخذ الانسان طريقة وليس مدفوعاً من طريق أو آخر إلى ذلك بحب مؤسسها وإعجابه بمواهبه .

ثم إن الشيخ بهذا الكلام قد ناقض نفسه بنفسه لأنه قد روى لنا عن شيخه الحاج عبدالله ولد الحاج العلوي أن هناك في غنار ملكاً كافراً فاسقاً ظالماً اغتصب زوجة أحد رعيته وعاشرها معاشرة غير شرعية طول حياته حتى مات على ذلك من غير إسلام ولا توبة فدخل الجنة مع كفره وفسقه وظلمه فوجد أن سبب ذلك أن تلك المرأة الفاسقة إن لم نقل كافرة لمعاشرتها الكافر طول حياتها وهي ذات زوج قد أخذت الطريقة التجانية ولكن لا تقرؤها كسلا لا رفضاً » (٩٩).

وإذا كان الكافر الفاسق الظالم قد دخل الجنة من أجل معاشرته الغير الشرعية لامرأة أخذت الطريقة التجانية أخذاً فقط ولا تقرؤها فكيف بالذين أخذوا الطريقة بالإذن الصحيح بالسند المتصل إلى الشيخ التجاني ويقرؤونها ويجلسون كل يوم في حلقة وظيفتها هذا مع أن الشيخ نفسه قد قرر في الفصل الأول من هذا الكتاب أن المريد الذي أخذ الطريقة التجانية سواء انطمس ملقنه في الشيخ التجاني وقت التلقين أم لا يقوم حراً في نفسه حيث يشعر بأنه مريد للشيخ التجاني وحده لا للملقن لأنه قال : « من يعرفني يعرفني وحدي » . (١٠٠) وعلاوة على ذلك فإن الشيخ التجاني لم يشترط لأخذ ورده أن يكون المريد سالكاً بهذا النوع من السلوك الذي رتبه الشيخ إبراهيم بل إنه أكد أن من أخذ طريقته وانتظم في سلك أتباعه يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عمل في الذنب كل جريمة (١٠١) الأمر الذي فسره شيخه بقصته الماضية آنفاً تفسيراً جلياً واضحاً .

وهناك أيضاً مواضع أخرى في الكتاب تحتاج إلى التعليق إلا أنها طفيفة ولذلك اكتفينا بهذه لأهميتها ولأن دراستنا للكتاب تغني عن تلك .

خـــاتمة

هذا آخر ما وفقنا الله لتقريره من هذه التعليقات التي أجريناها على كتاب السر الأكبر والنور الأبهر تأليف الشيخ ابراهيم إنياس السنغالي التجاني ، ولا شك أن هذا الكتاب يشهد بصدق على ما قررنا في الباب التاسع من هذا البحث من أن أصول أفكار الشيخ ابراهيم ومصادر تعاليمه مستقاة من صميم تعاليم غلاة الشيعة الباطنية وإن كان هو نفسه يرفض ذلك بكل ما يستطيع به من قوة ، ويقرر بالتالي أنه هو وأتباعه سنيون مالكيون أشعريون ليس إلا (١٠٢) مثل جميع مسلمي غرب أفريقيا إلا أن كتابه هذا الذي بين أيدينا يشهد بكل صراحة على أنه باطني في عقيدته علم ذلك أو لم يعلم ، رضي أو لم يرض ، ومن أجل ذلك نأتي بأمثلة أخرى زيادة على ما قدمنا في الباب التاسع من هذا الكتاب التي تبرهن على أن الطريقة التجانية مبنية على أساس عقيدة الباطنية .

١ ـ إن الباطنية يعتقدون بوجود إلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني كما هو في أصل عقيدة المجوس (١٠٣) وقال الشيخ التجاني في جواهر المعاني : « تفكرت في اختصاص سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بيوم الاثنين فتبين أنه لما كان هو الوجود الثاني ولم يتقدمه إلا الوجود القديم وكذلك هذا اليوم هو الثاني من الأيام ولم يتقدمه إلا يوم الأحد » (١٠٤) .وقال الشيخ إبراهيم في هذا الكتاب : « إذا تجلت الذات تجلت بكمالها ، ولذلك المشاهد بمشاهدة التجلي في المحمدية يرى محمداً عين الذات ونفس الذات لأنه ما ثم غيره ، فالفرق في خاطر

المشاهد لا في تبدل الحقيقة ولا تعددها (١٠٥) .

٢ – تقول الباطنية إن الإله الأول الذي كان علة الوجود الثاني لا يوصف بوجود ولا عدم ولا هو موجود ولا هو معدوم ولا هو معلوم ولا هو مجهول ولا هو موصوف ولا غير موصوف (١٠٦) وقال الشيخ التجاني في جواهر المعاني : « وأما مرتبة الأحدية فهي مرتبة كنه الحق وهي الذات الساذج التي لا مطمع لأحد في نيل الوصول إليها وتسمى حضرة الطمس والعمى الذاتي » (١٠٧) وقال الشيخ ابراهيم في هذا الكتاب : مرتبة الأحدية أقدم قدم ، أحدية مطلقة ، أحدية واحدية ، مكنون المكنون ، أحدية صرف حق الحق ذات بحت وجود بحت ، عدم العدم ، الذات الصرف ، ذات بلا تعدد بطون البطون ذات ساذج ، وجود مطلق ، مجهول النعت » (١٠٨) بل قد صرح الشيخ التجاني بلفظ الباطنية مقرراً أنه هو عين التوحيد في قوله : « فان قلت : « لا معلوم ولا مجهول ولا موجود ولا معدوم هو عين التوحيد قلنا بنفس ما علمت » (١٠٩) قال ذلك في معرض كلامه في إبطال توحيد أهل السنة المعتمد على النقل والعقل .

٣ – تنكر الباطنية إرسال الرسل ، ووجود الملائكة ، ونزولها بالوحي من السماء ، بالأمر والنهي والشرائع كلها (١١٠) وقال الشيخ ابراهيم في هذا الكتاب إن المجذوب الذي فني في ذات الله وأدرك أن كل شيء هو الله كافر شرعاً لنفيه الأسماء والصفات وقتله الأنبياء وهو المؤمن حقيقة (١١١) وقد ناقشنا ذلك في التعليق بشيء من التفصيل (١١٢) ولا تنسى أيضاً إجابة الشيخ لسؤال تلميذه حيث قرر له أن جبريل مجاز لا حقيقة وأمثال ذلك كثير جداً ، وبإمكان كل باحث أن يرد جميع تعاليم الطريقة التجانية ومبادئها إلى أصلها الباطني بكل سهولة .

ولكن الراجح أن الشيخ ابراهيم كما قدمنا لا يعرف أن هذه التعليم والعقائد التي يدعو اليها هي من صميم عقائد غلاة الشيعة الاسماعيلية الباطنية وإنما يظن كما ظن كثيرون غيره من شيوخ الطرق الصوفية أن هذه التعاليم التي يأخذونها عن مشايخهم سراً هي المعارف الإلهية السامية التي لا يفتحها الله إلا على خواص أولياء المرضيين عنده. وربما انتهز الشيطان فرصة قوته الروحية وإيمانه المطلق الذي لا تردد فيه ، بأنه هو

القطب الغوث ، وكامل العصر ، وخليفة الله على أرضه ، بحيث أن كل من رفض دعوته لا يعتبر مسلماً ، فضلاً من أن يكون تجانياً — فجعل يظهر له أحياناً موهماً له أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أشعاره وأقواله كما سبق أن قررنا ما يوحي إلى أنه يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه من مثل قوله :

وما قلت هذا دون إذن وإنني لأكتم سراً لا يباح لغيريا (١١٣).

وإلى ذلك الاشارة أيضاً بقوله : « فاعلموا أني ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سمعت من لسان من لا ينطق عن الهوى أن لا يضرني مخلوق أصلاً كائناً من كان » (١١٤) بل قد صرح بذلك عندما كان في المستشفى بباريس في مرض موته كما تقدم أيضاً حيث قال : —

رأيت رسول الله جهراً ويقظة بباريس هل ذاك المحل محله (١١٥)

أضف إلى ذلك كله ما تمكن من التقليد الأعمى الذميم في نفس علماء المسلمين حتى العلماء الكبار منهم من تقليد الآباء والأجداد والعلماء والمشايخ على ما ذهبوا اليه من غير تفكير ولا ترو ومخافة مخالفتهم على ما يظهر من خطئهم ولا سيما في ما يمس علوم الصوفية ومباحثهم الباطنة التي أشاعوا أنها من علوم الاقطاب والعارفين من الأولياء الكبار ولا ينكر شيئاً منها إلا من طبع الله عليه بخاتم الكفر والضلال ، ثم إنه — والحق يقال — يصعب على مثل الشيخ ابراهيم أن يحطم هذه القيود الدعائية ويحرر نفسه من هذه الخرافات التي لا طائل تحتها بل لا أهداف لها أكثر من الاستيلاء على أموال العوام والبسطاء وتخدير عقولهم ، لترُوج فيها هذه الدعاوى الباطلة ، لما يترتب على ذلك من هدم صرح كيان أسرته ومجدها الذي قاسى عناء شديداً ، ومشقة عظيمة في إقامتها ، هذا كله فضلاً عما لا محيص من حدوثه وهو انقلاب الأحباء أعداء ، وما يترتب عليه أيضاً من اجتياز محنة ربما تكون أشق من الأولى ، وهو قد تقدمت به السن وخارت قواه ولا يحتاج إلا إلى الراحة ولذلك عاش بقية حياته في تقية ظاهرة إذا اجتمع مع دعاة الاسلام من الخبراء المسلمين في العالم الاسلامي يتحاشى عن التصريح بأنه هو وأتباعه تجانيون أصلاً ، وإذا خلا مع أتباعه يمضي في بث تعاليمه التجانية عليهم غير مكترث (١١٦) .

وإن دل كل هذا على شيء فإنما يدل على صدق ما قاله شيخ الاسلام عبد القاهر البغدادي الاسفرائيي في كتابه الفرق بين الفرق : « اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة الباطنية من وقت ظهوره دعوتهم إلى يومنا أكثر من الذين يضلون بالدجال في وقت ظهوره لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوماً وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر (١١٧).

هذا يفضي بنا إلى ظاهرة هامة لا يسعنا إغفالها في هذا الصدد وهي أن هؤلاء الباطنية عندما أسسوا أول دولة لهم في المغرب باسم الفاطميين أسسوها مع جميع مبادئهم من التعاليم والعقائد فبقيت هذه المبادىء بعد زوال دولتهم تسري في عقول جماهير المسلمين سريان الغذاء في الاجساد ، ويؤيد ذلك ما رواه السيد أحمد توفيق عياد في كتابه (التصوف الاسلامي) أن هناك مخطوطاً بدار الكتب المصرية بالقاهرة بعنوان (رسائل الحاكم بأمر الله والقائمين بدعوته) كما يوجد أيضاً مخطوط آخر في أربعة مجلدات بالمكتبة الأهلية بباريس بعنوان (المشاهد والاسرار التوحيدية لمولانا الحاكم) ودل مضمون هذه المخطوطات على أن الفاطميين قد بنوا أمرهم على آراء فلسفية مصدرها عقائد الباطنية والمعتزلة ، والفلسفة هي أساس التشريع عندهم ، وحلت في عهد الحاكم بأمر الله محل القرآن والسنة كما يتضح في هذه المخطوطات أيضاً مدى ما وصلت إليه الدعوة الباطنية في الديار المغربية والمصرية حينئذ وكيف كانت هذه الدعوة تعمل في عقول الأهالي حتى تجاسر الحاكم بأمر الله أن يدعي الألوهية ويقول إن الله قد تجسم فيه » (١١٨).

وهل كان هناك فرق بين دعوى الحاكم أمير الباطنية في المغرب هذه وبين دعوى الشيخ التجاني مؤسس الطريقة التجانية في المغرب أيضاً ؟ إنه يمد الاقطاب والعارفين والأولياء من الازل إلى الأبد (١١٩) أليس معنى ذلك أنه هو القديم الباقي الأزلي الأبدي القائم بتدبير المخلوقات أو هل كان هناك فرق بين دعوى أمير الباطنية هذه وبين دعوى الشيخ ابراهيم أن الموجودات بأسرها مطوية في نفسه حيث قال :

« فحقيقة هذه الحضرة أنها ظل الشيخ أي التجاني في كل زمان ومكان والموجودات بأسرها مطوية في رجل تلك الحضرة وهو أيضاً معنى قوله : (١٢٠).

ولم لا وعز العبد عز مليكه   وطوع يميني الكون عبداً مسودا (١٢١)

وإذا سمع ضئيل الفهم كليل الإدراك أن الشيخ التجاني قال : « أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الوجود الثاني ولم يتقدمه إلا الوجود القديم » (١٢٢) أو سمع قوله إن أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب هو روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم نسل منه أرواح العالم ومن روحه أيضاً خلق الأجسام النورانية كالملائكة ومن ضاهاهم وكذلك الاجسام الكثيفة الظلمانية وهكذا (١٢٣) يظن أن ذلك مدح له أي النبي ، كلا ! وليس الأمر كذلك بل إنما هو إنكار له ولنبوته ولجميع تعاليمه التي جاء بها من عند الله وفي الوقت نفسه تقرير واثبات لعقيدة المجوس الداعية إلى اعتقاد وجود إلهين أزليين وهما المدبران للعالم ، الأول أقدم من الثاني في الفكر لا في الزمان وهو العلة لوجود الثاني (١٢٤) ذلك لأن الشيخ التجاني إذا كان يريد بسيد الوجود سيدنا محمد – الذي هو أول موجود أوجده الله ثم نسل منه جميع المخلوقات لطيفها وكثيفها – سيدنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب العربي القرشي الهاشمي الذي ولد بمكة المكرمة في عام الفيل سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام وجاء برسالته السماوية بعد تمام الأربعين سنة من عمره . فلا يخلو الشيخ التجاني حينئذ من أحد أمرين إما أنه مجنون أو عاقل فإذا كان مجنوناً فلا كلام عليه لخروجه من دائرة العقلاء، وعدم إدراكه ، وإذا كان عاقلاً فلا شك أنه يريد بكلامه شيئاً آخر ، غير ما تدل عليه ألفاظه لاستحالة صحة وقوع ذلك في العقل البشري كله ، وكذلك في النقل الشرعي الاسلامي هذا كله بالإضافة أنه كلام لا يخرج من فم مسلم لمكابرته على النصوص القطعية المبينة التي أجمع فرق المسلمين على معناها ، مثل قوله تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » (١٢٥) وقوله تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين »(١٢٦) وقوله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل

من أنزل الكتاب الذجاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » (١٢٧) وقوله تعالى : « قالت رسلهم ان نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده » (١٢٨) وقوله تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقبكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين » (١٢٩).

وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث صحيحة متعددة بأنه بشر مثل جميع أصحابه منها ما رواه مالك وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها » . ومنها ما رواه أحمد وابن ماجه عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسي أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس » ومنها ما رواه ابن سعد عن محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنما أنا بشر تدمع العين ويخشع القلب ولا نقول ما يسخط الرب والله يا ابراهيم إنا بك لمحزونون (١٣٠).

فمعنى كلام الشيخ التجاني إذن هو أن العقل الثاني الفلسفي الذي صدر من العقل الأول الذي عبروا عنه بواجب الوجود ، هو الذي لقبوه بمحمد حيناً وبالحقيقة المحمدية طوراً وهلم جرا ، وهذا لا شك حرب مكشوفة على تعاليم القرآن ، ومحاولة هدمها من الاساس ، وإلا فما الفرق بين ما تقدم ، مما قرره الامام ابن الجوزي وشيخ الاسلام عبد القاهر البغدادي من أن عقيدة الباطنية تقرر أن للعالم إلهين اثنين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان ، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني (١٣١) وبين قول الشيخ التجاني أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الوجود الثاني ولم يتقدمه إلا الوجود القديم (١٣٢) أليس ما بينه الشهرستاني من أن الباطنية يقولون بأن الله هو العقل الأول ، وهو تام بالفعل ثم بتوسطه أبدع النفس التاني الذي هو غير تام (١٣٣) هو الذي فسره الشيخ التجاني في قوله : « اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى

منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الاسقم (١٣٤) أليس المراد بالتام هو أنه تجلى الله التام الكامل الذي شرحه الشيخ ابراهيم بقوله : « إذا تجلت الذات تجلت بكمالها فيرى المشاهد محمداً عين الذات ونفس الذات . أليس المراد بالأسقم الناقص لأنه ليس بواجب الوجود بذاته حيث إن وجوده يتوقف على وجود مبدعه ؟ ويؤيد هذا الذي قررنا أن الشيخ ابراهيم عندما انتهى من الكلام على الحقيقة المحمدية أو بعبارة أخرى تجلي الذات في المحمدية استشهد على ذلك بهذه الصلاة (١٣٥).

لقد ظلت تعاليم الباطنية هذه في المغرب منذ تأسيس دولتهم هنالك تعمل في الخفاء حتى ظهرت في صورتها النهائية باسم الطريقة التجانية ومما يدل على أن تعاليم الباطنية انتشرت في المغرب والأندلس بشكل مرعب أن كتاب جواهر المعاني الذي نسب ما تضمنه من المبادىء والتعاليم إلى الشيخ التجاني كان مسروقاً كما تقدم سرقه علي حرازم وغير اسمه من (المقصد الأحمد) إلى (جواهر المعاني) ومحا اسم مؤلفه (أبي الطيب القادري) وأثبت إسمه مكانه ثم أزال اسمه شيخ المؤلف (أبي العباس أحمد بن عبدالله معن) وجعل اسم شيخه أحمد التجاني محله ثم زاد فيه أموراً تخص الشيخ التجاني وطريقته وقدمه اليه أي شيخه التجاني فأوقع على الكتاب ونسبه إلى نفسه بلفظ كتابنا ثم صرح أخيراً بأن النبي صلى الله عليه وسلم ظهر له وقال إنه كتاب وهو أي النبي صلى الله عليه وسلم الذي ألفه بيده انظر الباب الأول من هذا البحث(١٣٦)

وبقي هنا أن نتساءل ونقول هل يفهم من هذا كله أن هؤلاء العلماء الكبار والمشايخ الأجلاء الذين صنفوا هذه المجلدات الضخمة في تأييد الشيخ التجاني وطريقته والدعوة إليها لا يفهمون هذا الذي قررناه ولا يلمون به ؟

أقول في الاجابة عن هذا السؤال إنهم انقسموا إلى أربعة أقسام تقريباً .

١ ـ قسم كان على عقيدة واحدة مع الشيخ التجاني وكان من جراء ذلك ملماً إلماماً تاماً بأهداف الطريقة ومغزاها وغاياتها ولا غرابة إذن إذا ظل متحمساً على الدعوة إليها والعمل الجاد في تحقيق نجاحها .

٢ ـ وقسم قد أدرك تماماً أن العقيدة التي بنيت عليها الطريقة التجانية مضادة لعقيدة الإسلام ويتبرأ من ذلك في الداخل إلا أنه لا يستطيع أن يتجاهر بذلك خوفاً

على نفسه وفوات كثير من منافعه فسكت على ما في النفس من مضض يتظاهر بموافقة جمهورهم مداراة للوسط الذي يعيش فيه (١٣٧).

٣ — وقسم قد فهم فهماً جازماً أن هذه العقيدة لا تجتمع في ظل واحد مع عقيدة الاسلام إلا أنه داهية فانتهز فرصة بساطة عقول العامة واستعدادها الفطري على هضم كل ما ألقى إليها من الخرافات والأساطير وذهب جراء ذلك يروج في أذهانهم مراتب الولاية الصوفية الوهمية وكرامتها الخيالية لتنقاد إليه العامة حتى يحكم في نفوسهم وجيوبهم كما يشاء .

٤ — وقسم بسيط مغفل يقبل كل كلام على علاته بحسن النية والاخلاص من دون تفكير ولا ترو ، لا لأنه لا يستطيع أن ينظر ويتفكر حتى يميز بين الغث والسمين بل لأنه نشأ وتربى في وسط صار التقليد الاعمى والتبعية الحمقى غريزة فيه أو سنة متبعة عنده ، وهذا القسم هو أكثر أتباع الطريقة التجانية ، علماؤهم ودهماؤهم خصوصاً سكان إفريقيا الغربية ، ويمكننا أن نجعل الشيخ ابراهيم وأتباعه فيه لأننا إذا نظرنا إلى حركته ندرك أنها تأسست أولا على أمرين هما الإيمان العميق بالطريقة التجانية وبكل ما احتوت عليه من المبادىء والتعاليم والغرور الذي كان منشؤه وقوفه على كثير من أسرار علوم الصوفية الباطنة في وسط لا يحلم به أحد ولا تنسى بما رسخ في أذهانهم من اعتقاد أن الله لا يكشف هذه العلوم إلا الأولياء من عباده ، ثم ذكاؤه المفرط في فهم العلوم الشرعية ومقدرته على الكتابة في اللغة العربية منذ حداثته ، في بيئة يتكون أفرادها من العوام ومن في حكمهم ، ويتبين ذلك بوضوح في أقواله الأولى مثل قوله: واعلموا أني على بصيرة من أمري لأن عندي إمامين إمامي في الظاهر الكتاب والسنة ولا أعرف من هو أعلم بهما مني ، وإمامي في الباطن وهو الشيخ التجاني ولا يفارقني لحظة » (١٣٨) ومن ذلك أيضاً قوله :

حملت سر خاتم الولاية جمعت بين الذوق والدراية
أنشدني لسان حالي الجاري تحدثاً بنفحات الباري
امتلأ الحوض وقال قطني مهلا رويداً قد ملأت بطني

قد خصني بالعلـــم والتصريف إن قلت كن يكن بلا تســـويف

لكنـــــني اتخـــذته وكيـــلا تأدباً واختارني خليلا (١٣٩)

وأما الكتب الضخمة فلا قيمة لها إلا بما اشتملت عليه من العلوم النافعة والأدلة المرشدة فإذا خلت من ذلك فلا يعتد بها ولا بمؤلفيها .

مصادر التعليقات على كتاب السر الأكبر

١ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٥٩ ٢ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٩١ .
٣ – الشيخ ابراهيم انياس : ديوان تيسير الوصول ٩ ٤ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٩ .
٥ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٩٩ ٦ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٧٦ .
٧ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٧ ٨ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ض ٤٩٢ .
٩ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ج٢ – ٦٣ .
١٠ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٥١٥ ١١ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٥٨ .
١٢ – الشيخ عمر الفوتي : الرماح ج١ – ٩٦ ١٣ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٠ .
١٤ – انظر إلى صفحة ٤٧ – ٦٩ – ٨٦ على الأقل من كتاب الإفادة الأحمدية . ١٥ – مريم ١٩ : ٦٥.
١٦ – الحجر ١٥ : ٩٨ – ٩٩. ١٧ – الكهف ١٨ : ١١٠ ١٨ – النجم ٥٣ : ٣٩ – ٤٠
١٩ – مريم ١٩ : ٦٣ ٢٠ – الأنفال ٨ : ٣٤ ٢١ – النور ٢٤ : ٦٣ .
٢٢ – انظر الجزء الثالث من كتاب سبل السلام شرح بلوغ المرام ٢٣ – الاسراء ١٧ : ٧٣ – ٧٤ .
٢٤ – الحاقة ٦٩ : ٤٤ – ٤٧ ٢٥ – الانعام ٦ : ١٥
٢٦ – انظر الجزء الثاني من كتاب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ٩٢.
٢٧ – الجزء الثامن من تفسير القرطبي صفحة ٢٨٢ ٢٨ – الجزء الثامن من تفسير القرطبي صفحة ٢٨٢
٢٩ – الجزء الثامن من تفسير القرطبي صفحة ٢٨٢ .
٣٠ – التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ج٢ – ٩٢ ٣١ – التوبة ٩ : ١١٢ – ١١٨.
٣٢ – نفس المصدر . ٣٣ – نفس المصدر ٨٠ .
٣٤ – الشيخ عبدالله بن فودي : ضياء التأويل ج٢ – ٨٧ ٣٥ – التجريد الصريح : ج٢ ٩٤ .
٣٦ – البيان والتبيين : ج٣ – ١٥١ ٣٧ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٥ .

مصادر التعليقات على كتاب السر الأكبر

١ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٥٩ ٢ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٩١ .
٣ – الشيخ ابراهيم انياس : ديوان تيسير الوصول ٩ ٤ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٩ .
٥ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٩٩ ٦ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٧٦ .
٧ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٧ ٨ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٩٢ .
٩ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ج٢ – ٦٣ .
١٠ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٥١٥ ١١ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٥٨ .
١٢ – الشيخ عمر الفوتي : الرماح ج١ – ٩٦ ١٣ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٠ .
١٤ – انظر إلى صفحة ٤٧ – ٦٩ – ٨٦ على الأقل من كتاب الإفادة الأحمدية . ١٥ – مريم ١٩ : ٦٥.
١٦ – الحجر ١٥ : ٩٨ – ٩٩. ١٧ – الكهف ١٨ : ١١٠ ١٨ – النجم ٥٣ : ٣٩ – ٤٠
١٩ – مريم ١٩ : ٦٣ ٢٠ – الأنفال ٨ : ٣٤ ٢١ – النور ٢٤ : ٦٣ .
٢٢ – انظر الجزء الثالث من كتاب سبل السلام شرح بلوغ المرام ٢٣ – الاسراء ١٧ : ٧٣ – ٧٤ .
٢٤ – الحاقة ٦٩ : ٤٤ – ٤٧ ٢٥ – الانعام ٦ : ١٥
٢٦ – انظر الجزء الثاني من كتاب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ٩٢.
٢٧ – الجزء الثامن من تفسير القرطبي صفحة ٢٨٢ ٢٨ – الجزء الثامن من تفسير القرطبي صفحة ٢٨٢
٢٩ – الجزء الثامن من تفسير القرطبي صفحة ٢٨٢ .
٣٠ – التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ج٢ – ٩٢ ٣١ – التوبة ٩ : ١١٢ – ١١٨.
٣٢ – نفس المصدر . ٣٣ – نفس المصدر ٨٠ .
٣٤ – الشيخ عبدالله بن فودي : ضياء التأويل ج٢ – ٨٧ ٣٥ – التجريد الصريح : ج٢ ٩٤ .
٣٦ – البيان والتبيين : ج٣ – ١٥١ ٣٧ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٥ .

. . . .

---

٣٨ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٦ ٣٩ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٦

٤٠ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٣ ٤١ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٩.

٤٢ – السيد عبيدة : ميزاب الرحمة ١١٦ ٤٣ – جواهر المعاني : جا – ١٢٣

٤٤ – الكهف١٩ : ١١٠ ٤٥– الشيخ محمد الحافظ الجزائري : تحقيق أحزاب وأوراد الشيخ التجاني ١٣٩ .

٤٦ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٧٩ ٤٧ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٧٧

٤٨ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٧٩

٤٩ – الآيات في ذلك كثيرة ومن ذلك قوله تعالى : « قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان ... فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظ ذلك تقدير العزيز العليم » فصلت ٤١ : ٩ – ١٢

فهذه الآيات الثلاثة ما تركت حجة لذى جدل في أن الأرض والسموات أوجدها الله بعد أن لم تكن ودلت دلالة واضحة على أن الله غير العالم وأنه موجود قبله .

٥٠ – الشيخ خليل بن إسحاق : المختصر وشرحه الإكليل ٤٣٨ .

٥١ – شيخ الإسلام عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ٣٢٨ .

٥٢ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ٤٧٩ .

٥٣ – انظر صفحة ١٠٧ من كتاب تلبيس ابليس للامام ابن الجوزي .

٥٤ – انظر الجزء الثاني من كتاب الملل والنحل للشهرستاني صفحة ٢٥٠

٥٥ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٧٧ .

٥٦– ابن بنا السرقسطي : المباحث الاصلية بحاشية ايقاظ الهمم ٤٠١ .

٥٧ – الدكتور عبد الواحد وافي : الاسفار المقدسة ١٦٣ .

٥٨ – هنري توماس : أعلام الفلاسفة ٣٠ – ٣٢ ترجمة متري أمين .

٥٩ – أنظر نص الكتاب في هذا الجزء من البحث ٤٧٩ .

٦٠ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ٨٧ ج ٢ .

٦١ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ٤٩١ ٦٢ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٨٠ .

٦٣ – ابن عربي الحاتمي : فصوص الحكم ٦٢ ٦٤ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ٤٩٠ .

٦٥ – الشيخ محمد بن خطير الدين العطار : الجواهر الخمس جا – ١١٣ ٦٦ – نفس المصدر والصفحة.

. . . .

---

٦٧ – نفس المصدر جـ٢ – ٤٠٩ ٦٨ – الدكتور علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة ١٦٣ .

الدكتور أحمد أمين : ظهر الإسلام جـ٢ – ٧٨ ٦٩ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ٤٩٥ .

٧٠ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ٥٠٠

٧١ – السيد علي فكري : خلاصة الكلام في أركان الإسلام .

٧٢ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٩٩ ٧٣ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٥٠٥

٧٤ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٥٠٩ ٧٥ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٥١٠.

٧٦ – السجدة ٣٢ : ٥ ٧٧ – الحج ٢٣ : ٤٧ .

٧٨ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ٤٩٢ ٧٩ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٥٠٩

٨٠ – الشيخ عبد الكريم الجيلي : الانسان الكامل ١٠٥

٨١ – انظر حاشية الصاوي على الجلالين جـ٢ – ٢٣٦ . ٨٢ – انظر تفسير ابن كثير جـ٤ – ١٠٨ .

٨٣ – انظر تفسيره ضياء التأويل الجزء الثاني ١٩٦ .

٨٤ – انظر تفسيره الكشاف : الجزء الثاني ٣٦٧ .

٨٥ – انظر تفسيره جامع أحكام القرآن المجلد التاسع ٣٤١ .

٨٦ – المصدر السابق : زمخشري ٨٧ – زمخشري : المصدر السابق جـ٣ – ١٨ .

٨٨ – القرطبي : جامع أحكام القرآن المجلد الثاني عشر ٧٨ .

٨٩ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ٥١٨ ٩٠ – الدكتور أحمد أمين : ظهر الإسلام جـ٢ – ٧٨ .

٩١ – الفارابي : شرح رسالة زينون الكبير ٩ ٩٢ – الكهف ١٨ : ١١٠ .

٩٣ – رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة : كشف الخفاء جـ١ – ٢٣٤ .

٩٤ – أحمد حسن الزيات : في أصول الأدب ١٠٤ ٩٥ – الأحزاب ٣٣ : ٥٠ – ٥٢ .

٩٦ – انظر النص في هذا البحث ٥١٨ ٩٧ – أنظر النص في هذا البحث ٥١٤ .

٩٨ – انظر كاشف الالباس صفحة ٤٧ ٩٩ – انظر هذا البحث صفحة ١٩٦ .

١٠٠ – أنظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٦٩ .

١٠١ – انظر جواهر المعاني الجزء الثاني صفحة ١٧٦ .

١٠٢ – انظر الجزء الأول من هذا البحث صفحة ١٥٨.

١٠٣ – الامام ابن الجوزي : تلبيس ابليس (١٠٧) .

وشيخ الإسلام عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ١٩٣ .

. . . .

---

١٠٤ – علي حرازم برادة : جواهر المعاني ج٢ – ١٠٨

١٠٥ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ٤٨١ ١٠٦ – الإمام ابن الجوزي : المصدر السابق ١٠٧ .
والشهرستاني : الملل والنحل ج ١ – ١٩٣ .

١٠٧ – السيد علي حرازم البرادة : المصدر السابق ج ٢ – ٣٨ .

١٠٨ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ص ٤٨٣ ١٠٩ – الإمام ابن الجوزي : المصدر السابق ١٠٨.
وشيخ الإسلام عبد القاهر : المصدر السابق ٣٩٤ – ١٩٦ .

١١٠ – انظر نص الكتاب في هذا الجزء من البحث ص ٤٧٩ .

١١١ – أنظر صفحة ٥٣٥ من هذا البحث ١١٢ – انظر هذا البحث ص ٩٨

١١٣ – الشيخ ابراهيم انياس : ديوان سلوة الشجون مجموع الدو وين ٩٩ .

١١٤ – الشيخ ابراهيم انياس : جواهر الرسائل ج ٢ – ٨٧ .

١١٥ – الشيخ ابراهيم انياس : آخر قصيدته التي مدح بها النبي صل الله عليه وسلم .

١١٦ – انظر الجزء الأول من هذا البحث ١٥٥

١١٧ – شيخ الإسلام عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ٢٨٢

١١٨ – السيد أحمد توفيق عياد : التصوف الإسلامي ٢٥٦ ١١٩ – السيد علي حرازم: جواهرالمعانيج٢–٥

١٢٠ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ٤٩٠

١٢١ – الشيخ ابراهيم انياس : ديوان تيسير الوصول مجموع الدواوين ٩ .

١٢٢ – السيد علي حرازم البرادة : جواهر المعاني ج ٢ – ١٠٨ .

١٢٣ – السيد علي حرازم البرادة : جواهر المعاني ج١ – ١٤٥ .

١٢٤ – انظر كتاب الفرق بين الفرق ٣ – ١٩٤ ١٢٥ – الكهف ١٨ : ١١٠

١٢٦ – فصلت ٤١ : ٦ ١٢٧ – الأنعام ٦: ٩١ ١٢٨ – ابراهيم ١٤ :١١ ١٢٩ – آل عمران
٣ : ١٤٤ ١٣٠ – مصطفى محمد عماره : نضرة النور ج١ – ١٩١ .

١٣١ – انظر تلبيس ابليس والفرق بين الفرق ١٩٣ ١٣٢ – السيد علي حرازم : جواهر المعاني ج٢–١٠٨

١٣٣ – الشهرستاني : الملل والنحل ١٩٢ ١٣٤ – السيد علي حرازم : جواهر المعاني ج٢ – ٢٦٤ .

١٣٥ – انظر نص الكتاب في هذا البحث ٤٨٦ ١٣٦ – انظر الباب الأول من هذا البحث ١٦ .

١٣٧ – الدكتور محمد نقي الدين الهلالي المغربي : كتاب الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية ٢٠ .

١٣٨ – محمد الطاهر ميغرى: هذا البحث ٨٠ ١٣٩ – الشيخ ابراهيم انياس : رحلته إلى كناكر وغينه ٦

المراجع المعتمد عليها في هذا البحث المراجع العربية

١ – إنياس (الشيخ ابراهيم بن عبد الله)
كاشف الالباس عن فيضة الختم أبي العباس
دار البيضاء بالمغرب بدون تاريخ

٢ – منظومة رحلته الموسومة بنيل المفاز مخطوط
نشر بالطبع التصويري على نفقة الحاج أحمد عائل .

٣ – جواهر الرسائل مخطوط .
حرره السيد أحمد بن علي الفلاني البرناوي ونشره بالطبع التصويري .

٤ – المقالة التي ألقاها في زاريا بعنوان مجلس زاريا .

٥ – السر الأكبر والنور الأبهر مخطوط .

٦ – ديوان شفاء الأسقام مخطوط .
نشر بالطبع التصويري في مجموعة من الدواوين بدون تاريخ .

٧ – الرحلة الحجازية الأولى مخطوط .
نشر بالطبع التصويري سنة ١٣٨٥ ﻫ .

٨ – ديوان طيب الأنفاس .
نشر بالطبع التصويري في مجموعة من الدواوين الأخرى بدون تاريخ .

٩ – الرحلة الكناكرية .
نشرها الحاج يوسف بن عبدالله اللكجوى بمطبعة ابيني ابادن نيجيريا .

١٠ ــ رسالة إلى الشيخ محمد غيريم الداغري مخطوط .

١١ ــ إجابته عن فتوى الحاج أبي بكر جومى قاضي قضاة نيجيريا الشمالية سابقاً في تهافة الصوفية مخطوط .

نشر بالطبع التصويري سنة ١٣٧٨ ﻫ .

١٢ ــ منشوره الذي كتبه عقب عودته من الحرمين سنة ١٣٧٧ ﻫ في أمر الدجاجلة الذين يطوفون على تلاميذه لجمع الاحوال منهم محطوط .

١٣ ــ رسالة نافعة أثبتها الغوث الصمداني مخطوط .

نشر بالطبع التصويري ١٣٨٦ ﻫ .

١٤ ــ رسالة التوبة .

نشرها الحاج محمد الثاني بن محمد الأول الكنوى دار الكتب بيروت لبنان .

١٥ ــ رسالته إلى تيامى

نشرها الحاج محمد الثاني محمد الأول ، دار الكتب ببيروت لبنان بدون تاريخ.

١٦ ــ خطبته لمناسبة عيد المولد النبوي سنة ١٣٨٢ ﻫ مخطوط .

نشر بالطبع التصويري في نفس السنة .

١٧ ــ خطبته لمناسبة عيد المولد النبوي سنة ١٣٨٣ ﻫ مخطوط .

نشر بالطبع التصويري في نفس السنة

١٩ ــ خطبته لمناسبة عيد المولد النبوي سنة ١٣٩١ ﻫ مخطوط .

نشر بالطبع التصويري في نفس السنة

٢٠ ــ ديوان سلوة الشجون مخطوط .

نشر بالطبع التصويري في مجموعة من الدواوين .

٢١ ــ رسالته إلى الشيخان مخطوط .

٢٢ ــ الشهادة التي كتبها لتلاميذه الذين زاروه في غانة مخطوط .

٢٣ ــ تقريره الذي قدمه لحكومة سنغال نيابة عن علماء السنغال ومشايخها بدون تاريخ .

٢٤ ــ مجموع قصائد المولد مخطوط .

نشر بالطبع التصويري بدون تاريخ .

٢٥ ـ رفع الملام عن من رفع وقبض اقتداء بسيد الأنام .
طبع بدار البيضاء بدون تاريخ .
٢٦ ـ ذيل كاشف الالباس . طبع بدار البيضاء بدون تاريخ .
٢٧ ـ نجوم الهدى في كون نبينا أفضل من دعا إلى الله وهدى .
مطبعة أولو سيتي كنو نيجيريا بدون تاريخ .
٢٧ ـ الفيضة الجارية في معاني الاسلام والطريقة التجانية مخطوط
٢٨ ـ رسالة النجاة من الخسران .
مطبعة أبيتي إبادن نيجيريا بدون تاريخ .
٢٩ ـ آخر قصيدته في مدح النبي صلى الله عليه وسلم مخطوط
٣٠ ـ ابن العربي برادة (الشيخ علي حرازم) .
جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م.
٣١ ـ رسالة الفضل والامتنان
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر بدون تاريخ
٣٢ ـ ابن الحاج العياشي الشيخ أحمد سكيرج .
جناية المنتسب العاني .
دار الطباعة الحديثة ميدان أحمد ماهر ١٩ درب المدبح المغرب .
٣٣ ـ كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الاصحاب .
طبع سنة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م .
٣٤ ـ تنبيه الاخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح .
مطبعة النهضة بتونس سنة ١٣٣٩ هـ ـ ١٩٢١ م .
٣٥ ـ القصيدة التي مدح بها الشيخ ابراهيم انياس مخطوط .
٣٥ ـ الناصري الشيخ أحمد بن خالد .
الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى كاسبلنكا ١٩٥٤ م الجزء التاسع .

٣٦ ـ ابن السائح السيد العربي .
بغية المستفيد . دار الكتب العربية الكبرى بدون تاريخ .
٣٧ ـ الفوتي الشيخ عمر بن سعيد
رماح حزب الرحيم مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م
٣٨ ـ ابن فودي الشيخ عثمان .
إحياء السنة وإخماد البدعة .
نشره الحاج عبد اليسار الطبعة الثانية بدون تاريخ .
٣٩ ـ كتاب أصول الولاية مخطوط .
نشر بالطبع التصويري بنولا زاريا بدون تاريخ
٤٠ ـ تحذير الاخوان من ادعاء المهدية مخطوط .
٤١ ـ النووي الامام أبو زكريا يحيى ابن شرف الدين .
متن الاربعين في الأحاديث الصحيحة النبوية
بدون تاريخ وبدون ذكر المطبعة .
٤٢ ـ الاسكندري الشيخ أحمد
الوسيط في الأدب العربي .
دار المعارف بمصر سنة ١٣٣٥ هـ ـ ١٩١٦ م .
٤٣ ـ الحاتمي الشيخ الاكبر ابن عربي .
فصوص الحكم
تحقيق أبي العلا عفيفي دار الكتاب العربي بيروت لبنان بدون تاريخ .
٤٤ ـ الفتوحات المكية أربعة أجزاء .
دار الكتاب العربي .
٤٥ ـ ابن المشرى الشيخ محمد .
الجامع لما افترق من درر العلوم الفائض من أسرار القطب المكتوم مخطوط .
٤٦ ـ السيوطي الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر .
الحاوي للفتاوى الجزء الثاني .
دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

٤٧ ـ الجامع الصغير

مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر بدون تاريخ .

٤٨ ـ الشبنجي الشيخ عبد المؤمن .

نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار .

المكتبة السعيدية بدون تاريخ .

٤٩ ـ النظيفي الشيخ محمد فتحا ابن عبد الواحد

الدرة الخريدة شرح ياقوتة الفريدة الجزء الأول والثاني

مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧١ م .

٥٠ ـ قصيدته المعروفة بياقوتة الفريدة في الطريقة التجانية

حققها وعلق عليها الشيخ محمد الثاني الكافنغي .

٥١ ـ الطيب الفائح والورد السانح

نشره عبد الحميد أحمد الحنفي بدون تاريخ

٥٢ ـ الكشناوي الشيخ أبو بكر عتيق .

تحصيل الوطر في ترجمة الشيخ محمد سلغ بن الحاج عمر مخطوط .

نشر بالطبع التصويري .

٥٣ ـ الفيض الهامع

طبع بمصر .

٥٣ ـ افادة المعتقدين بأدلة صحة ما عليه عمل الذاكرين مطبعة ابيبى ابادن .

٥٤ ـ الكشناوي الشيخ أبو بكر عتيق ابن الخضر .

رسالة مقيد الخلان في اثبات وجود المربين .

مطبعة ابيبى إبادن نيجيريا بدون تاريخ .

٥٥ ـ النصيحة المعجلة في التحذير من الدجاجلة مخطوط .

نشر بالطبع التصويري سنة ١٣٧٨ هـ .

٥٦ ـ الصارم المشرفي المسلول على المنكر الغبى مخطوط .

نشره المؤلف بالطبع التصويري سنة ١٣٧٩ هـ .

٥٧ ـ الجواب الخالص الصميم مخطوط .
نشر بالطبع التصويري .
٥٨ ـ درما حمزة عثمان .
إسهام الشيخ ناصر كبرا لتقدم الطريقة القادرية في نيجيريا أطروحة قدمها لنيل الشهادة العالمية بالتخصيص سنة ١٩٧٦ م جامعة أحمد بللو كلية بايرو الجامعية .
٥٩ ـ البعلبكي الاستاذ منير .
المورد قاموس انكليزي عربي ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٧ م .
٦٠ ـ ابن الحسن السيد علي سيس .
تصدير كتاب كاشف الالباس .
٦١ ـ ارشاد الأخوان إلى ما يجمع القلوب على الرحمن مخطوط .
نشر بالطبع التصويري بدون تاريخ .
٦٢ ـ محمد الدكتور عبد القادر .
الفلسفة الصوفية في الاسلام دار الفكر العربي .
٦٣ ـ البغدادي صدر الاسلام عبد القاهر بن طاهر .
الفرق بين الفرق .
حققه محمد محيى الدين عبد الحميد ونشره مكتبة محمد علي صبيح بمصر .
٦٤ ـ ابن الجوزي الأمام عبد الرحمن تلبيس إبليس .
دار الكتب العلمية بيروت لبنان بدون تاريخ .
٦٥ ـ الآبى الشيخ صالح عبد السميع
جواهر الاكليل شرح مختصر الشيخ خليل في فقه مذهب مالك
دار الكتب العربية الكبرى بدون تاريخ .
٦٦ ـ الجيلي الشيخ عبد الكريم بن ابراهيم .
الانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م .

٦٧ ــ ابن حامد السيد المختار .

ازحوزة تذكرة من كانوا في السياحة بالطائرة إلى كنو مخطوط .

٦٨ ــ اللكجوى الحاج يوسف بن عبدالله .

كتاب جواب السائل في كون تكرار زيارة الولي قربة عظيمة .

طبع بمطبعة ابيبي ابادن نيجيريا ١٣٧٦ هـ .

٦٩ ــ الططفاوي السيد محمد بن عبدالله .

الفتح الرباني فيما يحتاج اليه المريد التجاني .

مطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون بدون تاريخ .

٧٠ ــ نشيخ الهادي الحاج محمد بلو .

كتاب تنبيه المحتاج في معرفة تشكلات صاحب المعراج مخطوط .

٧١ ــ الاندلسي الشيخ عبد الواحد بن عاشر .

المرشد المعين .

مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٣ هـ ــ ١٩٥٤ م .

٧٢ ــ الكنوى السيد محمد المصطفى .

قول السداد في الرد على شبهات صاحب قمع الفساد مخطوط .

نشر بالطبع التصويري بدون تاريخ .

٧٣ ــ الكافنغي الشيخ محمد الثاني بن الحسن .

فصل المقال في الوضع والارسال مخطوط نشر بالطبع التصويري .

٧٤ ــ سبيل الرشاد في الرد على مؤلف قمع الفساد ومخطوط .

نشر بالطبع التصويري بدون تاريخ .

٧٥ ــ مرآة الحق مخطوط .

نشر بالطبع التصويري بدون تاريخ .

٧٦ ــ الكبراوي الشيخ محمد الناصر بن محمد المختار .

قمع الفساد في تفضيل السدل على القبض في هذه البلاد مخطوط .

نشر بالطبع التصويري بدون تاريخ .

٧٧ – الموريتاني السيد أحمد محمود ابن الشريف محمد الكبير
تنوير البلاد في قطع خزعبلات قمع الفساد مخطوط .
٧٨ – الكماشي الحاج علي بن محمد .
فتح الحكم العدل في تأييد سنة السدل .
مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٩٢ .
دليل الساحل في سنة أشراف الأواخر والأوائل مخطوط .
نشر بالطبع التصويري بدون تاريخ .
٧٩ – تيازي الاستاذ عبد الكريم مراسل جريدة البلاد بمكة المكرمة مقابلته مع الشيخ ابراهيم إنياس ولم ينقل عدد الجريدة ولا تاريخها .
٨٠ – المجلة المصرية نقلتها في موريتانيا واغفلت ذكر العدد والتاريخ خطأ .
٨١ – الاسكندري أحمد ، بك أحمد أمين ، بك علي الجارم .
المنتخب من أدب العرب الجزء الثاني المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥١ م .
٨٢ – الكماشي أحمد بابه (الواعظ) .
رسالة المنصور في الرد على رسالة دسيسة الانكار .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٧٦ هـ .
٨٣ – توضيح الأدلة لمن يروم دليلاً على طريقة الصوفية
مطبعة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٧٦ هـ .
٨٤ – جومى الحاج أبو بكر محمود .
العقيدة الصحيحة بموافقة الشريعة دار العربية بيروت ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م
٨٥ – العشي عرفات كامل .
رجال ونساء أسلموا دار الكويتية ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م .
٨٦ – الكنوي الشيخ أحمد التجاني بن عثمان .
مرواق العشاق في مدح السيد أبي اسحاق مخطوط
٨٧ – الثمرات الدواني في مدح الشيخ أحمد التجاني مخطوط .
نشرة الحاج عبد اليسار بالطبع التصويري بدون تاريخ .

٨٨ ـ النفحات الإلهية مخطوط .

٨٩ ـ الفتوحات العلوية في السياحة الكدوية مخطوط .

٩٠ ـ الكنوي الشيخ عثمان القلنسوي .

الروائح العنبرية في بيان الرحلة القلنسوية مخطوط .

٩١ ـ الزكزكي الشيخ يهوذا بن سعد .

القصيدة الميمية مخطوط نشرت بالطبع التصويري .

٩٢ ـ الكشناوي السيد الياس بن محمد تكر .

قصيدة كشف الغموم بالاستغاثة بصاحب الفيضة مخطوط .

٩٣ ـ بلاربى السيد ابراهيم هارون .

غورر فيضة مخطوط .

٩٤ ـ كراسة بشرى الاحباب والخلان .

نشره معلم يحيى ظامير دلاصكتو بالطبع التصويري .

٩٥ ـ ابن يونس السيد ابراهيم صالح .

تاريخ الاسلام وحياة العرب في كانم برنو

طبع في جامعة خرطوم بالسودان سنة ١٩٧٠ م .

٩٦ ـ ابن الشيخ مولود فال الشيخ محمد الهادي

ارشاد السادة إلى مطلع السعادة مخطوط .

٩٧ ـ من أب الشيخان .

١ ـ قصيدة في استقبال الشيخ ابراهيم إنياس .

٢ ـ قصيدة في بكاء طلل طيب انيسين مسقط رأس الشيخ .

٣ ـ قصيدة في إظهار السرور باحياء القرية من جديد .

٩٨ ـ البرناوي محمد الطاهر ميغرى

هذا البحث مخطوط .

٩٩ ـ شيخ الارض تيسير .

المدخل إلى فلسفة ابن سينا دار الانوار بيروت لبنان ١٩٦٧ م .

١٠٠ ـ القيرواني الامام ابن أبي زيد .
كتاب الرسالة في فقه المذهب المالكي .
نشره أحمد أحمد أبو السعود وعثمان الطيب كانو نيجيريا .

١٠١ ـ أبو زهرة الشيخ محمد .
أصول الفقه مطبعة مخيمر بمصر .

١٠٢ ـ معلوف لويس
المنجد معجم مدرسي للغة العربية المطبعة الكاثوليكية بيروت .

١٠٣ ـ ابن الحاج .
المدخل ، مطبعقة مصطفى البابي الحلبي .

١٠٩ ـ الحمامي الشيخ مصطفى أبو يوسف .
استكشاف السر المقصود من كتب الشيخ محمود
مطبعة الواعظ بالقاهرة سنة ١٣٣٦ هـ .

١١٠ ـ التشيّي الشيخ عبيدة ابن محمد الصغير .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر بدون تاريخ .

١١١ ـ الحسني الشيخ أحمد ابن عجيبة .
الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية .
نشرة عبد الحميد أحمد حنفي بمصر بدون تاريخ .

١١٢ ـ السفياني السيد محمد الطيب .
الافادة الاحمدية لمريد السعادة الأبدية .
طبع بمصر سنة ١٣٨٩ هـ .

١١٢ ـ العجلوني الشيخ اسماعيل بن محمد .
كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس .
نشره مكتبة التراث الاسلامي بمصر بدون تاريخ .

١١٣ ـ الغزالي الشيخ محمد أبو حامد .
إحياء علوم الدين مطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة .

١١٤ ـ الجيلاني الشيخ عبد القادر .

سر الأسرار فيما يحتاج اليه الابرار .

١١٥ ـ العراقي زين الدين عبد الرحيم بن الحسيني .

المغنى عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار .

مطبعة المشهد ، الحسيني بالقاهرة .

١١٦ ـ الصعيدي عبد المتعال .

المجددون في الاسلام مكتبة الآداب بالجماميرت القاهرة .

١١٧ ـ الفاخوري حنا .

تاريخ الفلسفة الاسلامية بيروت لبنان .

١١٨ ـ ابن فودي الشيخ عبد الله .

ضياء التأويل في معاني التنزيل الجزء الثالث .

مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م

١١٩ ـ أبو بكر الدكتور علي .

الثقافة العربية في نيجيريا بيروت لبنان ١٩٧٢ م .

١٢٠ ـ زروق الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد .

قواعد التصوف مكتبة الكليات الارهرية .

مراجع الجزء الثاني من هذا البحث

١ ـ القشيري عبد الكريم بن هوازن .

الرسالة في علم التصوف .

مطبعة محمد علي صبيح بالقاهرة بدون تاريخ .

٢ ـ عبد القادر الدكتور علي حسن .
تصدير كتاب الرياضة وأدب النفس .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧ م .

٣ ـ المكي أبو طالب محمد بن علي بن عطية .
قوت القلوب في معاملة المحبوب
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر بدون تاريخ .

٤ ـ الطوسي أبو نصر السراج .
اللمع
تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ١٣٨٠ هـ .
نشرة دار الكتب الحديث بمصر ومكتبة المثنى ببغداد .

٥ ـ السهروردي الإمام شهاب الدين .
عوارف المعارف .
مطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة بدون تاريخ .

٦ ـ ناصف الشيخ منصور علي .
التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول .
مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر بدون تاريخ الجزء الثالث .

٧ ـ الهلالي الدكتور محمد تقي الدين .
الهداية الهادية إلى الطائفة التجانية طبع سنة ١٣٩٣ هـ .

٨ ـ العسقلاني الحافظ أحمد ابن حجر .
فتح الباري في شرح صحيح البخاري الجزء الحادي عشر بيروت .

٩ ـ القرشي الامام ابن كثير البداية والنهاية .

١٠ ـ غلاب الدكتور محمد .
التصوف المقارن
طبع بالقاهرة .

١١ – القناوى الشريف مسعود بن حسن بن أبي بكر .
فتح الرحيم الرحمن .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٠ هـ – ١٩٥١ م .

١٢ – الحسيني الشيخ أحمد ابن عجيبة .
ايقاظ الهمم في شرح الحكم .
نشره عبد الحميد أحمد حنفي بمصر ، بدون تاريخ .

١٣ – الطغرائي أبو اسماعيل الحسين بن محمد .
لامية العجم موجودة في الجزء الثاني من كتاب جواهر الأدب للسيد أحمد الهاشمي مكتبة التجارية الكبرى ١٣٨٧ هـ .

١٤ – عماره محمد مصطفى .
نضرة النور شرح مختارات الاحاديث النبوية
مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

١٥ – البيجوري الشيخ ابراهيم بن محمد
تحفة المريد
نشرة مكتبة التجارية الكبرى بمصر .
مطبعة الاستقامة بالقاهرة بدون تاريخ

١٦ – مختار الشعر الجاهلي .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣١٨ هـ – ١٩٤٨ م .

١٧ – البوصيري شرف الدين محمد بن سعيد
ديوان البوصيري
تحقيق محمد سيد كيلاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر .

١٨ – الرندي الشيخ محمد بن ابراهيم بن عباد .
شرح الحكم العطائية .
مكتبة أحمد بن سعد بن نبهان بدون تاريخ

١٩ ـ انياس الشيخ ابراهيم .
ديوان تيسير الوصول مخطوط .
نشر بالطبع التصويري في مجموعة من الدواوين .

٢٠ ـ الصنعاني الامام محمد بن اسماعيل
سبل السلام شرح بلوغ المرام .
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٦٩ هـ .

٢١ ـ ابن المبارك زين الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف
التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر

٢٢ ـ القرطبي الشيخ أبو عبدالله محمد بن أحمد .
الجامع لأحكام القرآن الجزء الثامن دار الكتاب العربي القاهرة ١٣٨٧ هـ

٢٣ ـ الجزائري الشيخ محمد الحافظ التجاني
تحقيق احزاب وأوراد الشيخ التجاني طبع بمصر ١٣٨٧ هـ

٢٤ ـ الكبير الشيخ محمد الأمير .
الإكليل شرح مختصر خليل مكتبة القاهرة .

٢٥ ـ الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر
الملل والنحل
تحقيق محمد سيد كيلاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي

٢٦ ـ السرقسطي ابن بنا
المباحث الاصلية .
نشره عبد الحميد أحمد حنفي بمصر .

٢٧ ـ وافي الدكتور علي عبد الواحد
الاسفار المقدسة مكتبة نهضة مصر ١٣٨٤ هـ .

٢٨ ـ العطار السيد محمد بن خطير الدين .
كتاب الجواهر الخمس .
نشره الحاج عبد اليسار التجاني الكنوي النيجيري .

٢٩ ـ توماس الدكتور هنري .
أعلام الفلاسفة ترجمة متري أمين والدكتور زكي نجيب
دار النهضة العربية ١٩٦٤ م .

٣٠ ـ الزمخشري جار الله محمود بن عمر
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل .
دار الفكر بيروت .

٣١ ـ أمين الدكتور أحمد
ظهر الإسلام الجزء الثاني مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤ م .

٣٢ ـ فكري السيد علي .
خلا صلاة الكلام في أركان الإسلام .

٣٣ ـ الصاوي الشيخ أحمد
حاشية على تفسير الجلالين الجزء الثاني .
دار احياء الكتب العربية بمصر

٣٤ ـ الزيات أحمد حسن
في أصول الأدب ، مطبعة الرسالة ١٣٦٥ هـ .

٣٥ ـ عيادة أحمد توفيق
التصوف الاسلامي مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٠ م .

٣٦ ـ القرشي الإمام الحافظ اسماعيل بن كثير
تفسيره الجزء الرابع ، دار الفكر بيروت لبنان ١٣٨٩ هـ .

٣٧ ـ الفارابي المعلم الثاني أبو نصر محمد بن محمد ابن طرخان
شرح رسالة زينون الكبير اليوناني .
مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ١٣٤٩ ه .

٣٨ ـ انياس الشيخ ابراهيم
ديوان سلوة الشجون مخطوط

٣٩ ـ ديوان تيسير الوصول مخطوط

٤٠ ـ ضيف الدكتور شوقي
التطور والتحديد في الشعر الاموي دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م

٤١ ـ الدجاني أحمد صدقي
الحركة السنوسية دار لبنان بيروت ١٩٦٧ م .

المراجع الانكليزية

1. ABUN-NASA M. JAMIL
   The Tijaniyya A Sufi order in the modern world London 1965.

2. Cartographic Department of the Clarendon Press Oxford Atlas For Nigeria.
   Oxford University Press 1968.

3. ANENE JOSEPH C. & GODFREY BROWN.
   Africa in the Nineteenth & Twentieth Centuries.
   Ibadan University Press & Nelson, 1967 (2nd ed.)

4. JAH DR. OMAR
   A Doctorate Thesis on Skekh Omar Alfut Manuscript.

5. PADEN JOHN N.
   Religion and Political Culture in Kano.

6. BEHRMAN LUCY C.
   Muslim Brotherhood and Politics in Sensegal.
   Harvard University Press 1970.

7. O.A.U. Summit Conference Accra 1965. Published by the Ghana Ministry of Information, Accra - Ghana 1965.

8. TRIMINGHAM J. SPENCER.
   Islam in West Africa, Oxford University Press 1959.

9. ALHAJ DR. MUHAMMAD.
   The Mahdist Tradition in Northern Nigeria A Doctorate Thesis, U.N. Published.

10. ALKLI ISA.
    An M.A. Thesis on the Tijaniyya in Adamawa, U.N. Published.

محتويات الكتاب

مقدمة ٣

الباب الأول الطريقة التجانية وحياة مؤسسها الشيخ احمد التجاني ٦

الورد التجاني أو الطريقة التجانية ٢٧

فضائل أتباع الشيخ التجاني ٤٣

الطريقة التجانية خارج المغرب العربي ٤٣

الطريقة التجانية في الحجاز ٤٥

الطريقة التجانية في تركيا ٤٧

الطريقة التجانية في افريقيا جنوب الصحراء الكبرى ٤٧

الطريقة التجانية في نيجيريا والشيخ عمر الفوتي ٥٣

الباب الثاني الشيخ ابراهيم انياس من ولادته إلى ظهوره في نيجيريا ٦٨

الطريقة التجانية في السنغال ٦٨

الفرقة الحملية التجانية ٧٥

الفرقة اليعقوبية الحملية التجانية ٧٨

الشيخ ابراهيم انياس ٨٠

حجة الشيخ ابراهيم انياس الاولى ١١٤

الباب الثالث الشيخ ابراهيم في نيجيريا ١٢٦

التربية الصوفية التجانية الانياسبة في نيجيريا ١٣٣

مشكلة القبض ١٤٩

أسباب ظهور أمر الشيخ ابراهيم في نيجيريا ١٦٢

الباب الرابع الشيخ ابراهيم انياس من شيخ الطريقة التجانية الى شيخ الاسلام ١٦٥

مقابلة الشيخ ابراهيم مع الصحفي الحجازي ١٦٧

قصيدة التوبة ١٧٣

حركة الطلاب السنغاليين الاصلاحية ١٨٠

الباب الخامس الشيخ ابراهيم انياس بين تلاميذه وخصومه ٢١٤

السفر الى كولخ لزيارة الشيخ ابراهيم انياس ٢٤٣

الشيخ ابراهيم انياس وشيوخ الطرق في السنغال ٢٤٨

خصوم الشيخ ابراهيم انياس ٢٥٤

الشيخ ابراهيم انياس والسياسة الوطنية في السنغال ٢٦٢

الباب السادس أثر الشيخ ابراهيم انياس وانجازاته ولا سيا في نيجيريا ٢٦٨

انجازات الشيخ ابراهيم ٢٨٠

الباب السابع الشيخ ابراهيم انياس كشيخ التربية في الطريقة التجانية ٢٩١

موقف شيخ التربية في نظر شيوخ التجانية القدامى ٣٠١

التربية عند الشيخ ابراهيم انياس ٣١١

الباب الثامن الشيخ ابراهيم انياس كصاحب الفيضة التجانية ٣٢٤

الباب التاسع مؤلفات الشيخ ابراهيم انياس واصول افكاره وكراماته وتقديره ووفاته

مؤلفاته ٣٤٦
أصول أفكاره ومصادر تعاليمه ٣٥٤
كراماته ٣٧٠
تقديره ٣٧٥
وفاته وخليفته ٣٧٩

الباب العاشر دراسة كتاب كاشف الإلباس ٣٨٣
التعليقات على كاشف الإلباس ٤٠٥

الباب الحادي عشر دراسة كتاب السر الأكبر ٤٢٥
تحقيق كتاب السر الأكبر ٤٥٣
التعليقات على كتاب السر الأكبر ٥٢٤
الخاتمة ٥٥٦